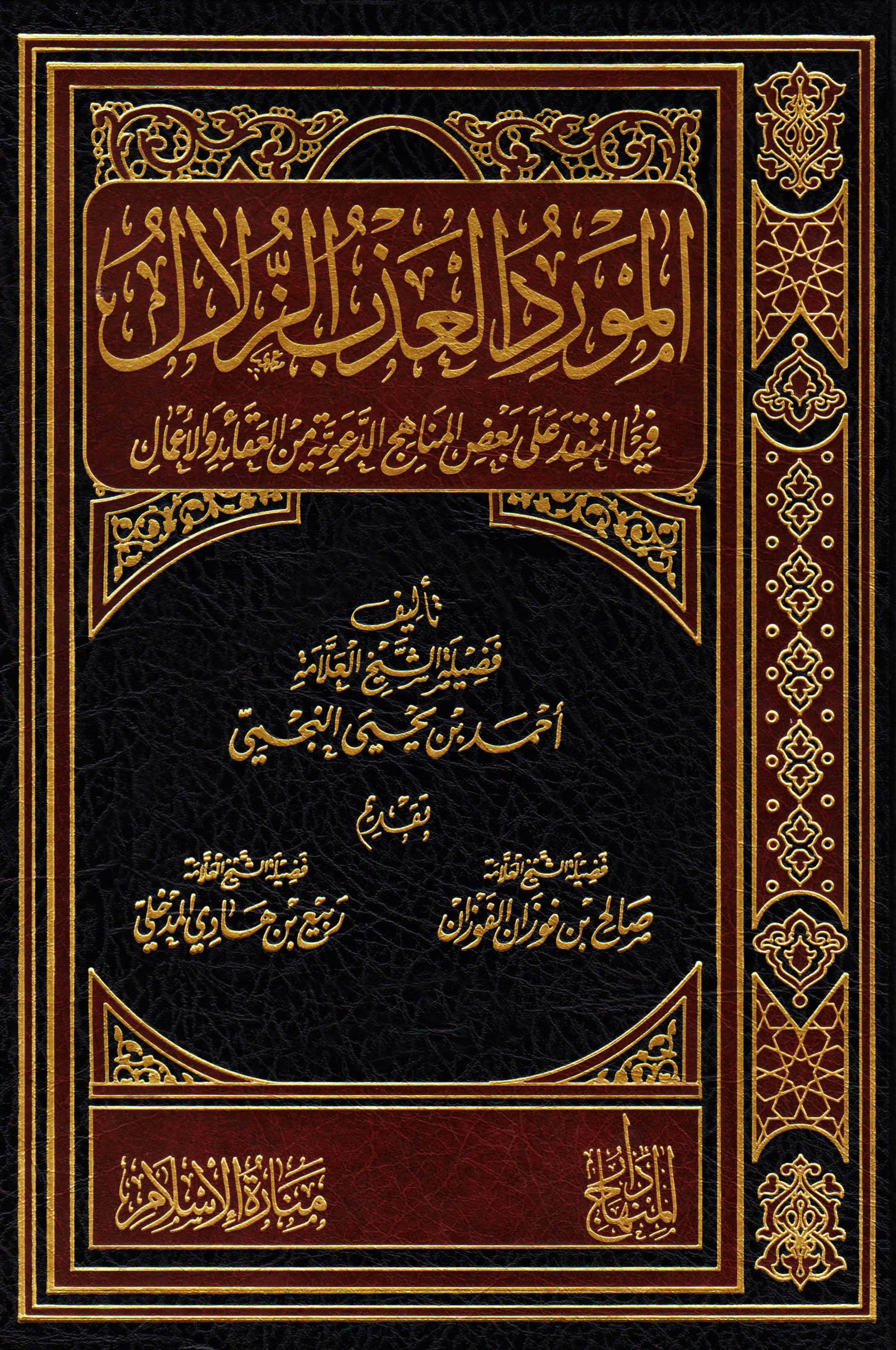


المورد العذب الزلال
فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي
بتقديم
فضيلة الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي المدخلي
دار المنهاج
منارة الإسلام

مصورات أبي عبد الرحمن السلفي الفلسطيني

scannerbooks.blogspot.com



إنتقل مباشرة
إلى المدونة
انقر هنا

لا تنسونا من صالح دعائكم





ابحث عنا في مواقع التواصل الإجتماعي باسم

مصورات أبي عبد الرحمن السلفي الفلسطيني

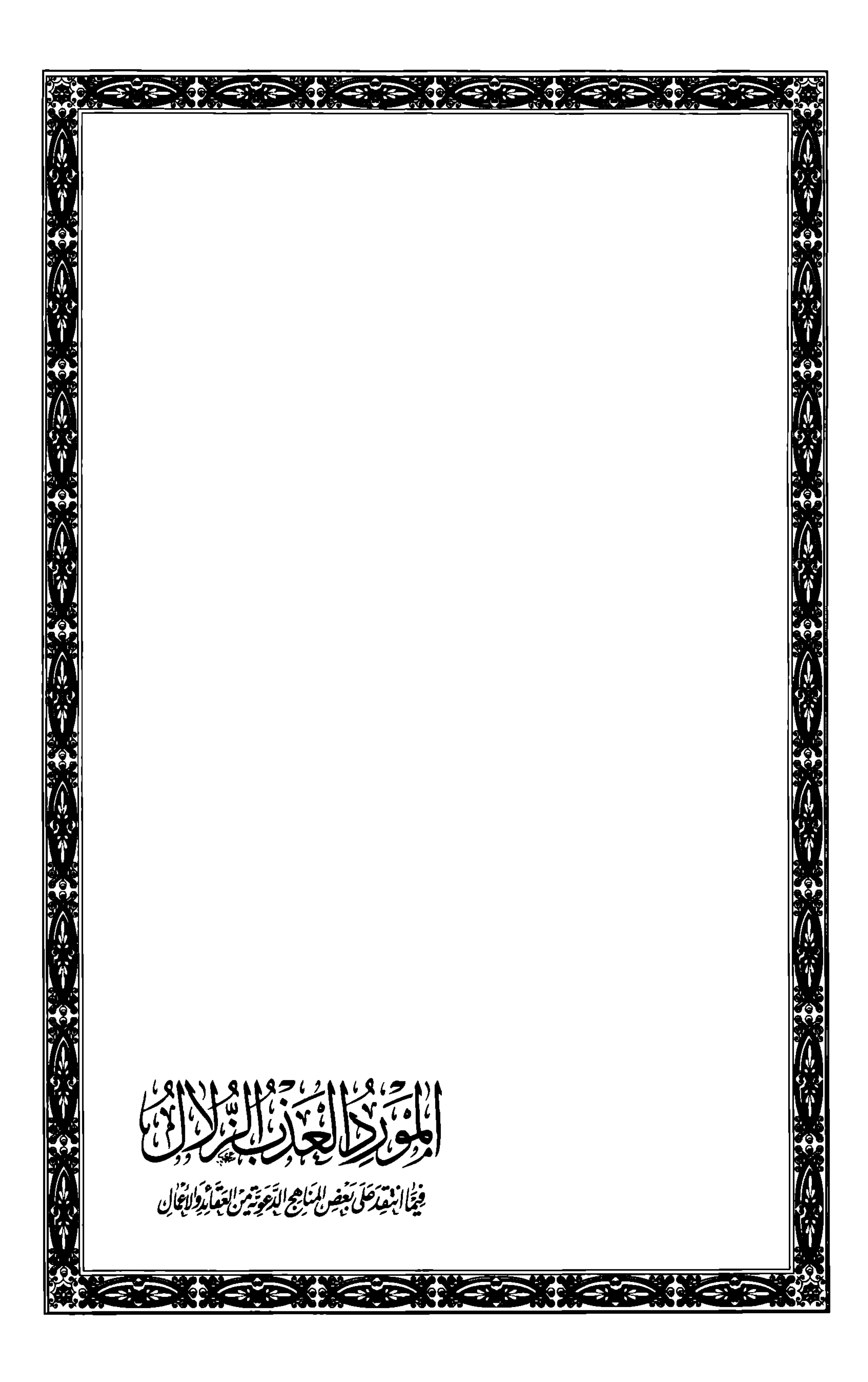






حول المدونة

صاحب هذه المدونة يقوم بتصوير الكتب على السكانر ورفعها على المدونة لتعُم الفائدة والله ولي التوفيق


المورد العذب الزلال
فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال



الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008 م

الطبعة الثانية: 1436هـ - 2015 م

رقم الإيداع: 2008/4486 م

منارة الإسلام

القاهرة: 81 شارع الهدي المحمدي متفرع من شارع أحمد عرابي - عين شمس

محمول: 0422 0554 012 (002) - 6366 4114 011 (002)

E- mail: Manart-aslam@hotmail.com



القاهرة: 81 شارع الهدي المحمدي متفرع من شارع أحمد عرابي - عين شمس

محمول: 4081 8888 012 (002) - 4078 8888 012 (002) - 4113 8888 012(002)

E- mail: daralminhaj@yahoo.com - daralmenhaj@hotmail.com

المَوْرِدُ العَذْبُ الزُّلالُ

فِيمَا انْتُقِدَ عَلَى بَعْضِ المَنَاهِجِ الدَّعَوِيَّةِ مِنَ العَقَائِدِ وَالأَعْمَالِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

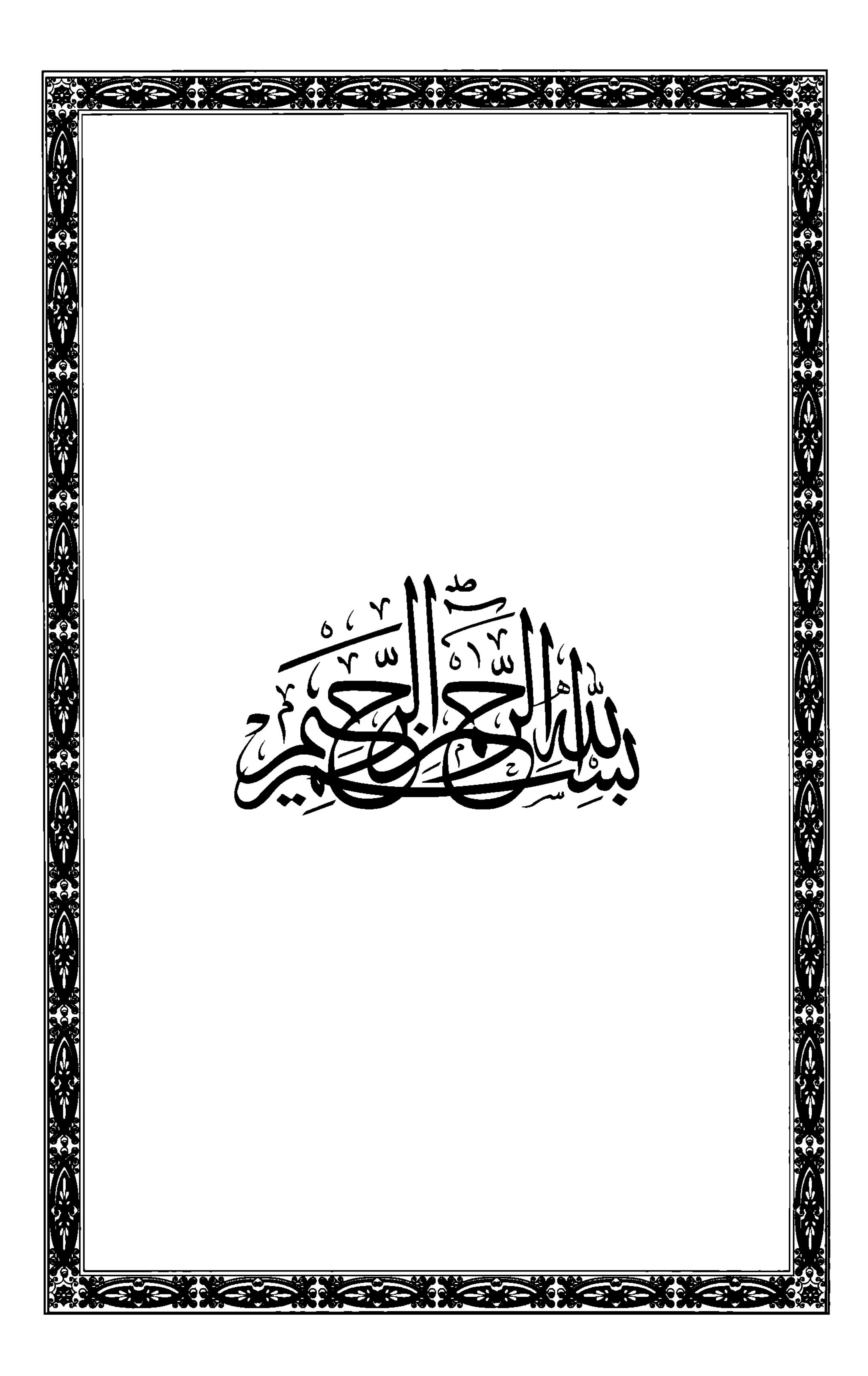
صالح بن فوزان الفوزان

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي المدخلي



منارة الإسلام


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، الَّذي بَعَث رُسُلَه مُبشِّرين ومُنْذرين؛ ليَهْدوا عِبَادَه إلىٰ صراطِهِ المُسْتقيم؛ وأَرْسَل رَسُولَه الأمين رحمةً للعَالَمين؛ صَلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فقَدْ أُغْلِقَتْ كلُّ الطُّرق المُوصِلَة إلىٰ ربِّ العَالَمين ورِضَاه وجَنَّته، منذ أَنْ بُعِثَ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ، إلَّا الطَّريق الَّذي سَلَكه هذا النَّبيُّ الكريم، وشَرَعه، وبَيَّنه؛ إذْ بَعَثه ربُّه عَزَّوَجَلَّ للنَّاس كافَّةً، وكان النَّبيُّ قَبْله يُبْعَث في قومِهِ خاصَّةً؛ فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُعْطيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطهنَّ أحدٌ من الأنبياءِ قَبْلي...**»، وذَكَر منها: «**وكان النَّبيُّ يُبْعَث إلىٰ قومِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاس كافَّة**»[1].

وقَدْ ذَكَر نبيُّنا العظيمُ ﷺ -بأَنْصَعِ بيانٍ، وأَوْضَحِ كلامٍ، وآكَدِ أُسْلوبٍ، مُقيمًا

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، واللفظ له، ومسلم (٥٢١) بلفظ: «**وبُعِثْتُ إلىٰ كلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**».

الحُجَّة علىٰ كلِّ إنسانٍ يَطأُ علىٰ هذِهِ البَسِيطَة منذ مَبْعثه ﷺ- أنَّه لَنْ يَنْجو أحدٌ من العَذاب إلَّا بَعْد الإيمانِ به ﷺ وبما جاء؛ حَيْث قال: «**والَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِنْ بالَّذي أُرْسِلت به، إلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

والمَقْصودُ بالأُمَّة هنا: أُمَّة الدَّعوة والبلاغ، لا أُمَّة الإجابة، إذ أُمَّةُ الإجابة مُؤمنةٌ به ﷺ قطعًا، وليست يهودًا ولا نَصارىٰ.

لِذَا، مَنْ تَنكَّبَ الصِّراطَ المستقيمَ، وكَفَر بالنَّبيِّ الأمين ﷺ، فهُوَ من أَصْحاب الجحيم؛ كائنًا مَنْ كان.

وكَذَلِكَ كلُّ مَنْ خالف شَرْعَه، وسُنَّته، وهَدْيه ﷺ، وإنْ كان من أُمَّته فهو بعيدٌ عنه يوم القيامة علىٰ قَدْر بُعْده عن شريعته في الدُّنيا.

ولمَّا كان المُخَالفون لسُنَّته ﷺ جُهَّالًا أو مُكابرين؛ لَزِم علىٰ أَهْل العلم رَدُّهم إلىٰ الجَادَّة بالحِكْمةِ والمَوْعظة الحَسَنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ وذلك لإقَامة الحُجَّة عَلَيهم؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

فالرَّدُّ على المُخالفِ واجبٌ مِنْ واجباتِ الإسلامِ علىٰ أهلِ العلمِ المُتأهِّلينَ لذَلِكَ، إِذْ به يُحْفظُ الدِّينُ منْ عَادياتِ التَّبديلِ، وغَوائلِ التَّحْريفِ، وشأْنُهُ في ميزانِ الشَّريعةِ الغرَّاءِ عظيمٌ، وقدْرُهُ جليلٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**القلمُ الثَّاني عشر**: القلمُ الجامعُ، وهو قلمُ الرَّدِّ علىٰ المُبْطلينَ، ورَفْعِ سُنَّةِ المُحِقِّينَ، وكَشْفِ أباطيلِ المُبْطلينَ علىٰ اختلافِ أَنْواعِها وأَجْناسِها، وبَيَانِ تَنَاقضِهم، وتَهَافُتِهم، وخُرُوجِهم عنِ الحقِّ، ودُخُولهم في الباطلِ.

وهَذَا القلمُ في الأقلامِ نظيرُ المُلُوكِ في الأنامِ.

وأصحابُهُ أهلُ الحُجَّةِ، النَّاصرونُ لما جاءتْ بِهِ الرُّسلُ، المُحَاربونَ لأَعْدائِهم.

وهُم الدَّاعونَ إلىٰ اللهِ بالحِكْمةِ والمَوْعظةِ الحَسَنةِ، المُجَادلونَ لمَنْ خَرجَ عنْ سبيلِهِ بأنواعِ الجِدَالِ.

وَأَصحابُ هَذَا القَلَمِ حَرْبٌ لكُلِّ مُبطلٍ، وعَدُوٌّ لكُلِّ مُخَالفٍ للرُّسُلِ؛ فَهُمْ في شأنٍ، وغَيْرهم منْ أَصْحابِ الأَقْلامِ في شأنٍ»[(١)].

فالرَّدُّ على المُخَالف شِعَارٌ مِنْ شعائرِ الإِسْلام، وهو مِنْ بَابِ الأَمْر بالمَعْروفِ والنَّهْي عن المنكر، وإِسْداء النُّصْح للمُسْلمينَ؛ فعَنْ تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحةُ**»، قلنا: لِمَنْ؟ قال: «**للهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمَّةِ المُسْلمينَ وعَامَّتِهم**»[(٢)].

وعَنْ جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بَايَعتُ رسولَ الله ﷺ علىٰ إِقَام الصَّلاة، وإِيتاء الزَّكاة، والنُّصح لكلِّ مسلمٍ»[(٣)].

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن»، لابن قيِّم الجوزيَّة (ص١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

وَهُو مِنَ السُّننِ الجاريةِ عَبْر عُمر الأُمَّة الإسلاميَّة؛ ذَبًّا عنْ حِمَىٰ الدِّين، وذَوْدًا عن حِيَاضِهِ، وصَوْنًا لحُرُماتِه؛ ليبقىٰ مَوْرِدًا عذبًا زُلالًا؛ كما جاء به ﷺ.

◻ ولقَدْ دلَّت على أَهميَّة القيام بهذا الواجب نُصُوصُ الكتاب والسُّنَّة، ومِنْ ذَلِكَ:

١- ما جاءَ في القُرْآن الكريم:

➢ قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

➢ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

➢ وقَوْله جلَّ وعَلا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨].

➢ وقوله عزَّ مِن قائل: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢٤].

٢- ما جاءَ في السُّنَّة المُطهرة:

➢ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٢٢٦٢).

➢ وعَنْ عَبْد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لمَّا كان يوم حُنَين آثَرَ رَسُولُ الله ﷺ ناسًا في القِسْمة، فأَعْطىٰ الأَقْرعَ بن حابس مئةً من الإبل، وأَعْطىٰ عُيَينة مثل ذلك، وأَعْطىٰ أُناسًا من أَشْراف العرب، فآثَرهُمْ يومئذٍ في القِسْمة، فقال رجلٌ: واللهِ، إنَّ هذه القسمة مَا عُدِلَ فِيهَا، ومَا أُرِيدَ بها وَجْهُ الله! فقلتُ: واللهِ، لأُخبرنَّ نبيَّ الله ﷺ، فأتيتُهُ، فأخبرتُهُ فقال: «**فمَنْ يَعْدل إنْ لم يَعْدل اللهُ ورسولُهُ، رحم اللهُ موسىٰ؛ قَدْ أُوذِيَ بأَكْثر من هَذَا فَصَبر**»[1].

فقَدْ رَدَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ هذا الرُّجلِ الَّذِي أساءَ مَعَه الأَدَبَ، وَاتَّهمَه بالظُّلم، وأَفْحَمَه بأبلغ حُجَّة.

وقَدْ رَدَّ النَّبيُّ ﷺ أيضًا علىٰ الرَّهْطِ الثَّلاثة الَّذينَ جاؤوا إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِه؛ لِيَسْأَلُوا عَنْ عِبَادَتِهِ! فَلَمَّا أُخبِرُوا بها كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا؛ فقالوا: وأَيْنَ نَحْن من النَّبيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبِهِ وما تَأَخَّر! قالَ أَحَدُهمْ: أَمَّا أنا فإنِّي أُصلِّي اللَّيل أبدًا، وقالَ آخر: أنا أَصُوم الدَّهْرَ ولا أُفْطِر، وقال آخر: أنا أعتزلُ النِّساءَ فلا أَتزوَّج أبدًا، فجاءَ رَسُولُ الله ﷺ إليهم، فقالَ: «**أنتم الَّذين قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟ أما والله إِنِّي لأَخْشاكم لله وأَتْقاكم له، لكنِّي أصومُ وأفطرُ، وأُصلِّي وأَرْقد، وأَتزوَّج النِّساء؛ فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فلَيْسَ مِنِّي**»[2].

لذَا قَالَ شيخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَة طَيَّبَ اللهُ ثَراه: «وَلِهَذَا يَتغيَّرُ الدِّينُ بِالتَّبْدِيلِ تَارَةً، وَبِالنَّسْخِ أُخْرَىٰ، وَهَذَا الدِّينُ لَا يُنْسَخُ أَبَدًا، لَكِنْ يَكُونُ فِيهِ من يُدْخِلُ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

التَّحْرِيفِ، وَالتَّبْدِيلِ، وَالْكَذِبِ، وَالْكِتْمَانِ مَا يُلَبَّسُ بِهِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ اللهُ فِيهِ مَنْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ خَلَفًا عَنِ الرُّسُلِ؛ فَيَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، فَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ، وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فَالْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْأَثَارَةُ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةُ عَنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، يَمِيزُ اللهُ بِهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ»[1].

وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ جَلالَةَ قَدْرِ هذا الأَمْرِ، وعَظِيمَ شَأْنِه، ووُجُوبَ القِيامِ به علىٰ مَنْ يُحْسِنه؛ فقَالَ: «وَإِذَا كَانَ النُّصْحُ وَاجِبًا فِي الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ مِثْلَ: نَقَلَةِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَغْلَطُونَ، أَوْ يَكْذِبُونَ كَمَا قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: سَأَلْتُ مَالِكًا، وَالثَّوْرِيَّ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ -أَظُنُّهُ- وَالْأَوْزَاعِيَّ عَنِ الرَّجُلِ يُتَّهَمُ فِي الْحَدِيثِ، أَوْ لَا يَحْفَظُ؟ فَقَالُوا: بَيِّنْ أَمْرَهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: إِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ: فُلَانٌ كَذَا، وَفُلَانٌ كَذَا.

فَقَالَ: إِذَا سَكَتَّ أَنْتَ، وَسَكَتُّ أَنَا، فَمَتَىٰ يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ؟!

وَمِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوِ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ، وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي، وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ؟

---

(١) انظر «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٣٤، ٤٣٥).

فَقَالَ: إِذَا قَامَ وَصَلَّىٰ وَاعْتَكَفَ، فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ، فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ، هَذَا أَفْضَلُ.

فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ إِذْ تَطْهِيرُ سَبِيلِ اللهِ، وَدِينِهِ، وَمِنْهَاجِهِ، وَشِرْعَتِهِ، وَدَفْعِ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْلَا مَنْ يُقِيمُهُ اللهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ، وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا اسْتَوْلَوْا، لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبعًا، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِدَاءً»(١).

هَذَا، ومِمَّنْ رَفَع رايةَ الرَّدِّ علىٰ المُخَالف وإِفْحَامه بالحُجَج النَّيِّرات من الكتابِ والسُّنَّةِ، وأَقْوال أئمَّة الأُمَّة في هَذَا العَصْر فضيلةُ الشَّيخ العَلَّامةُ المُحدِّث أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللهُ؛ فقَد اشْتُهِرَ بذَلِكَ، وعُرِفَ به؛ حميةً لدين الله، وغَيْرةً علىٰ حُرُماتِهِ، نسأل الله أن يرفعَ قَدْره عنده، وأَنْ يَرْحمه رحمةً واسعةً.

ومِنْ كُتُبه الجَلِيلَةِ والفَرِيدَة في هذا الباب: هذا الكتاب الَّذي نُقدِّم له، والَّذي عَنْونه بـ: «**المَوْرد العَذْب الزُّلال فيما انتقد علىٰ بَعْض المَنَاهج الدَّعويَّة من العقَائِدِ والأَعْمالِ**»، حَيْث جاء رائقًا ماتعًا مُفحمًا، قاطعًا لأَلْسِنَةِ المُتَطاولينَ والمُتعصِّبينَ من أَهْل الأَهْواءِ والشُّبهاتِ، والمُغْترِّينَ بزَخْرفة الفِرَقِ والجَمَاعاتِ المُعَاصرة.

وقَدْ بَيَّنَ فيه مُؤلِّفهُ رَحِمَهُ اللهُ **المآخذَ الَّتي خَالَفتْ فيها هذِهِ الفِرَقُ أَهْلَ السُّنَّة والجَمَاعة (الطَّائفة المَنْصورة النَّاجية).**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٨/ ٢٣١، ٢٣٢).

فجَاءَ كتابُهُ من أَنْفَعِ الكُتُب المَنْهجيَّة الَّتي تُبيِّن الحقَّ، وتدحض الباطلَ بالدَّليل النَّاصع، والحُجَّة القويَّة، والفَهْم الثَّاقب.

وقَدْ قَرَّظ الكتابَ عَالِمَانِ جَلِيلَانِ من عُلَماء الأُمَّة الأَفْذَاذ، وهُمَا فضيلة الشَّيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي، حفظهما الله تعالىٰ.

□ **ولِعِظَمِ النَّفْع بهَذَا الكتاب -ولِمَا كَتَب الله له من قبولٍ، ولحَاجَة الأُمَّة المَاسَّة إليه- رأينا إعادةَ طَبْعه مرَّةً ثانيةً في «دار المنهاج»، مُتَّبعينَ في ذَلِكَ الخُطُواتِ العِلْميَّةَ المَنْهجيَّةَ التَّالية:**

١- مُرَاجَعةُ الكتاب مُرَاجعةً لُغويَّةً دقيقةً.

٢- إِثْباتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحفِ الشَّريفِ.

٣- تَخْريجُ الأَحَاديثِ بمَنْهجٍ مُوحَّدٍ، وقد اعْتَمدنا في التَّخْريجاتِ عَلَىٰ كُتُب الحديث ذات التَّرقيمات المُعْتمدَة؛ كـ«تَرْقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللهُ»، وقد اكْتفَينا بتَخْريج الحديث إِنْ كان في «الصَّحيحين»، أو أَحَدهما بذِكْر رَقْمه، وإِنْ كان في غَيْرهما ذَكَرنا رَقْمه، أو رقم الجزء والصَّفحة، ثمَّ أَوْردنا حُكْمَ الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ عليه غالبًا.

٤- تَخْريجُ الآثار من كُتُب التَّفاسير، وكُتُب السُّنَّة.

٥- عَزْو النُّقولات إلىٰ مَصَادرها من كُتُب أَهْل العِلْمِ.

٦- شَرْحُ الكلمات الغريبة من كُتُبِ الشُّروح المُعْتمدة، وكُتُب اللُّغة.

٧- **أَوْرَدنا بعضَ التَّعْريفاتِ والفَوَائد والتَّعْليقات الَّتي رَأَيْناها مُهمَّةً لإيضاح المَعْنىٰ، أو كَلاَمٍ للشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ في كُتُب أُخْرىٰ، أو كَلامٍ لبَعْض أَهْل العِلْمِ أَشَار الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ إليه.**

٨ - عَمَلُ مُقدِّمةٍ للنَّاشر بَيَّنَّا فيها المَنْهجَ المُتَّبعَ في إِعْدَادِ هَذَا الكِتَابِ النَّفيس للنَّشْر.

٩ - تشكيل ما يُشكل من النَّص، وما يُبْرز معناه، ويُجَمِّله، وإخْضَاعه بعَلامات الترقيم، وتَقْسمه إلىٰ فقرات، وتنسيقه وَفْق الأساليب الحديثة في الطباعة.

١٠ - وأخيرًا، عَمَلُ فهرسٍ شاملٍ لمُحْتويات الكِتَابِ.

والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

قسم التحقيق والبحث العلمي
بـ "دار المنهاج"

تقريظ فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَضِيلة الشَّيْخ والأخ الكريم أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي، حفظه الله وَوفَّقه، آمين، السَّلامُ عَلَيكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ، **وبعد:**

قرأتُ مُؤلَّفكم القيِّم «**المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بَعْض المناهج الدَّعويَّة من العقَائد والأعْمالِ**»، فوجدتُهُ كتابًا قَيِّمًا مفيدًا في مَوْضوعِهِ، تمسُّ الحاجةُ إليه في هذَا الزَّمان الَّذي كَثُرتْ فيه الحِزْبيَّاتُ والجماعاتُ الَّتي تَتسمَّىٰ - مَعَ الأَسفِ - باسْمِ الدَّعْوة إِلَىٰ الإِسْلامِ.

ومعلومٌ أنَّه لَيْس في الإسلام إلَّا جماعةٌ واحدةٌ، ومنهجٌ واحدٌ، هي جماعةُ أَهْلِ السُّنَّة، ومنهجٌ واحدٌ هو منهجُ الرَّسولِ ﷺ وأصحابِهِ، كما وَصَفهم ﷺ لمَّا ذَكَر الجماعاتِ والفِرَقَ المخالفةَ بقولِهِ: «**هُمْ مَنْ كان عَلَىٰ مثل ما أَنَا عَلَيه اليومَ وأَصْحابي**»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

فلَيْس لنا إلَّا جماعةٌ واحدةٌ هي جماعةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، ومنهجٌ واحدٌ هو منهجُ الرَّسولِ ﷺ، وإمامٌ واحدٌ هو رسولُ الله ﷺ، لا نَعْترف بغيرِ ذَلِكَ من الجماعاتِ والمَناهِج والقادةِ، وَكِتابُكُم - حفظكم الله - وافٍ في بيانِ الحقِّ، وردِّ البَاطلِ في هذَا المَوْضوعِ، فجَزَاكم اللهُ خيرًا علىٰ ما قُمْتُم به، وتَقُومُونَ به من بيانِ الحقِّ، وردِّ الباطلِ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أخوكم في الله

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

٢٧/١١/١٤١٤هـ

تقريظ فضيلة الشيخ
الأستاذ الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
ورئيس قسم السنة بها سابقًا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنِ اتَّبعَ هُدَاه.

أمَّا بعد:

فَقَدِ اطَّلعتُ علىٰ ما حَبَره شَيْخُنا العلَّامة حاملُ راية الحديثِ والتَّوحيدِ والسُّنَّةِ في منطقة جَازَان الشَّيخ أحمد يحيىٰ النَّجْمي في كتابِهِ الفَذِّ: «**المورد العذب الزُّلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة من العقائد والأعمال**»، فلقَدْ أجادَ شَيْخنا وأفادَ، وأَصابَ البِدَعَ والحِزْبيَّاتِ والفتنَ في مَقَاتِلها، وبَيَّن مُخالَفتها للكتابِ والسُّنَّةِ ومَنْهج السَّلفِ الصَّالح في العقائدِ والعباداتِ.

□ **لقَدْ صَدَّر كتابَه النَّافع بخمسةِ أبوابٍ:**

❁ **بَيَّن في الأوَّل منها:** الحكمةَ الَّتي خَلَقَ اللهُ الجنَّ والإنسَ من أَجْلها، وساقَ الأدلَّةَ والبراهينَ علىٰ ذَلِكَ.

❁ **ووَضَّح في الباب الثَّاني:** مَعْنىٰ العبادة الَّتي خَلَقَ الله الجنَّ والإنسَ من أَجْلها، وكَلَّفهم القيامَ بِهَا.

❁ **وفي البابِ الثَّالثِ:** بَيَّنَ أنَّ الرُّسُلَ هُمُ الهُداةُ إلىٰ الله ومَرْضاتِهِ وجَنَّاتِهِ.

❁ **وفي الباب الرَّابع:** بَيَّن أنَّ السَّببَ الأعظمَ، بل السَّبب الأَوْحد للنَّجاةِ من عذابِ الله والفَوْز بجَنَّتِهِ هو طاعةُ الله وطاعةُ رَسُولِهِ ﷺ، وساقَ الأدلَّةَ علىٰ ذَلِكَ.

❁ **وفي البابِ الخامس:** بَيَّن منهجَ الرُّسُل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- وأنَّ دَعْوتَهم تقومُ علىٰ ثلاثةِ أُسَسٍ:

١- التَّوحيد.

٢- المعاد: وهو الإيمانُ باليوم الآخِر، وما حَوَاه من بَعْثٍ وجزاءٍ، وجنَّةٍ ونارٍ.

٣- الإيمان بالرِّسالاتِ السَّماويَّة.

مَهَّد شَيْخُنا بهذه الأبوابِ المهمَّة الَّتي تَضمَّنتْ تِلْكم الأُصُول الضَّروريَّة ليَقُول للمَخْدوعينَ بالبِدَعِ والتُّرَّهاتِ وقَادَتها: هَذَا هُوَ الدِّين الحقُّ، وهَذَا هُوَ المنهجُ الحقُّ الَّذي يجبُ اتِّباعُهُ، وهذِهِ أصولُهُ الضَّروريَّة الَّتي يجبُ الإيمانُ بِهَا، واتِّباع حَمَلة رَايَتها، وهُم الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام.

أمَّا قادةُ البِدَعِ والضَّلالات المُخَالفون لمَا جَاءَ به الرُّسُلُ من العقائدِ والمنَاهِجِ والأُصُولِ والعباداتِ، فهُمْ دعاةٌ علىٰ أبوابِ جهنَّم، مَنْ أَجَابهم إليها قَذَفوه في النَّار، وهذِهِ حقائقُ واضحةٌ ناصعةٌ لا يُمَاري فيها ويَحِيد عنها إلَّا مَنْ أضلَّه الله، وغَضِبَ عَلَيه، وطَبَعَ علىٰ قلبِهِ.

ثمَّ بَعْد بيانِ هذِهِ الأُمُور العَظِيمة والأُصُول الكَرِيمة، دَلَف إِلَىٰ الغايةِ الَّتي شَمَّر عن سَاعِدِ الجدِّ للنُّهُوض بها، ألَا وهُو نَقْدُ الأباطِيل والخُرافَاتِ والضَّلالاتِ الَّتي انْخَدع بِبريقِها الكاذبِ كثيرٌ من شباب بلادِ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ، إِذْ أَطْفؤوا مَصَابيحَ الهُدَىٰ والنُّور، وآثروا السَّيْر في سُبُل الشَّيطانِ وطُرُق الضَّلالِ والظَّلام الحَالِك ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام:٧١].

□ **بَعْد ذَلِكَ الإيضاحِ الشَّافي، نَفَذَ إِلَى كَشْفِ عَوَار البَاطِل، وبيانِ زَيْفهِ في سبعةِ أَبْوابٍ:**

❁ **الباب الأوَّل مِنْها، وهُوَ السَّادسُ في سِلْسلةِ أَبْوابِ الكِتَاب:** في بيانِ أنَّ الانحرافَ عَنْ مَنْهجِ الرُّسُلِ، تَرْكٌ للصِّراطِ المُسْتقِيم، بَيَّن ذَلِكَ بالأدلَّةِ الواضحةِ.

❁ **وفي البابِ الثَّاني، وهُوَ السَّابعُ:** بَيَّن أنَّ الحِزْبيَّة لَيْست من مَنْهج الأنبياءِ، وأنَّ الحِزْبيَّة بدعةٌ وضلالةٌ.

والباب الثَّالث، وهو الثَّامن: في بَيانِ مَسَاوئ الحِزْبيَّة، فذَكَر لها تِسْعَ مَفَاسد، يَكْفي بَعْضها لإدانة الحِزْبيِّين بالضَّلالِ.

❁ **وفي البابِ التَّاسع:** ذَكَر ما يُنْتقد عَلَىٰ الإخوانِ المُسْلمين من الانْحِرافاتِ، فبَلغَتْ خمسًا وعِشْرينَ ضلالةً، وما أكثرَ شَرَّهم ومَسَاوِئهم! وما أَخْطَرهم عَلَىٰ الإسلام والمسلمين!

ولقَدْ أظهرَ اللهُ حقيقةَ مَنْهجِهم الفَاسِد، وعَقَائِدهم الضَّالَّة.

أَلَا يَرَىٰ المسلمُ الصَّادقُ أنَّهم في بَعْض البلدانِ يَعْقدون المُؤتَمراتِ للدَّعْوةِ إِلَىٰ وحدة الأديانِ، وإِلَىٰ مُؤاخاةِ النَّصارىٰ، وإِفْساحهم المَجَال لتَشْييدِ الكَنائِس والقُبُور؟!

أَلم يَسْمع العالَمُ بتَجْييشِهم للشُّيوعيِّين والباطنيَّة والرَّوافض ضدَّ الشَّعبِ الأفغانيِّ بَعْد تَبجُّحهم الكاذبِ بأنَّهم يَحْملون هُمُومَ الأُمَّة الإسلاميَّة، ويُحَاربون أَعْداءَهم من الشُّيوعيِّين والعَلْمانيِّين والحداثيين.

وفي تُرْكيا قامَ حِزْبُهم بتَنازُلاتٍ كثيرةٍ وأَسَاسيَّةٍ بهَدْم الإسلامِ، وقامَ بالالْتِزَامِ بالدِّيمقراطيَّة وحِمايَة العلمانيَّة، وأَضافَ في هَذِهِ الأَيَّام الاتِّفاقَ العسكريَّ مع اليَهُودِ ضدَّ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وخاصَّةً الشُّعوب العربيَّة؟!

أَلَا تكفي هَذِهِ الفضائحُ المُدمِّرةُ للإسلام والمسلمين لإيقَاظ المُسْلمين المَخْدوعين، وفَتْح أَبصَارِهم وبَصَائِرهم عَلَىٰ هَذِهِ الحقائق المُروِّعة؟!

أَلَا يَكْفي بَعْضها لفَضْح مَنْ يتولَّاهم ويُدَافع عَنْهم مِمَّنْ يَلْبسونَ السَّلفيَّةَ

مخادعةً للشَّباب السَّلفيِّ كي ينضمُّوا إِلَىٰ صُفُوف هَذَا الحزبِ المَدْسُوسِ عَلَىٰ الإسلامِ والمُسْلمينَ؟!

ألم يأنِ للَّذين انْخَدعوا بهذَا الحِزْبِ الَّذي أُرْسِيَتْ دَعائمُهُ عَلَىٰ الضَّلالِ أن يُفِيقُوا من غَيْبوبتهم، فيَهْرعوا إِلَىٰ التَّمسُّك بكتاب رَبِّهم، وسُنَّة نَبيِّهم، ويَسِيروا عَلَىٰ هُدَىٰ الصَّحابة والتَّابعين لهم بإِحْسانٍ؟!

يا وَيْح أُمَّةٍ يُسلِّم قِيادُها لمَنْ يَقُودها إِلَىٰ مَهَاوي الضَّلالِ والهلاكِ والبَوارِ.

❁ **ثمَّ عَقَد الباب العاشرَ:** فيما انتقد عَلَىٰ جماعةِ التَّبْليغ، تكلَّم فيه عَلَىٰ مَنْهجهم الفَاسِد، وعَقائِدهم الضَّالَّةِ الَّتي منها الحُلُولُ، ووحدة الوُجُود، والمُرَاقبة عند القُبُورِ إِلَىٰ تمام خمسٍ وعِشْرين ضلالةً، والواقعُ أنَّ ما عِنْدهم أكثرُ من ذَلِكَ، وبَيْنهم روابطُ عَقائديَّةٌ ومَنْهجيَّةٌ وبَيْن الإخوانِ المُسْلمينَ وسَائِر فِرَقِ الضَّلالِ.

وهَاتَانِ الطَّائفتانِ (الإِخْوان المُسْلمون، وجماعةُ التَّبليغ) هُمَا أشدُّ الفِرَقِ كيدًا للمَنْهجِ السَّلفيِّ وأَهْله، وأشدُّ الفِرَقِ تركيزًا عَلَىٰ هَدْم هَذَا المَنْهجِ العَظِيم، وقَدْ خَطَّطتا لغزوِهِ وأَهْلِه في عُقْر دَارِه، وقَدْ تَمكَّنتا من إفسادِ كثيرٍ من المُنْتسِبينَ إِلَىٰ المَنْهجِ السَّلفيِّ في الجزيرة العربيَّة، وغَيْرها.

نسأَلُ الله أن يردَّ كَيْدهما في نُحُورهما، وأَنْ ينقذَ الإسلامَ وأُمَّةَ الإسلامِ وشَبَابها من مَخَالِبهم.

❁ **ثمَّ عَقَد الباب الحادي عشر:** في بيانِ وُجُوبِ السَّيْر عَلَىٰ مَنْهج النَّبيِّ ﷺ، وساقَ الأدلَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

❁ **والباب الثَّاني عشر:** في ذمِّ البِدَع والمُبْتدِعين.

❁ **والباب الثَّالث عشر:** في فَضْل الالتزامِ بالسُّنَّةِ ومُتَابعتها، وضَمَّنها فصلًا في الفِرْقةِ النَّاجية المَنْصورة وظُهُورها عَلَىٰ مَنْ خَالَفها بالحُجَّةِ والبرهانِ بَعْد تَميُّزها بالتَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وما كانَ عَلَيه سَلَف الأُمَّة.

وخَتَم كتابَه القَيِّم بخاتمةٍ ضَمَّنها بيانَ خصالٍ رديئةٍ عند الطَّائفتين عقائديًّا، ومنهجيًّا، وعمليًّا، بلغت خمس عشرة خَصْلَةً.

كما ضَمَّنها دعوةً للقُرَّاء الكرام مِمَّنِ انْخَدع بهاتين الطَّائفتين ومناهجها المُبْتدعة إِلَىٰ قراءة هَذَا الكتابِ بكلِّ تَجرُّدٍ وإنصافٍ، وخاصَّةً المَخْدوعين من أهلِ المملكة العربيَّة السَّعوديَّة الَّذين تَربَّوا عَلَىٰ التَّوْحيد، وأَنْ ينظروا إِلَىٰ ما كَتَبه بعين الحقِّ والعدلِ.

نَسْأل الله أن ينفعَ بهذا الكتابِ القَيِّم، وأن يُحقِّق به الغايةَ الَّتي يَسْعىٰ إليها كلُّ مصلحٍ مخلصٍ، ومنهم المُؤلِّف -حفظه الله ووفَّقه وَسَلكه في عِدَادِ المُجَاهدين الدَّاعين إِلَىٰ الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ؛ إنَّ ربِّي لَسَميعُ الدُّعاءِ.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

١٤١٧/٧/٢٢هـ



ترجمة الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

«فإن للعلماء علينا من الحقوق ما تركه يتم العقوق، ومن رعايتهم: ضبط أحوالهم الشريفة، وتدوين مناقبهم المنيفة، وتخليد محاسنهم في بطون الأوراق، والمحافظة على حفظ نتائج أفكارهم التي هي من أنفس الأعلاق.

ومن ذلك:

تعظيمهم باللسان، والجنان، والأركان وعدم التعرض لما يؤذيهم بالدخول في أعراضهم الجميلة، والاستهانة بمناقبهم الجزيلة الجليلة، والتقعد لهم بمراصد الاستخفاف، والتنصب لهم بمنصة الخلاف.

وقد ورد في الآيات الفرقانية، والأحاديث النبوية، والآثار المصطفوية، ما يقتضي النهي عن ذلك وتتخطى بمن عمل به أيمن المسالك».

وممن له علينا هذا الحق شيخنا العلامة الشيخ: أحمد بن يحيى النجمي- حفظه اللَّه- فقد انتفعنا بعلمه كثيرًا، فجزاه اللَّه عنا أفضل الجزاء.

وقد كثر الطلب من الإخوة المحبين للشيخ في كتابة نبذة- ولو مختصرة- عنه وعن حياته الذاتية والعلمية، وألحُّوا علي في ذلك غاية الإلحاح، وأنا أتهرب من ذلك، وأعتذر دائمًا إليهم، لعلمي بالعجز والقصور لدي، ولكن كل ذلك لم يفد شيئًا،

ولم يعذرني منهم أحد، فلما رأيت ذلك منهم استعنت باللَّه- تعالى- وحده في كتابة هذه النبذة المختصرة عن شيخنا- حفظه اللَّه تعالى-.

فأقول:

□ اسمه ونسبه:

هو شيخنا الفاضل المحدث العلامة، المسند، الفقيه ومفتي منطقة جازان حاليًّا، وحامل راية السنة والحديث فيها، الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي آل شبير من بني حُمَّد، إحدى القبائل المشهورة بمنطقة جازان.

□ ولادته:

ولد الشيخ- حفظه اللَّه- بقرية النجامية في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ستة وأربعين وثلثمائة وألف للهجرة النبوية، (٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦ هـ). ونشأ في حجر أبوين صالحين ليس لهما سواه.

ولهذا فقد نذرا به للَّه- أي: لا يكلفانه بشيء من أعمال الدنيا- وقد حقق اللَّه ما أرادا.

فكانا محافظين عليه محافظة تامة، حتى إنهما لا يتركانه يلعب بين الأولاد، ولما بلغ سن التمييز أدخلاه كتاتيب القرية، فتعلم القراءة والكتابة، وقرأ القرآن في الكتاتيب الأهلية، قبل مجيء الشيخ عبد اللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث مرات، وآخرها في عام (١٣٥٨هـ) الذي قدم فيه الشيخ القرعاوي.

حيث قرأ القرآن أولًا على الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي عام (١٣٥٥هـ) ثم قرأ أيضًا على الشيخ/ يحيى فقيه عبسي، وهو من أهل اليمن، وكان قد قدم على النجاميَّة وبقي بها ودرس عليه شيخنا في عام (١٣٥٨هـ)، ولما قدم الشيخ عبد اللَّه القرعاوي، حصلت بينه وبين هذا المعلم مناظرة في مسألة الاستواء- وكان أشعريًّا- فهزم، وهرب على إثر ذلك ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٤٥].

□ نشأته العلمية:

وبعدما هرب مدرسهم الأشعري تردد الشيخ مع عميه الشيخ حسن بن محمد، والشيخ حسين بن محمد النجميين على الشيخ عبد اللَّه القرعاوي في مدينة صامطة أيامًا، لكنه لم يستمر، وكان ذلك في عام (١٣٥٩هـ)، وفي عام (١٣٦٠هـ) وفي صفر بالتحديد التحق شيخنا بالمدرسة السلفية، وقرأ القرآن هذه المرة بأمر الشيخ عبد اللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قرأ عليه القرآن مجودًا، وحفظ «تحفة الأطفال»، و«هداية المستفيد»، و«الثلاثة الأصول»، و«الأربعين النووية»، و(الحساب)، وأتقن تعلم الخط.

وكان يجلس في الحلقة التي وضعه الشيخ فيها، إلى أن يتفرق الطلبة الصغار بعد صلاة الظهر، ثم ينضم إلى الحلقة الكبرى، التي يتولى الشيخ عبد اللَّه القرعاوي تدريسها بنفسه، فيجلس معهم من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العشاء، ثم يعود مع عميه- المذكورين سابقًا- إلى قريته «النجامية».

وبعد أربعة أشهر أذن له الشيخ عبد اللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن ينضم إلى هذه الحلقة- حلقة الكبار- التي يدرِّسها الشيخ بنفسه، فقرأ على الشيخ فيها: «الرحبية» في الفرائض، و«الآجرومية» في النحو، و«كتاب التوحيد»، و«بلوغ المرام»، و«البيقونية»، و«نخبة الفِكر»، وشرحها «نزهة النظر»، ومختصرات في السيرة، و«تصريف الغزي»، و«العوامل في النحو مائة»، و«الورقات» في أصول الفقه، و«العقيدة الطحاوية» بشرح الشيخ عبد اللَّه القرعاوي، قبل أن يروا شرح ابن أبي العز عليها، ودرس أيضًا شيئًا من «الألفية» لابن مالك، و«الدرر البهية» مع شرحها «الدراري المضية» في الفقه، وكلاهما للشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ وغير ذلك من الكتب سواء منها ما درسوه كمادة مقررة كالكتب السابقة، أو ما درسوه على سبيل التثقيف لبعض الرسائل والكتب الصغيرة، أو كانوا يرجعون إليه عند البحث كـ «نيل الأوطار»، و«زاد المعاد»، و«نور اليقين»، و«الموطأ» والأمهات.

وفي عام (١٣٦٢هـ) وزع عليهم الشيخ عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ أجزاء الأمهات الموجودة

في مكتبته وهي: «الصحيحين»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النسائي»، و«موطأ الإمام مالك»، فقرءوا عليه فيها، ولم يكملوها؛ لأنهم تفرقوا بسبب القحط.

وفي عام (١٣٦٤هـ) عادوا عليه ثم أجازه الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ برواية الأمهات الست. وفي عام (١٣٦٩هـ) درس على الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ قاضي صامطة في ذلك الوقت كتاب «إصلاح المجتمع»، وكتاب الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقه المرتب على صيغة السؤال والجواب، واسمه: «الإرشاد إلى معرفة الأحكام».

كما درس على الشيخ علي بن الشيخ عثمان زياد الصومالي، بأمر من الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في النحو كتاب «العوامل في النحو مائة»، وكتبًا أخرى في النحو والصرف.

وفي عام (١٣٨٤هـ) حضر في حلقة الشيخ الإمام العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لمدة تقارب شهرين في التفسير في «تفسير ابن جرير الطبري» بقراءة عبد العزيز الشهلوب، كما حضر في العام نفسه في حلقة شيخنا الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لمدة شهر ونصف تقريبًا في «صحيح البخاري» بين المغرب والعشاء.

□ شيوخه:

مما مضى يتبين لنا شيوخه- حفظه الله- وهذا ترتيبهم:

١- الشيخ/ إبراهيم بن محمد العمودي- قاضي صامطة في حينه-.

٢- الشيخ/ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- الشيخ/ العلامة الداعية المجدد في جنوب المملكة عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ وبه تخرج الشيخ أحمد، فهو أكثر شيوخه إفادة له.

٤- عبده بن محمد عقيل النجمي.

٥- الشيخ/ عثمان بن عثمان حملي.

٦- الشيخ/ علي ابن الشيخ عثمان زياد الصومالي.

٧- الشيخ الإمام العلامة مفتي البلاد السعودية السابق/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- الشيخ/ يحيى فقيه عبسي اليمني.

□ تلاميذه:

ولشيخنا- حفظه اللَّه تعالى- كثير وكثير من التلاميذ، فمن أمضى مثل هذه المدة في التدريس التي تقارب النصف قرن، كم يتصور أن يكون تلاميذه، ولو ذهَبْتُ أعددهم لاحتجت إلى مجلد ضخم؛ وإنما أذكر نموذجًا يستدل به على الباقين فمنهم:

١- شيخنا العلامة المحدث ناصر السنة الشيخ/ ربيع بن هادي.

٢- شيخنا العلامة الفقيه/ زيد بن محمد بن هادي المدخلي.

٣- شيخنا العالم الفاضل/ علي بن ناصر الفقيهي.

وإنما اكتفيت بذكر هؤلاء الثلاثة؛ لشهرتهم في الأوساط العلمية، فلا يعتب علينا أحد.

□ ذكاؤه- وفقه اللَّه-:

يتمتع الشيخ بدرجة من الذكاء عالية جدًّا وهاك قصة تدل على ذكائه وحافظته منذ صغره- حفظه اللَّه-:

يقول العم الشيخ/ عمر بن أحمد جردي المدخلي- وفقه اللَّه-:

«لما كان الشيخ أحمد يحضر مع عميه حسنٍ وحسينٍ النجميين إلى المدرسة السلفية بصامطة- أي عام (١٣٥٩هـ) وعمره آنذاك (١٣) سنة، كان يسمع الدروس التي يلقيها عبد اللَّه القرعاوي على تلاميذه الكبار، وكان يحفظها حفظًا».

قلت: وهذا هو ما جعل الشيخ/ عبد اللَّه القرعاوي يلحقه بحلقة الكبار الذين كان الشيخ يتولى تدريسهم بنفسه؛ لأنه رأى نجابته وسرعة حفظه وذكاءه.

□ أعماله:

عمل شيخنا- حفظه اللَّه- مدرسًا بمدرسة القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ احتسابًا، وعندما بدأت الوظائف عُين مدرسًا بقريته «النجامية»، وكان ذلك في عام (١٣٦٧هـ)، وفي عام (١٣٧٢هـ) نقل إمامًا، ومدرسًا في قرية «أبو سبيلة» في «الحُرَّث»، وفي عام (١٣٧٤هـ) وفي عام (١/ ١/ ١٣٧٤هـ) بالتحديد عندما فتح المعهد العلمي في «صامطة» عين مدرسًا به، حتى عام (١٣٨٤هـ)؛ حيث استقال من التدريس بالمعهد على أمل أن يدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وسافر إليها؛ لكن حصلت له ظروف حالت دون ذلك، فعاد إلى المنطقة، وكتب اللَّه له التعيين واعظًا مرشدًا بوزارة العدل بمنطقة جازان، فقام بالوعظ والإرشاد أحسن قيام.

وفي عام (١٣٨٧هـ) بالتحديد في (١/ ٧) منه عاد مدرسًا بالمعهد العلمي بمدينة جازان حسب طلبه. وفي ابتداء الدراسة عام (١٣٨٩هـ) عاد إلى التدريس بمعهد صامطة، وبقي به مدرسًا حتى أحيل على التقاعد في (١/ ٧/ ١٤١٠هـ)، ومنذ ذلك الحين إلى كتابة هذه الأسطر، وهو مشتغل بالتدريس في بيته، والمسجد المجاور له، ومساجد أخرى في المنطقة في دروس أسبوعية مع القيام بأمر الفتوى.

وهو في هذا كله قد عمل بوصية شيخه له في مداومته على التعليم، والمحافظة على المتعلمين، وخاصة الغرباء والمنقطعين منهم، وله- حفظه اللَّه- على ذلك صبر عجيب، فجزاه اللَّه عنا خيرًا.

وقد عمل- أيضًا- بوصية شيخه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ فواصل الدراسة والبحث والاستفادة، وخاصة في علمي الحديث والفقه وأصولهما، حتى فاق أقرانه، وأصبح له في ذلك اليد الطولى، بارك اللَّه في عمره وعلمه ونفع بجهوده.

□ آثاره العلمية:

لشيخنا- حفظه اللَّه- آثار علمية كثيرة، بعضها طبع وبعضها لم يطبع، نسأل اللَّه تعالى أن ييسر طبعه حتى يحصل الانتفاع به، ومن ذلك:

١- أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة.

٢- تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام. طبع منه جزء صغير جدًّا جدًّا.

٣- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

٤- رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في الجهاد.

٥-رسالة في حكم الجهر بالبسملة.

٦- فتح الرب الودود في الفتاوى والرسائل والردود.

٧- المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.

وغير ذلك من المؤلفات النافعة التي قدمها للمسلمين، جزاه اللَّه خير الجزاء، ونفع به الإسلام والمسلمين.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله حمدًا كثيرًا طَيِّبًا مباركًا فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويَرْضىٰ، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

أمَّا بعد:

فقَدْ بُلِينا في هَذَا الزَّمن بمناهجَ دعويَّةٍ وَفَدتْ إِلَينا، تخلطُ الحقَّ بالباطلِ، والسُّنَّةَ بالبدعةِ، والمَعْروفَ بالمنكرِ، بل وتَسْتمرئ الشِّركَ أحيانًا، وتَجْعله دينًا يُدَان الله به، فقَدْ كَانَتْ وما زَالَتْ بِلَادُنا مِنْ أَقْصاها إِلَىٰ أقْصَاها -أي: بلاد الحَرَمين- تحتَ الحُكْم السُّعوديِّ تَدِين بالمنهجِ السَّلفيِّ؛ حَاكِمين ومَحْكومين، قادةً ورعيَّةً، ذُكُورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا.

فلمَّا وَفَدتْ عَلَينا تِلْك المناهجُ، أَفْسدَتْ عُقُولَ بعضِ الشَّباب، فَاسْتَبدلوا بالمنهجِ السَّلفيِّ الحقِّ (منهج أهلِ السُّنَّة والجماعةِ)، اعْتَاضُوا عنه مَنْهجًا حركيًّا سياسيًّا ثوريًّا، فَاسْتَبدلُوا بالسُّنَّةِ بدعةً، وبالحقِّ باطلًا، وتَنكَّروا لكلِّ صاحبِ فضلٍ ومَعْروفٍ، بل تَنكَّروا لأَقْربِ النَّاس إِلَيهم من الآباءِ المُشْفقين، والأَسَاتذة المُربِّين، والوُلَاة المُحْسنين، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون.

والمُصِيبةُ: أَنَّهم يَظنُّون أَنَّهم عَلَىٰ الحقِّ، ومَنْ سِوَاهم عَلَىٰ الباطلِ، ويَعْتبرون ما فَعَلوهُ جهادًا في سَبيلِ الله، والمُصِيبةُ أيضًا أَنَّهم يُظْهِرونَ للنَّاس النُّسُكَ والعبادةَ، ويُبْطنون في تَنْظيماتِهم السِّريَّة الإِطَاحة بالدُّولِ، وإِقَامة خِلَافة -حَسَب ما زَعَموا- عَلَىٰ أَنْقاضها، فيحسب مَنْ يَرَاهم أَنَّهم أعبدُ النَّاسِ وأَتْقاهم، وأنَّهم أبرُّ النَّاسِ بالنَّاسِ وأَتْقاهم.

والحقيقةُ: أَنَّهم يُبيِّتون أمرًا خطيرًا، وشرًّا مُسْتطيرًا، فهُمْ أشبهُ النَّاسِ بالخوارجِ الَّذين قالَ عَنْهم نبيُّ الهُدَىٰ ﷺ -والَّذي لا يَنْطق عن الهَوَىٰ- لأصحابِهِ رضوان الله عليهم: «**تَحْقرونَ صَلاتَكُمْ عِنْدَ صَلَاتِهم، وصِيَامَكُمْ عند صِيَامِهم، وقِرَاءَتكم عِنْدَ قِرَاءتِهم، يَمْرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ**»(١).

ووَصَفهُمْ ﷺ في حديثِ أَبِي سعيدٍ عِنْد البخاريِّ بأَنَّهم: «**يَقْتلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، ويَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثانِ**»(٢).

وقَالَ ﷺ: «**لئن أنا أَدْركتُهُمْ لأَقْتلنَّهمْ قَتْلَ عادٍ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**طُوبَىٰ لمَنْ قَتَلهم أَوْ قَتلُوه**»(٤).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَدْركَهم فَلْيَقْتلهُمْ؛ فإِنَّ في قَتْلهم أجرًا عظيمًا لمَنْ قَتلَهم**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) من حديث أبي سعيد وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وحَسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنة» (٩٠٦).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤) (٣٨٣١)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨٠٥٢).

كلُّ هَذَا وغيرُهُ وَرَد فِيهِم، وفي وَصْفهم، وفي حُكْمِ قَتْلهم وقِتَالهم؛ وما ذَلِكَ إلَّا لأنَّهم كَفَّروا المُسْلمينَ بما لا يُوجِب الكفرَ، وحَكَموا بِاسْتِحْلالِ دِمَائِهم والخُرُوج عَلَىٰ وُلَاتهم الَّذين أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ لسانِ رَسُولِهِ ﷺ بطَاعَتِهم في المَعْروفِ، وعَدَم الخُرُوج عَلَيهم حتَّىٰ وإنْ ضَرَبوا الظَّهْرَ، وأَخَذوا المالَ.

وَلَمْ يَسْتبيحُوا الخُرُوجَ عليهم إلَّا بعد أَنْ كَفَّروهم واسْتباحُوا دِمَاءَهم وأَعْراضَهم.

ونحنُ إِذَا تأمَّلنا حالَ أَصْحابِ المَناهِجِ المُسْتوردة نَجِدهم أَشْبه شيءٍ بالخَوَارج، فهُمْ يَتكلَّمون في وُلَاة الأَمْر، وإِنْ كانوا مُسْلمين يُحكِّمون شرعَ الله، ويَحْكمون به في مَحاكِمِهم، وإنْ كَانوا مُوحِّدينَ، ويُدرَّس التَّوحيدُ في مَدَارِسهم ومَعَاهِدِهم وجَامعاتِهم، وإِنْ كانوا يَنْشرُونَ العِلْمَ الشَّرعيَّ، ويُشجِّعون عَلَىٰ تَعلُّمِهِ وتعليمِهِ.

كلُّ ذَلِكَ لم يَمْنعهم أَنْ يَسْتبيحُوا أعراضَ الوُلَاة والعُلَماءِ، ويَبْهتوهم بِمَا لَيس فيهم، ويَنْشروا مَثَالِبهم إنْ كان -ولا بدَّ أن يكونَ- عِنْدهم ما لم يَسْلم منه أحدٌ من البَشَر من أَجْل أن يَزْرعوا بُغْضهم في قُلُوبِ النَّاسِ عامَّةً، والنَّاشئة من طُلَّابِ العِلْم خاصَّةً، توطئةً للخُرُوج عليهم، مع أنَّ عقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ تَمْنع ذِكْر مَثَالب الوُلَاة في المجتمعاتِ وعَلَىٰ المَنابر، وإِنْ كانت حقيقةً؛لما في ذَلِكَ من المفاسدِ، ويَرَوْن أنَّ الواجبَ عَلَىٰ أهلِ العِلْمِ نَصِيحتهم سرًّا وبلينٍ من القولِ؛ لأنَّ الله تعالىٰ قالَ لمُوسَىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٣، ٤٤]، فأَمَر بلِينِ القولِ لفرعون الَّذي ادَّعىٰ الرُّبوبيَّة، إذًا فغيرُهُ من بابِ أَوْلَىٰ.

□ **ثمَّ اعْلَمْ أنَّ «الخُرُوجَ» يَنْقسم إِلَى قِسْمين:**

۞ **الخُرُوجُ بالقولِ**، وهُوَ ذِكْر المَثالِب عَلَنًا في المَجَامع، وعَلَىٰ رُؤوسِ المَنابِر؛ لأنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ عصيانًا لهم، وتَمرُّدًا عليهم، وإغراءً بالخُرُوج عَلَيهم، وزرعًا لعَدَم الثِّقة فيهم، وتهييجًا للنَّاسِ عَلَيهم، وهُوَ أساسٌ لـ:

۞ **الخُرُوج الفعليِّ**، وسببٌ له.

وإنَّما حرَّم الله عَلَىٰ لسانِ رَسُولِهِ ﷺ الخُرُوجَ عَلَىٰ الوُلَاة المُسْلمين؛ لأنَّ فيه مَفَاسدَ عظيمةً لا يَأْتي عَلَيها الحصرُ:

مِنْ أهمِّها: إِزْهاقُ النَّفسِ المُسْلمة البريئةِ.

ومِنْها: سفكُ الدِّماءِ المَعْصومَة.

ومِنْها: استحلالُ الفُرُوجِ المُحرَّمةِ.

ومِنْها: نَهْبُ الأَمْوال.

ومِنْها: إخافةُ الطُّرُقِ.

ومِنْها: فُشُوُّ الجُوُعِ بدلًا من رَغَد العيشِ، والخَوْفِ بدلًا من الأَمْنِ، والقَلَقِ بدل الطُّمَأنينةِ، وهذا كلُّه في الدُّنيا.

أمَّا في الآخِرَةِ فلا يَعْلم إلَّا اللهُ ما سَيَلْقاه مَنْ كانَ سببًا في إِثَارةِ الفِتْنةِ؛ لأنَّ إسقاطَ دولةٍ وإقامةَ دولةٍ مَكَانها لَيْس بالأمرِ الهَيِّن، بل هُو مِنَ الصُّعوبةِ بمَكَانٍ، لذَلِكَ فَقَدِ اشتدَّ تحذيرُ المُشرِّع ﷺ من ذَلِكَ حتَّىٰ ولَوْ كانَ الوَالي ظالمًا فاسقًا.

□ **وإلَيْك بَعْض النُّصُوص الدَّالَّة عَلَى الصَّبر، والآمِرَة به، والمُحذِّرة من الخُرُوج، والنَّاهية عَنْه:**

ففي «صحيح مسلم» عَنْ نافعٍ، قال: جاءَ عبدُ الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَىٰ عبد الله ابن مُطِيع حينَ كانَ من أَمْر الحرَّة ما كانَ زَمَن يزيد بن معاوية، فقالَ: اطْرَحوا لأبي عبد الرَّحمن وِسَادةً، فقالَ: إنِّي لم آتِكَ لأجلسَ، أتيتُكَ لأُحدِّثك حديثًا سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُهُ، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَنْ خَلَع يدًا من طاعةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القيامةِ وَلَا حُجَّة لَه، ومَنْ ماتَ ولَيْس فِي عُنُقه بيعةٌ- ماتَ مِيتةً جَاهليَّةً»**[1].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رَسُولِ الله ﷺ قال: **«مَنْ كَرِهَ من أميرِهِ شيئًا فَلْيَصْبر عَلَيه؛ فإنَّه لَيْس أحدٌ من النَّاسِ خَرَج من السُّلْطانِ شبرًا، فماتَ عَلَيه إلَّا ماتَ ميتةً جاهليَّةً»**[2].

وعَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: **«مَنْ خَرَج من الطَّاعةِ وفَارَق الجماعَةَ فماتَ، ماتَ ميتةً جَاهليَّةً، ومَنْ قَاتَل تحت رايةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضب لعَصَبيَّةٍ، أو يَدْعو لعَصَبيَّةٍ، أو يَنْصر عَصَبيَّةً، فقُتِلَ، فقتلَتُهُ جاهليَّةٌ، ومَنْ خَرَج عَلَىٰ أُمَّتي يَضْرب برَّها وفَاجِرَها، ولا يَتحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنها، ولَا يَفِي لذِي عَهْدٍ عَهْده، فلَيْس مِنِّي ولستُ مِنْه»**[3].

وَفِي «صحيح مسلم» أيضًا عن أبي إِدْريس الخولانيِّ، قالَ: سمعتُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

حُذَيفةَ بن اليَمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: كانَ النَّاسُ يَسْألونَ رَسُولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أَسْأَلُهُ عن الشَّرِّ مَخافةَ أن يُدْركني، فقلتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّا كنَّا في جاهليَّةٍ وشرٍّ، فجَاءَنا اللهُ بهَذَا الخَير، فهَلْ بعد هَذَا الخيرِ شرٌّ؟

قال: «**نَعَمْ**».

فقلتُ: فهَلْ بعد ذَلِكَ الشَّرِّ من خيرٍ؟

قال: «**نَعَمْ، وفيه دَخَنٌ**[1]».

قلتُ: وما دَخَنُهُ؟

قالَ: «**قومٌ يَستنُّون بغير سُنَّتي، ويَهْدون بغَيْر هَدْيي، تَعْرف مِنْهم وتُنْكر**».

فقلتُ: فهل بَعْد ذَلِكَ الخير من شَرٍّ؟

قال: «**نَعَمْ، دُعاةٌ عَلَىٰ أَبْوابِ جَهنَّم، مَنْ أَجَابهم إِلَيها قَذَفُوه فِيهَا**».

فقلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهم لَنَا؟

قال: «**نَعَمْ، قومٌ من جِلْدتنا، ويَتكلَّمون بأَلْسِنتِنَا**».

قلتُ: يا رسولَ الله، فما تَرىٰ إِنْ أَدْركني ذَلِكَ؟

قالَ: «**تَلْزم جَماعَةَ المُسْلمينَ وإِمَامَهم**».

فقلتُ: فإِنْ لم تكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟

قال: «**فَاعْتزِلْ تِلْك الفِرَقَ كلَّها، ولَوْ أَنْ تعضَّ عَلَىٰ أصلِ شَجَرةٍ حتَّىٰ يُدْركك الموتُ وأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[2].

---

(١) الدخن من الدخان، أي: ليس خيرًا خالصًا، بل فيه ما يَشوبه ويكدره.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وفي رِوَايةِ أبي سَلَّامٍ عنده -يَعْني مسلمًا- قلتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّا كنَّا في شرٍّ، فجاءَ الله بخيرٍ، فنَحْن فيه، فهل من وَرَاء ذَلِكَ الخير شرٌّ.

قال: «نَعَمْ».

قلتُ: فهَلْ وَرَاء ذَلِكَ الخير شرٌّ.

قال: «نَعَمْ».

قلتُ: كيف؟

قال: «يَكُونُ بَعْدي أئمَّةٌ، لا يَهْتدون بهُدَاي، ولا يَستنُّون بسُنَّتي، وسَيَقومُ فِيهِمْ رجالٌ قُلُوبُهم قُلُوبُ الشَّياطين في جُثْمَان إِنْسٍ».

قلتُ: كَيْف أصنعُ يا رَسُول الله إنْ أدركتُ ذَلِكَ؟

قال: «تَسْمعُ وتُطِيع للأميرِ وإِنْ ضُرِب ظَهْرُكَ، وأُخِذَ مَالُك؛ فَاسْمَع وأَطِعْ»، «صحيح مسلم»[1].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عَرْفَجَةَ قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّها سَتكُونُ هناتٌ وهناتٌ[2]، فمَنْ أرادَ أن يُفرِّق أمرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِي جميعٌ، فَاضْربُوه بالسَّيفِ كائنًا مَنْ كَانَ»[3].

وفي روايةٍ عنه -أي عن عَرْفَجَة: «مَنْ أَتاكُم وأَمْرُكم جميعٌ عَلَىٰ رجلٍ واحدٍ يُريدُ أَنْ يشقَّ عَصَاكم، ويُفرِّق جَماعَتكم، فَاقْتُلُوه»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) **الهنات**: جمع هنة، وتطلق علىٰ كل شيء، والمراد بها هنا: الفتن، والأمور الحادثة.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أَبِي سعيدِ الخدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذا بُويع لخَلِيفَتين، فَاقْتُلوا الآخَرَ مِنْهما»[١].

وعن أُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «سَتكُونُ أُمَراء فتَعْرفون وتُنْكرون، فمَنْ عَرف بَرِئ، ومَنْ أنكرَ سَلِمَ، ولكن مَنْ رَضِي وتَابَع»، قَالُوا: أَفَلا نُقَاتِلهم؟ قالَ: «لا، ما صَلَّوا»[٢].

وفي روايةٍ: «فمَنْ أنكرَ بَرِئ، ومَنْ كَرِهَ فقَدْ سَلِمَ»[٣].

وعن عَوْف بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رَسُولِ الله ﷺ قالَ: «خِيَارُ أئمَّتكم الَّذين تُحبُّونهم ويُحبُّونكم، وتُصلُّون عَلَيهم ويُصلُّون عَلَيكم، وشِرارُ أئمَّتكم الَّذين تُبْغِضُونَهم ويُبْغِضُونكم، وتَلْعنُونَهم ويَلْعنُونكم»، قالَ: قلنا: يا رَسُولَ الله، أفلا نُنَابِذهم عندَ ذَلِكَ؟ قال: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا، ما أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، أَلَا مَنْ وَلِي عَلَيه والٍ فرَآه يأتي شيئًا من مَعْصيةِ الله فَلْيَكره ما يَأْتي مِنْ مَعْصيةِ الله، ولا يَنْزعنَّ يدًا من طَاعةٍ»[٤].

وفي حَدِيثِ عُبَادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: دَعَانا رَسُولُ الله ﷺ فبَايَعْناه، فكانَ فِيمَا أَخذ عَلَينا أَنْ بَايَعْنا عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ في مَنْشطنا ومَكْرهنا، وعُسْرنا ويُسْرنا، وأثرةٍ عَلَينا[٥]، وأَلَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، قالَ: «إلَّا أَنْ تَروْا كُفْرًا

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٥) المعنىٰ: استئثار الأُمَراء بحُظُوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم، أي: ولو منعنا حُقُوقنا.

بَوَاحًا مَعَكم مِنَ الله فيه بُرْهانٌ»[١].

وفي حَدِيث أبي هريرة مَرْفوعًا: «كَانَتْ بَنُو إِسْرائيل تَسُوسُهم الأَنْبياءُ، كُلَّما هَلَك نبيٌّ، خَلَفه نبيٌّ، وإنَّه لا نَبِيَّ بَعْدي، وسَتكُونُ خُلفاءُ فيَكْثُرون»، قَالُوا: فما تَأْمرنا؟ قال: «فُوا بِبَيْعةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ[٢]، وأَعْطُوهم حَقَّهم، فإنَّ الله سَائِلَهم عمَّا اسْتَرْعاهُمْ»[٣].

وفي حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص الطَّويل مَرْفوعًا: «ومَنْ بَايَع إمامًا فَأَعطاه صَفْقَةَ يَدِهِ وثَمَرَةَ قلبِهِ[٤]، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطاعَ، فإِنْ جاءَ آخرُ يُنازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنقَ الآخَر»[٥].

□ **فهذِهِ أحدَ عشرَ حديثًا جمعتُها من «صحيح مسلم» فَقَطْ، وَهِيَ كالتَّالي:**

١ ـ حديث عن عبد الله بن عمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

٢ ـ حديث عن عبد الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

٣ ـ حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤ ـ حديث عن حُذَيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) «فُوا» فعل أمر من الوفاء. «ببيعة الأول فالأول»، أي: إنَّ الذي تولىٰ الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصَّحيحة التي يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة، يَحرم الوفاء بها مُطلقًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٤) قوله ﷺ: «صَفْقَةَ يَدِهِ»: أي: مُعاهدته له، والتزام طاعته، وهي المرة من التصفيق باليدين، وذلك عند البيعة بالخلافة.

وقوله ﷺ: «ثَمَرَةَ قَلْبِهِ»، أي: خَالِص عَهْده، أو مَحبَّته بقلبه.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

٥ـ حديث عن عَرْفَجَة الكُلَابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ـ حديث عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧ـ حديث عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النَّبيِّ ﷺ.

٨ـ حديث عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩ـ حديث عن عُبَادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٠ـ حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا.

١١ـ حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكلُّ هَذِهِ الأحاديثِ صحيحةٌ من «صحيح مسلم» الَّذي تَلقَّته الأُمَّةُ بالقَبُول، وحَكَموا عليه بأنَّه أصحُّ كتابٍ في الحديث بَعْد «صحيح البخاريِّ»، وكلُّ هَذِهِ الأَحَاديثِ أَفَادتْ أحكامًا تَتعلَّق بحقِّ الوُلَاةِ عَلَىٰ الرَّعيَّةِ، واتَّفقَتْ كلُّها عَلَىٰ حُكْمٍ واحدٍ، وهو تَحْريمُ الخُرُوج عَلَىٰ وُلَاة أُمُور المُسْلمين، وإنْ كانوا ظَلَمةً جَائِرينَ.

□ **فنقول: يُستَفادُ من هَذِهِ الأَحَاديثِ عدَّةُ أَحْكامٍ:**

❁ **الحُكْمُ الأوَّل:** تحريمُ الخُرُوجِ عَلَىٰ وُلَاة الأَمْر المُسْلمينَ وإنْ كانوا فَسَقةً عَاصِين، أو ظَلَمةً جَائِرينَ، ووُجُوب الطَّاعةِ لَهم فيما لم يَكن معصيةً لله تَعَالىٰ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ، وما كانَ وسيلةً إِلَىٰ واجبٍ فهُوَ واجبٌ، وما كانَ وسيلةً إِلَىٰ مُحرَّم فهو مُحرَّمٌ، والكلامُ في الوُلَاةِ والتَّجريح لهم علنًا مُحرَّمٌ؛ لأنَّه وسيلةٌ إِلَىٰ الخُرُوجِ عليهم، فكانَ مُحرَّمًا.

❁ **الحُكْمُ الثَّاني:** تحريمُ المُنازَعةِ لهم، وهي تكونُ بأُمُورٍ، مِنْها:

أ - إظهارُ احْتِقَارِهم، والتَّهْوينُ من شَأْنِهم.

ب - إظهارُ مَثَالِبهم في المُجْتمعات، وعَلَىٰ المَنَابِر.

ج - اختلاقُ مَثالِب وعُيُوبٍ لهم من أَجْل زَرْع بُغْضهم في قُلُوبِ العَامَّة والنَّاشئة من طُلَّابِ العِلْم.

د - ذمُّ العُلماءِ واتِّهامهم بالمُدَاهنةِ، وبَيْع الذِّمَم.

هـ - اسْتِعْمالُ ما من شأنِهِ التَّهييج عَلَيهم، والإثارة ضدَّهم، وكلُّ هَذَا مِنْ أَنْواعِ مُنَازعَة الحُكَّامِ الَّذي نَهَىٰ عنه رَسُولُ الله ﷺ كما في حديث عُبَادة بن الصَّامت الَّذي سَبَق ذِكْره بلفظ: «بَايَعْنا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمع والطَّاعةِ في العُسْر واليُسْر، والمَنْشط والمَكْره، وألَّا نُنازعَ الأمرَ أهلَه، إلَّا أن تَرَوْا كفرًا بواحًا مَعَكم من الله فِيهِ برهانٌ».

❁ **الحُكْمُ الثَّالث:** يُؤخَذ من حديث ابن عمر وابن عَبَّاس وأبي هريرة: أنَّ مَنْ ماتَ ولَيْس في عُنُقِهِ بيعةٌ ماتَ ميتةً جَاهليَّةً.

❁ **الحُكْمُ الرَّابع:** يُؤخَذ من هَذِهِ الأحاديثِ أنَّ البَيْعة المُعْتبرة هي بَيْعة الأوَّل، وهي بَيْعة الإمَامِ الظَّاهر للنَّاس والمَعْروف عِنْدهم؛ لقولِهِ ﷺ: «**فُوا ببَيْعةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ**».

❁ **الحُكْمُ الخامس:** يُؤخَذ من هَذِهِ الأحاديثِ أنَّ البيعةَ الثَّانيةَ -وَهِي البَيْعة الخَفِيَّة- بيعةٌ باطلةٌ، فإنْ قالَ بعضُ الحِزْبيِّين: أنا لم أُبَايع، قِيلَ له: إنَّ بيعةَ عَريفك وشيخ قَبيلتِكَ بيعةٌ عنك، وأنت مُلْزمٌ بها شرعًا أمامَ الله عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ أمامَ خَلْقِهِ.

❁ **الحُكْمُ السَّادس:** يُؤخَذ من هَذِهِ الأحاديثِ أنَّ مَنْ أَخَذ البيعةَ لنفسِهِ من وراء عِلْمِ الإمامِ وبِغَيْر إذنِهِ، وَجَب قتلُهُ إنْ ظُفِر به، ووَجَب قتالُهُ مع الإمامِ إنْ لم يَظْفر به، وخَرَج خُرُوجا فعليًّا؛ لقولِهِ: «**مَنْ أَتاكُمْ وأَمْرُكُم جميعٌ عَلَىٰ رجلٍ واحدٍ يُريدُ أن يشقَّ عَصَاكُمْ ويُفرِّق جماعَتكم، فَاضْرِبوا عُنُقه كائنًا مَنْ كانَ**».

❁ **الحُكْمُ السَّابع:** يُؤخَذ من هَذِهِ الأحاديثِ: وُجُوب الصَّبر عَلَىٰ جَوْر الوُلَاة ما دَامُوا مُسْلمين، وعَدَم الخُرُوج عَلَيهم؛ لقولِهِ ﷺ لأصحابِهِ: «**إنَّكم سَتَرون بَعْدي أثرةً، فَاصْبِروا حتَّىٰ تَلْقَوني عَلَىٰ الحَوْضِ**»(١).

وقوله ﷺ: «**مَنْ رَأىٰ من إمامِهِ شيئًا فَلْيَصْبر، ولا يَنْزعنَّ يدًا من طَاعةٍ، فإنَّه مَنْ خَرَج من السُّلطانِ شبرًا فماتَ، ماتَ ميتةً جَاهليَّةً**»(٢).

❁ **الحُكْمُ الثَّامن:** أنَّ مَنْ رَأىٰ من أميرِهِ -أو إمامِهِ- مَعْصيةً، فعَلَيه أن يَنْصح له نصيحةً بشُرُوطِها، فإنْ لم يَقْبل وأصرَّ عَلَىٰ معصيتِهِ، وَجَب عليه أن يَكْرَه ما يأتي من مَعْصيةِ الله، ولا يَنْزِعَنَّ يدًا من طاعةٍ، وكذَلِكَ إذا كانَ لا يَسْتطيع النَّصيحةَ، فالواجبُ عَلَيه أن يكرَه ذَلِكَ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ في حديثِ أُمِّ سلمة: «**مَنْ أنكرَ بَرِئ، ومَنْ كَرِهَ سَلِمَ، ولكِنْ مَنْ رَضِي وتَابَع**»(٣).

❁ **الحُكْمُ التَّاسع:** عَلَىٰ الرَّعيَّة أن يُؤدُّوا حقَّ الوُلَاة عَلَيهم، ويَكِلُوا أَمْرَهم إِلَىٰ الله إنْ قَصَّروا في حَقِّهم، فإنَّ اللهَ سَائِلهم عمَّا اسْتَرعَاهم، ولَا يَجُوز لهم الخُرُوجُ عَلَيهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٨٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

❁ **الحُكْمُ العاشر:** أنَّ الإمامَ إذَا حَصَل منه قُصُورٌ في حقِّ الرَّعيَّة، فلا يَجُوزُ لَـهُمْ أَنْ يُكَافئوه عَلَىٰ ذَلِكَ بمَنْع حقِّه من الطَّاعةِ، بَلْ عَلَيهم أن يُؤَدُّوا حقَّه، ويَصْبروا عَلَىٰ مَا حَصَل من الإِمَامِ إِنْ فُرِضَ(١).

ومَعْنى الصَّبر: أنَّهم لا يَتكلَّمون فيه في المَحَافِل والمُجْتمعاتِ وعَلَىٰ رُؤوس المنَابِر(٢).

ولَهم أَنْ يَكْتبوا إليهِ كتابةَ وَعْظٍ وتَذْكيرٍ، فإِنْ لم يحصل شيءٌ من التَّراجع، وَجَب عَلَيهم أَنْ يَصْبروا، ولَا يَجوزُ لَهم أَنْ يَنْزعوا يدًا من طَاعةٍ.

❁ **وأخيرًا:**

فإنِّي أُذكِّر إِخْواني بما عَلَيه دَوْلتنا(٣) -أيَّدها الله- وبما نَحْن فيه من أَمْنٍ ورَخَاءٍ ورَغدِ عَيْشٍ.

فأقولُ: يَا إِخْوانِي، إنَّ دَوْلتَنا دولةٌ مسلمةٌ، تُحكِّم شرعَ الله في مَحاكِمِها، وتُقِيمُ دينَ الله في وَاقِعِها، وتُعلِّم التَّوحيدَ في مَدَارِسها ومَعَاهِدها وجَامِعاتِها.

قَامتْ عَلَىٰ التَّوحيدِ من أَوَّل يَوْمها، وقَضَتْ عَلَىٰ مظاهرِ الشِّرْك في جَمِيع سُلْطانها، تقيمُ الصَّلاةَ، وتُخصِّصُ المكافآتِ للأئمَّةِ والمُؤذِّنين، وتَعْمل كلَّ خيرٍ ومَعْروفٍ في الدَّاخلِ والخارجِ، وللأَقليَّاتِ المُسْلمةِ في كلِّ مكانٍ.

وكذَلِكَ ما تَقُومُ به الدَّولةُ من إِصْلاحاتٍ في المَشَاعر المُقدَّسةِ، وسهرِ

(١) أي: إن فرض وقوعه.

(٢) وهذا الذي حذَّر منه المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ عند تقسيمه للخروج، وقد عَدَّ ذلك من الخروج بالكلمة، إذ هو تجييش للناس، ودفعهم للخروج الفعليِّ.

(٣) أي المملكة العربية السعودية.

عَلَىٰ مَصْلحة الحَجِيج، والمُحَافظة عَلَيهم وإرْشادهم، والمُحَافظة عَلَىٰ سَلَامتهم، إِلَىٰ غَير ذَلِكَ من الإِصْلاحاتِ الَّتي لا يُحْصِيها ديوانٌ.

فما الَّذي تَنْقمونَ مِنْها وقَدْ فَعَلتْ ما فَعَلتْ؟

أَلَمْ تَسْمعوا قولَ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ خَرجَ من السُّلطانِ قِيدَ شِبْرٍ فماتَ، ماتَ ميتةً جاهليَّةً**»[1]؟!

وقوله ﷺ: «**مَنْ خَلَع يدًا من طَاعةٍ، جاءَ يَوْمَ القيامةِ وَلا حُجَّة لَه، ومَنْ ماتَ وليس فِي عُنُقه بيعةٌ، ماتَ ميتةً جاهليَّةً**»[2]؟!

أَيْن أَنْتُم أَيُّها النَّاقِمونَ من هَذِهِ الأَحاديثِ الصَّحيحةِ الصَّريحة الكَثِيرة؟!

أتتركون أَوَامِر النَّبيِّ الكريم ﷺ الَّذي أَوْجبَ اللهُ عَلَيكم طاعتَه، ورتَّب عَلَيها مَحبَّته وجَنَّته، وتُطِيعون مَنْ لَيْس بمَعْصوم من الخَطإِ والزَّلل؟

أَيْن أَنْتُمْ يا عبادَ الله من قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ومن قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

أَتُطِيعونَ رُؤَسَاءَكم فِي مُنَازعةِ الأَمْر أهلَه، وتَعْصُونَ رَسُولَ الله ﷺ الَّذي حَذَّركم من مُنَازعةِ وُلَاة الأَمْر أَمْرَهم، كما فِي حَدِيثِ عُبَادة بن الصَّامت: «**وأَلَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، إِلَّا أن تَروا كفرًا بَواحًا مَعَكم مِنَ الله فِيه بُرْهانٌ**»[3]؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

فهَلْ رَأيتُمْ عِنْد المَسْؤولِينَ في دَوْلتنا إِسْلامًا، وتحكيمًا للشَّريعةِ، وحُكْمًا بِهَا، أو رَأيتُمْ كفرًا بواحًا وتركًا للصَّلاةِ؟

أيُّها النَّاسُ، احْمَدوا اللهَ وَاشكُرُوه عَلَىٰ ما أَنْتُمْ فيه، وأَنْتُمْ في نعمةٍ عظيمةٍ يَغْبطُكم عَلَيها ويَحْسدكم بها القَاصِي والدَّاني.

اعْلَموا أنَّ اللهَ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧].

ويَقُول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

نَحْن نَعْلمُ بحُكْم ما كَانَتْ عَلَيه المملكة سابقًا ولاحقًا، أنَّ الدِّراسةَ فيها كَانَتْ ولا زالتْ عَلَىٰ المنهجِ السَّلفيِّ الَّذي يُحرِّم الخُرُوجَ عَلَىٰ الوُلَاة، فما الَّذي حَوَّلكم عَنْه؟

أَلَيْسَ التَّخطيطُ السِّريُّ الرَّهيبُ الَّذي غَسَل أَدْمغتكم، وقَلَبَ أَفْكارَكم رأسًا عَلَىٰ عقبٍ، فحَصَل ما حَصَل؟

إنَّ المنهجَ الإخوانيَّ بجَمِيع فصائلِهِ من سُروريَّةٍ(١)، وقُطبيَّةٍ(٢)، وجماعةِ تكفيرٍ، وحزبِ جهادٍ وتحريرٍ، وغير ذَلِكَ، كلُّها تَتَّفق عَلَىٰ الفِكْرة الحركيَّة الحزبيَّة الثَّوريَّة، كلُّهم يَدْعون إِلَىٰ التَّخطيطِ السِّريِّ والخُرُوج المُفاجِئ عِنْدما يَرون قُوَّتهم قَدِ اكْتَملَتْ، وإِنْ كانوا يَدَّعون أنَّهم من أهلِ السُّنَّة والجماعةِ،

---

(١) السرورية: فصيل من فصائل جماعة الإخوان المسلمين، ينسب إلىٰ محمد سرور زين العابدين، وهو رجل سوري كان يعيش في الكويت، وعاش في بلاد الحرمين فترةً من الزمن، وهو الآن يعيش في بريطانيا.

(٢) القطبية: فصيل آخر من فصائل جماعة الإخوان المسلمين يُنْسَب إلىٰ سيد قطب، والمقصود بها: مَنْ تأثروا بفكر سيد قطب، ودعوته، ومبادئه.

وإنَّ مَنْ تتبَّع تَصْريحاتِهم في الأَشْرطةِ والصُّحُفِ والمقالاتِ والكُتُبِ، يَتبيَّن له مِنْها أنَّهم جميعًا مُتَّفقونَ عَلَىٰ جوازِ الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاةِ وإِنْ كَانُوا مُسْلمينَ مُوحِّدينَ، يُقِيمونَ الصَّلاةَ، ويُحكِّمون شَرْعَ الله.

وإِلَيْك هَذَا الخبر من كِتَابِ «الطَّريق إِلَىٰ جماعة المُسْلمين»(١)، قالَ في صفة العُضْو النَّقيب: «البند السَّادس، الَّذي لا يَسْتعجلُ الشَّيءَ قبل أوانِهِ، فلا يَسْتعجل الثِّمارَ قبل نُضْجِها؛ لأنَّ مَنِ اسْتَعجَل الشَّيءَ قبلَ أوانِهِ، عُوقِبَ بحرمانِهِ، فنَحْن لا نَسْتعجلُ إِعْطاءَ الصِّفةِ إلَّا بمِقْدارِ النُّضْجِ، ولَا نَسْتعجلُ تنظيمًا قَبْل وُجُودِ لَوازمِهِ، ولَنْ نستعجلَ تنفيذًا لم يأتِ دَوْرُهُ، ولَنْ نَسْتعجلَ إقامةَ الدَّولةِ قَبْل اسْتِكْمالِ شُرُوطِها».

وقالَ في الصَّفحةِ الَّتي بَعْدها في شُرُوطِ العُضْو النَّقيب: «(٨) أَنْ يُعْطي البيعةَ عَلَىٰ الطَّاعةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَكْره والمَنْشط، للقيادةِ المُنْبثقةِ عَنِ الأَنْظمةِ المُعْتمدةِ للجَماعةِ»(٢).

أَتدْري -أَخِي المسلم- ما الَّذي يريدُ بقولِهِ: «فلا يسْتعجلُ الثمار قَبْل نُضْجِها»، إنَّه يعني بالثَّمرة: الأتباعَ، ويَعْني بالنُّضْج: اكتمالَ القوَّة.

ولَمْ يَكُنْ هَذَا المبدأُ هو مبدأُ القَاعدة، وأنَّه تُرِكَ من أتباعِ هَذَا المنهج في

(١) «الطريق إلىٰ جماعة المسلمين»: هو بحث علمي للباحث/ حسين بن محسن بن علي جابر، نال به درجة الماجستير بامتيازٍ مع مرتبة الشرف من «الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة (شعبة السُّنَّة المُشَرَّفة)، وقد أشرف عليه الأستاذ الدكتور/ محمود أحمد ميرة.
قد عرَّف المؤلِّفُ في هذا البحث بجماعة المسلمين، وبيَّن أهمِّيَّتها، والطَّريق إِلَيْهَا، وطبيعة هذا الطريق.

(٢) «الطريق إلىٰ جماعة المسلمين» (ص ٣٩٢، ٣٩٣)، ط. دار الدعوة، الكويت.

الدَّولة السَّعوديَّة وأَرْض الحرمين؛ لأنَّ الدَّولةَ في أَرْض الحَرَمين دولةٌ مسلمةٌ مئة في المئة، بل إنَّ أتباعَ هَذَا المنهجِ وفُرُوعه يَسِيرون في نَفْس الطَّريق.

فَاسْتَمع إِلَىٰ قولِ سلمان العودة في شريطِهِ: «هُمُوم فتاةٍ ملتزمةٍ» حَيْث يقول: «إنَّني أعتقد أنَّ زَمَنَ الشَّكوىٰ المُجرَّدة قَدِ انْتهىٰ أو كادَ يَنْتهي، أَعْني أنَّ دورَ الخَيِّرينَ والخَيِّراتِ لا يجوز أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّدِ الشَّكوىٰ للجهاتِ المُختصَّةِ، حَصَل كذا... وحَصَل كذا... وحَصَل كذا...

□ **وأقول (والقائل سلمان): «إنَّ هَذَا الدَّورَ الَّذي وَقَف عند مُجرَّد الشَّكْوى فقط قَدِ انْتهَى -أو كَادَ يَنْتهي- لأسبابٍ، أهمُّها:**

❁ **أوَّلاً:** لَوْ كانَ هناك إصرارٌ من القِمَمِ عَلَىٰ مَنْع ريحِ التَّغييرِ والفسادِ لأَحْكَموا غَلْقَ النَّوافذِ.

❁ **ثانيًا:** ضُغُوط النَّاسِ لا يمكنُ إِهْمالها بحالٍ من الأَحْوال، الآن ونحن في عَصْرٍ صارَ للجماهيرِ فيه تأثيرٌ كبيرٌ، فأَسْقَطوا زُعماءَ، وهَزُّوا عُرُوشًا، وحَطَّموا أسوارًا وحواجزَ، ولا زَالَتْ صُور العُزَّل الَّذين يُواجِهونَ الدَّبَّاباتِ بصُدُروهم في الاتِّحاد السُّوفيتي بَعْدما قامَ الانقلابُ الأخيرُ الَّذي فَشَل، لا زَالَتْ صُورُ أُولَئك العزل يَتدَافعونَ في وُجُوه الدَّبَّاباتِ بالآلافِ، بل بعَشراتِ الآلافِ حتَّىٰ اسْتَطاعُوا وهُمْ لا يَمْلكونَ رصاصةً واحدةً أن يَقِفوا في وَجْه ذَلِكَ الانْقِلابِ ويُفْشلوه، لَازَالَتْ ماثلةً للأذهانِ، وقَدْ رَآهَا العالمُ كلُّه حيَّةً عَلَىٰ الهواءِ في شرقِهِ وغربِهِ».اهـ[1].

---

(١) من كتاب «القطبية» (ص ٩٢)، وقد سمعت الشريط سابقًا.

وأقول: إنَّ سلمانَ يَزْعم أنَّه من أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ، فهَلْ من عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الخُرُوجُ عَلَىٰ الوُلَاة؟!

وإلَّا فما مَعْنىٰ قولك: «أعني أنَّ دورَ الخَيِّرين والخَيِّرَات لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ للجهاتِ المُختصَّةِ، حَصَل كَذَا.. كَذَا».

❁ **ثالثًا:** قولك: «لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ»:

حكمتَ بتَحْريم التَّوقُّفِ عند الشَّكْوىٰ، فما هو الَّذي يجبُ عَلَيهم أَنْ يَفْعلوه بَعْد الشَّكْوىٰ؟

❁ **رابعًا:** إطلاقك حُكْمًا شرعيًّا بالتَّحريمِ، أو الوُجُوبِ، أو النَّدْبِ، أو الكراهةِ يحتاجُ إِلَىٰ دليلٍ، فما هو الدَّليلُ؟

❁ **خامسًا:** تجاوز الشَّكْوىٰ إنَّما يكونُ بأَسَاليبِ العصرِ، وهي المُظَاهراتُ والتَّفجيراتُ والثَّوراتُ، فهَلْ أنت تُجِيزها يا شيخ سلمان، أَمْ ماذا؟ بَيِّن ما تريد؟

❁ **سادسًا:** وإنْ كنت تُجِيز هَذِهِ الأساليبَ، فما هو دَلِيلُك عَلَيها وأنتَ الدَّاعية الإسلاميُّ المعروف، والدَّليلُ لا يكون إلَّا من كتابِ الله، أو من سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ الصَّحيحةِ.

❁ **سابعًا:** أُذكِّرك يا شيخ سلمان بأنَّ الأدلَّةَ تدلُّ عَلَىٰ تحريمِ الخُرُوج، بل وعَلَىٰ تَحْريم المُنازَعة، فالنَّبيُّ ﷺ يقولُ لمَنِ استأذنَ في الخُرُوجِ عَلَىٰ أئمَّة الجَوْر: «**إلَّا أَنْ تَرَوْا كفرًا بَواحًا مَعَكم مِنَ الله فِيهِ بُرْهانٌ**»[1].

ويقولُ: «**أَلَا مَنْ وَلِيَ عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من مَعْصية الله، فَلْيَكره ما**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

يَأْتي من مَعْصيةِ الله، ولا يَنْزعنَّ يدًا من طاعةٍ»[1].

ويَقُول: «**اسْمَعْ وأَطِعْ للأَمِير وإِنْ ضُرب ظَهْرك، وأُخِذ مالكَ**»[2].

وفي حديثِ عُبَادة بن الصَّامت: «**وأَلَّا نُنازعَ الأَمْرَ أَهْله إِلَّا أن تَروا كفرًا بواحًا**»، فهل رأيتَ كفرًا بواحًا يا سلمان؟ أَمْ أنتَ مناقضٌ ومضادٌّ لأَمْر النَّبيِّ ﷺ؟ وما إِخَالُك تَرْضىٰ لنَفْسِك هَذَا.

❁ **ثامنًا:** تريد يا سلمان أن تَزجَّ بالنِّساء في الثَّوراتِ والمظاهراتِ والتَّفجيراتِ، مَعَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا قيل له: أَعَلَىٰ النِّساءِ جهادٌ؟ قال: «**عليهنَّ جهادٌ لا قِتَالَ فيه، الحجُّ والعُمْرة**»[3]، إنَّ الله رَفَعَ عن النِّساءِ حُكْمَ الجهادِ الشَّرعيِّ، وأنتَ تريد أن تزجَّ بهنَّ في جهادٍ غير شرعيٍّ كما فَعَل بعضُ أَسْلافِك حينَ قال: ويَجُوزُ للمرأةِ أن تخرجَ بغَيْر إذنِ زَوْجِها.

❁ **تاسعًا:** في قولك: «وأقولُ: إنَّ هَذَا الدَّورَ الَّذي وقفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ فقط قَدِ انْتَهىٰ... لأسبابٍ»:

وأقول: إنَّك بقولك هَذَا حكمتَ أو قَرَّرتَ بأنَّ هَذَا الحكمَ قَدْ نُسِخَ، وإنَّك بهذَا القَوْل قَدِ اقْتَرفتَ إثمًا عظيمًا، وذنبًا كبيرًا؛ لأنَّك حكمتَ بالنَّسْخ، وجَعلتَ النَّاسخَ من فِعْل النَّاسِ، فهل فِعْلُ النَّاس يُعدُّ ناسخًا لكَلامِ الشَّارعِ الَّذي يَحْمل أَوامِرَه ونَوَاهيه إِلَىٰ المُكلَّفين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٦٥) (٢٥٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٢٥٣٤).

وَلَيْتك قلتَ: قَدْ ترك ما هنالك، فيكون هَذَا التَّعبيرُ مُخصِّصًا للتَّبعة عَلَىٰ التَّارك، ولكنَّك قلتَ: «هذا الدَّور قَدِ انْتَهىٰ -أو كادَ يَنْتهي- لأَسْبابٍ، أهمُّها..»، ثمَّ وَضَّحتَ فقلتَ: «أَعْني أنَّ دورَ الخَيِّرينَ والخَيِّراتِ لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ»، فجعلت بدل: «يجب أن يَتوقَّف»: «لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ» أي: جعلتَ بدل وُجُوب التَّوقُّف تَحْريمه بلا حُجَّةٍ، ولا مُسْتَنِدٍ، فخالفتَ النُّصُوصَ، بل جعلتَ الحُكْمَ عكس ما دَلَّت عليه النُّصُوصُ، فَأعِدَّ للسُّؤالِ جوابًا.

❁ **عاشرًا:** أَنَّك أَبَحْتَ مُنازَعةَ السُّلطانِ أَهْلَه، بل أَوْجبتَ ذَلِكَ؛ معاكسةً ومُضَادَّةً لأَمْر الشَّارع الَّذي جاءَ بالصَّبرِ عَلَىٰ الوُلَاةِ، وإِنْ جَارُوا، وإِنْ ضَرَبوا الظَّهرَ، وأَخَذوا المالَ، وفي هَذَا إيجابٌ للمُنازعةِ، ولَعلَّه تجويزٌ للخُرُوج.

فهل علمتَ أنَّك بذَلِكَ قَدْ قدَّمتَ ما قرَّره مُنظِّر المنهجِ؛ سواء كان فلانًا أو فلانًا، وأَخَّرتَ ما أمر به رَسُولُ الله ﷺ وخَالَفتَ ما أجمعَ عَلَيه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ من تَحْريم الخُرُوجِ والمُنازَعةِ؟

فهل بَعْد هَذِهِ الأدلَّةِ من مَخْرجٍ لمَنْ يقولُ بجَوَاز الخُرُوج والمُنازَعة الَّتي يعبر عنها بالتَّحريضِ والتَّهييجِ والإِثَارةِ؟

إنَّها مخالفةٌ للأدلَّة، ولِمَا أجمعَ عَلَيه علماءُ الأُمَّة.

أَرْجو أن يُوفِّقك اللهُ للرُّجُوع إِلَىٰ الحقِّ؛ لأنَّ الرُّجُوعَ إِلَىٰ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في البَاطِل.

وقريبًا من قَوْل سلمان في التَّحريضِ عَلَىٰ الخُرُوجِ قَوْل عائض القرني في قَصِيدةٍ

له بعنوان: «دع الحواشي واخرج» نشرت في ديوانِهِ المُسمَّىٰ بـ «لحن الخُلُود»:

صــلِّ مــا شــئتَ وصُــمْ فالــدِّينُ لا
يعــرف العابــدَ مَــنْ صــلَّى وصَــامَا

أنــت قــسيسٌ مــن الرُّهبــان مــا
أنــتَ مــن أَحْمــد يَكْفيــكَ المَلامَــا

تتــرك الــسَّاحةَ للأَوْغــادِ مــا
بــين قــزمٍ مقــرف يَلْــوي الزِّمَامَــا

أو دَعــيٍّ فــاجرٍ أَوْقَــع في
أُمَّتــي جرحًــا أَبَــى ذَاكَ الْتِئامَــا

لا تُخــادِعني بِــزِيِّ الــشَّيخ مــا
دَامَــت الــدُّنيا بــلاءً وظَلامَــا

أنــتَ تأليفُــكَ للأمــواتِ مَــا
أنــت إلَّا مــدنفٌ حــبَّ الكَلامَــا

كــلَّ يــوم تَــشْرح المــتنَ عَلَــى
مــذهبِ التَّقْليــدِ قَــدْ زدتَ قَتامَــا

والحواشــي الــسُّود أشــغلتَ بِهَــا
حينمــا خِفْــتَ مــن البَــاغِي حُــسَاما

لا تَقُــلْ شــيخي كلامًــا وَانْتظِــرْ
عمــر فَتْــوى مــثلكم خَمْــسين عَامَــا

ذو الـــــسِّياسات حِمَـــــى محـــــذورةٌ
لا تُـــــدَانيها فتُلْقيـــــك حُطامَــــــا

❁ **أولاً:** مَاذَا نَقُولُ يا عائض؟ ماذا نَقُول؟ نقول: نزوةُ شاعرٍ ومُبَالغاتُهُ؟ يمكن هَذَا لو كانَ الشِّعْرُ في أُمُور الدُّنيا، أمَّا في أُمُورِ الدِّين، فلا.

ماذا نَقُولُ؟

أنُعدِّد لك النُّصُوصَ الَّتي تجعل الصَّلاةَ والزَّكاةَ والصَّومَ والحجَّ أهمَّ فَرَائِض العِبَاداتِ العمليَّة بَعْد الإيمانِ، وأنتَ تَعْرفها؟ ألستَ تَرَىٰ أنَّ مِنْ حَقِّك أن تقولَ: صَدَق اللهُ ورَسُولُهُ، وكَذَب شِعْري حين أقول:

صـــلِّ مـــا شــئتَ وصُـــمْ فالـــدِّين لا
يعـــرف العابـــدَ مَـــنْ صـــلَّى وصَـــامَا

❁ **ثانيًا:** إن الدين يعرف العابد من صلَّىٰ وصام، ووحد واستقام وليس كما قَالَ شِعْرُ عائض القرني، رَدَّه اللهُ إِلَىٰ الحقِّ ردًّا جميلًا، وأعانَه عَلَىٰ نفسِهِ وشيطانِهِ.

❁ **ثالثًا:** وبعد ذَلِكَ تأتي قَاصِمةُ الظَّهْر، وفاقرةُ الفَوَاقر في البيتِ الثَّاني.

إِذْ جَعَلتَ المُسْلمينَ المُصلِّين المُزكِّين الصَّائمين العَابِدِين لله عَلَىٰ شَريعةِ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، جَعَلتَهم قساوسةً ورهبانًا، حكمتَ عَلَيهم بالنَّصرانيَّة، وأَخْرجتَهم من الإِسْلامِ، أَيْن ذهبَ عَقْلُك؟ وكيفَ سُلِب لُبّك حِين تَقُول:

أنـــتَ قـــسيسٌ مـــن الرُّهبـــان مـــا
أنـــتَ مِـــنْ أَحْمـــدَ يَكْفيـــك المَلَامـــا

فَبرَّأتهُمْ من أحمد النَّبيِّ المُخْتار -صلواتُ رَبِّي وسلامُهُ عليه- وبَرَّأته مِنْهم، وأكَّدْتَ تكْفيرك للمُسْلمين بدُون ما يُوجِب الكفرَ، فَارْتديتَ جُبَّة الخَوَارج الَّذينَ قال عنهم سَيِّدُ ولدِ آدَمَ -صلواتُ الله وسلامُهُ عليه- بأنَّهم «يَمْرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهْم من الرَّميَّة».

وقال ﷺ عَنْهم: «كلابُ النَّار»، أفَترضَىٰ لِنَفْسِك هَذِهِ الصِّفات؟

فإنْ قلتَ: حَصَل مِنِّي هَذَا قديمًا، أمَّا الآن فلا أقولُ به.

وأقولُ: إذا كنتَ قُلْتَه قبل أن تكْتملَ بِنْيَتك العلميَّة، فلِمَ تِركتَه يُطبَع ولِمَ تِركْتَه يُنشَر؟!

❁ **رابعًا:** ألَا ترىٰ أنَّ أُسْلُوبَك هَذَا أسلوبٌ ثوريٌّ تكفيريٌّ استفزازيٌّ؟! وهَلْ تَرَىٰ من المَصْلحة نَشْرَه أو وَأْدَه ودَفْنَه؟!

وأقول: أمَّا جَوابُك فهو مَعْلومٌ من تَصرُّفك -أي بنَشْر هَذَا الدِّيوان عَلَىٰ ما فِيهِ من أَخْطاء فَادِحةٍ- وإنَّ سَمَاحك بنَشْره تمادٍ وإيغالٌ في الخطأ.

❁ **خامسًا:** إنَّ وُلَاة الأمرِ في بَلَدِك مُسْلمون، ولهم إِصْلاحاتٌ كثيرةٌ، وفيهم خيرٌ كثيرٌ، وأنت مِمَّنْ يَتمتَّع بهَذَا الخير، ويَرْفل في أثْوابِ عَافيتِهِ، أفَلا شكرتَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟

تَذكَّر يا شيخ عائض، أنتَ ومَنْ مَعَك عَلَىٰ هَذَا المنهجِ، وتَخْدعون الشَّبابَ بهذِهِ الأَسَاليبِ، أنَّ الدَّولةَ رَبَّتكم في مَدَارِسها ومَعَاهِدِها وكُلِّيَّاتِها، وأنْفقَتْ عَلَيكم الأموالَ الطَّائلةَ حتَّىٰ وَصَلتُمْ إلَىٰ ما وَصَلتُم إليه، ثمَّ تُجْزونها جزاءَ سِنِمَّار، وتَعْصُونَ اللهَ ورَسُولَه بالاستفزازِ لَها، والإثارةِ والتَّأليبِ والإغراءِ بالخُرُوجِ عَلَيها، ومُنَازعة أصحابِها ما خَوَّلهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

لَقَدْ خَرجتُم عمَّا أَمرَكم اللهُ به في كتابِهِ وعلىٰ لسانِ رَسُولِهِ ﷺ، وخَرجتُم عَلَىٰ إجماعِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الَّذين تَزْعمون أَنَّكم من أَتْباعِهم، وتَفْتخرُونَ بالانتماءِ إِلَيهم، والحقيقةُ أَنَّكم إِنَّما تَنْتمونَ إِلَىٰ المُعْتزلةِ والخوارجِ الَّذين يُجِيزُونَ الخُرُوجَ عَلَىٰ وُلَاةِ الأَمْر، والإنكار عَلَيهم بالسَّيفِ.

إِنَّ أَمْرَكم لعجيبٌ، وواللهِ، إِنَّكم تَربَّيتم في مدارسَ ومعاهدَ وجامعاتٍ مُقرَّراتُها عَلَىٰ عقيدةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، فما الَّذي حَوَّلكم عن هَذِهِ العقيدةِ؟!

لا تظنُّوا أَنَّ النَّاسَ يَجْهلونَ الَّذي حَوَّلكم، إِنَّ الَّذي حَوَّلكم هو التَّنظيمُ الإرهابيُّ السِّريُّ الَّذي اشْتركتُمْ فيه، وغُسِلَتْ أَدْمغتُكم فيه، فكُنتُم كما كُنْتم، وإِنَّا لله وإِنَّا إليه رَاجِعونَ.

❁ **سادسًا:** أَنْتَ في الأَرْبعة الأبياتِ الباقية مِمَّا أَوْردتَه هنا تزهد في العِلْمِ الَّذي لا يَنْصهر في بَوْتقةِ الثَّوريَّة، الَّتي رَضِيتُم بها دينًا بدلًا عن حَنيفيَّةِ إِبْراهيم ومُحمَّدٍ عليهما السلام، فتقول:

لا تُخَــادِعني بِــزِيِّ الــشَّيخ مــا
دَامَــتِ الــدُّنيا بــلاءً وظَلامَــا

أنــتَ تأليفُــكَ للأَمْــواتِ مَــا
أنــت إِلَّا مــدنفٌ حــبَّ الكَلامَــا

❁ **سابعًا:** جَعَلْتَ مُعَالجةَ التَّأليفِ هلاكًا، وفاعلَ ذَلِكَ مُشْرفًا عَلَىٰ الهَلاكِ؛ لأَنَّ كلمةَ «مدنف» إِنَّما تُقَال لمَنْ هو مُشْرفٌ عَلَىٰ الهَلكةِ، يُقَال: مريضٌ مدنفٌ، فأنتَ جعلتَ مَنْ يُمارِس التَّأليفَ والتَّعليمَ، ويَصْرف جُلَّ أوقاتِهِ فيه، ولا يَشْترك في ثَوريَّتكم، جعلتَه مُشْرفًا عَلَىٰ الهَلاكِ.

وأقول: إنَّكم بذَلِكَ قَدْ أَعَدتُمْ بِدْعةَ الخَوارِجِ والمُعْتزلة، ولَا تَغْضبوا عَلَىٰ مَنْ قالَ: إنَّكم مُبْتدعةٌ.

❁ **ثامنًا:** قَدْ جعلتَ الفِقْهَ الإسلاميَّ (تَعلُّمَه وتَعْليمَه) قَتَامًا، والقتامُ هو الشَّيءُ الَّذي يَمْنع الرُّؤيةَ، أو يَمْنعُ وُضُوحَها كالغبارِ، وما أَشْبهه، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِد اللهُ به خيرًا، يُفقِّهه في الدِّين**»، أَلَا تَرَىٰ أَنَّك قصدتَ عَكْس الحقَائق الشَّرعيَّة في قَصِيدتِك هذِهِ؟ ولكن أَعْمَتك الحزبيَّةُ وأَعْمَتك الثَّوريَّةُ، وانْعكَسَتْ الحقائقُ في بَصِيرتِكَ، فإنَّا لله وإنَّا إِلَيه رَاجِعونَ.

❁ **تاسعًا:** ثمَّ تختمُ جَوْلتك في نُصْرة الباطلِ ومُحارَبة الحقِّ بقَوْلك:

والحواشـــي الســـُّود أشـــغلت بهـــا
حينمـــا خِفْـــتَ مـــن البَـــاغِي حُـــسَاما

أَلَا تَرَىٰ أَنَّك بهذَا نَصرْتَ الباطلَ، وخذلتَ الحقَّ، بل كنتَ في عِدَادِ مَنْ يَصدُّونَ عن سَبِيلِ الله؟

فهَلْ مِنْ توبةٍ صادقةٍ يا عائض؟

وهل مِنْ رُجُوعٍ إِلَىٰ الله يَمْحو به عَنْك سابقَ الأَوْزارِ؟

واللهِ، إنِّي لناصحٌ لك.

❁ **وأخيرًا:** لهَذَا أمثلةٌ في كَلَامِ أَصْحابِ هَذَا المنهجِ التَّكفيريِّ الثَّوريِّ في نَظْمهم ونَثْرهم، هَدَانا اللهُ وإيَّاهم، وعَفَا عنَّا وعَنْهم، ووفَّق الجميعَ لاتِّباع سبيلِ الحقِّ ومُجانَبة البِدَعِ، ورَدَّهم إِلَىٰ سبيلِهِ ردًّا جميلًا.

وإنِّي لأَعْجبُ من أَقْوامٍ يُدَافعون عَنْهم، ويَتعَاطفُونَ مَعَهم، وهُمْ يَعْلمون

بَعْض ما هُمْ عليه، ولا أرىٰ مَنْ يَفْعل ذَلِكَ إلَّا آثمًا كإثمِ مَنْ يَرىٰ قومًا يَزْرعونَ ألغامًا في طريقِ قومٍ مُسْلمين ليُودُوا بحَيَاتهم بغير حقٍّ، فسكتَ حتَّىٰ ثارَ اللَّغمُ فِيهِم وأَهْلكهم.

إنَّ السُّكوتَ عَمَّنْ يُبيِّتُ الشَّرَّ للمُسْلمين، ويريدُ الإيقاعَ بِهِم ما بَيْن حينٍ وآخر، خيانةٌ عُظْمىٰ للمُسْلمين، وإنَّ النَّصيحةَ للمُسْلمين في هَذَا البلدِ المُسْلم الطَّيِّب، والنَّصيحة لأئمَّة المُسْلمين فيه -من وُلاةٍ وعُلَماء أَنْ يُنبِّهوا عَلَىٰ مَوَاطن الشَّرِّ قبل وُقُوعه، ولَسْنا نشكُّ أنَّهم عِنْدهم شيءٌ من العِلْمِ عن بَعْض ما يُبيِّته هَؤُلاء العَقَقة، ولكنَّا نَرىٰ أنَّ الواجبَ عَلَينا أن نُؤدِّي ما عندنا لتَبْرأ ذِمَّتُنا، وليتأكَّد الخبرُ بالخبرِ، ويزداد قُوَّةً، والله من وَرَاء القَصْد.

هذه المُقدِّمةُ جَعَلتُها لكتابي «المورد العذب الزلال فيما انتقد عَلَىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة من العَقَائدِ والأعمالِ» رَكَّزت فيها عَلَىٰ مسألةِ الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاة ومُنَازعتهم ما خَوَّلهم الله عَزَّ وَجَلَّ من سلطانٍ، وبَيَّنت بالدَّليلِ بُطْلان زَعْم مَنْ زَعَمَ جَوَاز ذَلِكَ، نظرًا لأهميَّة هَذِهِ المسألةِ، وعُمْق أثرِها في الدِّينِ والمُجْتمع، والله أسألُ أن يَتولَّىٰ الجميعَ بحفظِهِ، ويَرْعاهم برعايتِهِ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

المؤلف

□ **مَلْحوظة:**

بعد أَنْ كتبتُ هَذِهِ المُقدِّمةَ وقَدَّمتها للطَّبع، وَصَلتْني نشرةٌ مُرْسلةٌ من الشَّيخ عائض بن عبد الله القرني وَفَّقه الله، تحوي تِلْك النَّشرةُ تَراجُعَه عن سَبْع عشرة مسألةً عَنْوَنها بعنوان: «المراجعات»، وكانَ الأَوْلَىٰ أن يقول: «تراجعات»، قال في صفحة (٥) من النَّشْرة المَذْكورة:

«السَّابعة: ما قلتُهُ في لَحْنِ الخُلُود صفحة (٤٧) من قصيدةٍ طويلةٍ بعنوان: «دع الحواشي واخرج»، ومِنْها:

أنـــت قـــسيسٌ مـــن الرُّهبـــان مـــا
أنـــتَ مِـــنْ أَحْمـــدَ يَكْفيـــك المَلَامـــا

فهذا خطأٌ مِنِّي أستغفرُ اللهَ منه، وقَدْ سَبَق أن ذكرتُ أنَّ هَذِهِ القصيدةَ قلتُها وأنا طالبٌ بالمعَهْدِ العلميِّ بالسَّنةِ الثَّانيةِ الثَّانويَّة».

وأقولُ: هل تَذْكر يا شيخ عائض أنِّي قلتُ حِينَما مررتَ عليَّ في خَيْمتي بعَرَفات من حجِّ عام ١٤١٦هـ، وجَرَىٰ بَيْننا النِّقاشُ حَوْل بَعْض الأَخْطاءِ الَّتي صدَرَتْ مِنْك، وَاحْتَجَجْتَ بهذه الحُجَّة -أي أنَّك قلتَها وأنتَ طالبٌ في المَعْهد- فقلتُ لك: ولِمَ سمحتَ بطَبْعها ونَشْرها؟ فسكتَّ.

والمهمُّ أنَّ هَذِهِ الحُجَّةَ ليست بحُجَّةٍ، فإذا كنتَ قُلْتَها قبل أَنْ تكتملَ بِنْيَتك العلميَّة، كانَ الواجبُ عليك أن تَعْدمها وأنتَ تعرفُ أنَّها خطأٌ، حتَّىٰ لا يجدها بعضُ أَبْنائِك فيغترَّ بها، والحقُّ أنَّ نَشْرها يَدِينك، والتَّوبةُ تَجُبُّ ما

قَبْلها، ثمَّ أنتَ تركتَ البيتَ الَّذي تقولُ فيه:

صـــلِّ مـــا شـــئتَ وصُـــمْ فالـــدِّينُ لا
يعـــرف العابـــدَ مَـــنْ صـــلَّى وصَـــامَا

وهذَا البيتُ لَيْس بأقلَّ شناعةٍ مِمَّا بعده في الفِرْيةِ والقَوْل عَلَىٰ الله وعلىٰ رَسُولِهِ بغير ما قَالَا، ويَشْهد الله أنِّي فرحتُ بتَوْبة الشَّيخِ عائض، وبَشَّرتُ بها طُلَّابي في الحَلْقة عَلَىٰ خبرٍ في الهاتفِ من ثِقَةٍ[1] قبل أَنْ تَصِلني النَّشرة، ولكنَّ الباطلَ واجبٌ عَلَىٰ مَنْ عَرَفه أن يَردَّه.

لذَلِكَ، فقَدْ قَرَّرتُ أن أنشرَ ما كتبتُهُ في هَذِهِ المُقدِّمة عن قصيدة الشَّيخ عائض، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع، وأَنْ يُقال به وإِنْ أسخطَ النَّاسَ، فإِرْضاءُ الله ونُصْرة دينِهِ مُقدَّمٌ عَلَىٰ إِرْضاءِ كلِّ أحدٍ، والباطلُ الَّذي رددت عليه قَدْ نشر إِلَىٰ أقاصي الدُّنيا، وما زَالَ مَنْشورًا، والمهمُّ أن يعرفَ طُلَّابُ العِلْمِ الحقَّ من الباطلِ.

وبالله التوفيق..

كتب هذا

أحمد بن يحيى النجمي

---

(١) الذي يشير إليه شيخنا هنا هو أنا (محمد بن هادي).

ملحوظة: سوف ترىٰ أخي القارئ بعض التعليقات اللازمة في بعض المواطن ليست من صنيع شيخنا المؤلف، وقد أذن لي فيها، جزاه الله خيرًا، وقَدْ ميزتها عن تعليقاته بوضع اسمي عليها أداءً للأمانة العلمية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمْدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونَسْتهديه، ونَسْتغفرُهُ، ونتوبُ إليه، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنْفسِنا، ومن سَيِّئاتِ أَعْمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أَنْ لا إله إلَّا الله، وأَشْهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ.

أمَّا بعد:

فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

ولقَدْ سَرَّنا كثيرًا ما رأينا من الصَّحوة الإسلاميَّة الَّتي ما كنَّا نَتوقَّعها، إِذْ أقبلَ كثيرٌ من الشَّباب عَلَىٰ الله تَائِبين، واتَّجهوا إليه مُنِيبين، وقَرَعوا أبوابَ الخَيْر مُخْلصين، فذكرت حين رأيت ذَلِكَ قول النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليَغْرس في هَذَا الدِّين غرسًا يَسْتعملُهُمْ بطَاعتِهِ**»[(١)].

فقَدْ طَمِعنا أنَّ اللهَ يَنْصر بهم دينَه، ويُعْلي بهم كَلِمتَه، ويَنْشر بهم الإِسْلامَ في

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٠) (١٧٨٢٢) من حديث أبي عنبة الخولاني ﷺ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٤٤٢).

رُبُوع الأَرْض، لكن هَذَا الطَّمَعَ سرعان ما تَبدَّد حِينَما رَأَيْناهم قَدْ تفرَّقوا شِيعًا وأَحْزابًا، يكيدُ بَعْضهم لبعضٍ، وينالُ بَعْضهم من بعضٍ، ويُبْغض بعضهم بعضًا.

قَدْ قَنَع كلُّ حزبٍ بما لَدَيه، وظنَّ أنَّ الحقَّ محصورٌ فيما هو عَلَيه، فَتذكَّرت أنَّ الشَّيطانَ الَّذي آلىٰ عَلَىٰ نفسِهِ ألَّا يزالَ يُغْوي بني آدم ما دَامَتْ أَرْواحُهم في أَجْسادِهم، والَّذي نَذَر عَداوَتَهم وإِضْلالهم حِينَ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:٨٢، ٨٣].

قَدْ أَدْخلَ في هَذِهِ الصَّحْوة ما يَضْمن له فيهم الشِّقاق، ويُفرِّق الكلمةَ، ويخلط الحقَّ بالباطلِ، والسُّنَّةَ بالبدعةِ، وربَّما خَلَط التَّوحيدَ بالشِّرْكِ، فيكون ذَلِكَ مقبولًا وإِنْ خالفَ العقيدةَ، ومُسْتحسنًا وإِنْ ناقضَ الإسلامَ؛ لأنَّه جاء من عُلَماء يحسن بهم الظَّن، وتُضفَىٰ عَلَيهم القَدَاسة، فكلُّ ما جاؤوا به فهو حسنٌ، إِذْ لا يُتصوَّر في نَظَر التَّابعين أن يُخالِفوا الإسلامَ وهُمْ يَدْعون إليه، وأَنْ يحصلَ مِنْهم الهدمُ وهُمْ يُرِيدُونَ البناءَ، بل قَدْ يصلُ بِهم أو ببَعْضهم الظَّنُّ أَنَّهم لا يُخْطؤون، وبذَلِكَ يَقَعون في فخاخِ الشَّيطانِ باتِّخاذهم لمَتْبوعِيهم أربابًا من دون الله، فيُطِيعُونَهم في مَعْصيةِ الله، ويَمْشون عَلَىٰ النَّهْجِ الَّذي رَسَموه لهم وإِنْ خَالَف نهجَ رَسُول الله ﷺ، ويَلْتزمون بما أَلْزَموهم به وإِنْ كانَ فيه إسخاطٌ لله تَعَالىٰ.

فلمَّا رأيتُ ذَلِكَ فيهم قَدْ شاعَ، وأَنَّهم تَفرَّقوا شِيَعًا وأحزابًا، كلُّ حزبٍ بما لَدَيهم فَرِحُونَ، ومعَ جَماعةِ حِزْبِهم مُتَعاطفونَ، قَدْ جَعَلوا ذَلِكَ الحزبَ هو

الرَّابطة الَّتي بها يَتنَاصَرونَ، وعَلَيها يَجْتمعونَ، ومِنْ أَجْلها يَتحابُّون ويَتوادُّون.

يَنْشرون ما جاءَ من قَادتِهم، وإِنْ كانَ يحوي الباطلَ، ويَزْدرون ما جاءَ من غير مَتْبوعِيهم، وإِنْ كان يحمل الحقَّ من وجهٍ إِلَىٰ أحدٍ من مَتْبُوعيهم نقدًا، عَادَوْه، وإِنْ كانَ النَّقْدُ في البِدَعِ والشِّرْكياتِ زَهَدوا في كتابِهِ -وإِنْ دلَّهم عَلَىٰ مواضع النَّقْد في الكُتُب الَّتي حَوَتْه والصَّفحات- وعَادَوْا حتَّىٰ مَنْ وَزَّعه ونَشَره وإِنْ كان مِمَّنْ له عَلَيهم مِنَّةٌ وفضلٌ، واتَّهموه بالغباءِ والجهلِ، وإِنْ كان مثل إِيَاس ذكاءً ونُبْلًا[1].

فلمَّا رأيتُ الدَّاءَ فيهم قَدْ فَشَا، والباطلَ قَدْ راجَ عِنْدهم ومَشَىٰ، أحببتُ أن أكتبَ لَهُمْ تذكيرًا، لعلَّ اللهَ به يَنْفع، ولو لَمْ أَحْصل إِلَّا عَلَىٰ براءةِ الذِّمَّة لم أَيْأس ولم أَجْزَع.

واللهَ أسألُ أَنْ يجعلَ عَمَلي لوَجْهه خالصًا، ولنَهْج رَسُولِهِ ﷺ مُوَافقًا.

□ **وقَدْ رأيتُ أَنْ أَجْعله في ثلاثة عشر بابًا وخاتمةٍ:**

❁ **الباب الأوَّل:** في الحِكْمة الَّتي خَلَقَ اللهُ النَّاسَ من أَجْلها.

❁ **الباب الثَّاني:** في بَيانِ العِبَادةِ الَّتي أَوْجدَ الله الخَلْقَ من أَجْلها.

❁ **الباب الثَّالث:** أَنَّ الرُّسُل هُمُ الأَدلَّاءُ عَلَىٰ الله تعالىٰ.

❁ **الباب الرَّابع:** في ضمانة النَّجاة.

---

(١) إياس بن معاوية: قاضي البصرة؛ كان يُضرب به المثل في الذكاء، والدهاء، والسؤدد، والعقل؛ توفي سنة إحدىٰ وعشرين ومئة كهلًا. انظر «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٥٥).

- **الباب الخامس:** في بَيانِ مَنْهج الرُّسُل في دَعْوتهم إِلَىٰ الله.

- **الباب السَّادس:** في بيان أنَّ الانحرافَ عن نَهْج الرُّسُلِ تركٌ للصِّراط المُسْتقيم الَّذي أَمَر الله باتِّباعه.

- **الباب السَّابع:** في بيان أنَّ الحِزْبيَّة لَيْست من نَهْج الأَنْبياءِ، بل هِيَ بدعةٌ.

- **الباب الثَّامن:** في بَيانِ مَسَاوئ الحِزْبيَّة.

- **الباب التَّاسع:** في بَيانِ ما انتقدَ عَلَىٰ الإِخْوانِ المُسْلمين.

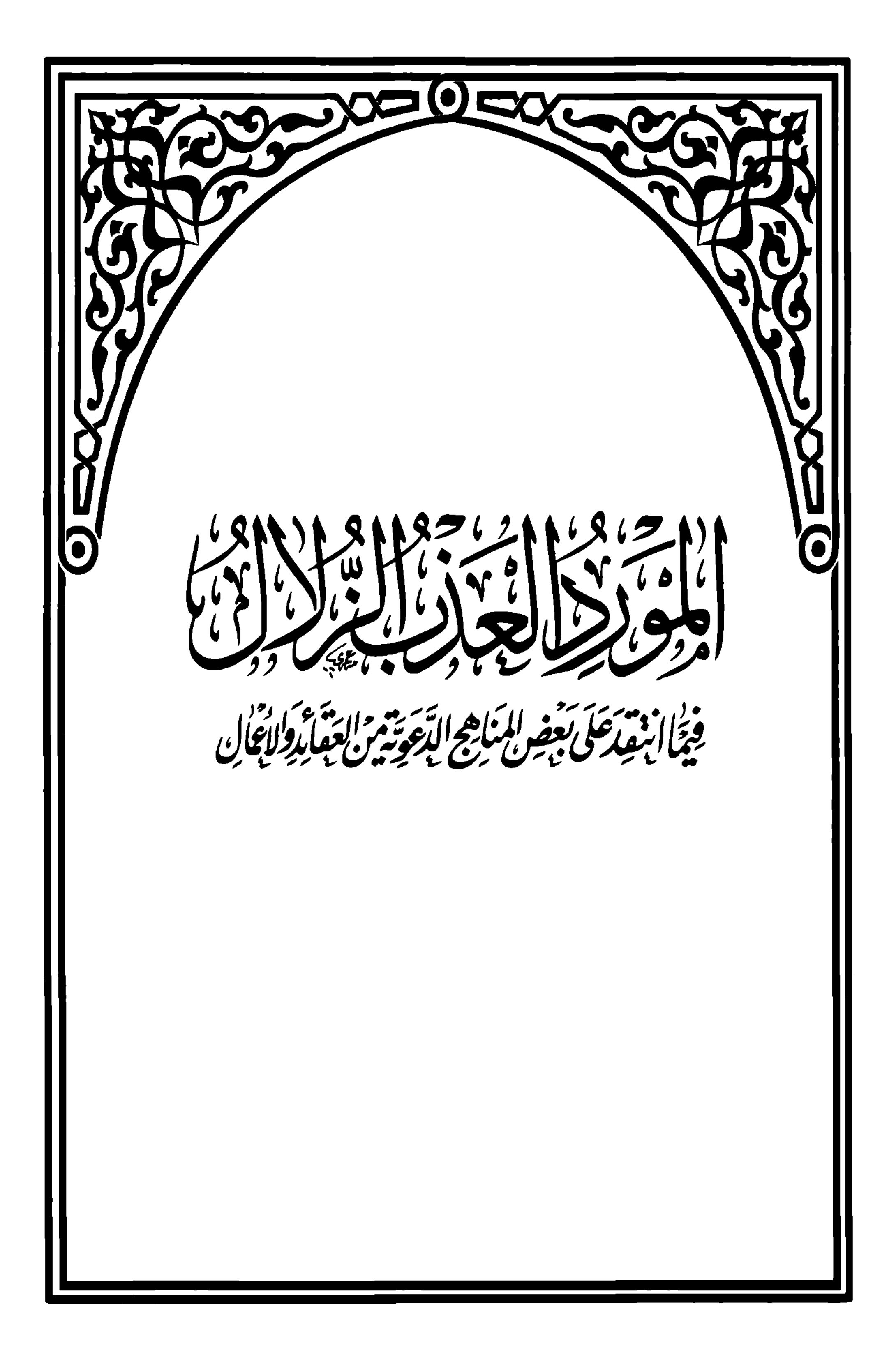
- **الباب العاشر:** في بَيانِ ما انتقدَ عَلَىٰ جماعةِ التَّبليغِ.

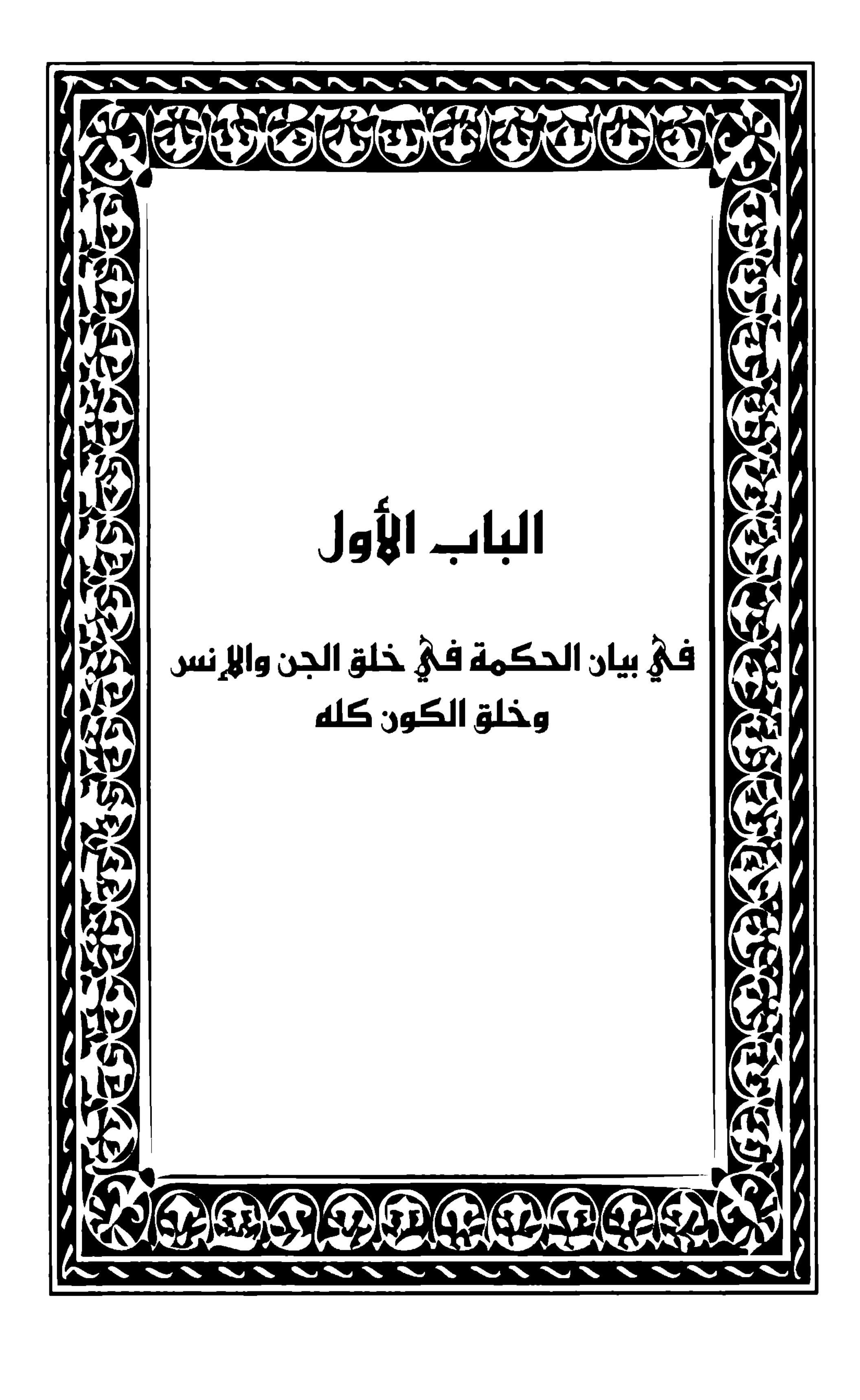
- **الباب الحادي عشر:** في بَيانِ وُجُوبِ السَّيْر عَلَىٰ مَنْهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة إِلَىٰ الله وغَيْرها.

- **الباب الثَّاني عشر:** في ذَمِّ البِدَعِ والمُبْتدعين.

- **الباب الثَّالث عشر:** في بيان ثَوابِ مَنْ تَمسَّكَ بالسُّنَّةِ.

- **الخاتمة:** وبِهَا يتمُّ الكتابُ إن شاء الله تعالىٰ.


المورد العذب الزلال
فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال



الباب الأول

في بيان الحكمة في خلق الجن والإنس وخلق الكون كله

الباب الأول
في بيان الحكمة في خلق الجن والإنس وخلق الكون كله

سؤالٌ يَطْرح نَفْسَه عَلَىٰ العُقُولِ، ويَطْلب الإجابةَ عليه دائمًا، فما هو هَذَا السُّؤالُ، وما هي الإجابةُ عليه.

□ **السُّؤال هو: لماذا خَلَقَ اللهُ الإنسانَ؟ ما هي الحِكْمةُ من خَلْقه؟ وما هي الغايةُ الَّتي يَسْعى إليها، والنِّهايةُ الَّتي سَيَصل إِلَيْها؟**

❁ **والجواب:** هَذَا السُّؤالُ قَدْ ضَلَّتْ في الإجابة عليه العُقُولُ، وتَحيَّرت فيه الفُهُومُ، وتخبَّطتْ فيه مداركُ الفَلَاسفةِ والحُكَماءِ والعُلَماءِ والعَباقِرَة من ذَوِي الفَهْمِ الثَّاقبِ، والذَّكاءِ الخارقِ؛ فضلًا عن غَوْغاء النَّاس، لا يُسْتَثنىٰ من ذَلِكَ إلَّا العُقُولُ الَّتي اسْتَنارتْ بِوَحْيِ الله، وَاهْتَدَتْ بهُدَاه، واتَّبعَتْ رُسُلَه، فهي الَّتي عَرفَتِ الإجابةَ عن هَذَا السُّؤال بالتَّلقِّي عن الله، وعن رُسُلِهِ.

ومن هنا نَعْلم عِلْمَ اليَقِين أنَّ العقلَ لَا يُمْكن أن يَنْفردَ بعِلْمِ العقيدةِ؛ لأنَّه علمٌ يَرْتبط بالغَيْبيَّاتِ، والغَيْبيَّاتُ إذا نَطَق فيها العقلُ بعيدًا عن الوَحْي، ضلَّ وَتَاهَ وارْتَبك وتَخبَّط تَخبُّطًا عجيبًا، وتَصوَّر تَصوُّرًا غريبًا[1].

---

(١) إنَّ مَنْ يقرأ في كتب الملل والنحل، يرىٰ أمورًا غريبةً، وتصوراتٍ عجيبةً تثير الاستغراب، ويستبعد الإنسان أن يصدقها العقل.

ذَلِكَ لأنَّ العقلَ ما هو إلَّا أداةٌ لتَصوُّر المَعْلومات الَّتي تَصِل إلَيه من طَريقِ الحَواس، ومَتَىٰ تجاوزَ ما يُحِيطُ به في الأَرْض، وَقَع في مَتَاهاتٍ كبيرةٍ، وانْحَدر إلَىٰ مَزالقَ خطيرةٍ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢].

نَعَمْ، بإمْكانِ العَقْل أن يستدلَّ من خِلَالِ مُشاهداتِهِ ومَسْموعاتِهِ أنَّ ربَّه وخَالِقَه ورَازِقَه هو اللهُ الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكنْ له كفوًا أحد، ذُو القُدْرةِ العظيمةِ، والحِكْمة البالغة، والعِلْم الشَّامل، والأَلْطاف الخفيَّة.

قال تَعَالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[السجدة:٢٦، ٢٧].

وإذَا علمتَ أنَّ العقلَ عاجزٌ عن الاسْتِقْلالِ بمَعْرفة الحِكْمةِ الَّتي من أَجْلِها خُلِقَ الإنسانُ، فعلَيك أن تَتعرَّفَ عَلَىٰ الحِكْمة الَّتي من أَجْلها خُلِق الإنسانُ من كتابِ الله، الَّذي لا يَأْتيه الباطلُ من بَيْن يَدَيه ولا من خَلْفه، تنزيلٌ من حَكِيم حميدٍ.

فقَدْ بَيَّن اللهُ تعالىٰ في القرآنِ الكَريم الَّذي قالَ عنه مُنزِّله جلَّ وعَلَا: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، بَيَّن حِكَمًا وأَحْكامًا هي أقلُّ شأنًا من

هَذَا الأَمْرِ العَظِيمِ، كيف لا وهو أهمُّ المهمَّاتِ، وأعظمُ الوَاجِباتِ، إذًا فالحِكْمةُ الَّتي خَلَقَ اللهُ الإنسانَ من أَجْلها هي العبادةُ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فَقَدْ أَخْبرَ اللهُ تعالىٰ في هَذِهِ الآية أنَّه خَلَق الجنَّ والإنسَ للعبادة، فالعبادةُ هي الحِكْمةُ الَّتي من أَجْلها خُلِقوا، ومن أَجْلها خَلَق اللهُ السَّماواتِ والأرضَ، والدُّنيا والآخرةَ، والجنَّةَ والنَّارَ، ومن أَجْلها أرسلَ اللهُ الرُّسُلَ، وأنزلَ الكُتُبَ، وسنَّ الأَحْكامَ، وبيَّن الحلالَ والحرامَ؛ ليَبْلوكم أيُّكم أحسن عملًا.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢]، وذَلِكَ أنَّ اللهَ خَلَق عِبَادَه، وأَخْرَجهم لهذِهِ الدَّار، وأَخبرهم أنَّهم سَيَنْتقلونَ إِلَىٰ دارٍ أُخرىٰ، وأَمَرهم ونَهاهُم وَابْتَلاهم بالشَّهواتِ المُعَارضة لأمْره ونَهْيه، فمَنِ انْقَادَ لأَمْر الله، أحسنَ اللهُ له الجزاءَ في الدَّارِ الآخرةِ، ومَنْ مَالَ مَعَ شَهواتِ النَّفسِ، ونَبذَ أَمْر الله، وَارْتكَب نَهْيه، فلهُ شرُّ الجزاءِ.

فالعبادُ جميعًا خُلِقوا للعبادة، ولكن لمَّا كانَ مِنْهم مَنْ خُلِق للعبادةِ من دُونِ ابتلاءٍ بمُضادٍّ؛ كَالمَلائِكَةِ، فهذَا القِسْمُ صَارَتْ العبادةُ سَجيَّةً لهم، لا يُريدُونَ غَيْرها، قالَ تَعالىٰ عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨].

ومِنْهم مَنْ خُلِق للعبادة مَعَ ابْتِلاءٍ بمُضادٍّ؛ كالجنِّ والإنسِ، الَّذين جُبِلوا عَلَىٰ خلَائق وسَجَايا تَنْأىٰ بهم -غالبًا- عن الطَّاعةِ، وتُوقِعهم في المَعَاصي ابتلاءً من الله لَـهُمْ، وذَلِكَ كالابتلاءِ بالشَّهَواتِ (شهوة المطعم والمشرب والمنكح والقهر والتَّغلُّب والاستعلاء)، إِلَىٰ غير ذَلِكَ.

وكَما ابْتَلاهُم بقُرَناءِ السُّوءِ، وبالشُّبَه الَّتي تُلقِي في قُلُوبِهم الشُّكوكَ؛ لأنَّ إِيمانَهم بالغَيْب، وفَوْق ذَلِكَ الابتلاء بالشَّيطانِ الرَّجيم، ذَلِكَ العدوُّ اللَّدودُ المُتربِّصُ الَّذي مازالَ منذ أَنْ أَخْرجَ أبَانا آدمَ من الجنَّة حريصًا عَلَىٰ إغواءِ بَنِيه، وإِيقَاعِهم في الكُفْر والشِّرْكِ والفُسُوقِ والعِصْيانِ.

لذَلِكَ كَانَت العبادةُ في حَقِّهم ابتلاءً واختبارًا للدَّواعي المضادَّة لها، فمَنِ اسْتَجابَ لتِلْك الدَّواعي والنَّوازع، وأطاعَ الشَّيْطانَ، كانَ من الغَاوِين الَّذين يَستحقُّون دُخُولَ النَّارِ، كما قالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٤، ٨٥].

وأمَّا مَنْ قدَّم طاعةَ الله، وحرصَ عَلَىٰ رِضَاه، واتَّبع رُسُلَه، والْتَمسَ حلَّ الشُّبُهاتِ من شَرْعِهِ، واستعملَ الشَّهوةَ فيما أَباحَ اللهُ، فذَلِكَ هو المؤمنُ حقًّا، المَوْعودُ بالدَّرجاتِ العُلَىٰ في جنَّةِ الفِرْدوس.

وأمَّا الغايةُ الَّتي يَسْعىٰ لها، فهي تختلفُ باخْتِلافِ النَّاسِ وثَقافَاتِهم وعَقائِدِهم، فمِنْهم مَنْ عرفَ ربَّه، وعرفَ حقَّه عليه، وآمنَ بلقائِهِ، وعَلِمَ قَدْرَ الدُّنيا، وأَنَّها ما هي إلَّا معبرٌ ومنفذٌ، ومَطيَّةٌ إِلَىٰ الآخرة، فأَخَذ منها ما يُصْلحه، وتَزوَّد منها ما يُوصِلُه إِلَىٰ رضا ربِّه وجنَّتِهِ، وتلك هي الغايةُ الَّتي يَسْعىٰ لها.

ومِنهم مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ ولم يَعْرف ربَّه، ولم يؤدِّ حقَّه، ولم يُؤمِن بلقائِهِ؛ بل ظنَّ أنَّ الدُّنيا وحَياتَها ولذَّاتها هي الغايةُ، فسَعَىٰ لها، ورَضِي بها، واطمأنَّ إليها، وشَمَّر في جَمْعها، وأَفْنىٰ عُمُرَه في لذَّاتها، وتِلْك هي غايتُهُ الَّتي يَسْعىٰ إليها.

ولقَدْ تَحدَّث القرآنُ الكريمُ عن القِسْمين، وبَيَّن حالَ كلٍّ من الفَرِيقَين، فقالَ تَعالىٰ وهو أَصْدقُ القَائِلين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[يونس:٧-١٠].

قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن بن سَعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس:٧]: أي: «لا يَطْمعونَ بلِقَاءِ الله الَّذي هو أكبرُ ما طَمع فِيهِ الطَّامِعُونَ، وأَعْلىٰ ما أَمَّله المُؤمِّلون؛ بل أَعْرَضوا عن ذَلِكَ، وربَّما كذَّبوا به ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدلًا عن الآخِرَةِ ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي: رَكَنوا إِلَيْها، وجَعَلوها غايةَ أَمْرِهم، ونِهَايةَ قَصْدهم، فَسَعَوْا لها، وَانْكبُّوا عَلَىٰ شَهَواتها بأيِّ طُرقٍ حُصِّلتْ حَصَّلوها، ومن أيِّ وجهٍ لَاحَتْ ابْتَدروها، قَدْ صَرَفوا إِرَاداتِهم ونِيَّاتِهم وأَفْكَارَهم وأَعْمالَهم إليها.

فكأنَّهم خُلِقوا للبقاءِ فِيهَا، وكأنَّها لَيْسَتْ بدار مَمَرٍّ يَتزوَّد فيها المُسَافِرُونَ إِلَىٰ الدَّار البَاقِيَة الَّتي إِلَيْها يَرْحل الأَوَّلونَ والآخرونَ، وإِلَىٰ نَعِيمِها ولَذَّاتها

شَمَّر المُوفَّقون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾ فَلَا يَنْتفعونَ بالآياتِ القُرْآنيَّةِ، ولا بالآياتِ الآفاقيَّةِ والنَّفسيَّةِ.

والإعراضُ عن الدَّليلِ مُسْتلزمٌ للإعراضِ والغَفْلة عن المَدْلولِ المَقْصودِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الَّذين هَذَا وَصْفهم ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مَقرُّهم ومَسْكنهم الَّتي لا يَرْحلون عَنْها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكُفْرِ والشِّرْكِ والمَعَاصي.

فلمَّا ذَكَر عِقَابَهم، ذَكَر ثوابَ المُطِيعِينَ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [يونس:٩] أي: جَمَعوا بَيْن الإيمانِ والقِيَامِ بمُوجبِهِ ومُقْتضاه من الأَعْمالِ الصَّالحةِ المُشْتملةِ عَلَىٰ أَعْمال القُلُوبِ وأَعْمال الجَوَارح عَلَىٰ وَجْه الإِخْلاصِ والمُتابَعة ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ بسَببِ مَا مَعَهم من الإيمانِ يُثِيبُهم اللهُ أَعْظمَ الثَّوابِ، وهُوَ الهدايةُ، فيُعلِّمهم ما يَنْفعهم، ويَمُنُّ عَلَيهم بالأَعْمالِ النَّاشئةِ عَنِ الهِدَايةِ، ويَهْديهم للنَّظر في آياتِهِ، ويَهْديهم في هَذِهِ الدَّار إِلَىٰ الصِّراطِ المُسْتقيمِ، وفي دارِ الجزاءِ إِلَىٰ الصِّراطِ المُوصِل إِلَىٰ جنَّاتِ النَّعيمِ، ولهَذَا قالَ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ الجاريةُ عَلَىٰ الدَّوامِ.

﴿فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أَضَافها اللهُ إِلَىٰ النَّعيم لاشْتِمالها عَلَىٰ النَّعيمِ التَّامِّ، نعيم القَلْب بالفَرَح، والسُّرور، والبَهْجة، والحُبُور، ورُؤْية الرَّحمن، وسماع كلامِهِ، والاغْتِباط بِرِضَاه وقُرْبه، ولقاء الأحبَّة والإِخْوانِ، والتَّمتُّع بالاجْتِماع بهم، وسَمَاع الأصواتِ المُطْرباتِ، والنَّغَماتِ المُشْجياتِ، والنَّظراتِ المُفْرحاتِ، ونَعِيم البَدَن بأَنْواعِ المَآكِلِ والمَشَارِبِ والمَناكِح، ونَحْو ذَلِكَ



ممَّا لا تَعْلمه النُّفُوسُ، ولا خَطَر ببالِ أحدٍ، أو قُدِّر أن يَصِفَه الوَاصِفُونَ.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس:١٠] أي: عبادتهم فِيهَا لله، أوَّلها: تَسْبيحٌ وتنزيهٌ له عن النَّقائصِ، وآخرها: تَحْميدٌ لله[1]، فالتَّكاليفُ سَقَطتْ عَنْهم في دارِ الجزَاءِ، وإنَّما بَقِيَ لهم أكملُ اللَّذَّاتِ الَّذي هو ألذُّ عَلَيهم من المآكِلِ اللَّذيذةِ، ألَا وهو ذِكْرُ الله الَّذي تَطمئنُّ به القُلُوبُ، وتَفْرحُ به الأرواحُ، وهُوَ لهم بمَنْزلة النَّفسِ من دون كلفةٍ ومَشقَّةٍ، أمَّا تَحيَّتهم فيها فيما بَيْنهم عند التَّلاقِي والتَّزاورِ فهُوَ السَّلامُ، كلامٌ سالمٌ من اللَّغْوِ والإثمِ، ومَوْصوفٌ بأنَّه سلامٌ ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ إذا فَرَغوا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾». اهـ[2].

وقَدْ تَبيَّن من هَذَا أنَّ المقاصدَ الَّتي يَسْعىٰ لها العبادُ مختلفةٌ بحَسَب ما في قُلُوبهم من العِلْمِ والجَهْلِ والإيمانِ والكُفْرِ والتَّصديقِ والتَّكذيبِ، فالمُؤمنُ الخَالصُ يَسْعىٰ للآخرة فقط، فهو وإنْ بَاشَر الدُّنيا ببدنِهِ، وحَرَص عليها بقلبِهِ، فإنَّه لا يُريدُها إلَّا للآخرة؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٩].

والكافرُ الخالصُ يَسْعىٰ للدُّنيا فقط؛ لأنَّه لا يؤمنُ إلَّا بها، ولا يَرْكن إلَّا

---

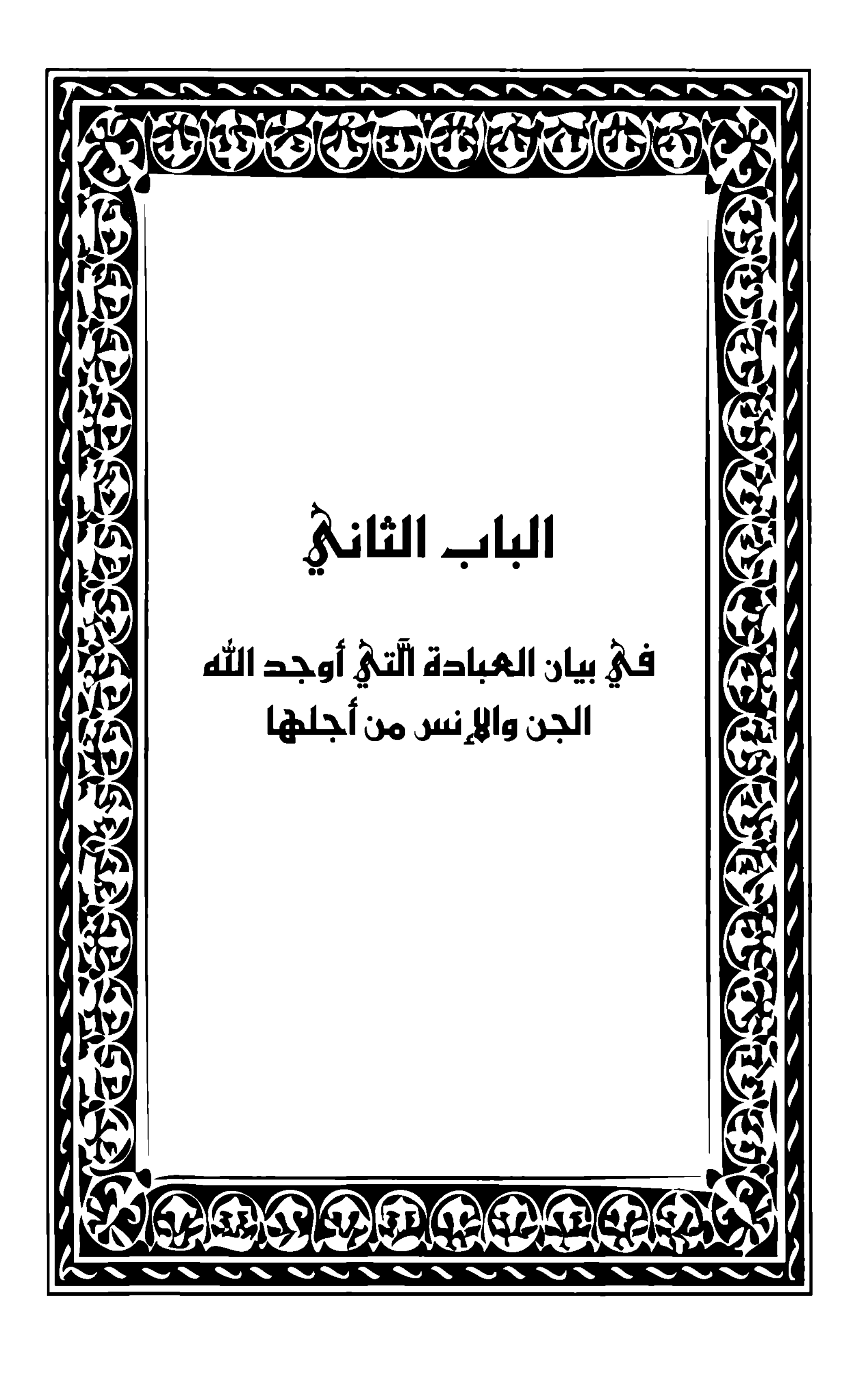
(١) أخرج مسلم (٥٠٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قَال: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ؛ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٣٥٨، ٣٥٩).

إِلَيها، قالَ تَعَالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء:١٨]، والمسلمُ العَاصِي بَيْن ذَلِكَ، وهُوَ لما غَلَب عليه.

وأمَّا النِّهايةُ الَّتي سَيَصِل إِلَيها، فهي الدَّارُ الآخرةُ، إمَّا في الجنَّةِ أبدًا، وإمَّا في النَّارِ أبدًا، قَالَ تَعَالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٦- ١٢].





الباب الثاني

في بيان العبادة الّتي أوجد الله الجن والإنس من أجلها

الباب الثاني
في بيان العبادة التي أوجد الله الجن والإنس من أجلها

أمَّا العبادةُ الَّتي من أَجْلها خَلَقَ اللهُ العبادَ، فَقَدْ بَيَّنها اللهُ عَزَّوَجَلَّ في القرآنِ الكَريم، وبيَّنها رَسُولُ الله ﷺ أحسنَ بيانٍ.

وَهِيَ مجموعةُ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ الَّتي كلَّف اللهُ بها عبادَه؛ سواء كانَ ذَلِكَ فيما يجبُ له عَلَيهم، أو فيما يجبُ لبَعْضِهم عَلَىٰ بعضٍ، أو فيما يجبُ عَلَيهم أن يَفْعلوه في أَنْفُسِهم؛ كإعفاءِ اللِّحيةِ، وقصِّ الشَّاربِ، وتَحْريم الإِسْبالِ، وتَحْريم أَكْلِ الرِّبا وأَكْلِ الميتة، وتَحْريم شُرْبِ الخَمْر، وما أشبهَ ذَلِكَ.

وَقَدْ عَرَّف بعضُ أَهْلِ العِلْم العبادةَ، فقال: العبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويَرْضاه من الأَقْوالِ والأَفعالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ.

وقال بَعْضُهم: العبادةُ: عبارةٌ عن تَوْحيدِهِ، والْتِزامِ شَرَائِع دِينِهِ.

وقال بَعْضُهم: هي الطَّاعةُ. والتَّعبُّد: التَّنسُّك. وأصلُ العبادة: الخُضُوعُ والتَّذلُّلُ مع محبَّةٍ وتَعْظيمٍ، ولا تكونُ العبادةُ عبادةً حتَّىٰ تكونَ خالصةً لله. فإِنْ شَابَها شيءٌ من الشِّركِ، كَانَتْ مردودةً عَلَىٰ صَاحِبِها، وباطلةً من أَصْلها؛ لأَنَّها حينئذٍ لا تُسمَّىٰ عبادةً شَرعيَّةً.

وبهَذَا تعلم أنَّ العبادةَ لا تُسمَّىٰ عبادةً شرعيَّةً إلَّا مَعَ التَّوْحيدِ، وفي الحديثِ القُدُسيِّ يَقُولُ اللهُ تعالىٰ: «**أَنَا أَغْنىٰ الشُّركاءِ عَنِ الشِّركِ، مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْركَ مَعِي فيه غَيْري تركتُهُ وشِرْكَه**»(١).

ثمَّ اعْلَمْ أنَّ من العبادةِ ما جَاءَ مجملًا في القرآنِ وبَيَّنته السُّنَّةُ؛ كالصَّلاةِ والزَّكاةِ، فالسُّنَّةُ بَيَّنتْ أوقاتَ الصَّلاة، وعَدَدها، ورُكُوعَها، وسُجُودَها، وذِكْر كلٍّ من القِيَامِ والقُعُودِ والرُّكُوع والسُّجُود والاعتدال والتَّحْريم والتَّحليل والفَرْض والنَّفْل، والزَّكاةُ قَدْ بيَّنت السُّنَّةُ أَنْصباءَهَا ومَقَاديرَهَا وأجناسَ ما تجبُ فِيهِ، ومَتَىٰ يجبُ، وكَيْف يجبُ.

ومِنْها ما بَيَّنه القرآنُ أعظمَ بيانٍ؛ كالتَّوحيدِ، فَقَدْ بَيَّن القرآنُ قضيَّة التَّوحيدِ أعظمَ بيانٍ، فالأدلَّة عَلَىٰ إثباتِ أُلُوهيَّة الله، وكَمال قُدْرتِهِ وذِكْر أسمائِهِ الحُسْنىٰ وصفاتِهِ العُلْيا المُقْتضية لتَفرُّده بالكمالِ دُون سِوَاه، وضَعْف الآلهة المَعْبودَة وعَجْزها إِلَىٰ غَيْر ذَلِكَ، كلُّها أدلَّةٌ عَلَىٰ التَّوْحيدِ.

ومن أَنْواعِ العِبَادةِ ما بَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ، ولم يُذْكَر في القرآن؛ كقولِهِ ﷺ: «**أَلَا لا يحلُّ ذُو نَابٍ من السِّباعِ، ولا الحِمَارُ الأَهْليُّ، ولا اللُّقطةُ من مَالِ مُعَاهدٍ إلَّا أن يَسْتغني عَنْها ربُّها، وأيما رَجلٍ ضافَ قومًا فلَمْ يُقْروه، فإنَّ له أن يُعقِّبهم بمِثْلِ قِرَاهُ**»(٢) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٠٤) من حديث المقدام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٧٠).

(٣) قوله: «فإن له أن يعقبهم بمثل قراه» أي فله أن يأخذ منهم عوضًا، كما حرَمُوه من القرىٰ. انظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، (٨/ ٣١٧)

وبالجُمْلةِ، فإنَّ أنواعَ العِبَادةِ مِنْها ما بيَّنهُ القرآنُ، ومِنْها ما ذَكَره القرآنُ مجملًا وبيَّنتْهُ السُّنَّةُ، ومِنْها ما بَيَّنته السُّنَّةُ، فلا يجوزُ أن نأخذَ العِبادةَ من القُرْآنِ وَحْده، ولا من السُّنَّةِ وَحْدها.

فمَنْ أَخَذَ بالقرآنِ وَحْده دون السُّنَّةِ كالخَوَارج، ضلَّ، ومَنْ أَخَذ بالقرآنِ ومُتَواتر السُّنَّةِ، وتَرَك آحَادَها، أو حَكَّم العقلَ فيها -كالمعتزلةِ- ضلَّ، ومَذْهب أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: الأَخْذُ بكتابِ الله، وبصَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ؛ سواء كَانَتْ مُتَواترةً أو آحادًا.

لمَّا كَانَتِ العبادةُ هِيَ مَجْموعةُ الأَوامِر والنَّواهي من وَاجِباتٍ ومَنْدوباتٍ ومُحرَّماتٍ ومَكْروهاتٍ ومُبَاحاتٍ، كَانَتْ لا بدَّ أن تكونَ مُرْتبطةً بالاسْتِطاعَةِ، وبالأخصِّ فِعْل الأَوَامر، فاللهُ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، ويَقُول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

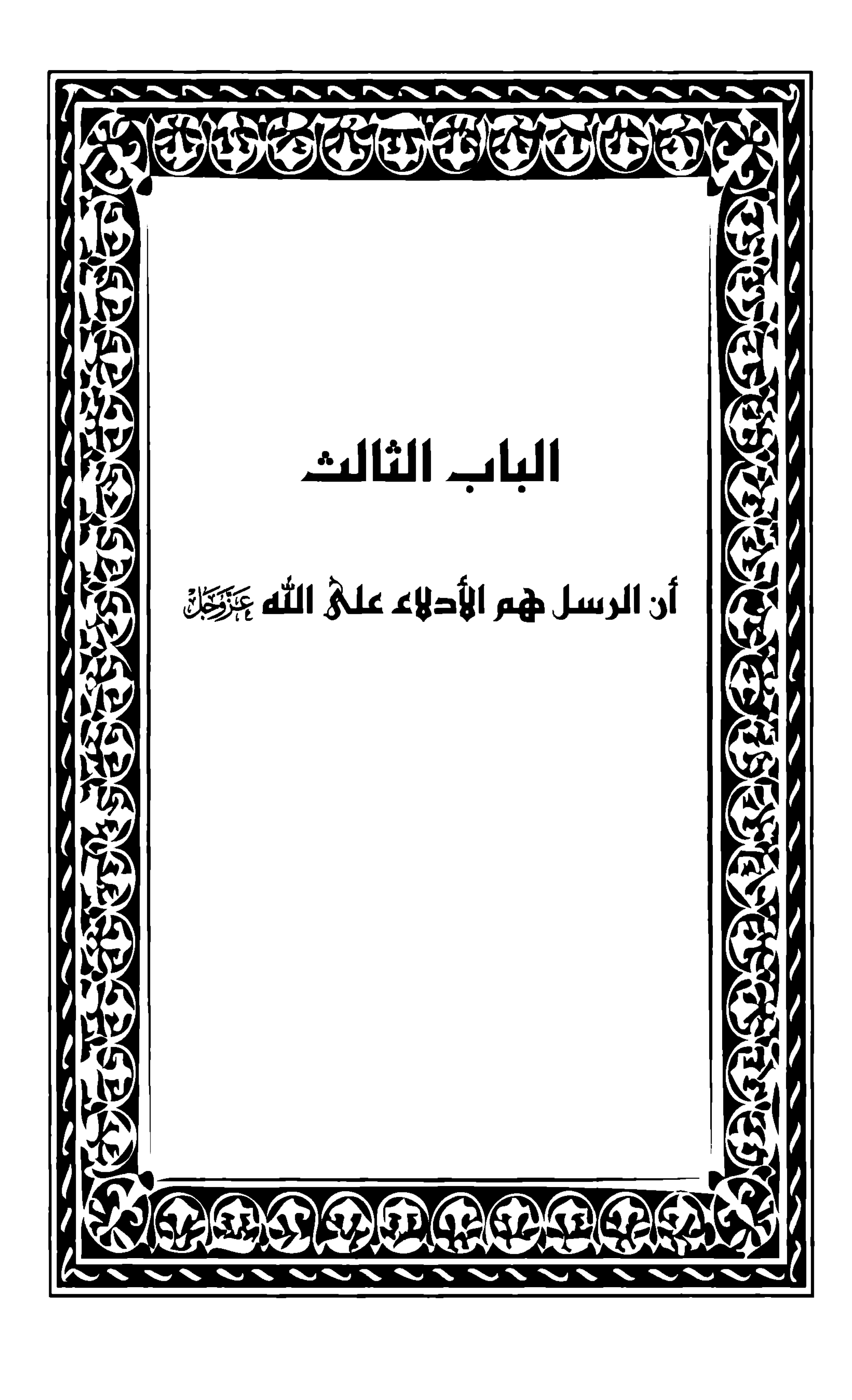
والنَّبيُّ ﷺ يَقُول لعمران بن حصينٍ: **«صَلِّ قائمًا، فإنْ لم تَسْتطِع فقَاعدًا، فإن لَمْ تَسْتطِعْ فعَلَىٰ جَنْبٍ»**[١].

أمَّا التُّروكُ وهِيَ المَنْهيَّاتُ، فلِكَوْنِ التَّرْكِ لا يشقُّ لذَلِكَ، فإنَّه يجبُ عَلَىٰ المُسْلمِ أَنْ يَجْتنبَها جميعًا، كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ: **«مَا أَمرتُكُمْ به فَائْتُوا مِنْه ما اسْتَطعتُمْ، ومَا نَهيتُكُمْ عَنْه فَاجْتنبُوهُ»**[٢].

***

(١) أخرجه البخاري (١١١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



الباب الثالث

أن الرسل هم الأدلاء على الله عز وجل

الباب الثالث

أن الرسل هم الأدلاء على الله عَزَّوَجَلَّ

خَلَق اللهُ آدمَ فِي الجنَّةِ من قَبْضةٍ قَبَضها من الأرض، وخَلَق منه زَوْجَه حواء، وأباحَ له الأَكْلَ من جَمِيع أشجارِ الجنَّةِ إلَّا شجرةً واحدةً نَهَاه عَنْها، وحذَّره من أَكْلها، ولكن لم يَكُن عدوُّه إبليس لِيَتْركه وقَدْ لُعِن وطُرِد من الجنَّةِ بسببِه[1]، فَدلَّاه بغرورٍ، وأَقْسَم له إنَّه له لمِنَ النَّاصحين، وزَعَم أنَّ مَنْ أكلَ من الشَّجَرةِ الَّتي نَهَاه عنها ربُّه، يُخلَّد فلا يَمُوت، ويكون ملِكًا، فَانْسَاقَ بالطَّمع في الخُلْد، وأكَلا من تلك الشَّجرةِ هُو وزوجتُهُ، فبَدَتْ لهما سَوْآتهما، وعَلِما أنَّهما قَدْ عَصَيا ربَّهما، فنَدِمَا وتَابَا، فتابَ الله عَلَيهما، وأَهْبطهما إِلَىٰ الأرضِ؛ كَما قَدْ أهبطَ إِبْليسَ قَبْلهما ليتمَّ الابتلاءُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْض بعد أَنْ أَرَاهما عداوةَ إِبْليس وحِرْصه عَلَىٰ إِهْلاكهما حِينَ قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص:٨٢، ٨٣].

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[البقرة:٣٦-٣٨].

---

(١) أي سبب ترك السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٧].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تَفْسير آياتِ البَقَرة: «يَقُولُ تَعَالىٰ مخبرًا عمَّا أنذرَ به آدمَ وزَوْجتَه وإبْليس حِينَ أَهْبَطهم من الجنَّة- والمراد: الذُّريَّة- أنَّه سيُنزل الكُتُب، ويَبْعثُ الأنبياءَ والرُّسُلَ، كما قالَ أبو العالية: الهُدَىٰ: الأنبياءُ والرُّسُلُ. والبيِّناتُ: البيانُ.

وقال مُقَاتِلٌ: الهُدَىٰ: مُحمَّد ﷺ.

وقال الحسنُ: الهُدَىٰ: القرآنُ.

وهَذَان قَوْلان صَحِيحانِ، وقولُ أبي العالية أعمُّ.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: أقبلَ عَلَىٰ ما أَنْزلتُ به الكُتُبَ، وأَرْسلتُ بِهِ الرُّسُلَ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَسْتقبلونَه من أَمْر الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَىٰ ما فَاتَهم من أُمُور الدُّنيا، كما قَالَ في سورة طه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣].

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: «فَلَا يضلُّ في الدُّنيا، ولا يَشْقىٰ في الآخِرة».

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤] كما قَالَ هَاهُنا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة:٣٩] أي: «مُخلَّدون فِيهَا، لا مَحِيدَ لَهم عَنْها، ولا مَحِيصَ». اهـ(١).

فإنْ قِيلَ: كَيْف جاءَ الخطابُ في سورة البقرة: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾، وفي سورة طه بضَمِير التَّثنيةِ: ﴿ٱهْبِطَا﴾؟

فالجوابُ: الخطابُ في سورة البقرة لآدمَ وحَوَّاء وإبليس، وفي سورة طه لآدمَ وإبليسَ فَقَط.

وقالَ في «صفوة الآثار والمفاهيم» مُعلِّقًا عَلَىٰ هَذِهِ الآياتِ في سورة البقرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]:

«وأَعْظمُ الاعْتِباراتِ في هَذِهِ الدُّور هو أنَّ الإنسانَ سَيِّد هَذِهِ الأرضِ، ومن أجلِهِ خَلَقَ اللهُ كلَّ شيءٍ فيها، وهو إذَا أَحْسنَ التَّصرُّفَ في الخِلَافةِ الإلهيَّةِ باتِّباعِهِ وَحْيَ الله، فهو أعزُّ وأكبرُ وأَغْلىٰ عند الله من جَمِيع الدُّنيا وما فِيهَا، وقِيمتُهُ عند الله أَعْظمُ، فَلَا يجوزُ له أن يَسْتعبدَ نَفْسَه ويستذلَّها لغايةٍ مادِّيَّةٍ، أو رغبةٍ في شَهْوةٍ حَيَوانيةٍ يَخُونُ بها عَهْدَ الله أوَّلًا، وينزل بها إِلَىٰ غايةِ السُّقُوط وهو لا يَشْعر لما رَانَ عَلَىٰ قلبِهِ من ظُلماتِ المادَّة والشَّهوةِ والهَوَىٰ، فدَوْرُهُ في هَذِهِ الأرضِ دَوْرُ القِيَادةِ والتَّوْجيهِ الَّتي يَسْتلهم أَنْظمتَها من السَّماءِ، لَا

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٠).

مَصْدر آخر في الأرضِ، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]»[1].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف:٣٥، ٣٦].

فأَخْبر في هَاتَين الآيَتينِ أنَّه سيُرْسل رُسُلًا من بَنِي آدمَ، وأنَّ مَنْ آمنَ بهَؤُلاءِ الرُّسُل، نَجَا من العَذَابِ، ومَنْ كَذَّبهم وَاسْتكبَر عن قَبُول ما جَاؤُوا به فسَيُعذِّبه اللهُ في نارِ جهنَّم، يَبْقىٰ فيها خالدًا مُخلَّدًا.

وَفِي كتابِ الإمَارة من «صحيح مسلم» عن زَيْد بن وهبٍ، عن عبد الرَّحمن ابن عبد ربِّ الكعبة، قال: دخلتُ المسجدَ، فإذا عبد الله بن عمرٍو جالسٌ في ظلِّ الكَعْبة، والنَّاسُ مُجْتمعونَ عليه، فجلستُ إِلَيه، فقالَ: كنَّا مع رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فنَزلْنا منزلًا، فمِنَّا مَنْ يُصْلِح خِباءَه، ومنَّا مَنْ يَنْتضل[2]، ومِنَّا مَنْ هو في جَشَرِه[3]، إِذْ نَادَىٰ مُنَادي رَسُول الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعةً[4]، فَاجْتَمَعنا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: «إنَّه لم يَكُنْ نبيٌّ قبلي إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّته عَلَىٰ خَيْر ما يَعْلمه لَهمْ، ويُنْذرهُمْ شرَّ ما يَعْلمه لَهمْ، وإنَّ أُمَّتكم هَذِهِ جُعِلَتْ

---

(١) «صفوة الآثار والمفاهيم»، للشيخ عبدالرحمن الدوسري (٢/ ٩٥).

(٢) «ينتضل» من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) قوله: «في جَشَرِه»؛ الجشر: الدواب التي ترعىٰ، وتبيت مكانها، والمعنىٰ: يُطعمها ويسقيها، ويُصلح من شأنها.

(٤) بنصب «الصلاة» علىٰ الإغراء، ونصب «جامعة» علىٰ الحال.

عَافِيتها في أَوَّلها، وسيُصِيبُ آخِرَها بلاءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرونها، وتجيءُ فتنةٌ فيُرقِّق بَعْضها بعضًا، وتجيءُ الفتنةُ، فيَقُول المُؤمنُ: هَذِهِ مُهْلكتي، ثمَّ تَنْكشفُ وتَجِيءُ الفتنةُ، فيَقُولُ المؤمنُ: هذِهِ.. هذِهِ، فمَنْ أحبَّ أن يُزَحزَحَ عن النَّار ويدخل الجنَّة فَلْتأتِهِ مَنيَّتهُ وهُو يُؤمِنُ بالله واليَوْم الآخِر، ولْيَأتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذي يحبُّ أن يُؤتَىٰ إِلَيه، ومَنْ بَايَع إمامًا فأَعْطَاه صَفْقةَ يَدِهِ وثَمَرة قلبِهِ فَلْيُطِعْه إِنِ اسْتطَاعَ، فإنْ جاءَ آخر يُنازِعُه، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَر... »، الحديث[1].

والشَّاهد منه قوله: «إنَّه لم يَكُنْ نبيٌّ قبلي إلَّا كانَ حقًّا عَلَيه أن يدلَّ أُمَّته عَلَىٰ خَيْر ما يَعْلمُهُ لَهمْ».

وفي كِتَابِ (الاعْتِصَامِ) من «صحيح البخاريِّ»: «كلُّ أُمَّتي يَدْخُلونَ الجنَّة إلَّا مَنْ أَبَىٰ». قالوا: ومَنْ يَأْبىٰ يا رَسُولَ الله؟ قال: «مَنْ أَطاعَني دَخَل الجنَّةَ، ومَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبَىٰ»[2].

وفي «مستدرك الحاكم» من حَدِيثِ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفوعًا: «لتَدْخلُنَّ الجنَّـةَ إلَّا مَنْ أَبَىٰ وشَرَد عَلَىٰ الله كشراد البَعِير»[3].

وفِيهِ أيضًا من حديث أبي أُمَامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنَحْوه بلَفْظ: «كلُّكم يَدْخلُ الجنَّة إلَّا مَنْ شَرَد عَلَىٰ الله شرادَ البَعِير عَلَىٰ أهلِهِ»، وسَكَت عنه الحاكمُ والذَّهبيُّ، إلَّا أنَّ الحاكمَ اعْتَبَره شاهدًا للحَدِيثِ قَبْله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

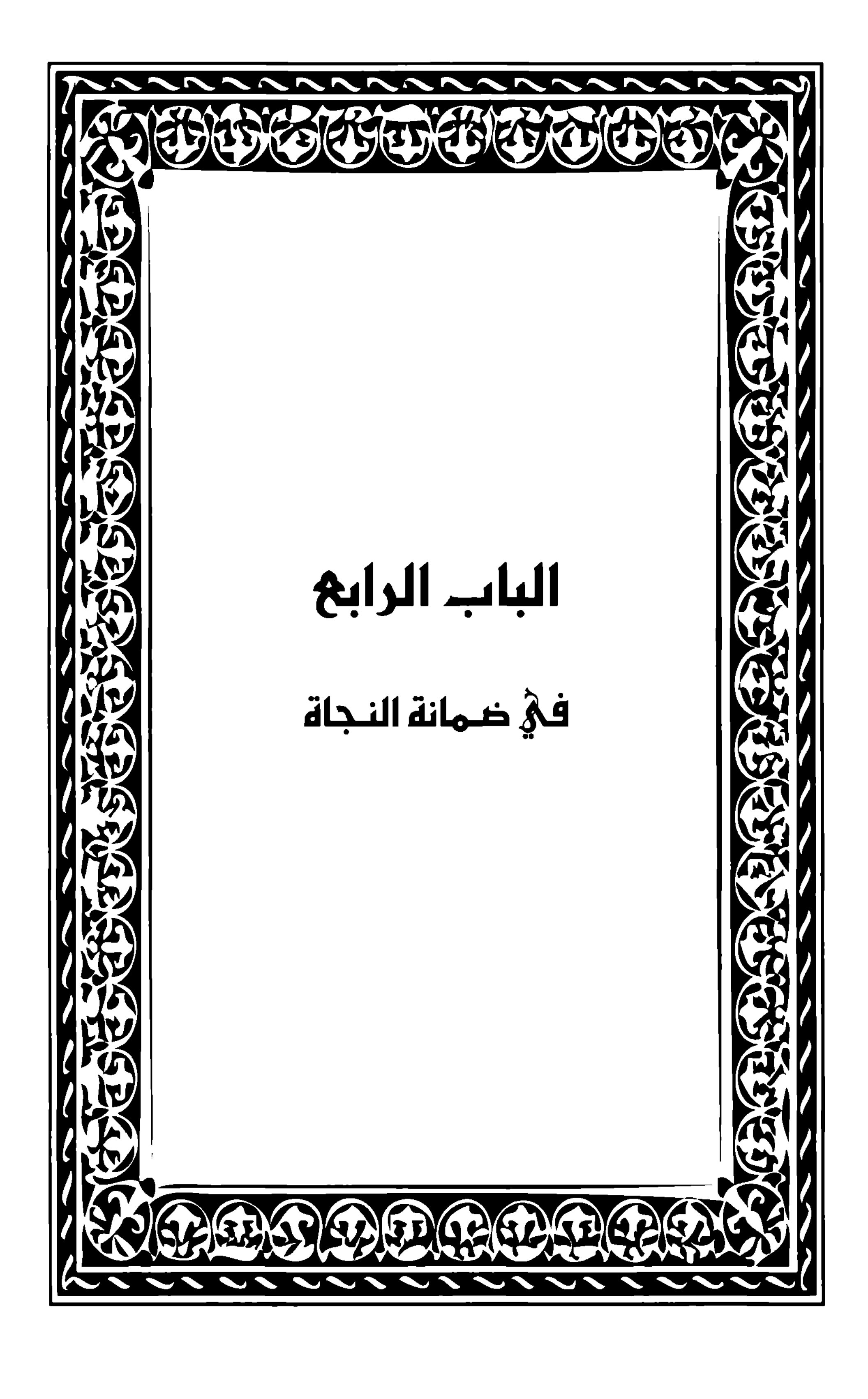
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٢) (١٨٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» (١٧).

ولمَّا كَانَتِ العُقُولُ قاصرةً عن مَعْرفةِ مَصَالِحها الدُّنيويَّةِ والأُخْرويَّةِ، الحاضرة مِنْها والمُسْتقبلة، وإِنْ عرفت شيئًا من الأُمُورِ الحَاضِرة، فَهِيَ لا تَعْرف عَاقِبتَه، ومَعْرفة ذَلِكَ إِلَىٰ الله وَحْده، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة:٢١٦].

والمهمُّ أَنَّ العُقُولَ وإِنْ زَعَمتْ أَنَّها تَعْرف شيئًا من مَصَالِحِها الدُّنيويَّةِ فهِيَ لا تَعْلم عَاقِبتَه، أَمَّا المصالحُ الأُخْرويَّة والمُتوقَّعة في الدُّنيا فهِيَ لا تعلم عَنْها شيئًا[1]، لذَلِكَ فإِنَّ الله من رحمتِهِ بعبادِهِ أرسلَ رُسُلًا يُرْشِدونهم إِلَىٰ المَصَالِح الحَاضِرة والمُسْتقبلةِ في الدُّنيا، وفي البَرْزخ، وفي الآخِرة، ويُنْذرونَهم مِنَ العَواقِبِ الوَخِيمةِ، والمَضارِّ الحَاضِرة والمُسْتقبلةِ في الدُّنيا والبَرْزخ، وفي الآخرة، فمَنْ أطاعَ الرُّسُلَ -صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم- أحرزَ مصالحَ الدُّنيا والآخرة، ودَفَع عن نفسِهِ مضارَّ الدُّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[سورة العصر].

---

(١) وهذا أصلٌ أقره الله -سبحانه- في كتابه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].



الباب الرابع

في ضمانة النجاة

الباب الرابع
في ضمانة النجاة

أمَّا السَّبَبُ الأعظمُ والضَّمانُ الأَقْوى للنَّجاة من عذابِ الله والفَوْز بجَنَّتِهِ، فهو طاعةُ الله ورَسُولِهِ ﷺ، والاستجابةُ لأَمْرهما؛ فعلًا وكَفًّا، وتَصْديقُ خَبَرهما، والإيمانُ بوَعْدِهما وَوَعِيدِهما، قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩، ٧٠].

وقَالَ تَعَالىٰ بعدَ أن بَيَّن المواريثَ في آيتين، فقَالَ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣، ١٤].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

والآياتُ الآمرةُ بطَاعَةِ الله وطَاعَةِ رُسُلِهِ، والمُبيِّنة لثواب المُطِيعِينَ لله ولرُسُلِهِ، وعِقَابِ العاصين لله ولرُسُلِهِ أكثرُ من أن تُحصَر، وأشهرُ من أن تُذكَر.

وبالجملة، فما فازَ مَنْ فازَ، ونَجَا مَنْ نَجَا، ونَالَ الدَّرجاتِ العُلَىٰ إلَّا بطَاعَةِ الله وطاعةِ رُسُلِهِ، وما هَلَك مَنْ هَلَك، وعُذِّب مَنْ عُذِّب إلَّا بتكْذيبِ الرُّسُلِ وعِصْيانِهم، والتَّمرُّد عَلَيهم.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٨ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ۝٦٠﴾ [هود: ٥٨-٦٠].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ [هود: ٦٦-٦٨].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ۝٩٥﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ۝٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ

لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود:٩٦-١٠٠].

وقَالَ تَعَالىٰ في سورة العَنْكبوت بَعْد أن قصَّ عَزَّوَجَلَّ عن نوحٍ وإبْراهيم ولوطٍ وشعيبٍ، قال: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٣٨-٤٠].

فما قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ نبأَ هَذِهِ الأُمَم، وصَوَّر إِهْلاكَهم، وبَيَّن السَّببَ في ذَلِكَ، وأنَّه تكْذيبُهم لرُسُلِهم، وعِصْيانهم لهم، وتَمرُّدهم عَلَيهم إلَّا ليتَّعظَ بهم مَنْ بَعْدهم مِمَّنْ تَبْلغهم هَذِهِ الأخبارُ، ويَعْلمونَ أنَّ الخيرَ في طَاعةِ الله ورَسُولِهِ، وأنَّ الشَّرَّ كلَّه في مَعْصيةِ الله ورَسُولِهِ، وأنَّ الدَّرجاتِ العُلَىٰ في الجنَّةِ لا تُنَال إلَّا بذَلِكَ، ففي «الصَّحيحين» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: **«إنَّ أهْلَ الجنَّةِ ليَتراءَونَ أهْلَ الغُرفِ من فَوْقهم كَما تَتراءَوْن الكَوكبَ الدُّريَّ الغَابِر في الأُفُقِ من المَشْرقِ أو المَغْربِ لتفَاضُل ما بيْنهم»**، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، تِلْك مَنَازل الأَنْبياءِ لَا يَبْلغها غَيْرهم؟ قَالَ: **«بَلَىٰ، والَّذي نَفْسي بيدِهِ، رجالٌ آمَنُوا باللهِ، وصَدَّقوا المُرْسَلينَ»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

فهذِهِ هي ضَمانةُ النَّجاةِ، وهَذَا هو سَبِيلُ الفَوْز، وهَذَا هو طريقُ الفَلَاحِ، اتِّباعٌ لما جَاءَ في كِتَابِ الله، وفي سُنَّةِ رَسُولِهِ الثَّابتةِ عَنْه من غَيْر الْتِفاتٍ، وَلَا تَأَرْجُحٍ، ولا اسْتِحْسانٍ للبِدَعِ، ولا أَخْذٍ بما قالَ فلانٌ أو فلانٌ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقَالَ أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وفي الحَدِيثِ الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**كُلُّكمْ يَدْخل الجنَّةَ إلَّا مَنْ أَبَىٰ**» قالوا:ومَنْ يَأْبىٰ يا رَسُولَ الله؟ قال: «**مَنْ أَطَاعني، دَخَل الجنَّةَ، ومَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبىٰ**»[1].

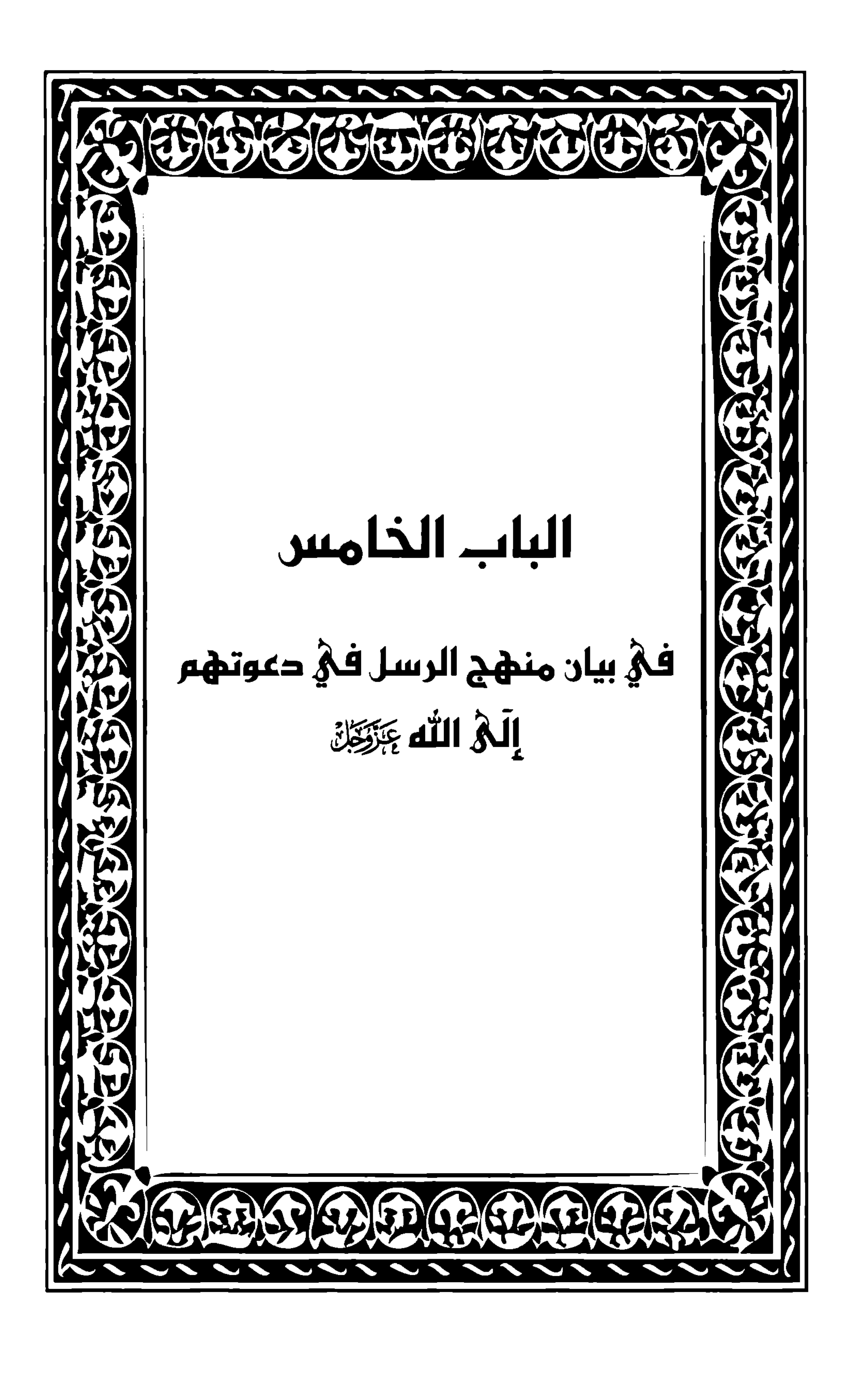
فإيَّاكَ أن تكونَ مِمَّنْ قالَ اللهُ فِيهِم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقَوْلُ النَّبيِّ وشَرْعُهُ ﷺ مُقدَّمٌ عَلَىٰ رَأْي إمامِ المَذْهبِ، ورَئِيسِ الحِزْب، وشَيْخ الطَّرِيقةِ، وغيرهم، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١﴾ [الحجرات:١].

وكانَ سَببُ نُزُولِ هَذِهِ الآياتِ أنَّه لمَّا جاءَ وَفْد تميم، قالَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمِّر فلانًا، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمِّر فلانًا، فتَراجَعا عند رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ ارْتَفعَتْ أَصْواتُهما، فأنزلَ اللهُ آياتٍ من أوَّلِ سُورة الحُجُراتِ يُؤدِّب بها عِبادَه أن يَتقدَّموا بَيْن يَدَي رَسُولِهِ، أو يُقدِّموا غَيْره عَلَيه.



الباب الخامس

في بيان منهج الرسل في دعوتهم إلى الله عز وجل

الباب الخامس
في بيان منهج الرسل في دعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ

□ **لقَدْ بَيَّنَ الله عَزَّوَجَلَّ مَنْهجَ الرُّسُلِ في دَعَواتِهم، بَيَّنهُ في القُرْآنِ الكَرِيم أَحْسنَ بيانٍ وأَوْضَحه، فبَيَّن أنَّهم أوَّل ما يَبْدؤون به ثلاثة أُمُورٍ، هِيَ أُسُس العَقِيدةِ، وَهِيَ:**

❁ **الأَسَاسُ الأوَّلُ:** التَّوحيدُ: وهو إِعْطاءُ العُبُوديَّة لله الوَاحِد الأَحَد دون مَنْ سِوَاهُ من الآلهةِ المُصْطنعة الَّتي يَتَّخذها النَّاسُ، ويَصْرفُونَ لها الدَّينونة والعُبُوديَّة مُعْتقِدِينَ أنَّها تنفعُ وتضرُّ، وتمنعُ وتُعْطي، وتعزُّ وتذلُّ.

❁ **الأساس الثَّاني:** المعادُ: وهُوَ الإيمانُ باليَوْم الآخِر، وما يَحْتوي عليه من حِسَابٍ وجَزَاءٍ وجنَّةٍ ونارٍ، وأَنْواعِ نَعِيم الجنَّةِ، وأَنْواعِ عَذَابِ النَّار.

❁ **الأساس الثَّالث:** الإيمانُ بالرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، وأنَّ الرُّسُلَ -صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم- هُمُ الأَدلَّاءُ عَلَىٰ الله، والمُرْشِدُونَ إِلَىٰ سبيلِهِ، لا ما خَلَّفه الآباءُ، ولا ما قرَّرته الأَعْرافُ ودَانَتْ له المجتمعاتُ.

□ **والأدلَّةُ عَلَى أنَّ الرُّسُلَ أوَّل ما يَبْدؤون في دَعَواتِهم بهذِهِ الأُمُور الثَّلاثة:**

ما قَصَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَينا فِي السُّوَرِ المَكِّيَّةِ من الحوارِ الَّذي جَرَىٰ بَيْن الرُّسُل وأُمَمِهم، وتَقْرير القرآنِ لهذِهِ الأُسُس، وَالاسْتِدْلال عَلَيها بأنواعٍ من الأدلَّةِ العقليَّةِ والكونيَّةِ، وغير ذَلِكَ.

فمِنَ الأدلَّة عَلَى الأَسَاسِ الأوَّلِ ومُعَالجة القُرْآن له وتَقْريره إيَّاه وإنْكاره على المُشْرِكِينَ: اتِّخاذ الآلهةِ المُصْطنَعة الَّتي لا تَسْتطيعُ أَنْ تنفعَ أحدًا أو تضرَّه، وَهِيَ كثيرةٌ، مِنْها قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾[الفرقان:٣].

وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾﴾[الفرقان:٥٤، ٥٥].

وقال في سور الحجِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج:٧٣، ٧٤].

وقَالَ تَعَالىٰ في سورة فاطر: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾[فاطر:١٣، ١٤].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ

كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[العنكبوت:٤١-٤٣].

وكَما قَرَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَجزَ الآلهةِ الَّتي يَدْعوها المُشْرِكُونَ، وَضَعْفَها، وعدمَ قُدْرتِها عَلَىٰ شيءٍ -وإن قلَّ- من نَفْع مَنْ يَدْعوهم، أو ضره، وأنَّهم لا يَمْلكونَ شيئًا وإنْ قلَّ، حتَّىٰ القِطْمير والفَتِيل والنَّقير.

قرَّر أيضًا أنَّ الرُّسُلَ ما كُلِّفوا أن يَبْدؤوا بشيءٍ غير الدَّعوةِ إِلَىٰ التَّوْحيدِ، ومُحارَبةِ الشِّرْكِ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[الأعراف:٥٩-٦٢].

وقَالَ عَنْ هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾[الأعراف:٦٥-٦٨]، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم

مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف:٧٠-٧٢].

وقَالَ تَعَالىٰ عن صَالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣]، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف:٧٧-٧٩].

وكذَلِكَ قَالَ عَنْ إِبْراهِيم عليه السلام: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام:٧٤، ٧٥].

وكذَلِكَ قَالَ عَنْ شُعَيبٍ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥]، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

[الأعراف:٩١-٩٣]، وقال لنبيّنا محمّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر:٦٦-٦٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ فِي سورة الزُّمَر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١١-١٨].

وقَالَ عَنْ عِيسَىٰ عليه السلام: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وقَالَ عَنْ هَارُونَ عليه السلام أنّه قَالَ لقومِهِ لمّا عَبَدوا العجلَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه:٩٠، ٩١].

وقَالَ عن مُوسَىٰ عليه السلام أنَّه قالَ للسَّامريِّ الَّذي أَخْرج لهم العجلَ الَّذي عَبَدوه: ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ ﴾[طه:٩٧، ٩٨].

وبالجملة، فما بَعَثَ اللهُ نبيًّا ولا رَسُولًا إلَّا كان التَّوحيدُ أوَّل ما يَأْمر بِهِ، ويَدْعو إليه، قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء:٢٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل:٣٦].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر:٦٥-٦٧].

ولـمَّا ذَكَر اللهُ الأَنْبياءَ في سورة الأَنْعام قَالَ بَعْد ذَلِكَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨٨].

□ وأمَّا الأدلَّةُ من السُّنَّةِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَدأ دَعْوتَه بالأمْر بالتَّوحيدِ، والنَّهي عن الشِّركِ بالله تَعَالى:

ففي كُتُبِ السُّنَّةِ والسِّيرةِ النَّبويَّةِ عشرات النُّصُوص الَّتي تدلُّ عَلَىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بدَأ أوَّل ما بَدَأ بمُحَاربةِ الأَوْثانِ، وكَسْرها، وهَدْمها، وبَيَان عَجْزها وضَعْفها عن نُصْرة مَنْ عَبدَها وأَلَّهها، وأنا ذاكرٌ مِنْها ما تَيسَّر في هَذِهِ العجالةِ ليُعْلمَ مِنْها سوءُ صَنيع مَنْ بَنَىٰ دَعْوتَه عَلَىٰ غَيْر هَذَا الأساسِ، وغضَّ الطَّرْفَ عَمَّنْ نَاقَضه وهَدَمه مِمَّنْ تَصدَّوا للدَّعْوة في هَذَا الزَّمَانِ، زَاعِمينَ أنَّ ذَلِكَ لا يُخْرِجهُمْ من حَظِيرةِ الإِسْلامِ مَا دَامُوا يَشْهدُونَ أَنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، نَاسِينَ ما وَرَد في القرآنِ الكريم والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ من النُّصُوصِ الَّتي لا تُحصَىٰ، والَّتي تُنَادِي عَلَىٰ عَمَلِهم بالبَوَارِ، وعَلَىٰ صَنِيعِهم بالخَسَارِ، حَيْث هَدَموا من الإِسْلامِ الرُّكنَ الأعظمَ، وضَلُّوا في دَعْوتِهم عن الطَّرِيقِ الأَقْومِ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

۞ **الدليل الأول**: حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الَّذي رواه مسلمٌ في «صحيحه»، كتاب صَلَاة المُسَافِرين، عن أَبِي أُمَامة قال: قالَ عمرو بن عبسة السُّلَمي: كنتُ وأنا في الجَاهليَّةِ أظنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضلالةٍ، وأنَّهم لَيْسوا عَلَىٰ شيءٍ، وهُمْ يَعْبدون الأوثانَ، فسمعتُ برجلٍ في مكَّةَ يخبر أخبارًا، فقعدتُ عَلَىٰ رَاحِلتي، فقَدِمْتُ عَلَيه، فإذا رَسُولُ الله مُسْتَخفيًا، جُرَءاءُ عليه قومُهُ، فتلطَّفتُ حتَّىٰ دَخلْتُ عليه بمكَّةَ، فقلتُ: ما أنتَ؟

قال: «**أَنَا نَبِيٌّ**».

فقلت: وما نَبِيٌّ؟

قال: «أَرْسلنِي اللهُ».

فقلت: بأيِّ شيءٍ أَرْسَلك؟

قال: «أَرْسَلنِي بصِلَةِ الأَرْحامِ، وكَسْرِ الأَوْثانِ، وأَنْ يُوحَّد اللهُ ولا يُشرَك به شيءٌ».

قلتُ له: فمَنْ مَعَك عَلَىٰ هَذَا؟

قال: «حُرٌّ وعَبْدٌ»، قالَ: ومَعَه يومئذٍ أبو بكرٍ وبلالٌ مِمَّنْ آمنَ معه، فقلتُ: إنِّي مُتَّبعك.

قال: «إنَّك لا تَسْتطيعُ ذَلِكَ يَوْمكَ هَذَا، ألا تَرَىٰ حَالِي وحَالَ النَّاس، ولكِن ارْجع إِلَىٰ أَهْلك، فإِذَا سمعتَ بي قَدْ ظهرتُ، فَأْتِنِي...»، الحديث[1].

والشَّاهدُ في هَذَا الحَدِيثِ قولُهُ: «أَرْسلنِي بصِلَةِ الأَرْحامِ، وكَسْر الأَوْثانِ، وأَنْ يُوحَّد اللهُ لا يُشْرك به شيءٌ».

فأيُّ دَعْوةٍ لا تقومُ عَلَىٰ هَذَا الأَساسِ، فهِيَ دعوةٌ باطلةٌ، اتَّخذتْ طريقًا غير طَرِيقِ الرُّسُلِ، وسبيلًا غير سَبِيلِهِمْ، واللهُ تَعَالَىٰ يقولُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨].

والبَصِيرةُ هِيَ العِلْمُ بدَعْوةِ الرُّسُلِ، والأُسُسِ الَّتي قَامَتْ عَلَيها، والسَّير عَلَىٰ نَهْجِها، كما فَعَل الشَّيخُ مُحمَّدُ بن عبد الوَهَّاب في دعوتِهِ، وكَما فَعَل شَيْخُنا عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي في دعوتِهِ-رَحِمَهُما اللهُ تَعَالَىٰ.

❁ **الدَّليل الثَّاني**: الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي، وقَدْ ذَكَر قِصَّتَه ابْنُ إسحاق

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

عن إبراهيم، عن عثمان بن الحويرث، عن صَالِح بن كيسان أنَّ الطُّفيلَ بن عمرو... وهَذَا الإسنادُ منقطعٌ، ورَوَاه ابن عبد البرِّ في «الاستيعاب» مُخْتصرًا من طَرِيق الكلبيِّ، وَهُو ضعيفٌ، وذَكَر الذَّهبيُّ في تَرْجمة الطُّفيل بن عمرو أنَّ يحيىٰ بن سعيدٍ الأُمويَّ أَخْرَجه في «مغازيه» من طريق الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ أنَّ الطُّفيلَ... وهَذَا السَّندُ أيضًا ضعيفٌ؛ لضَعْف الكلبيِّ وشَيْخه أبي صالح باذان، ولبَعْض هَذِهِ القِصَّة شواهدُ في «الصَّحيحين»، و«مُسْند الإمام أحمد»، وقَدْ ذَكَر هَذِهِ الرِّوايَةَ الإمامُ النَّقَّادُ الذَّهبيُّ في كتابِهِ «سير أعلام النُّبلاء»، ولم يردَّها، بل ذَكَرها مُقِرًّا لها، وكذَلِكَ أيضًا ذَكَرها ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تَرْجمة الطُّفيل بن عمرو.

والقصَّةُ هي: أنَّ الطُّفيلَ بن عمرو قالَ: كنتُ رجلًا شاعرًا سَيِّدًا في قَوْمي، فقدمتُ مكَّةَ، فمشيتُ إِلَىٰ رِجَالاتٍ من قُرَيشٍ، فقَالُوا: إنَّك امرؤٌ شاعرٌ سَيِّدٌ، وإنَّا قَدْ خَشِينا أن يَلْقاكَ هَذَا الرَّجلُ، فيُصِيبك ببَعْضِ حديثِهِ، فإنَّما حديثُهُ كالسِّحْر، فَاحْذَره أَنْ يُدْخلَ عَلَيك وعَلَىٰ قَوْمِك ما أَدْخَل عَلَينا، فإنَّه يُفرِّق بَيْن المَرْءِ وأَخِيه، وبَيْن المرءِ وزَوْجِهِ، وبَيْنَ المَرْءِ وابنِهِ، فواللهِ، مَازَالُوا يُحدِّثوني شأنَه، ويَنْهوني أَنْ أَسْمعَ مِنْه، حتَّىٰ قلتُ: واللهِ، لا أَدْخلُ إِلَىٰ المسجدِ إلَّا وأنا سادٌّ أُذُنيَّ.

قالَ: فعَمَدتُ إِلَىٰ أُذُنيَّ فحَشَوْتُهما كُرْسُفًا[1]، ثمَّ غدوتُ إِلَىٰ المَسْجدِ، فإِذَا برَسُولِ الله ﷺ قائمٌ في المَسْجدِ، فقمتُ قريبًا منه، فأَبَىٰ الله إلَّا أَنْ يُسْمِعني بعضَ قَوْلِه، فقلتُ في نَفْسي: واللهِ، إنَّ هَذَا للعَجْز، وإنِّي امرؤٌ ثبتٌ،

(١) الكرسف: القطن.

ما تَخْفىٰ عليَّ الأُمُورُ حَسنُها من قَبِيحِها، واللهِ، لأسمعنَّ منه، فإِنْ كان أمرُهُ رشدًا، أخذتُ منه، وإِلَّا اجتنبتُهُ، فنَزعتُ الكُرْسفةَ، فلَمْ أَسْمَعْ قطُّ كلامًا أحسنَ من كَلَامٍ يَتكلَّم به، فقلتُ: يا سبحان الله! ما سمعتُ كاليومِ لفظًا أحسنَ ولا أجملَ مِنْه.

فلمَّا انْصرَفَ، تبعتُهُ، فدخلتُ مَعَه بَيْتَه، فقلتُ: يا مُحمَّد، إنَّ قَوْمَك جَاؤُونِي، فقَالُوا لي كَذَا وكَذَا، فأخبرتُهُ بما قَالُوا، وقَدْ أَبَىٰ اللهُ إلَّا أن أَسْمَعني مِنْكَ ما تقولُ، وقَدْ وَقَعَ في نَفْسي أنَّه حقٌّ، فاعْرِضْ عليَّ دِينَك، فعَرَضَ عليَّ الإِسْلامَ، فأَسْلمتُ، ثمَّ قلتُ: إنِّي أَرْجع إِلَىٰ دَوْسٍ، وأنَا فِيهِم مُطَاعٌ، وأَدْعُوهم إِلَىٰ الإِسْلامِ، لعلَّ اللهَ أن يَهْديهم، فَادْعُ اللهَ أن يجعلَ لي آيةً، فقَالَ: «**اللَّهمَّ اجْعَلْ له آيةً تُعِينُهُ**».

فَخَرجتُ حتَّىٰ أشرفتُ عَلَىٰ ثَنيَّةِ قَوْمي، وأبي هُنَاك شيخٌ كبيرٌ، وَامْرأتِي ووَلَدِي، فلمَّا علوتُ الثَّنِيَّةَ، وَضَع اللهُ بَيْن عيني نورًا كالشِّهابِ يَتراءَاه الحاضرُ في ظُلْمةِ اللَّيل، وأنا مُنْهبطٌ من الثَّنِيَّةِ، فقلتُ: اللَّهمَّ في غَيْر وَجْهي، فإنِّي أَخْشىٰ أن يَظنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ لِفرَاقِ دِينِهم، فتَحوَّل، فوَقَع في رأسِ سَوْطي، فلقَدْ رأيتني أسيرُ عَلَىٰ بَعِيري إِلَيْهم، وإنَّه عَلَىٰ رَأس سوطي كأنَّه قنديلٌ مُعلَّقٌ، قال: فأَتَاني أبي، فقلتُ له: إليكَ عَنِّي، فلَسْتُ مِنْك ولَسْتَ منِّي. قالَ: وما ذَاكَ؟ قلتُ: إنِّي أسلمتُ واتَّبعتُ دينَ مُحمَّدٍ. قال: أَيْ بُنَي، دِينِي دِينُكَ، وكذَلِكَ أُمِّي، فأَسْلَما، ثمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَىٰ الإسلامِ، فأبَتْ عليَّ وتَعَاصَتْ.

ثمَّ قدمتُ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ، فقلتُ: غَلَب عَلَىٰ دَوْس الزِّنا والرِّبا، فَادْعُ اللهَ عَلَيهم، فقالَ: «**اللَّهمَّ اهْدِ دَوْسًا**»، ثمَّ رجعتُ إِلَيْهم، وهَاجَر رَسُولُ الله ﷺ،

فَأَقْمتُ بَيْن ظَهْرانِيهم أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الإِسْلامِ حَتَّىٰ اسْتَجابَ مِنْهم مَنِ اسْتَجابَ، وسبقتني بدر وأحد والخندق، ثمَّ قدمتُ بثمانِينَ أو تِسْعينَ أَهْل بيتٍ من دَوْس، فكنتُ مع النَّبيِّ ﷺ حتَّىٰ فَتح مكَّةَ.

فقلتُ: يا رَسُولَ الله، ابعثني إِلَىٰ ذي الكفَّين (صنم عمرو بن حممة) حتَّىٰ أُحرِّقه.

قال: «أَجَلْ، فَاخْرُجْ إِلَيه»، فأتيتُ، فجعلتُ أُوقِدُ عليه النَّارَ، ثمَّ قدمتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فأقمتُ معه حتَّىٰ قُبِضَ، ثمَّ خرجتُ إِلَىٰ بَعْثِ مُسَيْلمة ومَعِي ابني عمرو حتَّىٰ إذا كنتُ ببَعْض الطَّرِيقِ رأيتُ رُؤْيا، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلِقَ، وخرجَ من فَمِي طائرٌ، وكأنَّ امرأةً أَدْخلتنِي في فَرْجها، وكأنَّ ابني يَطْلبني طلبًا حثيثًا، فحِيلَ بَيْني وبَيْنه، فحَدَّثتُ بها قَوْمي، فقَالُوا خيرًا، فقلتُ: أمَّا أنا فَقَدْ أَوَّلتها، أمَّا حَلْقُ رأسي فَقَطْعُهُ، وأمَّا الطَّائرُ فرُوحِي، والمرأةُ الأرضُ أُدْفَن فيها، فَقَدْ روعت أَنْ أُقْتل شهيدًا، وأمَّا طَلَبُ ابني إيَّاي، فما أراه إلَّا سيُعذَر في طَلَبِ الشَّهَادةِ، ولا أراه يَلْحق في سفرِهِ هَذَا.

قال: فقُتِلَ الطُّفيلُ يَوْم اليَمامةِ، وجُرِحَ ابنُهُ، ثمَّ قُتِلَ يَوْمَ اليرموك».اهـ[١].

❁ **الدليل الثالث**: قصَّةُ بلالٍ، وأنَّه كان يُعذَّب ويُقال له: إلهُك اللَّات والعُزَّىٰ، فيقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ. فبَلَغ أبا بكرٍ، فأَتَاهم، فقالَ: عَلامَ تَقْتلونَه! فإنَّه غَيْر مُطِيعكم. قَالُوا: اشْتَرِه، فَاشْتَرَاهُ بسَبْعِ أَواقٍ، فأَعْتَقه[٢].

❁ **الدليل الرابع**: قصَّة عمرو بن الجَمُوح، وهو أنَّه لمَّا فَشَا الإسلامُ في الأَنْصارِ بَعْد قُدُومِ مُصْعب بن عميرٍ، وابن أُمِّ مكتومٍ إِلَيْهم، فأَسْلَم شبابٌ من

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» عن هشام بن عروة، عن ابن سيرين (١/ ٣٥٣).

الأَنْصارِ، ومِنْهم مُعَاذ بن جبلٍ، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، وكانَ عَمْرو بن الجموح شيخًا كبيرًا باقيًا عَلَىٰ دينِهِ، فتَركُوه حتَّىٰ نامَ، وأَخَذوا صَنَمه، وأَلْقوه في حُفْرة العذرة، فلمَّا أصبحَ افْتقَدَه، فذَهَبَ يَبْحثُ عَنْه، فوَجَده في حفرة العذرة، فأَخَذه وغَسَّله وطَيَّبه ورَدَّه في مكانِهِ، وفي اللَّيلة الثَّانية أَخَذُوه وأَلْقوه في حفرة العذرة، فوَجَده مُلطَّخًا بالقذر، فغَسَّله وطَيَّبه وردَّه في مكانِهِ، ثمَّ عَلَّق السَّيفَ فِيهِ، وقالَ لَه: لَوْ أَعْلمُ الَّذي صَنَع بك هَذَا لَفَعَلْتُ وفَعَلْتُ، ولكن هَذَا السَّيف، فإذا أرادَ أحدٌ أن يَأْخُذَك فقَاتِلْه، فتَركُوه حتَّىٰ نامَ، فأَخَذُوه، فقَرنُوه بجِيفَةِ كَلْبٍ، ثمَّ أَلْقوه في حفرة القذر، فلمَّا رَآه قالَ:

والله لو كنتَ إلهًا لم تكُنْ
أنتَ وكلبٌ وسطَ بئرٍ في قرنْ
أُفٍّ لملقاك إلهًا مُستدن
الآن فتشنَاك عن سُوءِ الغبن
الحمدُ لله العَلِيِّ ذِي المِنَن
الوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّان الدِّين
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَني مِن قبل أَنْ
أَكُون في ظُلمة قَبْرٍ مُرْتَهن[1]

وبالجُمْلة، فإنَّ عَشَراتِ النُّصُوصِ، بَلْ مئاتِ النُّصُوصِ مَوْجودةٌ في بُطُونِ

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٦٣)، بمعنىٰ القصة، ولفظ الشعر.
وقوله «مستدن» من السدانة، وهي خدمة البيت، وتعظيمه، والمقصود: الذليل.
وقوله: «ديان الدين»: **الدين**: جمع دينة، وهي العادة، أو أراد الأديان، أي: هو ديان أهل الأديان، وجمعها علىٰ الدِّين؛ لأنها ملل ونحل.



الكُتُب من تفسيرٍ وحديثٍ وسِيَرٍ تدلُّ عَلَىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَبْدأ في دعوتِهِ بغَيْر التَّوحيد ومُحَاربةِ الشِّرْكِ.

والنُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ من الكتابِ والسُّنَّةِ أشهرُ من أن تُذكَر، وأكثرُ من أن تُحصَر، فأيما داعٍ دَعَا قومًا إِلَىٰ الله، فبَدَأ بغير التَّوحيد مع أنَّ الشِّركَ فِيهِم فاشٍ، والأَضْرحةَ الَّتي هي بمَنْزلة اللَّاتِ والعُزَّىٰ لَدَيهم مَوْجودةٌ، والنَّاسَ لها قَاصِدُونَ، وعَلَيها مُتردِّدون، وبها يَتطوَّفونَ ويَتمسَّحونَ، وبأَسْماء أَصْحابِها في الصَّباحِ والمساءِ يَهْتِفُونَ ويَلْهجُونَ، ولَـهُمْ من دُونِ الله يَدْعونَ، وإِلَيْهم عند الشَّدَائدِ يَفْزعُونَ ويَلْجؤونَ، ولتِلْكَ الأَضْرحةِ يَنْذرُونَ، وعَلَىٰ أَسْمائِهم يَذْبحُونَ، مُعْتقدينَ أنَّهم يُعْطون ويَمْنعون، ويُغْنون إذا شَاؤوا ويُفْقِرُونَ.

إنَّ مَنْ دَعَا قومًا هَذِهِ حَالُهم، فسَكَت عن شِرْكهم سُكُوتَ المُقرِّ، ودَعَا إِلَىٰ غَيْر التَّوحيد الَّذي هو مُقْتَضىٰ شهادة أَنْ لا إِلَه إلَّا الله، فإنَّه قَدْ خَالَف الرُّسُلَ كُلَّهم من أوَّلهم نوحٍ عليه السلام إِلَىٰ آخِرهم مُحمَّدٍ ﷺ، واتَّخذ سبيلًا غَيْر سَبيلِهِمْ، ومَنْهجًا غَيْر مَنْهجِهِمْ؛ بل قَدْ خَالَفَ قَوْلَ الله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

وأَوْلَىٰ به أن يُوفِّر عَلَىٰ نفسِهِ الجُهْدَ والعناءَ؛ لأنَّ كلَّ ما كانَ عَلَىٰ غَيْر مَنْهجِ الرُّسُلِ فهو مَرْدودٌ غير مَقْبولٍ، قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عملًا لَيْس عَلَيه أَمْرُنا فهُوَ ردٌّ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولعلَّ قائلًا يقول: إنَّ الداعي المشار إليه قَدْ حارب الحكم بغير ما أنزل الله، وهو من =

▢ **أما الأساس الثاني**: وهو تَقْرير المعادِ، فقَدْ قرَّره بطُرقٍ مُتعدِّدةٍ، وأَسَاليبَ مُخْتلفةٍ، فتارةً يذكر اللهُ عَزَّوَجَلَّ إنكارَ الكُفَّار للمَعَادِ، ثمَّ يردُّ عَلَيهم مُثْبِتًا للمَعَادِ، ومُؤَكِّدًا له بالقَسَم وغَيْره من المُؤكِّداتِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن:٧].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ

=
شرك التحكيم؟

فالجواب:

أولًا: أنَّ هذا خلاف طريقة الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- فقد تقدم لنا أنه ما من نبيٍّ يبعث إلىٰ قومه إلا ويدعو قومه أول ما يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده.

ثانيًا: أنَّه ما من نبيٍّ يبعث إلىٰ قوم إلا وعند قومه من العادات والأعراف التي يتحاكمون إليها، ويرضون بحكمها، ويسيرون أمورهم عليها، ولم يؤمر أحد من الرسل أن يزيل تلك الأعراف ويترك الأوثان التي يعبدونها من دون الله؛ بل أمروا بالدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان والأنداد؛ سواء كانت قبورًا، أو أصنامًا، أو أشخاصًا، أو غير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤﴾ [الأنبياء:٥٢- ٥٤]، وقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص:٤، ٥].

ثالثًا: أنَّ تحكيم القوانين، والأعراف، والعوائد هي نوعٌ واحدٌ من أنواع الشرك، ولم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بأن تخصص الدعوة والإنكار لهذا النوع دون غيره من أنواع الشرك بالله التي هي أشد خطرًا منه، وأكثر شيوعًا منه.

وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [سبأ:٣، ٤].

وتارةً بِبيانِ القُدْرةِ عَلَىٰ ما هُوَ أَعْظمُ؛ كقولِهِ تَعالَىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر:٥٧-٥٩].

وتارةً بالتَّنبيهِ عَلَىٰ الخَلْقِ الأوَّل، وأنَّه أَصْعبُ من الإِعَادةِ؛ كقولِهِ تَعالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٧-٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة:٣، ٤].

وتارةً يُنبِّه اللهُ عَلَيه بِإِحْياءِ الأَرْضِ بَعْد مَوْتِها المُشَاهدِ للنَّاسِ في كلِّ مكانٍ، وفي كلِّ زمانٍ؛ كما قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت:٣٩].

وكقولِهِ تَعالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ

إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

إلىٰ غَيْر ذَلِكَ من الأَسَالِيبِ الَّتي أثبتَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها البَعْثَ بَعْد الموتِ، وردَّ عَلَىٰ المُنْكِرينَ لَه، بل وتَحدَّاهم أن يَكُونُوا أصعبَ شيءٍ وأَصْلبه، فقَالَ: ﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء:٥٠-٥٢].

□ **أما الأساس الثالث**، وهُوَ الإيمانُ بالرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، وتكْفير مَنْ أَنْكَرها، وإِقَامَة الحُجَجِ عَلَيهم، ففِي القُرْآنِ عامَّة، وفِي السُّور المَكيَّةِ خاصَّةً من ذَلِكَ الشَّيء الكَثِير، ودائمًا يُقْرنُ اللهُ الإيمانَ برَسُولِهِ بالإيمانِ به تَعَالىٰ، ويُرتِّب عَلَىٰ ذَلِكَ النَّجاةَ من النَّارِ، والفوزَ بالجنَّةِ، وحتَّىٰ الإيمان إذا أُطْلِقَ في بَعْض المَوَاضِع فإنَّما يُرادُ به الإيمانُ بالله ورَسُولِهِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:١، ٢] الآيات.

ولقَدْ جاءَ إِثْباتُ الرِّسالاتِ فِي القرآنِ الكَرِيمِ بأَسَاليبَ مُتعدِّدةٍ، وطُرُقٍ مُتنوِّعةٍ، فتارةً بتَرْتيبِ الفَوْزِ عَلَىٰ طاعةِ الله وطاعةِ رَسُولِهِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

وكقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

وتارةً بالإِخْبارِ عَمَّن أَطاعَ اللهَ وأطاعَ رَسُولَه أَنَّهم مع أَحْسنِ رفيقٍ؛ كقولِهِ

تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[النساء:٦٩].

وتارةً بالإِخْبارِ بأنَّ طاعةَ الله ورَسُولِهِ مُوجِبةٌ لدُخُولِ الجنَّةِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[الفتح:١٧].

وتارةً بالأَمْرِ بالإيمانِ بالله ورَسُولِهِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النساء:١٣٦].

وتارةً بالاسْتِجابَةِ لدَعْوتهما؛ لأنَّ اللهَ ورَسُولَه لا يَدْعوانِ إلَّا إلَىٰ ما فِيهِ حَيَاة المُؤْمِنينَ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤].

وتارةً بالإِخْبارِ أنَّ اتِّباعَه هو المُوجِبُ لمحبَّةِ الله؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١].

وتارةً بالإِخْبارِ أنَّ المَنازِلَ العَاليةَ في الجنَّةِ لمَنْ آمَنُوا بالله وصَدَّقوا المُرْسَلينَ، فَفِي «الصَّحيحينِ» أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ لَيَتَراءونَ أَصْحابَ الغُرَفِ في الجنَّةِ كَما تَتراءَونَ الكَوْكبَ الدُّريَّ الغابرَ في الأُفُقِ الشَّرقيِّ أو الغربيِّ**»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، تِلْكَ مَنازِل الأَنْبياءِ لَا يَنالُها غَيْرهُمْ، فقَالَ: «**بَلَىٰ والَّذي نَفْسِي بيدِهِ، رجالٌ آمَنُوا باللهِ، وصَدَّقوا المُرْسَلينَ**».

وتارةً بالإِخْبارِ أنَّ مَعْصيةَ اللهِ والرَّسُولِ مُوجِبةٌ للنَّارِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾[النساء:١٤].

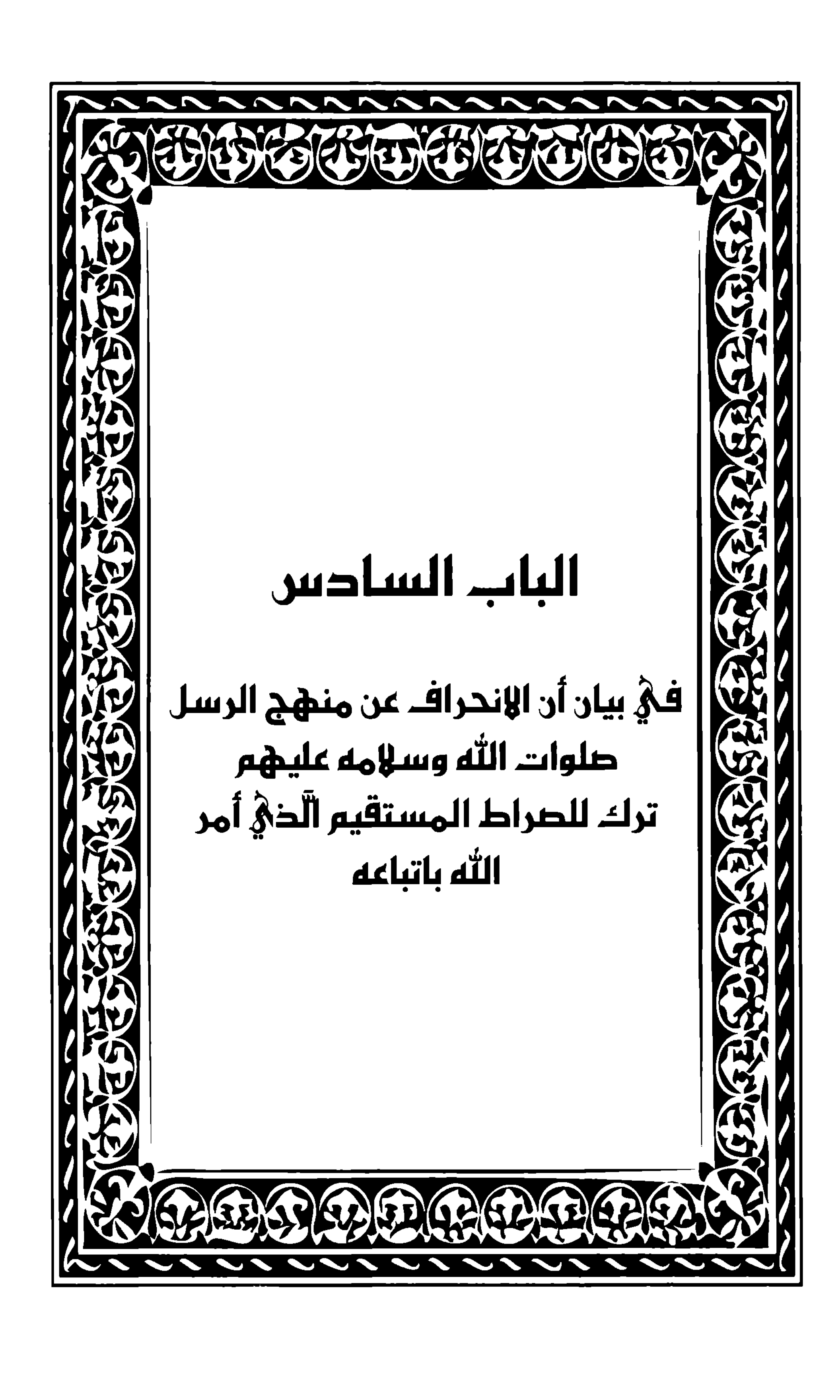
وتارةً بالإخْبارِ أنَّ سببَ إهْلاكِ الأُمَم: عِصْيانُهم لرُسُلِهم، وعَداوَتُهم لَهم؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

وقال عَنْ فِرْعونَ: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٣، ١٠٤].

وقَالَ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ [غافر: ٥].

بَلْ قَدْ جَعَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ عَصَىٰ رَسُولًا واحدًا كمَنْ عَصَىٰ جميعَ الرُّسُل، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠].

❀❀❀



الباب السادس

في بيان أن الانحراف عن منهج الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ترك للصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه

الباب السادس
في بيان أن الانحراف عن منهج الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- ترك للصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه مُحمَّدًا رحمةً للعَالَمِين، ومَنارًا للقَاصِدينَ، وأُسْوةً للمُهْتَدِينَ، وكَلَّفَ عِبادَه جميعًا باتِّباعِهِ والاهتداءِ بهَدْيِهِ، والتَّأسِّي بطريقتِهِ، ومُتَابعةِ سُنَّته، فقالَ عزَّ من قائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٦، ١٥٧].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

وقَالَ تعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء:٥٩].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنفال:٢٠].

وفي الدَّعوة خاصَّةً أَمرَ الله باتِّباعِهِ؛ فقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[يوسف:١٠٨].

ولقَدْ أمرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن نَتأسَّىٰ برَسُولِهِ الكريم ﷺ، فقال جلَّ من قائل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ ﴾[الأحزاب:٢١].

كَما أَمَرنا وإِيَّاه أن نَتأسَّىٰ بإِبْراهِيم والَّذين مَعَه في البَراءةِ مِنَ المُشْركينَ وإِعْلان العَدَاوة لَهُمْ، وإِنْ كَانُوا أقرباء في النَّسَبِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة:٤].

ولمَّا ذَكَر عَزَّوَجَلَّ الأَنْبياءَ في سورة الأنعام، وعَدَدهم سَبعَةَ عَشَر نبيًّا، قالَ في خَاتمةِ ذَلِكَ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[الأنعام:٩٠].

ومن هَذِهِ النُّصُوصِ يَتبيَّن أنَّ اللهَ أَمَرنا أمرًا إلزاميًّا باتِّباع نَبيِّه في كلِّ شيءٍ في دَعْوتِنا، وفي عِبادتِنا، وفي مُعَاملتِنا، وفي أَخْلاقِنا، وفي لِبَاسِنا وأَكْلِنا وشُرْبِنا ونَوْمِنا ويَقَظتِنا، وفي كَسْبِ المالِ وتَنْميتِهِ وإِنْفَاقِهِ، بل في كلِّ شيءٍ.

وإنَّ الدَّعوةَ إِلَىٰ الله هِيَ أهمُّ شيءٍ في هَذَا الدِّين، وأَعْظمُ شيءٍ يجبُ أَنْ نَتأسَّىٰ بالنَّبيِّ ﷺ فِيهِ، فنَبْدَأ كما بَدَأ، ونُؤسِّس كما أَسَّس، ونهتمُّ أوَّلًا بالأَصْل

الَّذي اهْتَمَّ به أوَّلًا، واهتمَّ به كلُّ نبيٍّ بُعِثَ إِلَىٰ أُمَّةٍ يَدْعوهم إِلَىٰ الله، وهُوَ الأمرُ بالتَّوْحيدِ والتَّحْذيرِ من الشِّرْكِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقَدْ وَضَّحتُ ذَلِكَ أعظمَ تَوْضيحٍ في بَيانِ مَنْهجِ الرُّسُلِ في الدَّعوةِ إِلَىٰ الله، صَلَواتُ ربِّي وسلامُهُ عَلَيهم[1]، فمَنْ تَهَاونَ في الأصلِ الَّذي اهْتمُّوا به، وغضَّ الطَّرْفَ عن الشِّركِ الَّذي بَدَؤوا بهَدْمِهِ، بل حَاضَرَ في بَعْض أَوْكارِهِ، ولم ينبس ببنت شفةٍ في إنكارِهِ، وكان همُّهُ جَمْعَ مَنْ تَسمَّىٰ بالإِسْلامِ، ولو كانَ بعيدًا كلَّ البُعْدِ عَنْ حقيقته، ولو تَعاطَىٰ ما يَهْدمه من أَسَاسِهِ، ويُقوِّض بُنْيانَه من قَاعدتِهِ؛ كالشِّركِ الأكبرِ الَّذي يُخْرِجُ العبدَ من الإسْلامِ، ويُحتِّم عليه الخُلُودَ في النَّارِ، ويُحرِّم عَلَيه دُخُولَ الجنَّةِ من غَيْر تصحيحٍ لعَقَائِدهم، ولا بيانٍ لما هُمْ عَلَيه من الشِّركِ الأَكْبر والبِدَعِ والضَّلالاتِ، فَقَدِ انْحَرَفَ عن الصِّراطِ المُسْتقِيم الَّذي أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ باتِّباعِهِ حَيْث يَقُولُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

وإنَّ الَّذي سَارَ عَلَيه رَسُولُ الله ﷺ في دعوتِهِ حَيْث مَكَث عقدًا من الزَّمَن لا يأمر إلَّا بالتَّوحيدِ، ولا يَنْهىٰ إلَّا عن الشِّركِ، شأنُهُ شأنَ الأَنْبياءِ قَبْله الَّذين أَخْبر اللهُ عَنْهم جميعًا أنَّهم كُلِّفوا أوَّلَ ما كُلِّفوا بهذا الأَصْلِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

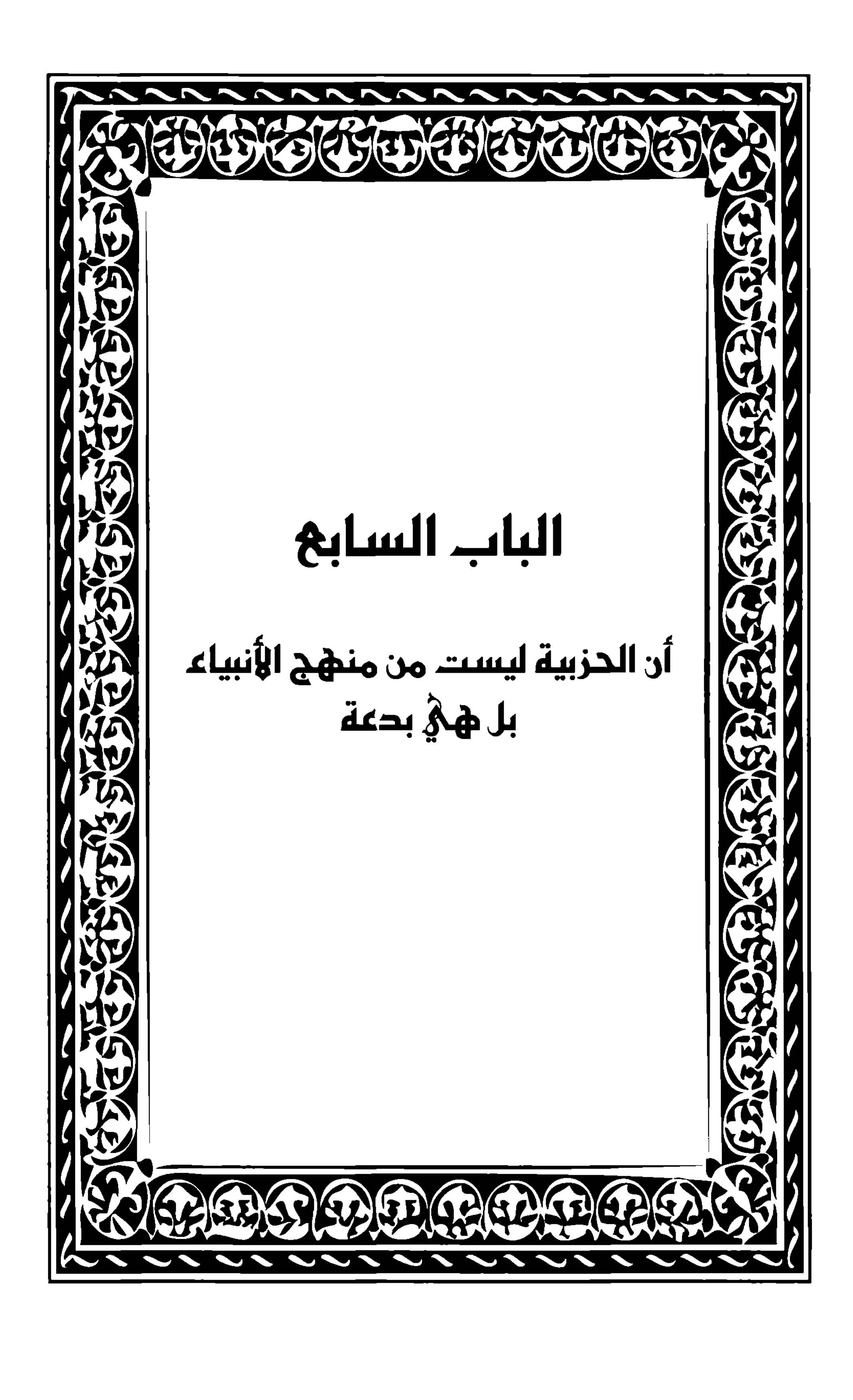
(١) انظر (ص ٨٥).

وأخبرَ أنَّ هَذَا الأصلَ هو الصِّراطُ المُسْتقيمُ، فأخبرَ عَنْ عِيسَىٰ أنَّه قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾ [الزخرف:٦٤].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم:٣٦، الزخرف:٦٤].

فمَنْ تركَ هَذَا المَنْهجَ الوَاضِحَ الَّذي سَارَ عَلَيه جَمِيعُ الأَنْبياءِ في دَعْوتِهم، فَقَدْ تَركَ الصِّراطَ المُسْتقِيمَ، واتَّخذَ لنفسِهِ مَنْهجًا مستقلًّا، وكَانَتْ دعوتُهُ مَثَلها كمَثَل رجلٍ بَنَىٰ بيتًا بدُونِ أساسٍ، وعَنَىٰ فيه بالمُحسِّناتِ والزَّخارفِ، فلَمْ يَلْبَثْ أنِ انْهارَ.

وإنَّ التَّوْحيدَ هُوَ القَاعِدةُ الأَسَاسيَّة الَّتي لا يَقُومُ الدِّينُ بدُونِها، قالَ تَعَالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم:٢٤، ٢٥]، وهَذَا مَثَلٌ لكَلِمَةِ التَّوحيدِ: «لا إِلَه إلَّا اللهُ».



الباب السابع

أن الحزبية ليست من منهج الأنبياء
بل هي بدعة

الباب السابع
أن الحزبية ليست من منهج الأنبياء، بل هي بدعة

لقَدْ بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ والجزيرةُ العربيَّةُ تموجُ بالقَوْميَّاتِ والعَصَبيَّاتِ، فكلُّ قبيلةٍ تُقدِّم وَلَاءَهَا، وتَحْصرُ انْتِماءَها، وتخصُّ بنُصْرتِها أفرادَ تِلْكَ القَبِيلةِ، حتَّىٰ قالَ قَائِلُهمْ:

وهَــلْ أنــا إلَّا مــن غُزيَّــة إنْ غَــوَتْ
غَوَيْــتُ وَإنْ تَرْشُــد غُزَيَّــة أَرْشُــدُ

يُؤيِّد بَعْضُهم بعضًا عَلَىٰ ما يُريدُ؛ سواء كان حقًّا أو باطلًا، ويَنْصر بَعْضُهُمْ بعضًا فيما يَهْوَىٰ؛ سواء كان مُحقًّا أو مبطلًا.

فلمَّا جَاءَ الإسْلامُ، أَمَر بالوَحْدةِ والالْتِئام، ومَنَع التَّفرُّقَ والانْقِسَامَ؛ لأنَّ التَّفرُّقَ والانقسامَ يُؤدِّي إِلَىٰ التَّصدُّعِ والانْفِصَامِ، لذَلِكَ فهو يرفضُ التَّحزُّبَ وَالانْشِطَارَ في قَلْبِ الأُمَّةِ المُحمَّديَّة الواحدة الَّتي تَدِينُ لربِّها بالوحدانيَّة، ولنَبيِّها بالمُتابَعةِ شَأْنها شأن الأُمَم المَاضِيَة في الرِّسالاتِ السَّابقةِ، فَقَدِ اتَّفقَتِ الرِّسالاتُ السَّابقةُ جميعًا عَلَىٰ تَوْحيدِ الله الَّذي خَلَق هَذَا الكونَ، وهُوَ المَالِكُ له، والمُتصرِّفُ فِيهِ، وعلىٰ الدَّعْوةِ إِلَىٰ وَحْدة الأُمَّةِ في عَقِيدتِها وعِبَادتِها ومَنْهجها ووحدة المَصْدر الَّذي تَتلقَّىٰ عَنْه، وهو الرَّسُولُ الَّذي تَتبعُهُ.

والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قولُ الله جلَّ وعَلَا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[الشورى:١٣-١٥].

أي: إِلَىٰ تَوْحيدِ الله ووَحْدة الأُمَّةِ ﴿فَٱدۡعُ﴾ فهُوَ الدِّينُ الحقُّ الَّذي شَرَعه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لصَفْوةِ الصَّفوةِ، وهُمْ أُولُو العَزْم من الرُّسُلِ: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وما أَوْحَينا إِلَيك يا مُحمَّد، صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعين.

قال ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في شَرْح هَذِهِ الآياتِ من سُورَة الشُّورىٰ:

«يَقُولُ تَعَالىٰ لهذِهِ الأُمَّةِ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[الشورى:١٣]، فذَكَر أَوَّل الرُّسُل بَعْد آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآخرهم مُحمَّدٌ ﷺ، ثمَّ ذَكَر بَيْن ذَلِكَ مَنْ بَقِيَ من أُولي العَزْم، وهُمْ: إبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ ابن مريم صلَّىٰ الله عَلَيهم وسلَّم، وهذِهِ الآيَةُ انْتظَمَتْ ذِكْر الخَمْسة، كما اشْتملَتْ عَلَيهم في آيَةِ الأَحْزاب في قولِهِ تبارَك وتَعَالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾[الأحزاب:٧].

والدِّينُ الَّذي جاءَتْ به الرُّسُلُ كلُّهم هو عبادةُ الله وَحْده لا شريكَ لَه؛ كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «نَحْنُ مَعَاشِر الأَنْبياءِ أَوْلادُ عَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ»[١]، أي: القَدْر المُشْترِكُ بَيْنهم هُوَ عبادةُ الله وَحْده لا شَرِيكَ لَه، وإنِ اخْتلَفَتْ شَرَائِعُهمْ ومَنَاهِجهم؛ كقولِهِ جلَّ جَلالُهُ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة:٤٨].

ولهذَا قَالَ هَاهُنا: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورىٰ:١٣]، أي: وَصَّىٰ جَمِيعَ الأَنْبياءِ -عليهم الصَّلاة والسَّلام- بِالائْتِلافِ والجَماعَةِ، ونَهاهُمْ عَنْ الافْتِراقِ والاخْتِلافِ».اهـ[٢].

وقالَ الشَّيخُ عبد الرَّحمن بن سعدي في تَفْسير هَذِهِ الآية: «﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ أي: آمُرُكُمْ أَنْ تُقِيمُوا شرائعَ الدِّين؛ أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ، تُقِيمونَه بأَنْفسِكُمْ، وتَجْتهدُونَ فِي إقامتِهِ عَلَىٰ غَيْرِكم، وتَتعاوَنُونَ عَلَىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، وَلَا تَعاوَنوا عَلَىٰ الإِثْمِ والعُدْوانِ.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّات؛ أُمَّهاتُهم شَتَّىٰ، ودينُهم واحدٌ». أَوْلَادُ العَلَّات: الذين أمَّهاتُهم مُخْتَلفةٌ، وأبوهم واحِدٌ. والمعنىٰ: أنَّ دينهم واحد، والمراد به: أُصُول التوحيد، وأُصُول طاعة الله تعالىٰ، ولكن شرائِعَهُم مُخْتَلِفة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٩٥).

﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: ليَحْصل مِنكم الاتِّفاقُ عَلَىٰ أُصُولِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ، وَاحْرِصُوا عَلَىٰ أَلَّا تُفرِّقكم المَسَائِلُ وتُحزِّبكمْ أَحْزابًا وَشِيعًا، يُعَادي بَعْضكم بعضًا مَعَ اتِّفاقكم في أَصْلِ دِينِكُمْ».اهـ[1].

ومِنْ هَذَا تَعْلم أنَّ هَذين الأَصْلينِ اتَّفَقتْ عَلَيهما الشَّرائعُ، وأَمَر بِهما جميعُ الرُّسُلِ من لَدُنْ أوَّلهم نُوحٍ -عليه الصَّلاة والسَّلام- إِلَىٰ آخِرِهِمْ مُحمَّدٍ ﷺ، وهَذَانِ الأَصْلانِ هُما:

أوَّلًا: تَوْحيدُ الله ﷻ، وهُو إفرادُهُ بالعبادةِ دُونَ سِواهُ.

ثانيًا: الحرصُ عَلَىٰ وحدة الأُمَّة، وعَدَم التَّفرُّقِ في الدِّين بإِقَامةِ أَسْبابِ الائْتِلَافِ وتَرْكِ أَسْبابِ الاخْتِلافِ.

ولهَذَا فقدْ ذمَّ اللهُ ﷻ الفُرْقةَ في غَيْر ما آيةٍ من كتابهِ جلَّ وعَلَا، كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾[البينة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورىٰ:١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأنعام:١٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[المؤمنون:٥٢، ٥٣].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٧٥٤).

وقَدْ أَخْبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في الآيةِ الأُولَىٰ من هَاتَيْن الآيَتينِ أنَّ وحدةَ الأُمَّةِ مِنَ العَمَلِ الصَّالح الَّذي أَمَرتْ به الرُّسُلُ في الآيةِ الَّتي قَبْلها، حَيْث يَقُول تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾ [المؤمنون:٥١]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ [المؤمنون:٥٢].

□ **فيُستَفاد من الثَّلاث الآيات معًا:**

□ **أنَّ العَملَ الصَّالحَ الَّذي أمرَتْ به الرُّسُلُ جميعًا ينْبني علَى أَمْرينِ اثْنَيْنِ:**

❁ **أوَّلاً:** توحيدُ الإلَه.

❁ **وثانيًا:** وحدةُ الأُمَّةِ.

فأمَّا تَوْحيدُ الإلَهِ فحقيقتُهُ أن تُصرَفَ العبادةُ إلَىٰ الوَاحدِ الأَحدِ، خَالِق هَذَا الكونِ، والمُتصرِّف فيه.

وأمَّا وحدةُ الأُمَّةِ فحَقِيقتُهَا أن يُعْبدَ اللهُ بما شَرعَتِ الرُّسُلُ؛ عقيدةً وعبادةً، وأن تكونَ الأُمَّةُ كلُّها كذَلِكَ، ربُّها واحدٌ، ودينُها وعَقِيدتُها واحدةٌ، ونَبيُّها واحدٌ، وهُوَ الإمامُ الَّذي يَسِيرونَ عَلَىٰ شريعتِهِ، وهَدفُها واحدٌ، وهُوَ إعْلاءُ كَلمةِ الله في أَنْفُسِهِمْ، وفي غَيْرهم، وغَايتُها واحدةٌ، وهو الحُصُولُ عَلَىٰ رِضَا الله والجنَّةِ، والنَّجاة من سَخَطِهِ والنَّارِ.

ولكن الأُمَم فَعَلوا غَيْر ما أُمِرُوا به، فَتفرَّقوا قطعًا، وتَشتَّتوا شِيعًا، وكَانُوا أحزابًا مُتَعادِينَ، وفِرَقًا مُتَباغِضينَ، كلُّ حِزْبٍ يظنُّ أنَّه عَلَىٰ الحقِّ، وكلُّ مَنْ

سِوَاه عَلَىٰ البَاطِلِ، وكلُّ حِزْبٍ بما لَدَيهم فَرِحُونَ، ولا يَكُونُ الاخْتِلافُ مُوجِبًا للانْقِسَامِ والتَّفرُّقِ، ومُؤثِّرًا أثرًا سلبيًّا في وَحْدة الأُمَّة إلَّا إذَا كانَ في الأُصُولِ والعَقَائِدِ؛ كالتَّوْحيدِ بأقسامِهِ الثَّلاثة، فَمَنِ اعْتقَدَ جوازَ الاسْتِغَاثةِ بالمَخْلُوقينَ فيما لا يَقْدر عليه إلَّا اللهُ، أو تَغَاضَىٰ عَمَّنْ يَتطوَّف بالقُبُور، ويُقدِّم لها القَرَابين والنُّذُورَ، ويَهْتفُ بأَصْحابِها راغبًا إِلَيْهم في جَلْبِ الخير، ودَفْعِ الشُّرورِ، ويَرَىٰ أنَّه لم يَخْرج من الإِسْلامِ بفعلِهِ لهَذَا المَحْذُورِ؛ بل يُسمِّيه أخًا، ويجعلُهُ في دعوتِهِ عضوًا، فإنَّه قَدْ هَدَم تَوْحيدَ الأُلُوهيَّة بذَلِكَ.

ومَنْ تَأوَّل الصِّفاتِ بِمَا يُوجِبُ إِبْطالَ مَعْناها الحقيقيِّ الَّذي أرَادَه اللهُ في كتابِهِ، وأرادَه نَبيُّه المُبلِّغُ عنه، زَاعِمًا أنَّ ظَاهِرَها غير مرادٍ؛ لأنَّه يَلْزم مِنْه المُشَابَهة كالأشعريَّة، أو نَفَاها بالكُلِّيَّةِ كالجهميَّةِ والمُعْتزلةِ، أو زَعَم أنَّ القرآنَ لَيْس كلامَ الله، وأنَّه مخلوقٌ كسَائِر المَخْلوقَاتِ، وأنَّ اللهَ لا يَراه المُؤْمِنونَ في الآخِرَةِ؛ كَالمُعْتزلةِ.

ومَنْ زَعَم أنَّ العبدَ يخلقُ أَفْعالَه؛ كالقدريَّةِ النُّفاةِ، أو أنَّ العبدَ مُسيَّرٌ كالحَجَر الَّذي يُدَهْدَه، أو الغُصْنِ الَّذي تُحرِّكهُ الرِّياحُ؛ كالقدريَّةِ الغُلَاةِ في الإِثْباتِ لأَفْعالِ الله.

أو زَعَم أنَّ مُرْتكبَ الكَبِيرة كافرٌ مُخلَّدٌ في النَّار؛ كالخَوَارِج، أو لا مُؤمن ولا كافر، وهو في الآخِرة مُخلَّدٌ في النَّار؛ كالمُعْتزلةِ.

أو زَعَم أنَّ الإيمانَ لا يضرُّ مَعَه ذنبٌ، وأنَّه مُجرَّد التَّصديق، وإِنْ لم يَصْحبه نطقٌ ولا عملٌ كالمُرْجئةِ.

أو زَعَم أنَّ الطَّريقةَ الفلانيَّةَ، أو طريقةَ الشَّيخ فُلَانٍ قراءتها والْتِزامها أَفْضَل من قِرَاءةِ القُرْآنِ، أو أَفْضل من قراءةِ الحديثِ النَّبويِّ، وأنَّها هي الحقُّ، أو فَضَّل الطُّرُق الصُّوفيَّةَ أو بَعْضها عَلَىٰ العَقِيدةِ السَّلفيَّةِ.

أو اعْتقَد أنَّ الأئمَّةَ الاثْنَي عشر مَعْصُومونَ من الخَطإِ، أو اعْتقَد كُفْرَ الصَّحابةِ؛ لأنَّهم قَدَّموا أبا بكرٍ وعُمرَ وعُثْمانَ عَلَىٰ عليٍّ في الخِلَافةِ، واسْتَحلَّ سبَّ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم؛ كالرَّافضة، فهذِهِ الاعْتِقَاداتُ ومَا شَابَهها عَلَىٰ ما بَيْنَها من التَّفَاوتِ هِيَ الَّتي فَرَّقتِ الأُمَّةَ، وهي الَّتي تُوجِب تَفْريقَها، ويَتناوَلها الذَّمُّ المُصرَّحُ به في القرآنِ.

أمَّا الاخْتِلافُ في الفُرُوعِ، فَلا يُوجِبُ تَفْريقًا، ولا يَترتَّبُ عَلَيه لومٌ من أحدٍ عَلَىٰ أحدٍ، ولا من جانبٍ عَلَىٰ جانبٍ، إذ قَدْ حَصَل مثلُهُ في زمن النَّبيِّ ﷺ، فلَمْ يُوجِب لَوْمًا ولا تَعْنيفًا من أحدٍ عَلَىٰ أحدٍ.

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزابِ: «**لَا يُصلينَّ أحدٌ العصرَ إلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فأدركَ بعضُهُم العصرَ في الطَّريقِ، فقالَ بَعْضُهُم: لا نُصلِّي حتَّىٰ نَأْتِيهم، وقالَ بعضُهُم: بل نُصلِّي، لم يُرَدْ منَّا ذَلِكَ، فَذكر ذَلِكَ للنَّبيِّ ﷺ، فلم يُعنِّفْ واحدًا مِنْهم[1].

وَفِي «صحيح البخاريِّ» أيضًا أنَّ مُحمَّدَ بن أبي بكرٍ سأَلَ أنسَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه وهُمَا غَادِيَانِ من مِنَىٰ إِلَىٰ عَرفَةَ: كَيْف كُنْتم تَصْنَعونَ في هَذَا اليَوْم مَعَ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

رَسُول الله ﷺ؟ فقالَ: كانَ يهلُّ منَّا المُهِلُّ، فلا يُنكَرُ عَلَيه، ويُكبِّر مِنَّا المُكبِّرُ، فَلَا يُنكَرُ عَلَيه[١].

وقَدِ اخْتلَفَ أصحابُ رَسُول الله ﷺ في مَسَائِلَ من الفُرُوعِ، فلم يُعنِّفْ أحدٌ مِنْهم أحدًا، ولا أَوْجبَ ذَلِكَ لومًا ولا هجرانًا ولا تَفْرقةً، ثمَّ إنَّ من طَبِيعة البَشَر أَنْ يَختلفُوا فِيمَا سبيلُهُ الاجْتِهادُ مِنَ الأَحْكامِ الفَرعيَّة نظرًا لاخْتِلافِ العُقُولِ والاسْتِعْداداتِ الفِطْرِيَّةِ، فمِنْ أجلِ ذَلِكَ رُفِع اللَّومُ فيه.

أمَّا إذا مُسَّ الدِّينُ، واسْتُهِينَ بالعَقِيدةِ، فإنَّهم يَغْضبون كأشدِّ ما يكونُ الغضبُ حتَّىٰ ولَوْ كان عَلَىٰ أقْربِ النَّاسِ إِلَيهم، فَقَدْ صحَّ عن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما أنَّه لمَّا حَدَّث بقولِ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَأْذنَتْ أَحَدَكُمْ امرأَتُهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ فَلْيأْذَنْ لَها، لَا تَمْنَعوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله**»، فقالَ بلالٌ: واللهِ، لنَمْنَعهنَّ، إذًا يَتَّخذنَه دَغلًا[٢]، قال: فسبَّه سبًّا لم أَسْمَعه سَبَّه مِثْله، وقالَ: أُحدِّثك عَنْ رَسُولِ الله، وتَقُولُ: واللهِ لنَمْنَعهنَّ[٣].

وقالَ في «الفتح»: «وَقَع في رِوَايةِ ابْنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ عند أحمد: فَمَا كَلَّمه عبدُ الله حتَّىٰ ماتَ»[٤].

وفي «مُسْند الإمامِ أَحْمد» أنَّ أبا بكرة رضي الله عنه قالَ: نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٥٩).
(٢) الدغل: هو الفساد، والخلل، والخداع، والريبة.
(٣) أخرجه مسلم (٤٤٢).
(٤) «فتح الباري» (٢/ ٣٤٩).

الخَذْف، فأَخَذ ابْنُ عمٍّ له، فقالَ عن هَذَا، وخَذَف، فقالَ: ألا أراني أُحدِّثك عن رَسُولِ الله نَهَىٰ عَنْه وأنتَ تَخْذفُ، واللهِ، لا أُكلِّمكَ عزمةً ما عِشْتُ، أو بَقِيتُ، أو نَحْو هذا[1].

ووَقَع لعبد الله بن مُغفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع قريبٍ له في الخَذْفِ مِثْل ذَلِكَ، وهُوَ في «المسند»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٦) (٢٠٤٨١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٥٥) (٢٠٥٧٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٦٨٧٧).

فصل
في الأدلة من السنة على منع الاختلاف وذمه

عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا نَهيتُكُمْ عَنْه فَاجْتنبُوهُ، ومَا أَمرتُكُمْ به فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطعتُمْ، فإِنَّما أَهْلك مَنْ كَانَ قَبْلكم كَثْرةُ مَسَائِلِهمْ، واخْتِلافِهم عَلَىٰ أَنْبيائِهِمْ**»(١).

قَالَ الحافظُ ابْنُ رَجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هذَا الحديثُ بِهذَا اللَّفظِ خرَّجه مسلمٌ وَحْده من رِوَايةِ الزُّهريِّ، عن سَعِيد بن المسيب، وأَبِي سَلَمة بن عبد الرَّحمن، عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخرَّجاه من رواية أبي الزِّنادِ عن الأَعْرجِ، عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**دَعُوني مَا تَركْتُكُمْ، إنَّما أَهْلكَ مَنْ كانَ قَبْلكم سُؤالهم وَاخْتِلافهُمْ عَلَىٰ أَنْبيائِهِمْ، فإذا نَهيتُكُم عن شيءٍ فَاجْتنبُوهُ، وإِذَا أمرتُكُم بأَمْرٍ فأْتُوا مِنْه مَا اسْتَطعتُمْ**»(٢).

والشَّاهدُ مِنْه: النَّهيُ عن الاخْتِلافِ، وهنا يُعْتبر نهيًا شرعيًّا يُعارِضُه مَا أَخْبرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْه من وُقُوعِ الاخْتِلافِ قَدَرًا؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود:١١٨، ١١٩].

(١) أخرجه البخاري بنحوه (٧٢٨٨)، ومسلم بهذا اللفظ (١٣٣٧).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٨٩).

وقوله ﷺ: «افْترقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدىٰ وسَبْعينَ فِرْقةً، وَافْترقَتِ النَّصارىٰ عَلَىٰ اثْنتَينِ وسَبْعينَ فِرْقةً، وستَفْترقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثلاثٍ وسَبْعينَ فِرْقةً، كلُّها فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدةً» قَالُوا: مَنْ هُمْ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هُمُ الَّذين عَلَىٰ مِثْلِ ما أَنَا عَلَيه وأَصْحابِي»[1]، فَفِي هَذِهِ الآيةِ والحديثِ إخبارٌ عن الاخْتِلَافِ الكَونيِّ القَدَريِّ.

ومِنَ التَّحْذيرِ مِنْ الاخْتِلافِ حديثُ العِرْباضِ بن سَارِية رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظنا رَسُولُ الله مَوْعظةً وَجِلَتْ مِنْها القُلُوبُ، وذَرفَتْ مِنْها العُيُونُ، فقُلْنا: يا رَسُولَ الله، كأَنَّها مَوْعظةُ مُودِّعٍ، فأَوْصِنا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بتَقْوىٰ الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيكم عبدٌ، فإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكم فسَيَرىٰ اخْتِلافًا كثيرًا، فعَلَيْكم بسُنَّتي...»، إلخ[2].

وفِي الحَديثِ أيضًا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لتَتبعنَّ مَنْ كَانَ قَبْلكم شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ حتَّىٰ لو دَخَلوا جُحْرَ ضبٍّ لدَخَلْتمُوهُ»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، اليَهود والنَّصَارَىٰ؟ قالَ: «فمَنْ»[3].

ورَوَىٰ مسلمٌ فِي «صحيحِهِ» عن جندب بن عبد الله البجلي، قَالَ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ ما ائْتلفَتْ عَلَيه قُلُوبُكمْ، فإِذَا اخْتلَفتُمْ فِيهِ فقُومُوا»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الألبانيُّ في «صلاة العيدين» (١/ ٤٦): إسنادها حسن لغيره.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٧).

وعَنْ عَبْد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: هَجَّرتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ يومًا، فسَمِعَ أَصْواتَ رَجُلينِ اخْتلَفا في آيةٍ، فخَرَج عَلَينا رَسُولُ الله ﷺ يُعْرَف في وَجْهِه الغَضَبُ، فقَالَ: «**إِنَّما هَلَكَ مَنْ قَبْلكم بِاخْتِلافِهِمْ في الكِتَابِ**»[١].

وفي «صحيح مسلم» من حَدِيثِ سُهَيل بن أبي صالحٍ، عن أَبِيه، عن أَبِي هُرَيرة أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثلاثًا، ويَسْخط لَكُم ثلاثًا، يَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدوه ولا تُشْرِكوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتصمُوا بحَبْل الله جميعًا ولا تَفرَّقوا، وأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاه اللهُ أَمْرَكم، ويَسْخط لَكُمْ ثلاثًا: قِيلَ وقَالَ، وكَثْرة السُّؤالِ، وإِضَاعة المَالِ**»[٢].

وأَوْردَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسير قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] قال: «أَمرَهُمْ بالجَماعَةِ، ونَهاهُمْ عن الفُرْقةِ»[٣].

ورَوَىٰ أحمدُ والتِّرمذيُّ عن الحَارثِ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**آمُرُكُمْ بخَمْسٍ: بالجَماعَةِ، والسَّمْعِ والطَّاعةِ، والجِهَادِ في سَبِيلِ الله، وأنَّه مَنْ خَرجَ من الجماعةِ قِيدَ شِبْرٍ، فقَدْ خَلَع رِبْقَةَ الإِسْلامِ من عُنُقِهِ، إلَّا أَنْ يراجعَ، ومَنْ دَعَا بدَعْوىٰ الجَاهِلِيَّةِ فهُو من جُثَا جهنَّم،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٩).

وإِنْ صامَ وصلَّىٰ وزَعَم أنَّه مُسْلمٌ»(١).

ورَوَىٰ التِّرمذيُّ، وأبو دَاود، والإمامُ أحمد، وابْنُ حِبَّانَ في «صحيحه» قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«ألَا أُخبركُمْ بأَفضلَ مِنْ دَرجةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدقةِ؟»** قَالُوا: بَلَىٰ. قالَ: **«إِصْلاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فإنَّ فَسادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقةُ»**(٢).

ورَوَىٰ البخاريُّ في «الأدب المفرد» عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ، لا تَدْخُلوا الجنَّةَ حتَّىٰ تُسْلِمُوا، ولَا تُسْلِمُوا حتَّىٰ تَحابُّوا، أَفْشُوا السَّلامَ تَحابُّوا، وإيَّاكم والبغضة، فإنَّها هِيَ الحَالِقةُ، لا أَقُولُ تَحْلقُ الشَّعر، ولكِنْ تَحْلق الدِّينَ»**(٣).

وعَنْ مُعاوية رضي الله عنه مَرْفوعًا: **«ألا إنَّ مَنْ قَبْلكم من أَهْلِ الكِتَابِ افْترَقُوا عَلَىٰ اثْنَتينِ وسَبْعينِ مِلَّةً، وإنَّ هَذِهِ المِلَّةَ ستَفْترقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وسَبْعين مِلَّةً، ثِنْتانِ وسَبْعونَ في النَّارِ، وواحدةٌ في الجنَّةِ، وَهِيَ الجماعةُ، وإنَّه سيَخْرج من**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٢) (١٧٨٣٣)، والترمذي (٢٨٦٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٢٦٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٩)، وأبو داود (٤٩١٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٤) (٢٧٥٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» (٥٠٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٠)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ١١٨).

أُمَّتي أَقْوامٌ تَجارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الأَهْواءُ كَما يَتجَارَىٰ الكَلَبُ بصاحِبِهِ[١]**، لا يَبْقَىٰ منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلَّا دَخَله»**[٢].

ورَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ مِثْلَ حَدِيث مُعَاوية (حَدِيث أَبِي هُريرةَ في الافْتِراقِ): «**افْترقَتِ اليَهُودُ إِلَىٰ اثْنتَينِ وسَبْعينَ فِرْقةً...**»، إلخ[٣].

ورَوَاهُ الحاكمُ، وقالَ: «صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط مُسْلمٍ، ولم يُخرِّجاهُ، ووَافَقه الذَّهبيُّ»[٤].

قالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحةِ»: «قلتُ: وَفِيه نظرٌ، فإنَّ مُحمَّد بن عمرٍو لم يحتجَّ به مسلمٌ، وإنَّما رَوَىٰ له مُتَابعةً، وهو حَسَنُ الحديثِ، أَمَّا قولُ الكَوثريِّ عن مُحمَّد بن عمرٍو: إنَّه لا يحتجُّ به إذا لم يتابع، فهُوَ من مُغَالطاتِهِ»[٥].

قالَ في «عَوْن المَعْبود»: «قال شَيْخُنا: أَلَّفَ الإمامُ أبو مَنْصور عبد القَاهِر ابن طَاهِر التَّميمي في شَرْح هَذَا الحديثِ كتابًا، قالَ فيه: قَدْ عَلِمَ أَصْحابُ

---

(١) أي: يَتواقَعُون في الأهواء الفاسدة، ويَتَدَاعَوْن فيها؛ تَشْبِيهًا بِجَرْي الفَرس. **والكَلَبُ** بالتحريك: داء معروف يعْرض للكَلْب؛ فَمن عَضَّه قَتَله. انظر «النهاية في غريب الحديث الأثر» مادة (جرا).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢) (١٦٩٧٩)، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١): «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجة (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجة» (٣٩٩١).

(٤) «مستدرك الحاكم» (١/ ٢١٧).

(٥) «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤).

المَقالَاتِ أنَّه ﷺ لم يُرِدْ بالفِرَقِ المَذْمُومةِ المُخْتلِفِينَ في فُرُوعِ الفِقْهِ من أَبْوابِ الحَلالِ والحَرامِ، وإنَّما قَصَد بالذَّمِّ مَنْ خَالَف أهلَ الحقِّ في أُصُولِ التَّوحيدِ، وفي تَقْرير الخير والشَّرِّ، وفي شُرُوطِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ، وفي مُوَالاةِ الصَّحابةِ ومَا جَرَىٰ مَجْرىٰ هَذِهِ الأَبْوابِ»[1].

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٢/ ٢٢٢).

فصل
الحزبية بدعة، وذم السلف الصالح للبدع

ومِمَّا سَبَق نعلمُ أنَّ الحزبيَّةَ بِدْعةٌ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سَاقَها مَسَاقَ الذَّمِّ في مَوَاضعَ كثيرةٍ من كتابِهِ، ونَهَىٰ عَنْها رَسُولُ الله ﷺ، وحَذَّر مِنْها في أَحَادِيث كَثِيرةٍ، مِنْها ما كُتِبَ هنا، ومنها ما لم يُكْتَبْ، وما تَوارَد عليه كتابُ ربِّنا وسُنَّةِ نَبيِّنا من ذَمِّ التَّفرُّقِ والحِزْبيَّةِ هو ما جَرَىٰ عليه سَلفُنا الصَّالحُ من الصَّحابةِ والتَّابعين ومَنْ بَعْدهم من أئمَّةِ الدِّينِ، وإِلَىٰ القَارِئ نبذة عَنْهم:

فهَذَا أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقُولُ:** «إنَّما أَنَا مثلكم، وإنِّي لا أَدْري لَعلَّكم ستُكلِّفوني ما كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُطِيقُهُ، إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مُحمَّدًا عَلَىٰ العَالَمين، وعَصَمَه من الآفَاتِ، فإنِ اسْتَقمتُ فتَابِعُوني، وإنْ زغتُ فَقوِّمُوني»(١).

وهذَا عبدُ الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقُولُ:** «اتَّبعوا ولا تَبْتدعوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ»(٢).

وهَذَا عَبْد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **يقُولُ:** «كلُّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وإنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنةً»(٣).

وقالَ عَبْد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أيضًا،** للقَوْمِ الَّذين أتىٰ عَلَيهم في المَسْجِدِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ١٤٨٣).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٧٤).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٠٥).

وقَدْ تَحلَّقوا، ومَعَهم حَصَىٰ يَعدُّون به التَّسبيحَ والتَّكبيرَ والتَّهليلَ، قالَ لَهُمْ: «عدُّوا سَيِّئاتكم، فأنَا ضامنٌ ألَّا يَضِيعَ من حَسَناتِكُمْ شيءٌ، وَيْحَكم يا أُمَّةَ مُحمَّدٍ، ما أسْرعَ هَلَكتَكُمْ، هَؤُلاءِ صَحَابةُ نَبيِّكم مُتَوافِرونَ، وهذِهِ ثِيابُهُ لم تَبْلَ، وآنيتُهُ لم تُكسَرْ، والَّذي نَفْسي بيدِهِ، إنَّكم لعَلَىٰ مِلَّةٍ أَهْدىٰ من مِلَّةِ مُحمَّدٍ، أو مُفْتتحُوا بابَ ضَلالةٍ»، قَالُوا: واللهِ يا أبا عبد الرَّحمن: ما أَرَدْنا إلَّا الخيرَ، قالَ: «وكَمْ من مُريدٍ للخَيْر لم يُصِبْهُ»[1].

وكَتَبَ عُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لعديٍّ بن أرطأة حِينَ كَتَب إِلَيه يَسْتشيرُهُ في بَعْضِ القدريَّة، فقالَ: «أمَّا بَعْد، فإنِّي أُوصِيك بتَقْوىٰ الله، والاقْتِصَادِ في أَمْره، واتِّباع سُنَّةِ نبيِّهِ، وتَرْك ما أحدثَ المُحْدِثون فيما قَدْ جَرتْ بِهِ سُنَّته، وكُفُوا مُؤْنَته؛ فعَلَيك بلُزُومِ السُّنَّةِ، فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ عَرَف ما في خِلَافِها من الخطإِ والزَّلَلِ والحُمْقِ والتَّعمُّقِ؛ فارضَ لنَفْسِك بما رَضِي به القومُ لأَنْفُسِهِمْ، فإنَّهم عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفوا، وببصرٍ نَافذٍ كُفُوا، وهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الأُمُورِ أَقْوىٰ، وبفَضْلٍ كَانُوا فيه أَحرىٰ، فلئن قلتم: أمرٌ حَدَث بَعْدهم ما أَحْدثَه بَعْدهم إلَّا مَنِ اتَّبَع غيرَ سُنَّتِهم، ورَغِبَ بنفسِهِ عَنْهم، إنَّهم لَهُمُ الأَسْبَقونَ، فَقَدْ تكلَّموا مِنْه بما يَكْفي، ووَصَفوا مِنْه ما يَشْفي»[2].

وعَنْ مُجاهدٍ في قولِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، قَال: «البدعُ والمُشْتبِهاتُ»[3].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٠٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٩) (١٤١٦٥).

وعَنْ عبد الرَّحمن بن مهدي، قال: «سُئِلَ مالك بن أنسٍ عن السُّنَّةِ، قالَ: هِيَ ما لا اسْمَ له غير السُّنَّةِ، وتَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣].

قالَ بَكْر بن العَلَاء يريد -إنْ شاء الله- حديثَ ابْنِ مَسْعودٍ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَّ له خطًّا، وذَكَر الحديثَ، فهَذَا التَّفْسيرُ يدلُّ عَلَىٰ شُمُولِ الآيةِ لجَمِيعِ طُرُقِ البِدَعِ، لا تختصُّ ببِدْعةٍ دُونَ أُخْرىٰ»[١].

وعَنِ الحَسَنِ قالَ: «خَرَج عَلَينا عثمانُ ﷺ يومًا يخطبُ، فقَطَعوا عَلَيه كَلامَه، فَترَامَوْا بالبطحاءِ حتَّىٰ جَعلْتُ ما أُبْصِر أديمَ السَّماءِ، قالَ: وَسَمِعْنا صوتًا من بَعْض حُجر أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، فقِيلَ: هَذَا صوتُ أُمِّ المُؤمِنينَ، قالَ: فسَمعتُهَا وَهِيَ تقولُ: قَدْ بَرِئَ رَسُولُ الله مِمَّنْ فرَّقَ دِينَه واحْتزَبَ، وتَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٥٩].

قالَ القَاضي إسماعيل ﷺ: أَحْسبه يَعْني بقولِهِ أُم المؤمنين: أُمَّ سَلَمة، وأنَّ ذَلِكَ قَدْ ذُكِرَ في بَعْض الحديثِ، وقَدْ كَانَتْ عائشةُ حَاجَّةً في ذَلِكَ الوقتِ.

قَالَ القَاضِي ﷺ: ظَاهِرُ القُرْآنِ يدلُّ عَلَىٰ أنَّ كلَّ مَن ابْتَدعَ في الدِّين بِدْعةً من الخَوارِجِ وغَيْرهم فهُوَ دَاخلٌ في هَذِهِ الآيةِ؛ لأنَّهم إذا ابْتَدعوا تَجَادلوا، وتَخاصَموا، وتَفرَّقوا، وكَانوا شيعًا»[٢].

---

(١) انظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٧٧، ٧٨).

(٢) انظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٨٠، ٨١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩/ ٣٢٥).

وخرَّج ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قالَ: «عَلَيكُمْ بالعِلْمِ، فإنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْري مَتَىٰ يَفْتقرُ إِلَىٰ ما عنده، وسَتَجدُونَ أَقْوامًا يَزْعمونَ أنَّهم يَدْعونَ إِلَىٰ كتابِ الله، وقَدْ نَبذُوه ورَاءَ ظُهُورِهم، فعَلَيكُمْ بالعِلْمِ، وإيَّاكُمْ والبِدَع والتَّنطُّع والتَّعمُّق، وعَلَيكم بالعَتِيقِ»[1].

والمُرَادُ بالعَتِيقِ: العِلْمُ الأوَّل الَّذي جاء عن النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ.

وعَنْه أيضًا: «القَصْدُ في السُّنَّةِ خيرٌ من الاجْتِهَادِ في البِدْعةِ»[2].

وعَنْ حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قالَ: «يا معشرَ القُرَّاءِ، اسْتَقِيموا، فَقَدْ سَبقتُمْ سبقًا بعيدًا، ولَئِنْ أخذتُمْ يَمِينًا وَشِمالًا، فقَدْ ضَللتُمْ ضلالًا بعيدًا»[3].

وعَنْه أيضًا: «أَخْوفُ مَا أَخافُ عَلَىٰ النَّاسِ اثْنَتَانِ: أَنْ يُؤْثِروا ما يَرَوْن عَلَىٰ مَا يَعْلمونَ، وأَنْ يَضلُّوا وهُمْ لَا يَشْعرونَ»، قالَ سُفيان: «وهو صاحبُ البِدْعةِ»[4].

وخرَّج ابْنُ وهبٍ عن أبي إِدْريسَ الخولانيِّ، أنَّه قالَ: «لأَنْ أَرَىٰ في المَسْجِدِ نارًا لا أَسْتطيعُ إِطْفاءَها، أحبُّ إليَّ من أنْ أَرَىٰ فيه بِدْعةً لا أَسْتطيعُ تَغْييرَها»[5].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٦٥)، وانظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٠١)، وانظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٤٨٠١)، وانظر «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٨٥٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٨)، وانظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٦).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢٤)، وانظر «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١١٢).

وعَنِ الفُضَيل بن عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّبِعْ طُرُقَ الهُدَىٰ، ولا يَضرُّك قلَّةُ السَّالكينَ، وإيَّاكَ وطريقَ الضَّلالةِ، ولا تَغْترَّ بكَثْرةِ الهَالِكِينَ»(١).

وعَنْ أَيُّوب السختيانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ازْدادَ صَاحِبُ بِدْعةٍ اجتهادًا إلَّا ازْدَادَ مِنَ الله بُعْدًا»(٢).

وعَنِ ابْنِ المُبارَك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «اعْلَمْ أي أخي، أنَّ الموتَ كرامةٌ لكلِّ مُسْلمٍ لَقِيَ اللهَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ، فإلَىٰ اللهِ نَشْكو وَحْشَتنا، وذَهَاب الإخْوانِ، وقلَّة الأَعْوانِ، وظُهُورِ البِدَعِ، وإلىٰ الله نَشْكو عَظِيمَ ما حلَّ بهذِهِ الأُمَّةِ من ذَهَابِ العُلماءِ وأَهْلِ السُّنَّةِ، وظُهُورِ البِدَعِ»(٣).

وكَانَ إبْراهِيمُ التَّيميُّ يَقُول: «اللَّهمَّ اعْصِمنِي بدِينِكَ وبسُنَّةِ نَبيِّك مِنْ الاخْتِلَافِ في الحقِّ، ومِن اتِّباعِ الهَوَىٰ، ومِنْ سُبُلِ الضَّلالةِ، ومِنْ شُبُهاتِ الأُمُورِ، ومِنَ الزَّيْغِ في الخُصُوماتِ»(٤).

ومِنْ كَلَامِ عُمَر بن عَبْد العَزِيز رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذي عني بِهِ وبحفظِهِ العُلَماءُ، وكانَ يُعْجِبُ مالكًا جدًّا، قولُه: «سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ ووُلَاةُ الأَمْر من بعدِهِ سُننًا، الأخذُ بها تَصْديقٌ لِكتَابِ الله، واسْتِكْمالٌ لطَاعةِ الله، وقُوَّةٌ عَلَىٰ دِينِ الله، لَيْس لأَحدٍ تَغْييرُها وَلَا تَبْدِيلُها، ولا النَّظَرُ في شيءٍ خَالَفها، مَنْ عَمِلَ بها مُهْتدٍ، ومَنِ انْتصَرَ بها مَنْصورٌ، ومَنْ خَالَفها اتَّبَعَ غيرَ سَبِيلِ المُؤْمِنينَ، وولَّاه اللهُ ما تولَّىٰ،

(١) انظر «الاعتصام» (١/ ١١٢).
(٢) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١/ ١٧٠)، وانظر «الاعتصام» (١/ ١١٣).
(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (١/ ١٠٢)، وانظر «الاعتصام» (١/ ١١٥، ١١٦).
(٤) انظر «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٥٩)، و«الاعتصام» (١/ ١١٦).

وأَصْلَاه جَهنَّم وبِئْسَ المَصِير»[١].

وخرَّج ابْنُ وَهْبٍ عن ابْنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّه قالَ: «مَنْ رَأَىٰ رأيًا لَيْس في كِتَابِ الله، ولم تَمْضِ به سُنَّةٌ من رَسُولِ الله ﷺ، لم يدرِ ما هو عَلَيه إذَا لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

وعَنْ أَبِي العَالِية رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: «تَعلَّموا الإِسْلامَ، فإِذَا تعلَّمتُمُوهُ فَلَا تَرْغبوا عَنْه، وعَلَيكُمْ بالصِّراطِ المُسْتقِيم، فإِنَّه الإِسْلامُ، ولا تُحَرِّفُوا يمينًا ولا شمالًا، وعَلَيكم بسُنَّةِ نَبيِّكُمْ ومَا كانَ عَلَيه أصحابُهُ، وإِيَّاكم وهذِهِ الأَهْواء الَّتي تُلْقي بَيْنَ النَّاسِ العَدَاوةَ والبَغْضاءَ»، فحَدَّثَ الحسنُ بذَلِكَ، فقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: صَدَق ونَصَح. خرَّجه ابن وَضَّاحٍ وغيرُهُ[٣]. وكانَ مالكٌ كثيرًا ما ينشد:

وخَيْرُ أُمُورِ الدِّين ما كانَ سُنَّةً
وشَرُّ الأُمُورِ المُحْدثاتُ البَدَائِعُ[٤]

❊❊❊

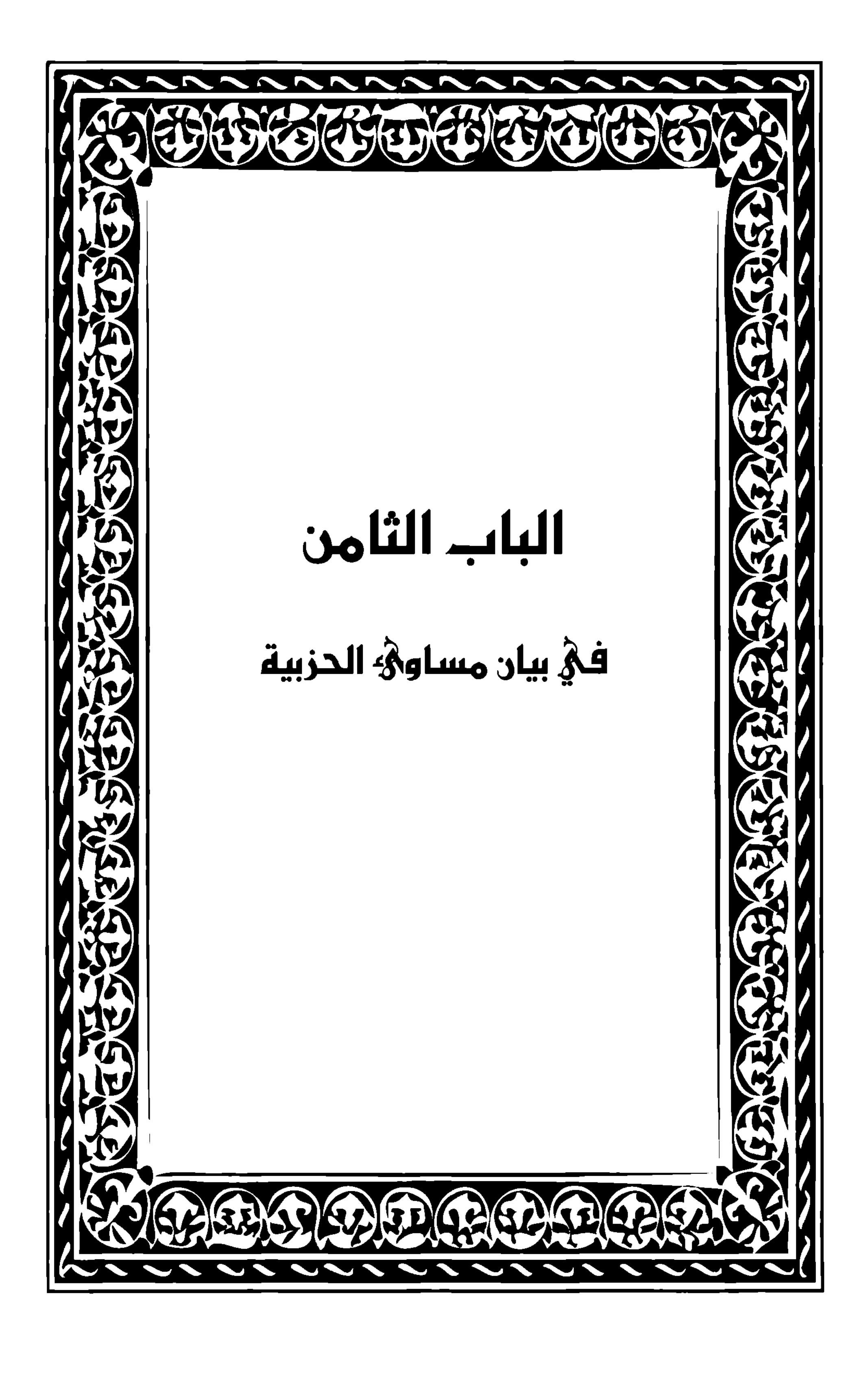
---

(١) «الاعتصام» (١/ ١١٧).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٥٨)، وانظر «الاعتصام» (١/ ١٣٥).

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (١/ ٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٨)، والآجري في «الشريعة» (ص ١٣، ١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١/ ٥٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١١/ ٢٩٩).

(٤) «الاعتصام» (١/ ١١٥).



الباب الثامن

في بيان مساوئ الحزبية

الباب الثامن
في بيان مساوئ الحزبية

لَقَدِ اسْتَعْرَضنا بَعْضَ الآيَاتِ والأَحَاديثِ الَّتي نَهَىٰ اللهُ فِيهَا ورَسُولهُ ﷺ عَنْ الاخْتِلَافِ والتَّفرُّقِ والتَّحزُّبِ، وذمَّ أهلَ هَذِهِ الصِّفاتِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم:٣١، ٣٢]، وكقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وكقول النَّبيِّ ﷺ: «**فَإِنَّما أَهْلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبْلكم كَثْرةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافِهم عَلَىٰ أَنْبيائِهِمْ**»(١).

وقوله ﷺ: «**فإنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكم فسَيَرىٰ اخْتِلافًا كَثِيرًا، فعَلَيكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْديِّينَ، عَضُّوا عَلَيها بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُم ومُحْدثاتِ الأُمُور، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

فهَلَ ترَىٰ أَنَّ نَهْي الله عَزَّوَجَلَّ عن التَّفرُّقِ والتَّحزُّبِ والتَّشيُّعِ، وذمَّ أهل هَذِهِ الصِّفاتِ، والتَّحذير من طَريقتِهِم كانَ عبثًا، أو أَنْزلَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ وقَالَه رَسُولهُ ﷺ لِيكُونَ ضَرْبًا من ضُرُوبِ التَّسلِّي، أو ليَكُونَ حديثًا عابرًا من أَحَاديثِ السَّمَر؟ كلَّا، ثمَّ كلَّا، إنَّ القرآنَ كلَّه عِظَاتٌ وَعِبرٌ، وأَوَامرُ ونَواهٍ، وأَخْبارٌ عن العُصَاةِ، وعَوَاقبِ العِصْيانِ السَّيِّئة في الدُّنيا والآخِرَةِ بالإِخْبارِ عَمَّا يُصِيبُهُمْ في الدُّنيا من قَوَارعٍ واسْتِئْصالٍ، وما يَنْتظرُهم في الآخِرَةِ من عذابٍ أليمٍ، وأنواعِ انتقامٍ ونكَالٍ.

وَإِخبْارٍ عَنِ المُؤمِنين أَهْلِ التَّصديقِ والأَعْمالِ الصَّالحةِ، ومَا يَحُوزُونَه ويُحْرزونَه بإِيمَانِهم وأَعْمالِهم ومُتابَعتِهم للرُّسُل من عزٍّ ونصرٍ وفُتُوحٍ وغلبٍ وإِدَالةٍ لهم عَلَىٰ غَيْرهم، وما سَيلْقونه في الآخِرة، من أَمْنٍ وَاطْمِئنانٍ وفرحٍ واستبشارٍ وعيشةٍ راضيةٍ في جنانٍ عاليةٍ، قُطُوفُها دانيةٌ، ونِعَمُها متواليةٌ، يَبْقون فيها بَقاءَ الأَبدِ، ويَخْلدُون فيها بِلَا انْقِطاعٍ ولا زوالٍ، فيها ما لا عينٌ رَأتْ، ولا أذنٌ سَمِعتْ، ولا خَطَر عَلَىٰ قلبِ بشرٍ، ما هي إلَّا ريحانةٌ تهتزُّ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ ناضحةٌ، وقصرٌ مشيدٌ، وأزواجٌ حسانٌ؛ لأنَّهم آمَنَوا بالله وصَدَّقوا المُرْسَلين.

وقَدْ تَبيَّن مِمَّا ذكر أَنَّ نَهْي الله عَزَّوَجَلَّ عن الحِزْبيَّةِ والتَّحزُّبِ، والفُرْقةِ والتَّفرُّقِ، لم يكن إلَّا ليُعلِمَ اللهُ عِبادَه بما فيها من الشَّرِّ المُؤكَّدِ، والفَشَلِ المُرْتقبِ، والعَداوةِ المُنْتظرةِ بَيْن مَنْ أَمَرهم الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَكُونوا أُمَّةً واحدةً، وحزبًا واحدًا، يَعْبدون ربًّا واحدًا، ويَتَّبعون رَسُولًا واحدًا، ويَتَّجهون إِلَىٰ قِبْلةٍ واحدةٍ، ويَدينُونَ بدينٍ واحدٍ، وتَرْبطهم رابطةٌ واحدةٌ، هي رَابِطة الدِّينِ.

ومِمَّا يُؤكِّد هَذَا المَعْنىٰ، ويدلُّ عَلَىٰ أنَّ التَّفرُّق ما زالَ ممقوتًا ومحذورًا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وعلىٰ لسانِ كلِّ نبيٍّ وحكيمٍ: إخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن

هَارُون عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال لأخِيه مُوسَىٰ حِينَ عَاتَبه عِنْد رُجُوعِهِ من الطُّور، فوَجَد قومه قَدْ عَبَدوا العِجْلَ، فقالَ كَما حَكَىٰ اللهُ عَنْه في سورة طه: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ [طه: ٩٢-٩٤].

فَقَدْ حذَّر هَارُون من التَّفرقةِ، وخَافَها عَلَىٰ قومِهِ، وخافَ أنَّ أخَاه يَلُومه عَلَيها.

ورَوَىٰ عَبْد الله بن أحْمد بن حنبل، عن عَبْد الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنَّه قالَ: قَدِم عَلَىٰ عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلٌ، فجَعَل عُمَرُ يَسْأله عن النَّاسِ، فقالَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، قَدْ قرأ القُرْآنَ مِنْهم كَذَا وكَذَا. قال ابْنُ عَبَّاسٍ، فقلتُ: واللهِ، ما أحبُّ أن يَتَسارعوا في القرآنِ يَوْمهم هَذِهِ المسارعةَ، قَالَ: فزَجَرنِي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثمَّ قالَ: مَهْ، فانطلقتُ إلَىٰ مَنْزلي مُكْتئبًا حزينًا، فبَيْنا أنا كذَلِكَ، إذْ أتَاني رجلٌ، فقالَ: أجِبْ أميرَ المُؤمِنين. فخرجتُ، فإذَا هو بالبابِ يَنْتظرني، فأخذَ بِيَدي، فخَلَا بي، فقالَ: ما الَّذي كرهتَ مِمَّا قال الرَّجلُ آنفًا؟ فقلتُ: يا أميرَ المُؤمِنِين، مَتَىٰ يَتَسارعوا هَذِهِ المُسَارعة يَحْتَقُّوا[1]، ومَتَىٰ يَحْتَقُّوا يَخْتَصموا، ومَتَىٰ يَخْتصموا يَخْتلفوا، ومَتَىٰ يَخْتلفوا يَقْتتلوا، قال: لله أبُوك، إنْ كنتُ لأكْتُمها النَّاسَ حتَّىٰ جئتَ بِهَا»[2].

---

(١) أي: يَدَّعي كلُّ واحدٍ منهم أنَّ الحقَّ معه.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «السُّنة» (ص ١٣٥، ١٣٦).

قلتُ: ما أشبهَ اللَّيلةَ بالبارحة، إنَّ الاختلافَ الَّذي خَافَه عبد الله بن عَبَّاسٍ ووَافَقه عَلَيه عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أُمَّةِ مُحمَّدٍ قَدْ وَقَع، ثمَّ وَقَع، ثمَّ وَقَع، وما تَفرَّقتْ أُمَّةُ مُحمَّدٍ شِيعًا وأحزابًا كمَنْ سَبقَهم إلَّا بسَببِ الاخْتِلافِ، وكَانَ أوَّل خلافٍ وَقَع في هَذِهِ الأُمَّةِ هو خِلافُ الخَوارِجِ، ثمَّ خِلَافُ الرَّوافضِ بقِيَادة زَعِيمِهم عبد الله بن السَّوداء الَّذي زَعَم لهم أنَّ عليًّا لم يَمُتْ، وأنَّه في السَّحَابِ، ثمَّ خلافُ القَدَريَّةِ، ثمَّ المعتزلة، ثمَّ المُرْجئة، ثمَّ الجَهْميَّة.

والشَّاهدُ من هَذَا الأثرِ أنَّ المُحاقَّةَ موجبةٌ للاخْتِلافِ، ومَعْنىٰ المحاقَّة: أنَّ كلَّ واحدٍ من المُتَخاصمين يقولُ: الحقُّ مَعِي، وهي مَعْنىٰ قولِهِ: يَحْتقُّوا، ومَتَىٰ يَحْتقُّوا يَخْتلفوا، ومَتَىٰ اخْتلَفوا اقْتتَلوا، إمَّا بالألْسُنِ والأَقْلامِ، وإمَّا بالأَيْدي والسُّيُوفِ، وما كِتَابتُك هَذِهِ إلَّا من حَصَادِ الاخْتِلافِ وشُؤْم الحِزْبيَّةِ الَّتي نَهَىٰ الشَّرعُ عَنْها[1]، وما زَالَ المُحققِّقونَ من أَهْلِ العِلْم يَنْهون عَنْها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، يَنْهون عَنْها لما يَعْلمون فِيهَا من نتائجَ سَيِّئةٍ.

قالَ شَيْخ الإسْلامِ ابْنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ **في «الفتَاوى»**: «ولَيْس للمُعلِّمين أَنْ

---

(١) أشير بقولي: «وما كتابتك هذه إلا من حصاد الاختلاف وشؤم الحزبية» إلىٰ تلميذٍ من تلامذتي، وطالب من طلابي، انتظم في بعض المناهج المستوردة للدعوة، ومن أجل أنَّا كنا ننصحه أنا وبعض الإخوة هو ومَنْ كان معه، فقد كتب إلينا كتابةً اتهمنا فيها بما ليس فينا، ونال من أعراضنا بما سنحاكمه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فيه.

وأنا حينما أقول: تلميذ من تلامذتي، وطالب من طلابي، لم أقصد بذلك افتخارًا كما علم الله، وإنَّما أردت أن أُبيِّن أنَّ الحزبيَّة شرٌّ، وتفريقٌ، وشتاتٌ، وأنها إذا فرقت بين التلميذ وشيخه، وجعلت التلميذ يكنُّ العداوة الشديدة لشيخه الذي له عليه فضل التربية، فإنها ستفرق بين غيرهما من باب أولىٰ.

يُحزِّبوا النَّاسَ، ويَفْعلوا ما يُلْقي بَيْنهم العداوةَ والبَغْضاءَ، بَلْ يَكُونوا مِثْل الإخْوةِ المُتعَاونينَ عَلَىٰ البرِّ والتَّقْوىٰ؛ كما قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة:٢]، ولَيْس لأحدٍ مِنْهم أن يأخذَ عَلَىٰ أحدٍ عهدًا بموافقتِهِ عَلَىٰ كلِّ ما يريدُهُ، ومُوَالاة مَنْ يُوَاليه، ومُعَاداة مَنْ يُعَاديه، بل مَنْ فعل هَذَا، كانَ من جِنْس جنكيز خان وأَمْثالِهِ الَّذين يَجْعلون مَنْ وَافَقَهم صديقًا واليًا، ومَنْ خَالَفهم عدوًّا باغيًا، بل عَلَيهم وعلىٰ أَتْباعِهم عَهْد الله ورَسُولِهِ بأَنْ يُطِيعوا اللهَ ورَسُولَه، ويَفْعلوا ما أمرَ اللهُ ورَسُولُهُ، ويُحرِّموا ما حرَّمَ الله ورَسُولُهُ، ويَرْعوا حُقُوقَ المُعلِّمين كما أمرَ اللهُ ورَسُولُهُ، فإِنْ كان أستاذُ أحدٍ مَظْلومًا نَصَره، وإِنْ كَانَ ظالمًا لَمْ يُعَاونهُ عَلَىٰ الظُّلْمِ، بل يَمْنعه مِنْه كَما ثَبتَ في الصَّحيح، أنَّه ﷺ قالَ: «**انْصُر أَخَاكَ ظَالمًا أو مَظْلومًا**»، قيل: يا رَسُولَ الله، أَنْصره مَظْلومًا، فكيفَ أَنْصره ظالمًا؟ قالَ: «**تَمنعُهُ من الظُّلْم، فذَلِكَ نَصْرك إِيَّاه**»[1].

وإِذَا وَقَع بين مُعلِّمٍ ومُعلِّمٍ، أو تلميذٍ وتلميذٍ، أو مُعلِّمٍ وتلميذٍ خُصُومةٌ ومُشَاجرةٌ، لم يجز لأَحدٍ أن يُعِينَ أَحَدَهما حتَّىٰ يَعْلم الحقَّ، فلا يُعَاونه بجهلٍ ولا بهَوَىٰ، بل يَنْظر في الأمر، فإذا تَبيَّن له الحقُّ، أعانَ المحقَّ منهما عَلَىٰ المُبْطل؛ سواء كانَ المحقُّ من أَصْحابِهِ أو أَصْحابِ غَيْره، وسواء كانَ المُبْطل من أصحابِهِ أو أَصْحابِ غَيْره، فيكونُ المَقْصودُ عِبَادة الله وَحْده، وطاعة رَسُولِهِ، واتِّباع الحقِّ، والقِيَام بالقِسْطِ، قالَ تَعَالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء:١٣٥].

يُقال: لَوَىٰ لِسَانَه إذَا أَخْبر بالكَذِبِ. والإعراضُ: أن يكتمَ الحقَّ، فإنَّ السَّاكتَ عن الحقِّ شيطانٌ أَخرس، ومَنْ مالَ مع صاحبِهِ؛ سواء كان الحقُّ له أو عَلَيه، فقَدْ حَكَم بحُكْم الجاهليَّة، وخَرَج عن حُكْم الله ورَسُولِهِ ﷺ.

والواجبُ عَلَىٰ جَمِيعهم أَنْ يَكُونوا يدًا واحدةً مع المُحِقِّ عَلَىٰ المُبْطلِ، فيَكُون المُعظَّمُ عِنْدهم مَنْ عَظَّمه اللهُ ورَسُولُهُ، والمُقدَّمُ عندهم مَنْ قدَّمه اللهُ ورَسُولُهُ، والمحبوبُ عِنْدهم مَنْ أحبَّه اللهُ ورَسُولُهُ، والمُهانُ عندهم مَنْ أَهَانه اللهُ ورَسُولُهُ؛ بحَسَب ما يُرْضي اللهَ ورَسُولَه، لا بحَسَب الأَهْواءِ، فإنَّه مَنْ يُطِع اللهَ ورَسُولَه فَقَدْ رشد، ومَنْ يَعْص اللهَ ورَسُولَهُ، فإنَّه لا يضرُّ إلَّا نفسَه.

فهَذَا هُوَ الأَصْلُ الَّذي عَلَيهم اعتمادُهُ، وحينئذٍ فلا حَاجَة إِلَىٰ تَفرُّقهم وتَشيُّعهم، فإنَّ اللهَ تَعَالىٰ يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وإذَا كَانَ الرَّجلُ قَدْ علَّمه أستاذٌ عُرِف قَدْر إحسانِهِ إليه، وشكره، ثمَّ سَاقَ كلامًا في هَذَا المَعْنىٰ، ثمَّ قالَ: وإذا اجْتَمعوا عَلَىٰ طاعةِ الله ورَسُولِهِ، وتَعَاونوا عَلَىٰ البرِّ والتَّقْوىٰ، لم يكنْ أحدٌ مع أحدٍ في كلِّ شيءٍ، بَلْ يكونُ كلُّ شخصٍ

مع كلِّ شخصٍ في طاعةِ الله ورَسُولِهِ، ولا يَكُونونَ مع أحدٍ في مَعْصية الله ورَسُولِهِ؛ بل يَتعَاونون عَلَىٰ الصِّدقِ، والعدلِ، والإحسانِ، والأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنْكر، ونَصْرِ المَظْلُومِ، وكلِّ ما يحبُّه اللهُ ورَسُولُهُ، ولا يَتعَاونون عَلَىٰ ظلمٍ، ولا عصبيَّةٍ جاهليَّةٍ، ولا اتِّباع هَوىٰ بدُونِ هُدىٰ من الله، ولا تَفرُّق، ولا اخْتِلاف».اهـ[1].

فدُونَك هَذَا المَقْطع من كَلَام هَذَا الحَبْرِ العَظِيمِ، والمُربِّي المَاهِر، والعَالم المُحقِّق العَارف بالسُّنَّةِ وما يُنَافيها، والبِدْعة ومَا يُدَانيها ويَدْخل فيها.

تأمَّل كَلامَه تَرَ فيه التَّحْذيرَ من الانْتِماءاتِ والحِزْبيَّاتِ؛ لما فِيهَا من التَّنافر والافْتِراقِ والتَّشتُّتِ، والانْقِسامِ المُؤدِّي إِلَىٰ التَّباغضِ والشِّقاقِ.

وبَارَك اللهُ في الشَّيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، فلَقَدْ كَتَب عن مَضَارِّ الحِزْبيَّةِ وعُيُوبها وسَلبيَّاتها ما يَزِيد عَلَىٰ أَرْبعينَ مَضرَّةً.

□ **وسَأُسجِّل في هَذهِ العجالة ما يَسَّره اللهُ لي، وعَلَيه التُّكلان:**

❁ **أوَّلاً:** أنَّ الحزبيَّةَ بِدْعةٌ منكرةٌ لما سَبَرناه من النَّهْي عَنْها في القرآنِ الكَرِيم والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وكَلَام السَّلفِ رضوان الله عَلَيهم.

❁ **ثانيًا:** ذمَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الحِزْبيَّةَ والتَّحزُّبَ، وذمَّها رَسُولهُ ﷺ، وذمَّها سَلَفُ الأُمَّةِ الَّذين عَرَفوا الإسلامَ معرفةً حقيقيَّةً؛ لأنَّها خُرُوجٌ عَلَىٰ وحدة الأُمَّةِ الإسلاميَّة الَّتي أَمَرها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن تكونَ أُمَّةً واحدةً، فقَالَ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٥- ١٩).

﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون:٥٢]، وَانْقِسامٌ مِنْها، وتجزئةٌ لَها، ومُسَاهمةٌ في إِضْعَافها.

❁ **ثالثًا:** أنَّ المُنْتمينَ إِلَىٰ الحِزْبيَّاتِ والأحزابِ يَجْعلون حِزْبَهم هو مِحْورُ الوَلَاءِ والبَراءِ، والحبِّ والعداءِ، وذَلِكَ مُشاقَّةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ، ومُحادَّةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ حَيْث جَعَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ محورَ الوَلَاءِ والبَراءِ هُوَ الإيمانُ بالله ورَسُولِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢].

ثمَّ يَأْتي قائدُ جماعةٍ في فِكْرٍ مُعَاصرٍ، فيُقعِّد قاعدةً تَتنَافىٰ مَعَ هَذِهِ الآية ومَا في مَعْناها من آياتِ الوَلَاءِ والبَراءِ، فيَقُول: «نَجْتمع فيما اتَّفقْنَا فيه، ويَعْذر بَعْضنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فيه»[1].

---

(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقولهم: «نجتمع فيما اتفقنا فيه»، فهذا حق، وأما قولهم: «ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، فهذا فيه تفصيل: ما كان الاجتهاد فيه سائغًا، فإنَّه يعذر بعضنا بعضًا فيه، ولكن لا يجوز أن تختلف القُلُوب من أجل هذا الخلاف.
أمَّا إذا كان الاجتهاد غير سائغ، فإنَّنا لا نعذر مَنْ خالف فيه، ويجب عليه أن يخضع للحق.
فأول العبارة صحيح، وأمَّا آخرها فيحتاج إلىٰ تفصيل». انظر «الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات» (١/ ٢١٨)، وقال مجيبًا علىٰ سؤال ورد إليه عن هذه العبارة: «هذه القاعدة الذهبية ليست قاعدة ذهبية، ولا تستحق أن تكون قاعدة، بل ما اتفقنا فيه فهو من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ، والاتفاق خير من الاختلاف، وما اختلفنا فيه فقد يعذر فيه
=

=

المخالف، وقَدْ لا يعذر، فإذا كان الاختلاف في أمرٍ يسوغ فيه الاختلاف، فهذا لا بأس به.

ولا زال الأئمَّة يختلفون، فالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة كلهم يختلفون.

وأمَّا إذا كان الخلاف لا يعذر فيه؛ كالخلاف في العقائد، فإنَّه لا يعذر بعضنا بعضًا، بل الواجب الرجوع إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسُّنَّة، فعلىٰ المرجئة، وعلىٰ الشيعة، وعلىٰ كل مبتدعٍ أن يرجع إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، ولا يعذر، فهذه القاعدة ليست قاعدةً ذهبيةً، ولعلك تسميها قاعدة خشبية.

عرفت الآن الذي يسوغ فيه الاجتهاد، هذا لا بأس أن نسمح للمخالف، والذي لا يسوغ فيه الاجتهاد كمسائل العقائد التي يخالف فيها الإنسان السلف لا يمكن أن يعذروا». «سلسلة لقاء الباب المفتوح»: (شريط ٧٥).

وقال العلَّامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في رَدِّه علىٰ مَنْ يقول بهذه العبارة: «هم أول من يخالف هذه الفقرة، ونحن لا نشكُّ بأنَّ شطرًا من هذه الكلمة صواب، وهو: (نتعاون علىٰ ما اتفقنا عليه)، الجملة الأولىٰ هي -طبعًا- مقتبسة من قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

أما الجملة الأخرىٰ: (يعذر بعضنا بعضًا)، لا بد من تقييدها... متىٰ؟ حينما نتناصح، ونقول لمن أخطأ: أخطأت، والدليل كذا وكذا، فإن رأيناه ما اقتنع، ورأيناه مخلصًا، فندعه وشأنه، فنتعاون معه فيما اتفقنا عليه.

أمَّا إذا رأيناه عاند واستكبر، وولَّىٰ مدبرًا، فحِينَئِذٍ لا تصحُّ هذه العبارة، ولا يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.«مجلة الفرقان التراثية» العدد: (٧٧).

وقد سئل فضيلة الشيخ عبيد الجابري حفظه الله: ما رأيكم فيمن يقول: نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، وبطريقةٍ أخرىٰ: وحدة الصف لا وحدة الرأي؟

فأجاب حفظه الله: أقول: ليعبروا ما شاؤوا، فهذه العبارة التي تَضمَّنها السؤال وما يرادفها من العبارات، هي من عبارات أهل الأهواء، من إخوانيةٍ وغيرها؛ وهي قاعدة المعذرة والتعاون التي كانت قاعدة للمنار أوَّلًا، ثمَّ صارت من بعد قاعدةً للإخوان المسلمين (جماعة الإخوان التي أسسها حسن البنَّا، قبل نحو ٧٠ أو ٨٠ سنة في مصر) من شريط بعنوان: «الإيضاح والبيان في كشف بعض طرائق الإخوان».

قَالَ الشَّيْخ بكر بن عبد الله أبو زيد في «حُكْم الانْتِماءِ»: «وهَذَا تَقْعيدٌ حادثٌ فاسدٌ، إِذْ لا عُذْرَ لمَنْ خَالفَ في قَواطِعِ الأَحْكامِ، فإنَّه بإجماعِ المُسْلمينَ لا يَسُوغُ العذرُ ولا التَّنَازلُ عن مُسلَّماتِ الاعتقادِ، وكَمْ من فُرْقةٍ تنبذ أصلًا شرعيًّا، وتجادلُ دُونَه بالباطل».اهـ[1].

قلت: هَذَا هو الفَهْمُ للإسلام، لا ما سَلَكه بعضُ الزُّعماءِ في العملِ الإسلاميِّ من سياسةِ التَّجميعِ والتَّكْثيرِ لقومٍ عَقائدُهُم مختلفةٌ، واتِّجَاهاتُهُم مُتَبايِنةٌ، وقَناعَاتُهُمْ مُتضادَّةٌ؛ فماذا كان؟! إنَّهم مَازَالوا مُنْذ ما يُقَاربُ تِسْعينَ سنةً يَدُورُونَ في حَلْقةٍ مُفْرَغةٍ.

۞ **رابعًا:** يَلْزم من الحِزْبيَّةِ اتِّخاذُ المُبْتَدعين أئمَّةً يُحتَذىٰ قَوْلهم، ويُقْتَدىٰ بأَفْعالِهم، ويُتَّخذون قُدْوةً وأُسْوةً، ويَكُونُ قَوْلهم وتَقْعيدهم وتَنْظيرهم مُسلَّمًا، وإِنْ خَالفَ الحقَّ، وتِلْك -واللهِ- هي قَاصِمةُ الظَّهْرِ.

قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات:١]، وسَبَبُ نُزُول هَذِهِ الآيةِ وما بَعْدها: أنَّ أبا بكرٍ وعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تَمارَيا عند رَسُولِ الله ﷺ حِينَ قَدِم وَفْدُ تميم فيمَنْ يُؤمِّر رَسُولَ الله ﷺ عَليهم، فأَشارَ أَبُو بكرٍ بالأَقْرع بن حابسٍ، وأشارَ عُمَرُ بالقَعْقاع بن معبد بن زرارة، فقَالَ أَبُو بكرٍ لعُمرَ: ما أردتَ إلَّا خِلَافي، وقالَ عُمَرُ: ما أردتُ خِلافَك، فَتماريا عند رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ ارْتَفعَتْ أَصْواتُهما، فأَنْزلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ

---

(١) «حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» (ص ١٤٩).

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات:١، ٢].

فأَدَّب الله عَزَّوَجَلَّ عِبادَه المُؤمِنين أن يَتقدَّموا بَيْن يدي رَسُوله ﷺ.

رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن مجاهدٍ تعليقًا: «﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾: لَا تَفْتاتوا عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ يَقْضي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ.

قالَ الحَافِظ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَصَله عبدُ بن حميدٍ من طريق ابن أبي نَجِيح عن مُجَاهِدٍ». اهـ.

وقَدْ أدَّب اللهُ عِبادَه المُؤْمِنينَ أن يُقدِّموا آراءَهم عَلَىٰ حُكْمِهِ، وأَقْوَالهم عَلَىٰ قولِهِ، أو يُقدِّموا أحدًا سِوَىٰ أَنْفسِهم عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ، فيُقدِّموا حُكْمَه عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، أو قَوْلَه عَلَىٰ قولِهِ، أو هَدْيَه عَلَىٰ هَدْيِهِ، وقَدْ تَوعَّد اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ فَعَل ذَٰلِكَ بإحباطِ العملِ؛ لهذا فَقَدْ رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن ابن أبي مليكة أنَّه قالَ: «**كَادَ الخَيِّرَانِ أن يَهْلِكَا**»[١].

قلت: لَيْت مَنْ يَتَّخذون فلانًا وعِلَّانًا قُدْوةً لهم -يَأْخذون أَقْوالَهم بلا دليل، ويجعلونها أُصُولًا يُبْنَىٰ عليها- يُرَاجِعونَ أَمْرَهم قَبْل فَواتِ الأَوَانِ، وقَبْل أن يَأْتي تَأْويلُ قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٥).

خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧، ٢٨]، وهَاتَانِ الآيَتَانِ وإِنْ كَانَتا قَدْ نَزلَتا فيمَنْ رَفَض شَرْعَه رفضًا كليًّا إلَّا أنَّ مَنْ رَفَضَ بعضَ شَرْعه رفضًا جزئيًّا سينالُهُ نصيبٌ مِنْها، ولا سِيَّما إذَا كانَ المَرْفوضُ هُوَ مِنْ أُصُولِ الدِّين وقَواعِدِهِ، أو قُلْ: هي الأُسَسُ والقَواعدُ الَّتي يكونُ مِنْها المَبْدأ، وعَلَيها المدارُ، ومن خِلَالِها المُنْطلقُ، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وبإِلْقاءِ نَظرةٍ عَلَىٰ الفئاتِ المُبْتدعةِ، نَراهُمْ جميعًا قَدِ اتَّفقوا كلُّهم عَلَىٰ شيءٍ واحدٍ، وإِنِ اخْتلَفَتْ مَشَاربُهمْ، وتَبايَنتْ عَقائدُهُم، اتَّفقوا كلُّهم عَلَىٰ نَبْذِهِم الكتابَ والسُّنَّةَ الَّتي أَمَر اللهُ باتِّباعها، وجَعَل النَّجاة في اقْتِفائِها، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩].

فأَصْحابُ الحِزْبيَّاتِ والعَقَائدِ المُبْتدعةِ قَدِ اتَّفقوا عَلَىٰ نَبْذِ السُّننِ، وجَعَلوا تَأْصِيلاتِ شُيُوخِهِمْ هي الأَصْل، فمثلًا المُعْتزلةُ قَدْ عطَّلوا القَدَر، وأَنْكَروا رؤيةَ الله في الآخِرَةِ، وزَعَموا أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، مُسْتَندينَ في ذَلِكَ إِلَىٰ ما أَصَّله شُيُوخُهمْ.

والجَهميَّة عَطَّلوا الصِّفاتِ الثَّابتةَ في الكتابِ والسُّنَّةِ فرارًا من لُزُوم المُشَابهةِ بَيْن الخالِقِ والمَخْلوقِ كما زعموا، وقُلْ في الأَشَاعرةِ وفي سَائِر الطَّوائفِ المُبْتدعةِ مثلَ ذَلِكَ، وإذا نَظرتَ إِلَىٰ السَّببِ الَّذي من أجلِهِ رَدُّوا النُّصُوصَ، تجد أنَّها هي الشُّبهةُ الَّتي أَخَذوها عن شُيُوخِهم، وزَعْمهم أنَّ شُيُوخَهم أَعْلمُ بالحقِّ مِنهم، وهَكَذا الأَحزابُ المُعَاصرةُ إذَا سَبَرنا حَالَهم،

نجد أنَّ السَّببَ عِنْدهم هُو السَّببُ الَّذي حَملَ المُعْتزلةَ والخوارجَ والجهميَّةَ والأشعريَّةَ عَلَىٰ أَخْذهم تَقْعيد شُيُوخِهم عَلَىٰ أنَّه هو الأصلُ، وما عَدَاه فمَشْكوكٌ فيه، يَتبيَّن ذَلِكَ من الآتي:

❁ **خامسًا:** أنَّ الحزبيَّة تقومُ عَلَىٰ التَّسْليم بآراء الجَماعَةِ، وتَوْزيعها ونَشْرها، وجَعْلها قطعيَّةَ الثُّبوتِ غير قابلةٍ للنَّقدِ والنِّقاشِ، فالمُؤسِّسونَ لها أَجَلُّ من أَنْ يُنتقَدوا، وأكْبر من أَنْ يخطؤوا في نَظَر أَتْباعِهم، فيَتَّخذونهم بذَلِكَ أَرْبابًا ومُشرِّعينَ، ويَنْطبق عَلَيهم قولُ الله تَعالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

وفي حَدِيثِ عَديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه دَخل عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ وفي عُنُقِ عديٍّ صليبٌ من فضةٍ -وذَلِكَ حين قَدِم عليه أوَّل قدمةٍ- ورَسُولُ الله ﷺ يَقْرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: فقلتُ: إنَّهم لَمْ يَعْبدوهُمْ. قالَ: «**بَلَىٰ، إنَّهم حَرَّموا عَلَيهم الحلالَ، وأَحَلُّوا لهم الحَرامَ، فتِلْك عِبادَتُهمْ إيَّاهمْ**»[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٦)، وعزا الحديث إلىٰ أحمد، والترمذي، وابن جرير الطبري، وهو عندهم، ففي الترمذي (٣٠٩٥)، وفي «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٤)، وفي «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ١٠٦) (٤٧١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٩٢)، (٢١٨، ٢١٩)، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (١٠/ ١١٦)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢٣/ ١١٩، ح ٤٦٩٥)، ونِسْبَتُهُ «المسند» وهمٌ، فليس هو فيه، ولا في «أطرافه» للحافظ ابن حجر المسمىٰ «أطراف المُسنِد المعْتَلِيٰ =

ولقَدْ خَبَّرنا أصحابُ الحِزْبيَّات خبرةَ تجربةٍ ومعرفةٍ لوَاقِعهم بسَببِ احْتِكاكِنَا بِهِم، فوَجَدناهُمْ يَأْخذون ما جاءَ من قادةِ حِزْبهم ومُؤَسِّسيه والمُنظِّرينَ فِيهِ بمِنْظارِ الحَصَانةِ عَنِ النَّقْدِ، ولو انْتقَد أحدٌ من خَارج حِزْبهم عَادَوْه، وجَعَلوا نَقْدَه ظلمًا وتَجنِّيًا، حتَّىٰ ولَوْ كانَ نقدًا في الصَّميمِ، وأُذكِّر بهذِهِ المُناسبةِ أنَّه لمَّا انْتشَر كتابُ «وَقَفات مع كتاب للدُّعَاة فقط» لمُحمَّد بن سيف العجمي، أخذتُ نسخةً منه، وأعطيتُها لواحدٍ من المُنْتمِينَ إِلَىٰ جَمَاعة الإِخْوان رجاءَ أن يَتأثَّر به، ويَرَىٰ ما فيه من نَقْدٍ للاتِّجاه الإِخْواني مدعمًا بأرقامٍ من كُتُبهم، ولمَّا ناولتُهُ، عَلَّقتُ عليه تعليقةً بسيطةً مُثْنيًا عَلَىٰ صَاحِبِ الكتاب أنَّه بَذَل جهدًا في تَتبُّع أَخْطاءِ الإِخْوانِ من كُتُبهم، وبالأخصِّ الأَخْطاء في العقيدةِ مُبيِّنًا اسْمَ الكِتَابِ الَّذي وَرَدتْ فِيهِ، ورقم الصَّفحة، لكنَّ الرَّجلَ عَبَس وبَسَر، وقلَّب في النَّظَر، مُسْتغربًا للأمر الَّذي بَدَر، وأَخَذ يُحاوِرُني في المَنْهجِ الإخوانيِّ قليلًا، ثمَّ ذَهَب، وبَعْد بِضْع سنواتٍ ظَهَر كتابُ «جلسات» لجاسم مهلهل، فَوَصَلتْ إليَّ نسخةٌ منه، فقرأْتُها مُتأمِّلًا ومستغربًا، هل سيرد عَلَىٰ العجمي شيئًا من ذَلِكَ الكَلَامِ، وتِلْك الأرقام، ويُكذِّبه فيه، ولكنِّي بعد أَنْ قرأْتُ كتابَ «جلسات» من فاتحتِهِ إِلَىٰ خاتمتِهِ، لم أره ردَّ شيئًا من الحَقَائقِ الَّتي سَاقَها مُحمَّد بن سيف العجمي، جَزَاه الله خيرًا.

وبَعْد ذَلِكَ لقيتُ صاحبي الَّذي شمخر من كتاب «وقفات» لكونِهِ

=

بأطراف المسند الحنبلي»، ولما أورده الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤)، ولَمْ يعزه لمسند أحمد. محمد بن هادي.

نَقَد رُؤسَاءَهم فِيمَا كَتَبوا، وبيدِهِ بضع نُسَخٍ من كتاب «جلسات» يُوزِّعها، فنَاوَلني نُسْخةً مِنْها وهو يَضْحك فرحًا وسرورًا، يكادُ يَطِير فرحًا، وظنَّ أنَّها لم تَصِلْني، وحسب أنَّهم انْتصَروا عَلَىٰ العجمي، فقلتُ في نَفْسي: قاتلَ اللهُ الجهلَ.

أقول: هَذَا وأنا لا أعرفُ العجمي ولا المهلهل، ولكنِّي عرفتُ الحقَّ، والحَمْدُ لله.

وقَدْ أَخْبرني رئيسُهُ فيما بَعْد ولم يُسمِّه، فقالَ: أعطيتُ أحدَ الإِخْوان نُسْخةً من كتاب «وقفات»، فجاءَ بها إليَّ، وقال: هَذَا الكتابُ أَعْطاني فلانٌ ولم أَقْرأه، وأُؤكِّد أنَّ الرَّئيسَ والمَرْؤوسَ كِلَاهُما من طُلَّابي، فبدل ما يَأْخذون كتابَ العجمي والمهلهل ويَأْتون بهما إليَّ، ويَسْتشيروني فيهما، بدلًا من هَذَا وَقَفوا من كتاب العجمي مَوْقفَ العداءِ لأوَّل مرَّةٍ، وأَخَذوا كتابَ المهلهل عَلَىٰ أنَّه الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه، وإذا نَظَرنا في السَّببِ الحامِلِ لهم عَلَىٰ ذَلِكَ، لا نجدُ شيئًا سِوَىٰ أنَّ هَذَا يَتخَاطبُ مَعَهم من دَاخِلِ دَائِرة الحزب، وذَلِكَ يَتخَاطبُ مَعَهم من خَارِجها، وما جاءَ من دَاخِل الحزبِ فهو الحقُّ عِنْدهم الَّذي لا شكَّ فيه، يجبُ أن نغمضَ أَعْيننا ونأخذَهُ كما نأخذُ الدَّواءَ مُعْتقدينَ فيه النَّفْعَ وإِنْ كان مُرًّا، فالحِزْبيَّةُ تَجْعل المُرَّ حُلْوًا، والباطلَ حقًّا، وهذا أكبرُ دليلٍ عَلَىٰ أنَّ الحِزْبيَّةَ شرٌّ، وأيُّ شرٍّ.

وَلْيَعْلم الَّذين يَقُولُون: إنَّ الإِخْوانيِّين في المَمْلكة غير الإِخْوانيِّين في مِصْر والشَّام وغَيْرهما؛ لأنَّ هؤلاء دَرَسوا التَّوحيدَ في المدارسِ والمعاهِدِ والكُلِّيَّاتِ منذ نُعُومة أَظْفارهم وإلىٰ أن تَخرَّجوا، وقَدْ كُنَّا نُصدِّق هَذَا الكلامَ

إِلَىٰ حدٍّ كبيرٍ، ونَقُول: إنَّ الَّذين غُذُّوا بالتَّوحيدِ من الصِّغر لا يُمْكن أن يُفرِّطوا فيه مَهْما كان الأمرُ، ولكن لمَّا رأينا موقفَ الإِخْوانيِّين من كتاب «الوقفات» الَّذي جَمَعه صاحبُهُ من بُطُون كُتُب الإخوان غَيْرةً عَلَىٰ التَّوْحيد، وغَيْرةً عَلَىٰ الدَّعوة أَنْ يَتبنَّاها مَنْ هو غَارقٌ في الشِّركيَّاتِ والبِدْعيَّاتِ، ويغترَّ النَّاسُ به، نظنُّ ظنًّا يشبه اليقينَ أنَّ هَذِهِ هي الدَّوافعُ إِلَىٰ ما كَتَب، وبدلًا من أن يَشْكره هؤلاء المُوحِّدون، ويُثْنوا عَلَيه بعملِهِ العَظَيم وجهده المُضْني من أَجْل بيان الحقِّ بدلًا من ذَلِكَ تَنكَّروا له، وأَبْغَضوا حتَّىٰ مَنْ وَزَّع كِتابَه، وإِنْ كان له عَلَيهم حقُّ الأُسْتاذيَّةِ والمُربِّي، فحَسْبنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

ومَعَ أنَّ أَخْطاءَ هَؤُلاءِ في العَقِيدةِ؛ بل بَعْضُها يَهْدِم الإسلامَ بالكُلِّيَّةِ كمَنْ يَسْتغيث بالنَّبيِّ ﷺ، ومَنْ يَزْعم أنَّ دعوةَ أَصْحابِ الأَضْرحة والاسْتِغَاثةِ بِهِمْ تذوق، ومَنْ يُثْني عَلَىٰ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ، ويقول: إنَّ المُنْتمينَ إِلَيها يُضرَب أَحَدُهمْ بالشِّيش من ظَهْره حتَّىٰ يخرجَ من صَدْرِهِ فلا يضرُّه، سبحان الله! النَّبيُّ الكريمُ، وخاتمُ الرُّسُل، وأفضلُ الخَلْق عند الله، وأَقْربُهم إليه وسيلةً، وأَعْلاهُمْ عنده مقامًا، يُضرَب يوم أُحُدٍ عَلَىٰ رأسِهِ، فتغوص حَلْقتا المغفر في وَجْنَتيه، فسَالَ الدَّمُ، وقالَ: «كَيْفَ يُفْلح قومٌ خَضَبوا وَجْه نَبيِّهم بالدَّمِ» فأنزلَ الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[آل عمران:١٢٨].

أمَّا أَصْحابُ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ فيُضرَب بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ ينفذَ من صَدْره فلا يضرُّه، أهذَا منطقُ داعيةٍ ومُؤلِّفٍ ومُنظِّرٍ، أو منطقُ شيطانٍ مُضلٍّ يريدُ أن يضلَّ النَّاسَ، يُفضِّل أصحابَ الطُّرُقِ المنحرفةِ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ،

فأقولُ: أينَ الغَيْرة عَلَىٰ التَّوْحيدِ من هَؤُلاء الَّذين دَرَسوه مُنْذ نُعُومةِ أَظْفارِهم؟ وأَيْن الولاءُ والبراءُ الَّذي هو من أُسُس الإيمانِ وقواعدِهِ حتَّىٰ نَفَىٰ الله ﷿ الإيمانَ عَمَّنْ يُوَالي أَعْداءه ويُوادُّهم، وأتوقَّع أنَّ الَّذين يَعْتنقون المنهجَ الإخوانيَّ سيَقُولون: إنَّ الَّذين نَتولَّاهم من خِيرَة المُسْلمين، فقَدْ بَذَلوا جهدًا مُضْنيًا في الدَّعْوة إِلَىٰ الله، فوَقَفوا في وَجْه المدِّ الشُّيوعيِّ النَّاصريِّ، رُغْمَ ما لَاقَوْه من تَعْذيبٍ وقَتْلٍ وتَشْريدٍ.

وأقول: إنَّ أيَّ دعوةٍ لا تكونُ مَبنيَّةً عَلَىٰ الأُسُسِ والقواعدِ الَّتي سَنَّها الرَّسُول ﷺ فهِيَ غير مَرضيَّةٍ عند الله ﷿، حَسَب ما عَلِمنا من شَرْعِهِ المُطهَّر الَّذي جَاءَتْ به المصادرُ الشَّرعيَّةُ من كتابٍ وسُنَّةٍ، وقَدْ قَالَ ﷿ مُنوِّهًا بذَلِكَ في كتابِهِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨].

فالضَّميرُ في ﴿قُلْ﴾ يَعُود عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، قُلْ يا مُحمَّد ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ هَذِهِ طَرِيقِي، فالإشارةُ إِلَىٰ ما كانَ يَسِير عَلَيه في دعوتِهِ، وهي طريقتُهُ الَّتي سارَ عَلَيها في دعوتِهِ حَيْث دَعَا إِلَىٰ نَبْذِ جميع الآلهةِ الَّتي تُعبَد مع اللهِ ﷿.

قال ابْنُ جريرٍ في تَفْسير هَذِهِ الآيةِ من «تفسيره»: «يقول -تَعَالىٰ ذِكْره- لنبيِّه مُحمَّدٍ ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعوةُ الَّتي أَدْعو إِلَيها، والطَّريقةُ الَّتي أنا عَلَيها من الدُّعاءِ إِلَىٰ تَوْحيد الله وإِخْلاصِ العبادةِ لَه دُونَ الآلهةِ والأَوْثانِ، والانْتِهاءِ إِلَىٰ طاعتِهِ وتَرْك مَعْصيته ﴿سَبِيلِيٓ﴾ وطَرِيقتِي ودَعْوتي، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:١٠٨] وَحْده لا شريكَ له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨]

بذَلِكَ ويقين علمٍ منِّي، ﴿أَنَا۠﴾ [يوسف:١٠٨] يَدْعو إليه عَلَىٰ بصيرةٍ أيضًا، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨] وصَدَّقني وآمنَ بي».اهـ(١).

فتبيَّن من هَذَا أنَّ الإشارةَ إِلَىٰ الطَّريقة الَّتي سَارَ عَلَيها في دعوتِهِ ﷺ من نَبْذِ جَمِيع الآلهةِ الَّتي تُعبَد معَ الله عَزَّوَجَلَّ، فمَنِ اتَّخَذ لنفسِهِ طريقًا غير طَرِيقة النَّبيِّ ﷺ، فتَغَاضىٰ عن الوثنيَّةِ القائمةِ، وظنَّ أنَّ مَنْ يَتطوَّفون بالأَضْرحة، ويَذْبحون لَها، ويَدْعون أَصْحَابها مُعْتقدِينَ فيهم القُدْرةَ عَلَىٰ ما لا يَقْدر عليه إلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فاعْتقَد أنَّهم مُسْلمونَ، فإنَّ دعوتَه هَذِهِ باطلةٌ من أَسَاسِها، ومَرْدودةٌ عَلَيه، دَلِيلُنا عَلَىٰ ذَلِكَ قولُ الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[النساء:٨٠].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٦٤]: إنَّ أوَّل شيءٍ يجبُ أن يُطَاعَ فِيهِ هي طريقةُ الدَّعوةِ إِلَىٰ الله، وكَمْ في القرآنِ مِنْ آياتٍ عَالجَتِ الشِّرْكَ، وفَنَّدتْ مَزَاعم المُشْركينَ، وبَيَّنتْ بُطْلانها.

وإنَّ ثناءَ المُؤسِّسِ للمَنْهج الإخوانيِّ عَلَىٰ «الميرغني»؛ وهو أحدُ أَقْطابِ الصُّوفيَّة القَائِلين بوحدة الوُجُودِ، وتَغَاضِيه عن الأَضْرحةِ القائمةِ في مصر، بل ومُحاضرته في بَعْضها، وتَبنِّيه لدعوة التَّقْريب بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، لأعظمُ دليلٍ عَلَىٰ أنَّ دعوتَه بعيدةٌ كلَّ البُعْد عن نهجِ النَّبيِّ ﷺ؛ بل يجبُ أن نقولَ: إنَّها مُنَاقضةٌ لها، وسأنقلُ في المآخذِ عَلَىٰ الإخوان ما يُبيِّن ذَلِكَ.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩١).

وأخيرًا، فإنَّ إقرارَ الوثنيَّة أمرٌ يهدمُ كلَّ عملٍ، ويجعلُ كلَّ جهدٍ ولَوْ كانَ مُحاربةً للشُّيوعيَّة غير مقبولٍ عند الله؛ لأنَّ الله لا يقبلُ من أعمالِ العبادِ إلَّا ما كان خَالصًا له، صوابًا عَلَىٰ طريقةِ نَبيِّه ﷺ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فهَلْ فَهم هؤلاء أنَّهم قَدْ أَعْطَوا قِيَادَهم لمَنْ لا يَجُوزُ أن يُعْطوه له، وبالله التَّوفيقُ.

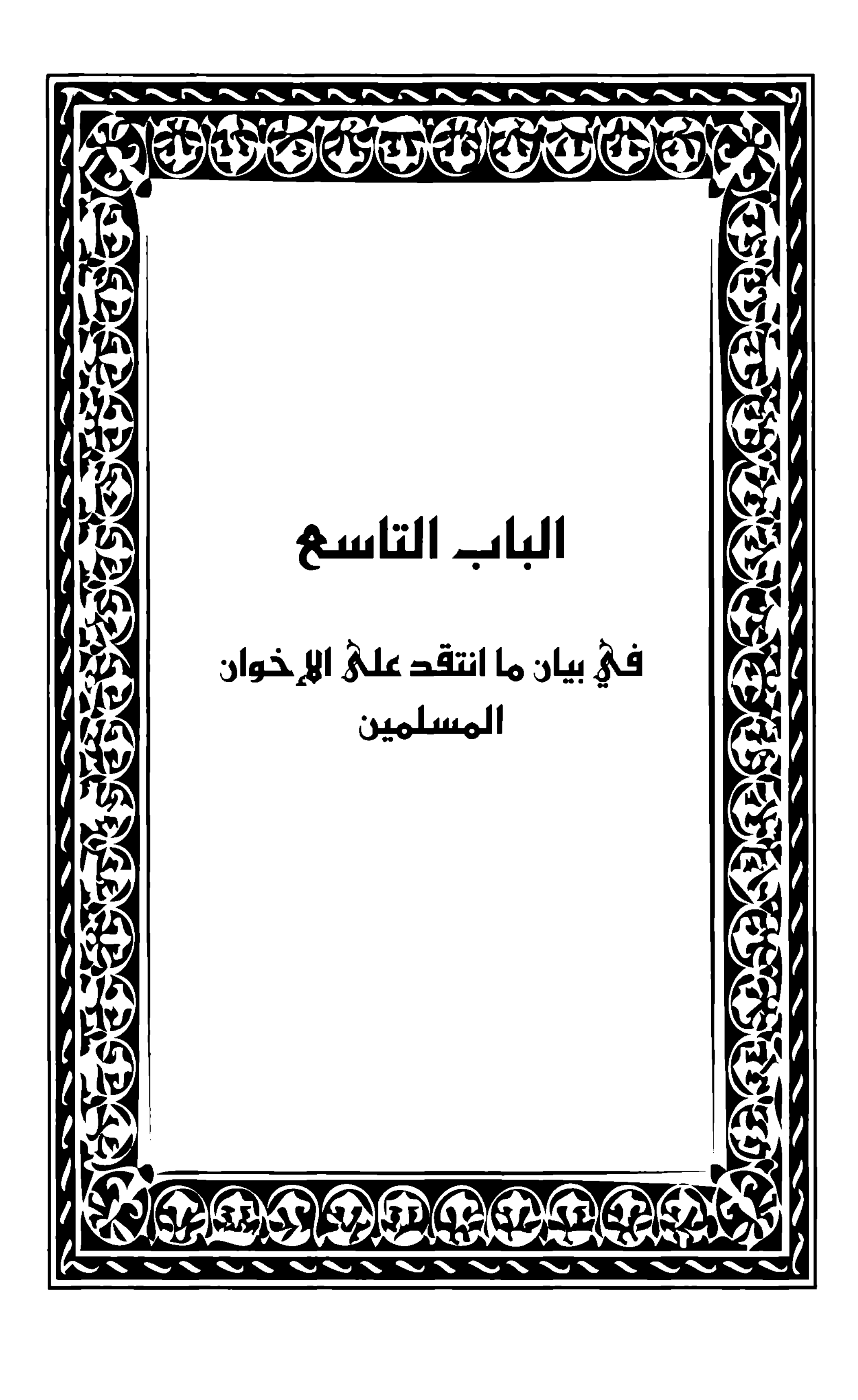
❁ **سادسًا:** وإذَا كَانتِ الحِزْبيَّةُ سببًا للفُرْقةِ، والفُرْقةُ أوَّل مِعْولٍ يَضْرب في وحدة الأُمَّة وتَماسُكها، فإنَّ تَعدُّدَ الأحزابِ سببٌ في تَعدُّد مَنَاهجها الفكريَّة، وتَعدُّد المنَاهِج الفكريَّة سببٌ في اضْطِرابِ الأَحْزاب، والاضطرابُ سببٌ في الهزائمِ الَّتي تحلُّ بالمُسْلمينَ، وهَلْ يمكنُ لأُمَّةٍ مُنْقسمةٍ عَلَىٰ نَفْسها أن تَصْمُدَ أمامَ العدوِّ؟!

❁ **سابعًا:** ومن مَضارِّ الحِزْبيَّة أَنَّ أداءَ الشَّعائِر التَّعبُّديَّة المأمور بها شَرْعًا يَتحوَّلُ الأداءُ فيها من واجبٍ تعبديٍّ إِلَىٰ واجبٍ حزبيٍّ، فيَخْدش الإخلاصَ إِنْ لم يَهْدمه، ويكون المُلَاحظُ في الأداءِ هو إرضاءُ الحِزْبِ، لا إرضاء الله.

❁ **ثامنًا:** أنَّه إذا أَمَرَ قائدُ الحزبِ بالحرص عَلَىٰ أيِّ عملٍ مستحبٍّ، وأَكَّد عَلَيه، بَالَغ التَّابعون حتَّىٰ يُحوِّلوه إِلَىٰ واجبٍ، فيَصِير المُسْتحبُّ واجبًا عِنْد المُتحزِّبين فِيهِ، وبذَلِكَ يَكُونونَ قَدْ جَعَلوا له حُكْمًا غير الحُكْمِ الشَّرعيِّ الَّذي وَضَعه اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

۞ **تاسعًا:** ومن مَسَاوئ الحزبيَّة: الانقسامُ، فربَّما انْقسَم الحزبُ إِلَىٰ حِزْبين أو أحزابًا، كما يُقَال عن الجرثومة أنَّها تَنْشطر، ثمَّ الشَّطْرُ ينشطرُ، وهَكَذا، أمَّا الجماعةُ السَّلفيَّةُ أتباعُ السُّنَّةِ المُحمديَّةِ فهُمْ مازالوا منذ بُزُوغ فَجْر الإسلام عَلَىٰ عقيدةٍ واحدةٍ إِلَىٰ يومنا هذا، أمَّا الاختلافُ في الفُرُوع فهو أمرٌ مُسلَّمٌ به، وقَدْ حَصَل بَيْن الصَّحابةِ والتَّابعينِ، ولم يؤدِّ إِلَىٰ خلافٍ ولا تباغضٍ ولا تناحرٍ ولا تقاتلٍ، فَافْهَمْ رَعَاك الله وحماك من شرِّ الحِزْبيَّة، ووَفَّقك للأَخْذِ بالطَّريقةِ السَّلفيَّة، فهي النَّجاةُ، نَسْأل الله أن يُثبِّتنا عليها حتَّىٰ نَلْقاه، ونَحْن إِمَامُنا رَسُولُ الله ﷺ، ومَنْ سارَ عَلَىٰ نَهْجِه، واقْتفَىٰ أثَرَه من أئمَّةِ الهُدَىٰ وحَمَلة الحديثِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهم أَجْمعينَ.

❀❀❀



الباب التاسع

في بيان ما انتقد على الإخوان المسلمين

الباب التاسع
في بيان ما انتقد على الإخوان المسلمين

اعْلَمْ -وَفَّقني الله وإيَّاك- أنَّا حِينَما نَعْرض لبيانِ ما انتقد عَلَىٰ الإِخْوانِ أو غَيْرهم إنَّما نَفْعل ذَٰلِكَ -إنْ شاءَ الله- بيانًا للحقِّ، ونصيحةً للخَلْق، وأداءً للوَاجِبِ الَّذي نِيطَ بحَمَلة العِلْم الَّذين حَمَّلهم اللهُ هَذِهِ المسؤوليَّة، وكلَّفهم بها في قولِهِ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

وكَلَّفهم بها رَسُولُهُ ﷺ حيث يَقُولُ: «**بَلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحَدِّثوا عن بَنِي إِسْرائِيلَ ولَا حَرَج، ومَنْ كَذَب عليَّ مُتعمِّدًا، فَلْيَتبوَّءْ مِقْعدَه مِنَ النَّارِ**» [1]، ويَقُول: «**ليُبلِّغ الشَّاهدُ الغَائِبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أَوْعىٰ لَه من شَاهِدٍ**»[2]، ويقولُ: «**نضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمِع مَقَالتِي فوَعَاها، فأدَّاها كَما سَمِعَها**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٨٢) (١٦٨٠٠) من حديث جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (١١٧١٢).

وكَمَا أَوْجبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَهْلِ العلمِ أَنْ يُبيِّنوا للنَّاسِ ما في الكِتَابِ والسُّنَّةِ من أحكامٍ وشَرَائع وقَضَايا، فَقَدْ أوجبَ اللهُ عَلَيهم أن يردُّوا عَلَىٰ مَنْ خَالَفها مخالفةً قليلةً أو كثيرةً في مسألةٍ أو مَسَائِل، أو قضيَّةٍ أو قَضَايا إِذَا كَانت المُخَالفةُ في الأُصُولِ والعَقَائِدِ، وإِنَّ وُجُوبَ ذَلِكَ عَلَيهم لا يقلُّ أهميَّةً عن وُجُوب بَيَانِ الأُصُولِ في الدِّين إِنْ لم يكن آكَدَ؛ لأنَّ الأحكامَ الَّتي لم يُصِبْها تَشْويهٌ، ولا تحريفٌ، ستَبْقَىٰ مَحْفوظَةً ومَأْمومةً للنَّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، عَلِمَها مَنْ عَلِمَها، وجَهِلَها مَنْ جَهِلها.

أمَّا الأَحْكامُ والقَضَايا المُشوَّهةُ، وأَقْصد بالمُشوَّهةِ الَّتي شَوَّهتها أفهامٌ معكوسةٌ، وعقولٌ انْحَرفتْ عن الحقِّ بسَبَب ما أَصَابها من جَرَّاء التَّلقِّي، فَظنُّوا دينًا ما ليس بدينٍ، وظنُّوا حقًّا ما هو باطلٌ، حتَّىٰ وَاجَهوا الحقيقةَ المُرَّة، وانْطَبق عَلَيهم قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٥].

ونَحْن نُؤمِن أنَّ مَنْ لم يلقَ الله بالتَّوحيدِ الَّذي ما أُنْزلَتِ الكُتُبُ، وأُرْسِلت الرُّسُلُ، وحَقَّتِ الحاقَّةُ، وخُلِقتِ الجنَّةُ والنَّارُ إلَّا من أجلِهِ أنَّه سيُوَاجه الحقيقةَ المُرَّة حتَّىٰ وإنْ كان مِمَّنْ يَزْعم -أو يُزْعَم له- أنَّه من الدُّعاة إِلَىٰ الله، ومَنْ شكَّ في هَذِهِ الحقيقةِ فليعلم أنَّه لم يَعْرف الدِّين الإسلاميَّ الَّذي جاءَ به مُحمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ، والَّذي تحدَّثَ عنه القرآنُ فأَسْهبَ وبَيَّن ما يُنَاقضه بيانًا شافيًا لا يَتسرَّب إليه شكٌّ، ولا يَبْقىٰ وراءه للحقيقة مَطْلبٌ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ

ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨]، وقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦].

وقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

ولمَّا عَدَّد اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأنبياءَ في سورة الأنعام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام:٨٨].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

وقَدْ صَدَّر اللهُ هَذَا الخبرَ باللَّام المُوطِّئة للقَسَمِ، وَهِيَ من حُرُوفِ التَّأكِيدِ، مُبيِّنًا لرَسُولِهِ ﷺ أنَّه لئن صَدَر منه الشِّركُ هو -وهو أحبُّ الخَلْق إليه، وأَعْلاهم عِنْده مقامًا، وأَعْظمهم عِنْده جاهًا- ليحبطنَّ عملُهُ، وليكوننَّ من الخَاسِرينَ، وحَاشَاه من الشِّركِ، ولكن هَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الافْتِراضِ، فَتبيَّن من هَذِهِ الآياتِ أنَّ الشِّركَ الأكبرَ مُحْبطٌ للعَمَل، ومُخْرجٌ من المِلَّةِ، ومُوجِبٌ للخُلُودِ في النَّار.

وقَدْ قَلَبَتِ الصُّوفيَّةُ الحقائقَ الشَّرعيَّةَ، فزَعَمتْ أنَّ دعاءَ المَخْلوقين مِمَّنْ تَزْعم لهم الولايةَ، وتَدَّعي لهم الكَراماتِ؛ سواء كَانُوا أحياءً أو أمواتًا، وَالاسْتِغاثةَ بهم في الشَّدائدِ، أنَّ ذَلِكَ هو محضُ الدِّين ولُبُّه وحقيقَتُهُ، بل غَلَتْ

في الأولياءِ حتَّىٰ جَعلَتْ مع الرَّبِّ مِنْهم أقطابًا يَتصرَّفونَ في الكون، ثمَّ زَادتْ في الغُلوِّ حتَّىٰ جَعَلتْ إلهَهَا ومَعْبودَها حالًّا في مخلوقاتِهِ، أو بَعْض مخلوقاتِهِ(١).

۞ **وأخيرًا:** فهل تَرَوْنَ أنَّ مَنْ يَتربَّىٰ في أحضانِ الصُّوفيَّةِ يخرجُ سالمًا من مَعرَّتها؟ لا والله إلَّا مَنْ يَشَاء اللهُ إنقاذَه، بل أقلُّ أحوالِهِ أن يخرجَ مَسْلوبَ الحساسيةِ من الشِّرْكِ الأكبر، الَّذي يَهْدمُ الإسلامَ ويُقوِّضه من أركانِهِ، وإذا ذَهَب التَّوْحيدُ، فقَدْ ذَهَب الإسلامُ، وكلُّ دعوةٍ لا تُبنَىٰ عَلَىٰ التَّوْحيدِ فَهِيَ باطلةٌ؛ لأنَّها أُسِّسَتْ عَلَىٰ غَيْرِ الأَسَاسِ الَّذي أَسَّس عليه رَسُول الله ﷺ دَعْوتَه.

وقَدْ آنَ لنا أن نَشْرعَ فيما قَصَدناهُ، واللهُ يعلم أنِّي لم أَقْصد تجريحَ أحدٍ، إلَّا أن يكونَ في ذِكْر ذَلِكَ الجَرح مَقْصدٌ دينيٌّ، بأن يكونَ في ذَلِكَ نصيحةٌ لمَنِ اغْترَّ بشخصٍ؛ أو منهجٍ، كما فَعَل ذَلِكَ السَّلف -رحمهم الله تعالىٰ- حَيْث قَدَحوا فيمَنْ قَدَحوا فيه؛ نُصْحًا للأُمَّة، وبيانًا للحقِّ، وكُتُبُ الجرحِ والتَّعديلِ مليئةٌ بذَلِكَ.

قال الإمامُ مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ في مُقدِّمة «الصَّحيح»: «وَحَدَّثنا عمرو ابن علي أبو حفص قالَ: سمعتُ يحيىٰ بن سعيدٍ قال: سألتُ سفيانَ الثَّوريَّ وشعبةَ ومالكًا وابن عيينة عن الرَّجل لا يَكُون ثبتًا في الحَديثِ، فيَأْتيني الرَّجلُ، فيسألني عَنْه. قالوا: أَخْبِرْ عنه أنَّه ليس بِثَبْتٍ.

(١) انظر كتاب: «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل، أو: «الكشف عن الصُّوفية لأول مرة»، وسترىٰ أنَّ الصوفية كلها داء عضال، وسُمٌّ قاتلٌ، وبلاءٌ ليس فوقه بلاءٌ، فإن كنت قد عُوفِيتَ منها، فاحمد الله علىٰ العافية.

وحَدَّثنا عبيد الله بن سعيد قالَ: سمعتُ النَّضرَ يَقُول: سُئِلَ ابْنُ عون عن حديثٍ لِشَهْرٍ، وهو قائمٌ عَلَىٰ أُسْكُفَّة[1] البابِ، فقالَ: إنَّ شهرًا نَزَكُوه، إنَّ شهرًا نَزَكُوه[2].

قال مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخَذتهُ الألسنُ، تكلَّموا فيه، ورَوَىٰ بسندِهِ إِلَىٰ الشَّعبيِّ، قال: حدَّثني الحارثُ الأعورُ الهمدانيُّ، وكان كَذَّابًا.

وبسندِهِ إِلَىٰ ابن عونٍ، قال: قالَ لنا إبراهيمُ: إيَّاكم والمغيرة بن سعيدٍ، وأبا عبد الرَّحيم، فإنَّهما كذَّابانِ.

وحدَّثنا أبو كامل الجَحْدَري، حدَّثنا حَمَّادٌ، وهو ابن زيدٍ، حدَّثنا عن عاصم قال: كنَّا نأتي أبا عبد الرَّحمن ونَحْن غلمةٌ أيفاعٌ، فكانَ يقولُ لَنا: لا تُجالِسُوا القُصَّاصَ غير أبي الأحوص، وإيَّاكم وشَقِيقًا، وكان شقيقٌ هذا يَرَىٰ رأيَ الخَوارجِ، وهُوَ غير شقيق بن سلمة».اهـ. من مُقدِّمة «صحيح مسلم» الكشف عن مَعَايبِ الرُّواةِ[3].

□ **وهذا أوانُ الشُّروع في الملاحظات والقوادح:**

□ **الملاحظة الأولى:** التَّهاونُ في تَوْحيد العبادة، وعدم جَعْلهِ أساسًا وقاعدةً يَنْطلقون منها، ومن الأدلَّة عَلَىٰ ذَلِكَ: أنَّ مُؤسِّسَ الحزبِ، ومُقرِّرَ المنهجِ

---

(١) «الأُسْكُفَّة»: عتبة الباب السُّفلىٰ التي تُوطأ.

(٢) «نزكوه»: أي: طعنوا فيه، وتكلموا بجرحه، فكأنه يقول: طعنوه بالنيزك، وهو رمح قصير.

(٣) انظر «صحيح مسلم» (١/ ١٧- ٢٠).

الإِخْواني حسن البنَّا[1] حاضرَ في وَكْرٍ من أَوْكارِ الشِّرْكِ، بَلْ من أكبر أَوْكَارِهِ

---

(١) حسن البنَّا قال في كتاب: «النقط فوق الحروف» لأحمد عادل كمال (ص ٨١): «ولد الأستاذ حسن البنَّا بقرية المحمودية، مديرية البحيرة بمصر سنة ١٩٠٤م.
وتلقىٰ أول دراسته في كُتَّاب القرية في المدرسة الإعدادية بالمحمودية، ثم في مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور، ثم في دار العلوم بالقاهرة، وقد تَميَّز في كل هذه المراحل بأنه كان دائمًا أول الناجحين، حيث كان موضع فخر أساتذته، ورعايتهم، وكان من المتوقع أن ترسله وزارة المعارف لإنجلترا، أو فرنسا علىٰ عادتها في إيفاد أوائل الحاصلين علىٰ دبلوم دار العلوم لولا ظروف خاصة جعلت الوزارة تخرج عن ذلك التقليد.
حصل الأستاذ علىٰ دبلوم دار العلوم ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره، فتم تعيينه مدرسًا بمدرسة الإسماعيلية الأميرية في الدرجة السادسة، وتَسلَّم عمله في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٧م، واستمر بعد ذلك مدرسًا في المدارس الابتدائية تسع عشر سنة، لم ينل فيها الدرجة الخامسة إلا بحكم قانون المُوظَّفين المسنين.
وفي مايو ١٩٤٦ استقال الأستاذ من وظيفته بوزارة المعارف بمناسبة إنشاء الجريدة اليومية للإخوان المسلمين». اهـ. من كتاب: «النقط علىٰ الحروف» (ص٨١-٨٣) بتصرف.
قلت: وقَدْ نشأ حسن البنَّا من أوَّل يومه، ونُعُومة أظفاره نشأةً صوفيةً، وقد ذكر ذلك البنا نفسه في كتابه: «مذكرات الدعوة والداعية» مفتخرًا ومغتبطًا، فقال في (ص٢٧): «وصحبت الإخوان الحصافية بدمنهور، وواظبت علىٰ الحضرة بمسجد التوبة في كل ليلة... ثم قال: وحضر السيد عبد الوهاب المجيز في الطريقة الحصافية الشاذلية، وتلقيت الحصافية الشاذلية عنه، وآذنني بأدوارها ووظائفها».
وقال جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ٨): «وفي دمنهور توثقت صلته -يعني حسن البنَّا- بالإخوان الحصافية، وواظب علىٰ الحضرة كل ليلة في مسجد التوبة مع الإخوان الحصافية، ورغب في أخذ الطريقة، حتىٰ انتقل من مرتبة المحب إلىٰ مرتبة التابع المبايع؛ بل شارك في إنشاء جمعية صوفية حصافية كما ذكر في مذكراته (ص ٢٨).
قال: وفي هذه الأثناء بدا لنا أن نؤسس جمعيةً إصلاحيةً، هي الجمعية الحصافية الخيرية، وانتخبت سكرتيرًا لها، وخلفتها في هذا الكفاح جمعية الإخوان المسلمون بعد ذلك».
قلت: ليهنأ جماعة -أو جمعية- الإخوان عراقتها في الصوفية، وانتماءها لها بانغماس =

=

مؤسسها في التصوف، وكونها خلفت جمعية صوفية حصافية لتقوم بدورها، وتؤدي غرضها، فالله الله يا موحدون في عقيدة التوحيد، ولا تضيعوها أو تميعوها، اقرؤوا القرآن، وانظروا ما فيه عن الشرك والمشركين من التحذير منه، والوعيد عليه، اقرؤوا آيةً واحدةً ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨]، وأضيفوا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

اقرؤوا السُّنَّة وسيرة النبي ﷺ في دعوته؛ لتروا كيف دَعَا إلىٰ نبذ الأوثان، وكسر الأصنام، وتوحيد الملك العلام، ثم اقرؤوا عن الصُّوفية لتروا ما فيها من شركٍ عظيم، وتأليه للشيوخ؛ بل لتروا ما فيها من دعوة صريحة إلىٰ وحدة الوجود، وإيمان بها، واعلموا أن الشرك والبدع أمور طبيعية عند المتصوفة، كل المتصوفة، لا يَسْلم منها حسن البنَّا، ولا غيره، وإن خَالَجكم شكٌّ في صدور الشرك منه والبدع، فإليكم هذا الخبر، وإن شككتم في صحته فراجعوه في المصدر الذي نسب إليه:

نقل جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ٧٠، ٧١) عن مجلة الدعوة فبراير ١٩٥١م حديث عبد الرحمن البنا عن أخيه حسن البنَّا، قال فيه: «وعقب صلاة العشاء يجلس أخي (حسن البنَّا) إلىٰ الذَّاكرين من جماعة الإخوان الحصافية، وقَدْ أشرق قلبه بنور الله، فأجلس إلىٰ جواره نذكر الله مع الذاكرين، وقد خلا المسجد إلَّا من أهل الذِّكر، وخبأ الصوت إلا ذُبَالة من سراج، وسكن الليل إلا همسات من دعاءٍ، أو ومضات من ضياءٍ، وشمل المكان كله نور سماوي، ولفه جلال رباني، وذابت الأجسام، وهامت الأرواح، وتلاشىٰ كل شيءٍ في الوجود، وانْمحَىٰ وانساب بصوت المنشد في حلاوة وتطريب.

الله قــل وذر الوجــود ومــا حــوى ... إن كنــت مرتــادًا بلــوغ كمــال

فالكـــــل دون الله إن حقـــــقته ... عــدم علــى التفـصيل والإجمــال

قلت: هذان البيتان ينضحان بوحدة الوجود، مع ما فيهما من بدع الذكر الصوفي، وقبل ذلك قول أخيه: «وتلاشىٰ كل شيءٍ في الوجود وانمحىٰ»، هذه عبارات أصحاب وحدة الوجود.

ونقل أيضًا في المصدر المذكور (ص ٧٠، ٧١) عن عبد الرحمن البنا قوله: «وذلك أنَّه حين يهل هلال ربيع الأول كنَّا نسير في موكبٍ مسائيٍّ كل ليلة حتىٰ ليلة الثاني عشر، ننشد القصائد في مدح الرسول، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

=

في مصر، وهو مَشْهدُ السَّيِّدة زينب.

نَقَل ذَلِكَ عباس السيسي في كتابِهِ «قافلة الإخوان المسلمون»[(١)]، فقالَ: «كلمة الأستاذ المرشد العَالِم في حفل الهجرة بالسَّيِّدة زينب، جَاءَ في كلماتِ الأُسْتاذ المرشد العام في هَذَا الحفل ما يلي:

لهذِهِ المُناسَبةِ أيُّها الإخوة أَنْصح لَكُم نصيحةً مخلصةً، أُشدِّد عَلَيكم في رِعَايَتها، وَهِيَ أن تُطهِّروا قُلُوبَكم، وتُصفُّوا سَرَائِرِكم عَمَّنْ نالَ منكم، أو أَسَاء إِلَيْكم، فوالله، إنِّي لَضَنينٌ بهذه القُلُوبِ، الَّتي لا تعرفُ إلَّا معاني الحبِّ في الله،

=

صلىٰ الإله علىٰ النور الذي ظهرا	للعالمين ففاق الشمس والقمرا

كان هذا البيت تردده المجموعة، ينشد أخي، وأنشد معه.

هذا الحبيب مع الأحباب قَدْ حضرا	وسامح الكلَّ في ما قد مضىٰ وجرىٰ
لقَدْ أدار علىٰ العُشَّاق خمرته	صرفًا يكاد سناها يذهب البصرا
يا سعد كرِّر لنا ذكر الحبيب لقد	بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الحمىٰ مالت معاطفه	لا شك أن حبيب القوم قد حضرا

بواسطة «دعوة الإخوان في ميزان الإسلام» (ص٦٢، ٦٣).

قلت: في هذه الأبيات ومقدمتها بدع:

أولها: بدعة الاحتفال بالمولد.

ثانيها: بدعة إنشاد المدح بصوت جماعي.

ثالثها: زعم الصوفية أنَّ النبي ﷺ يحضر احتفالاتهم المبتدعة، وهذا كذب عليه، عامل الله من اختلقه وصدَّقه بما يستحق، وفيها كارثة كبرىٰ، ومصيبة عظمىٰ، وهي إسناد مغفرة الذنوب إلىٰ رسول الله ﷺ في قوله: «وسامح الكل فيما قد مضىٰ وجرىٰ»، وهذا شرك أكبر مخلد في النار، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وفي الحديث القدسي: «عَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به». توفي البنا اغتيالًا، سنة ١٩٤٩م.

(١) «قافلة الإخوان المسلمون» (١/ ١٩٢).

ولم تَسْعد إلَّا بمَشَاعِر الأُخوَّةِ الحَقَّة الصَّادقة، أضنُّ بهذه القُلُوبِ الطَّاهرة أن تُلوَّث بحقدٍ، أو تُشوَّه ببغضاء، وتَنَال من صَفائِها خُصُومةٌ، إنَّ الدِّينَ حبٌّ وبغضٌ، ذَلِكَ حقٌّ من الإيمان أن نحبَّ في الله، ونَبْغض في الله، ولكن ما أشدَّ أن نُقْهَر عَلَىٰ كُرْه مَنْ نحبُّ، إنَّ الإيمان حبٌّ وبغضٌ، فأحبُّوا؛ لأنَّكم بالحبِّ تَسْعدون، وبهَذِهِ العاطفةِ تَجْتمعونَ، وعَلَىٰ هَذِهِ المَشَاعر وبها تَرْتبطون، فلا تَحْرموا قُلُوبَكم نعمةَ الحبِّ في الله تَعَالىٰ، وَلَا تَحْرموها شُعُورَ الحبِّ الطَّاهر البريء، وادَّخروا حجرَ البُغْضِ وثورةَ الغَضَبِ لساعةٍ آتيةٍ قريبةٍ، نَلْقىٰ فيها خُصُومَنا، ولستُ أعني خُصُومَنا في الدَّاخِلِ، فليس لَنا في الدَّاخل خُصُومٌ، ولله الحمد، وإِنْ كانوا فهم غُثَاءٌ كغُثَاءِ السَّيْل، سَيَجْرفهم الطُّوفانُ، فإمَّا ساروا، وإمَّا غاروا، أمَّا كلمة الجهاد فعاطفةٌ مُلْتهبةٌ، ومعاني الجهاد مُثُلٌ حَيَّةٌ باقيةٌ تَتَّجه إليها قُلُوبُ أبناء هَذِهِ الأُمَّة الَّتي ظُلِمَتْ، واعْتُدِي عَلَىٰ حُرِّيَّاتها وحُقُوقها، وأُحِيط بها من كلِّ مكانٍ».

مُنَاقشة الشَّيخ البنَّا في هَذِهِ الخطبةِ الَّتي ألْقاها في وَكْرٍ من أعظمِ أَوْكَار الشِّرك في مصر، أَلَا وهو مَشْهد السَّيِّدة زينب، ولم يَذْكر فيها حرفًا واحدًا عن الشِّرْكِ الأكبر الَّذي يجري في ذَلِكَ المَشْهدِ من الدُّعاءِ لغير الله، والاسْتِغاثةِ بغيرِهِ، والنَّذْر والذَّبْح وغَيْر ذَلِكَ، وكأنَّه لم يرَ الطَّائفين حَوْل القبر، والمُتمسِّحين بِهِ، ولم يسمع الَّذين يَرْفعون أَصْواتَهم بالدَّعَواتِ للسَّيِّدة زينب، طَالِبِينَ مِنْها الحَاجَاتِ الَّتي لا تُطلَبُ إلَّا من الله عَزَّوَجَلَّ، وكأنَّ الشَّيخَ البنَّا لم يَعْتبر ذَلِكَ الشِّركَ الأكبرَ الَّذي يَسْمعه ويُشَاهدُهُ حَوْل ضريح السَّيِّدة زينب أمرًا مُنْكرًا مخالفًا للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، بل مُناقضًا للإِسْلامِ، وهَادمًا له،

ومُقوِّضًا لأركانِهِ، إنَّه يَنْصح نصيحةً مخلصةً، ويُشدِّد في رِعَايتِها، ولكن ما هَذِهِ النَّصيحةُ يا ترىٰ؟ إنَّه يَنْصح بتَصْفيةِ السَّرائرِ، وتَطْهير القُلُوبِ من الغِلِّ والضَّغينةِ، مع أنَّها مُفْعمةٌ بالشِّرْك الأكبر، فهل هَذِهِ خطبة مَنْ يعتبر الشِّرْكَ الَّذي يَرَاه ويَسْمعه حول ذَلِكَ الضَّريح مناقضًا للإسلام؟!

أتركُ الجوابَ عَلَىٰ هَذَا السُّؤال للقارئ.

ومن جهةٍ أُخْرىٰ، فإنَّ اللهَ تَعَالىٰ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان:٧٢].

ومعنىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان:٧٢].

﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ۝٧٢﴾ أي: لا يَشْهدونَ الباطلَ.

قالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وهذِهِ من صفاتِ عباد الرَّحمن، أنَّهم لا يَشْهدون الزُّورَ، قيل: هو الشِّرْكُ، وعبادةُ الأصنام. وقيل: الكذبُ، والفسقُ، والكفرُ، واللَّغْوُ، والباطلُ».

وقَالَ أَبُو العَالية وطاوس وابن سيرين والضَّحَّاك والرَّبيع بن أنسٍ وغَيْرهم: «هُوَ أَعْيادُ المُشْركينَ».

وقَالَ عمر بن قيسٍ: «هِيَ مجالسُ السُّوءِ والخَنَا».

وقَالَ مالكٌ والزُّهريُّ: «شُرْبُ الخَمْر، لا يحضرونَه ولا يَرْغبون فيه»[١]. اهـ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٣٠).

قلتُ: القولُ بأنَّ الزُّورَ الَّذي لا يَشْهدونه هو الباطلُ بجَمِيع أنواعِهِ، هُو الأَوْلَىٰ والأَجْمعُ، ويدخلُ فيه الشِّرْكُ بالله، وأعيادُ المُشْركينَ، وعبادةُ الأَصْنام، وغير ذَلِكَ.

وإنَّ مشهدَ السَّيِّدة زينب من أَعْظمِ أَوْكَارِ الشِّرْك الَّتي تُحارَب فِيهَا عقيدةُ التَّوْحيدِ الَّذي أُرْسِلَتْ به الرُّسُلُ، وآخرهم مُحمَّدٌ ﷺ، ولا يجوزُ لمُسْلمٍ أن يَدْخلَه إلَّا أن يكونَ مُنْكِرًا لما يَفْعله أُولَئك المُشْركون، فمَنْ دَخَله ليُحاضرَ فيه بشيءٍ غير إنكار الشِّرْكِ، فإنَّه يكون قَدْ شَجَّع الشِّرْكَ الأكبرَ، وأَقرَّه، وآوَىٰ أهلَه، وإنَّه بذَلِكَ قَدْ أَوْهَم الجُهَّالَ بأنَّ ما يَعْملونه حقٌّ لا غبارَ عليه، وعبادةٌ يُتقرَّب بها إِلَىٰ الله، وهذا من أَعْظمِ الظُّلْم والغشِّ والخِدَاعِ الَّذي حَرَّمه اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

فإنْ قيل: إنَّ الشَّيخَ البنَّا قَدْ دَعَا إِلَىٰ الجهادِ في هَذِهِ الخطبةِ، فيكونُ قَدْ أدَّىٰ ما عَلَيه؟!

قلنا: أيُّ جهادٍ الَّذي دَعَا إليه البنَّا إذَا كان قَدْ أقرَّ الشِّرْكَ الأكبرَ المُخْرجَ من المِلَّةِ، وما فَائدةُ جهادِ اليهود والنَّصَارىٰ إذا كُنَّا مِثْلهم؛ بل أَرْدأ مِنْهم، فاليهودُ أَلَّهُوا عُزيرًا، والنَّصارىٰ أَلَّهوا عيسىٰ عليه السلام فقط، أمَّا الصُّوفيَّةُ ومَنْ دانَ بدِينِهم، فقَدْ أَلَّهوا ما لا يُحْصىٰ من البَشَر، فتجد قومًا يَعْبدون الحسينَ، وآخَرُون يَعْبدون السَّيِّدةَ زينب، وآخَرُون يعبدون البدويَّ، وآخَرُون يَعْبدون الجيلاني، وَآخَرُونَ يَعْبدون الدُّسوقي، وهلمَّ جَرًّا ما لا يُعدُّ ولا يُحصَىٰ من الآلهةِ، فحَسْبنا الله عَلَىٰ مَنْ أقرَّ الشِّرْكَ بالله في حين أنَّه يَزْعم أنَّه يَدْعو إِلَىٰ الله.

□ **والخلاصة:** أنَّ كلَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ جهادٍ ولم يُؤسِّسه عَلَىٰ التَّوحيدِ الَّذي أَسَّس عليه رَسُولُ الله ﷺ جِهادَه، فإنَّه قَدْ ضلَّ وأضلَّ، وأَخْطأَ الطَّرِيقَ الأمثَلَ الَّذي سَارَ عليه كلُّ نبيٍّ مرسلٍ، ونَطَق به كلُّ كتابٍ مُنْزلٍ.

أمَّا قول البنَّا في رسالةِ التَّعاليم في الأَصْل الرَّابع من الأُصُولِ العِشْرين: «والتَّمائم، والرُّقىٰ، والوَدَع، والمعرفة، والكهانة، وادِّعاء مَعْرفة عِلْمِ الغَيْب، وكلُّ ما كان من هَذَا الباب منكرٌ تجب محاربتُهُ، إلَّا ما كان آيةً أو قرآنًا أو رقيةً مأثورةً»[1].اهـ.

وقالَ في النَّصِّ الرَّابع عشر[2]: «وزيارةُ القُبُورِ -أيًّا كانت- سُنَّةٌ مشروعةٌ بالكيفيَّةِ المأثورةِ، ولكنَّ الاسْتِعانةَ بالمَقْبُورينَ -أيًّا كانوا- ونِدَاءَهم لذَلِكَ، وطلبَ قَضَاءِ الحاجاتِ مِنْهم عن قربٍ أو بُعْدٍ، والنَّذْرَ لهم، وتَشْييدَ القُبُورِ وسَتْرها وإِضَاءَتها والتَّمسُّحَ بها، والحلفَ بِغَيْر الله، وما يَلْحق بذَلِكَ من المُبْتدعَاتِ- كبائرُ تجبُ مُحَاربتُها، ولا نَتأوَّل لهذِهِ الأَعْمالِ سدًّا للذَّريعة».اهـ.

وأقول: أوَّلًا وقَبْل كلِّ شيءٍ: في هَذَين المقطعين أو الأَصْلين اللَّذين كَتَبهما الأستاذ البنَّا خلطٌ يدلُّ عَلَىٰ عَدَم تَمْييزِهِ بَيْن البدعةِ والشِّرْكِ الأكْبر والشِّرْكِ الأصغرِ، فمُزَاولةُ الكهانة، وادِّعاء مَعْرفة عِلْم الغيبِ، شركٌ أكبر مُخْرجٌ من المِلَّةِ، وكذَلِكَ الاستعانةُ بالمَقْبُورِينَ أيًّا كانوا، ونِدَاؤهم لذَلِكَ، وطلبُ قَضَاء الحَاجاتِ مِنْهم، والنَّذْرُ لهم، والتَّمسُّحُ بقُبُورِهم، كلُّ ذَلِكَ شركٌ أكبرُ مُخْرجٌ من

---

(١) من كتاب: «نظرات في رسالة التعاليم» لمحمد عبد الله الخطيب، ومحمد عبد الحليم حامد (٨٠).

(٢) (ص ١٦٦) من نفس المصدر.

المِلَّةِ، وكذَلِكَ تَعلُّق التَّمائم والوَدَع إن اعتقد فيه أنَّه يَدْفع عنه الجنَّ، أو ما أشْبه ذَلِكَ، كلُّ هَذَا من الشِّرْكِ الأكبر، مثل شِرْك العرب الَّذين قَاتَلهم رَسُولُ الله ﷺ وَاسْتَباحَ سَفْكَ دِمَائِهم، وسَبْيَ ذَرَاريهم، وغَنِيمةَ أمْوالِهم.

وأمَّا الشِّرْكُ الأصغرُ فهو كالحلفِ بغير الله تعالىٰ، والرُّقيةِ إذا كانت بغَيْر المَشْروع ولم يَكُنْ فيها استغاثةٌ بالجنِّ أو غيرهم.

أمَّا البدعُ فهِيَ البناءُ عَلَىٰ القُبُورِ، وسَتْرُها، والإضاءةُ لها، فالدَّمْجُ بَيْن هَذِهِ الأُمُورِ المُتفَاوتةِ في الحُكْمِ دالٌّ عَلَىٰ عَدَم معرفتِهِ للتَّفْصيل، فمَنْ دَعَا غير الله، وطَلَب منه جَلْبَ النَّفْع، ودَفْعَ الضُّرِّ، فقَدْ كَفَر، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وفي الحدِيثِ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا لم تُقبَل له صَلاةٌ أَرْبَعِينَ ليلةً»، وفي روايةٍ: «فقَدْ كَفَر بما أُنْزِل عَلَىٰ مُحمَّدٍ»[(١)].

فإذَا كانَ هَذَا في حقِّ الآتي إِلَىٰ الكَاهِن، فما بَالُك بالكَاهِنِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعىٰ عِلْمَ الغَيْبِ فقَدْ كَفَر، ومَنِ اعْتقَد فيه ذَلِكَ فقَدْ كَفَر، فمَنْ زَعَم أنَّ هَذِهِ الأُمُورَ من الكَبائِرِ الَّتي لا يخرجُ بِهَا صَاحِبُها من الإِسْلام فهُوَ أحدُ رَجُلين؛ إمَّا جاهلٌ لا يَعْرف الأحكامَ الشَّرعيَّةَ، وإمَّا مفتونٌ يريدُ أن يُضِلَّ النَّاسَ.

وأمَّا الحلفُ بغَيْر الله فهُوَ شركٌ أصغرُ، لا يُخْرج من الإِسْلامِ، بدليل أنَّ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٩) (٩٥٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٤٥٩٩).

الصَّحابةَ -رضوان الله عليهم- كَانُوا يَحْلفون بآبَائِهم، وبالكعبةِ وبالنَّبيِّ ﷺ، ثمَّ نُهُوا عن ذَلِكَ بقول النَّبيِّ ﷺ: **«لا تَحْلفُوا بآبَائِكُمْ، مَنْ كانَ حالفًا فَلْيَحْلِفْ بالله أو لِيَسْكُتْ»**[1].

أمَّا البِنَاءُ عَلَىٰ القُبُورِ، وسَتْرها، والإضاءةُ لها، فهي بدعٌ إِذَا لم يَصْحبها دعوةٌ للمَقْبُورِين، ولا تَوسُّلٌ بهم، ولو قُدِّر أنَّه يقصد بالمُنْكر الشِّرْكَ والكفرَ، فأينَ العَمَلُ بهذا التَّقرير، وقَدْ أقرَّ العامَّةُ عَلَىٰ دَعْوة المَقْبُورِينَ وتَأْليههم؟!

ولَقَدِ انْعكَس هَذَا، أي: التَّهاون بتَوْحيدِ الأُلُوهيَّةِ، واسْتِمْراءِ الشِّرْكِ الَّذي يُناقِضه، وعَدَم الحساسيَّة منه، وعَدَم اعْتِبارِهِ رِدَّةً يَهْدم الإسلامَ ويُقوِّضه من أصلِهِ، انْعكَس هَذَا الوضعُ الَّذي عَاشَه البنَّا في دَعْوتِهِ عَلَىٰ جميعِ القَادَة والمُنظِّرين في هَذَا المَنْهجِ، فخَيْرُهُم السَّاكتُ عنه، والمُقرُّ له، وإِنْ كان السَّاكت عن الشِّرْك لا خيرَ فيه؛ بل من المُنظِّرين والقادةِ في المَنْهج الإخوانيِّ مَنْ وقع في الشِّرْك الأكبر[2]، كما سيأتي عن سعيد حَوَّىٰ، وعمر التلمساني، ومصطفىٰ السباعي، فضلًا عن غَيْرهم.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أي: أتوا ببعض المُكفِّرات، ولا يعني هذا تكفيرهم علىٰ التعيين؛ فإنَّ منهج أهل السُّنَّة والجماعة يقتضي عدم تكفير المعين إلا بعد إقامة الحجة عليه بثبوت شروطه، وانتفاء موانعه.

فصل
هل من قال: لا إله إلا الله، وناقضها يعد مسلمًا؟!

مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله»، وهو مع ذَلِكَ يَدْعو المَقْبُورِينَ، ومَنْ يُسمِّيهم بالأَوْلياءِ من دون الله فيما لا يَقْدر عليه إلَّا الله... هل يُعتَبر مسلمًا؟ وما هُوَ الدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ؟!

والجوابُ وبالله التَّوفيق، ومنه أَسْتمدُّ العونَ والتَّوفيقَ والسَّدادَ:

اعْلَمْ أنَّ مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله»، وهو يَدْعو غير -الله، راجيًا منه جَلْبَ النَّفْع، ودَفْعَ الضُّرِّ الَّذي لا يَقْدر عَلَىٰ جَلْبه أو دَفْعه إلَّا اللهُ، أو يَنْذر له، أو يَذْبح عَلَىٰ اسمِهِ، أو يَسْتغيث به، ويَسْتجير، فهو مُشْركٌ شركًا أكبر، كافرٌ بوَحْدانيَّة الله، وإنْ صلَّىٰ وصامَ وزَعَم أنَّه مسلمٌ، ولو كرَّر: «لا إله إلَّا الله» في اليوم سَبْعين ألف مرَّةٍ، فإنَّ ذَلِكَ لا يَنْفعه أبدًا حتَّىٰ يكفرَ بما يُعبَد من دون الله؛

□ **وإليك الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة:**

۞ **الدَّليل الأوَّل:** من القُرْآنِ الكريمِ؛ قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦].

□ **فتبيَّن من هَذِهِ الآية أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسلَ الرُّسُلَ بشيئين:**

❁ **أوَّلهما:** الإيمانُ بالله وَحْده، وعبادتُهُ بما شَرَع عَلَىٰ أَلْسِنَة رُسُلِهِ، صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعين.

❁ **ثانيًا:** الكفرُ بالطَّاغوتِ واجْتنابُهُ، وكلُّ ما عُبِد من دون الله فهو طاغوتٌ، والطَّاغوتُ مُشْتقٌّ من الطُّغيانِ، ومن حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكونَ عبدًا لله، فإذا عُبِدَ من دون الله، فقَدْ تجاوزَ به عابدُهُ حَدَّه، ومن أجل ذَٰلِكَ سُمِّي طاغوتًا ووثنًا؛ سواء كانَ المعبودُ ملكًا مُقرَّبًا، أو نَبيًّا مُرسلًا، أو وَليًّا[1]، أو شيطانًا، أو إنسيًّا، أو جِّنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو منحوتًا، أو غير مَنْحوتٍ، فمَنْ عَبَد اللهَ ولم يَكْفر بالطَّاغوتِ، لم تصحَّ عبادتُهُ، ولم تُقبَل منه حتَّىٰ يَكْفر بما يُعبَد من دونِ الله.

---

(١) **ملحوظة:** الملك، والنبي، والعبد الصالح، لا يُسمَّىٰ أحد منهم طاغوتًا؛ لأنَّهم لا يرضون لأحدٍ أن يعبدهم من دون الله، ومَنْ عبدهم فإنَّما عبد الشيطان في الحقيقة.

والدليل علىٰ ذلك: محاورة ابن الزِّبَعْرَىٰ للنبي ﷺ حين نزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء:٩٨] الآيات، ثم نزل بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء:١٠١، ١٠٢]، وقال النبي ﷺ: «**يَمْثل لمَنْ كان يَعبدُ عيسىٰ شيطانَ عيسىٰ، ولمَنْ كان يعبدُ عزيرًا شيطانَ عُزير**».

[أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٣٢) (٨٧٥١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧)، وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» (٩٧٨٤)، وقال: «هذا إسناده صحيح متصل، رجاله ثقات»].

وأخيرًا: فالشيطان الذي دعاهم إلىٰ عبادة غير الله هو الطاغوت.

❁ **الدَّليل الثَّاني:** أنَّ الأمرَ بالعبادة جاءَ في القُرْآن الكريمِ مُقْترنًا بالنَّهْيِ عن الشِّرْكِ تارةً؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

فتكُونُ العبادةُ المَأْمُور بها هِيَ العبادةُ الخاليةُ عن الشِّرْكِ بالله، أو مُقْترنًا بالأَدَاةِ الحَاصِرة الَّتي تُفِيد حَصْرَ العبادةِ وقَصْرَها عَلَىٰ الله دُونَ غيره؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٤٠]، وكقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٥].

أو مُقْترنةٌ بالحال الدَّالَّة عَلَىٰ صفاءِ العِبَادةِ ونَقَائِها من شَوَائبِ الشِّرْك؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر:١٤]، أي: حال كَوْنكم مُخْلِصين الدُّعاءَ لَه، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

فإنْ وَرَد الأمرُ بالعبادةِ مطلقًا في بَعْض المَوَاضع، فهو محمولٌ عَلَىٰ المُقيَّدِ، كما تقرَّر في الأُصُولِ.

ويُسْتَفادُ من هَذَا أنَّ أيَّ عبادةٍ تكونُ مخلوطةً بالشِّرْكِ، فإنَّها مَرْدودةٌ عَلَىٰ صَاحِبِها وغَيْرُ مَقْبولةٍ منه ألبتَّة، ويؤكِّد هَذَا ويدلُّ عليه مَا وَرَد في الحديثِ القُدسيِّ، وهُوَ:

❁ **الدَّليل الثَّالث:** أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرَ عن ربِّه -جلَّ وعَلَا- أنَّه قالَ: «أَنَا

أَغْنَىٰ الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْركَ مَعِي فِيهِ غَيْري، تَركْتُهُ وشِرْكَه»(١).

❁ **الدَّليل الرَّابع:** أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَفَ المَعْبودِينَ بالعَجْز وعَدَم القُدْرة عَلَىٰ جَلْبِ النَّفْع لعَابِدِيهم، فقالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [يونس:١٨].

وقوله عَلَىٰ لِسَانِ إِبْراهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت:١٧].

❁ **الدَّليل الخامس:** أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَف المَعْبُودِينَ بالعَجْز عن الخَلْقِ والإيجادِ حتَّىٰ لأَضْعفِ المَخْلوقاتِ وأَحْقرها، ولَو اجْتَمعوا كلُّهم، فقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣].

❁ **الدَّليل السَّادس:** أنَّ جميعَ الآلهةِ المُتَّخذة مَخْلوقةٌ، والمخلوقُ الَّذي وُجِد بَعْد العَدَم لا يصحُّ أن يكونَ إلهًا، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية عند ابن ماجة (ح٤٢٥٥): «فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»، وسندها حسن، وقد قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٦٩): «رواتها ثقات»، وصَحَّحها البوصيري في «الزوائد» (٣/ ٢٩٥)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٩٤). محمد بن هادي.

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣].

۞ **الدَّليل السَّابع:** أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبرَ أنَّ العَابِدِينَ والمَعْبُودِينَ سيردُون إِلَىٰ جهنَّم، ويَكُونُونَ وَقُودًا لها، وهَذَا إنَّما يَتحقَّق في المَعْبودين الَّذينَ رَضَوْا بعبادةِ أَنْفُسِهم من دُونِ الله، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء:٩٨، ٩٩].

۞ **الدَّليل الثَّامن:** أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قرَّر ضعفَ المَدْعوِّين من دُونِهِ وإفْلاسهم وفَقْرهم، فقَالَ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ:٢٢].

ولمَّا امتنَّ اللهُ عَلَىٰ عبادِهِ بذِكْر شيءٍ من أَنْعُمِه الَّتي بَدَأها بقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴿١١﴾﴾ [فاطر:١١].

إلىٰ أَنْ قَالَ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

ثمَّ قالَ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر:١٥-١٧].

فهَلْ أصحابُ الأَضْرحة وسُكَّان القُبُور الَّذين يُضْفي عَلَيهم أصحابُ النِّحْلةِ الصُّوفيَّة القَدَاسةَ، ويَدَّعونَ لهم شيئًا من التَّصرُّفِ دَاخِلُونَ فيما أخبرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَنْ كلِّ مَنْ عُبِد من دُونَه من العَجْزِ والضَّعْفِ، وعَدَم المُلْك وعَدَم القُدْرة عَلَىٰ ما يُطلَب مِنْهم، فإِنْ قُلْتم يا مَنْ تَدْعونهم من دون الله، وأنتم يا مَنْ تُقرُّون ذَلِكَ وتَزْعمون أنَّه لَيْس بمُنْكرٍ: نَعَمْ وهو الحقُّ! خصمتم، ولَزِمَكُمْ أن تُذْعِنوا للحقِّ، وتَعُودُوا إِلَىٰ الصَّوابِ، فتَتْركُوا عبادةَ غَيْر الله، وتُنْكِروا الشِّرْكَ وعبادةَ الأصنام، فإِنْ قُلْتم: نَحْن لا نَدْعو الأصنامَ، وإنَّما نَدْعو الأولياءَ الَّذين قالَ اللهُ عَنْهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢].

□ **فالجوابُ:**

۞ **أوَّلاً:** أنَّ الاسْمَ المَوْصُولَ «الَّذين» من أَدَواتِ العُمُومِ، فيَشْمل كلَّ مَنْ دُعِيَ وعُبِدَ من دون الله من مَلَكٍ ونبيٍّ ووليٍّ وشجرٍ وحجرٍ وصنمٍ، وغير ذَلِكَ.

۞ **ثانيًا:** إِنْ قلتم: إنَّ الأولياءَ مُسْتثنَون من هَذَا؟ فهَاتُوا بُرْهَانكم إِنْ كنتم صَادِقينَ.

۞ **ثالثًا:** وإذا كانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قالَ لنبيِّه وأَفْضل عِبَادِهِ وأَقْربهم إِلَيه وسيلةً، وأَعْظمهم عِنْدَه جاهًا: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف:١٨٨].

فغيرُهُ من بَابِ أَوْلىٰ.

﴿ **وأخيرًا:** فمَنْ دَعَا غيرَ الله، أيًّا كانَ المَدْعو: وليًّا أو نبيًّا أو مَلَكًا أو إنسيًّا أو جنيًّا أو صنمًا أو غير ذَلِكَ، فقَدْ أشركَ بالله شركًا أكبر يُخْرِجُ من المِلَّةِ، ونَاقَض هَذِهِ الآياتِ الَّتي ذَكَرناها، وإِنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله» وصلَّىٰ وصامَ وزَعَم أنَّه مسلمٌ.

وعلىٰ ذَلِكَ جَاءَتِ السُّنَّةُ، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يومًا بارزًا للنَّاس، فأتَاه رجلٌ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، ما الإيمانُ؟

قالَ: «**أَنْ تُؤمِنَ باللهِ ومَلَائكتِهِ وكُتُبِهِ ولِقَائِهِ ورُسُلِهِ، وتُؤمِن بالبَعْثِ الآخر**».

قال: يا رَسُولَ الله، ما الإسلامُ؟

قالَ: «**أَنْ تَعْبدَ اللهَ ولا تُشْركَ به شيئًا، وتُقِيم الصَّلاةَ المكتوبةَ**»، الحديث[(١)].

فقَدْ وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ بقولِهِ: «**تَعْبد اللهَ ولَا تُشْرِك بِهِ شيئًا**»، ويَظْهر من هَذَا أنَّ العبادةَ لا تكونُ عبادةً إلَّا إذا كَانَتْ نَقيَّةً من الشِّرْكِ كما تَقدَّم في الحديثِ القُدسيِّ: «**أنَا أَغنىٰ الشُّركاءِ عن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْركَ مَعِي فيه غَيْري تركتُهُ وشِرْكَه**»[(٢)].

وقَدْ جاءَ في السُّنَّةِ أحاديثُ كثيرةٌ بمِثْل هَذَا القيدِ للعِبَادةِ؛ ومِنْها:

ما رَوَاه مسلمٌ من حَدِيثِ أبي أيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أعرابيًّا عرضَ لنبيِّ الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو في سَفَرٍ، فأَخَذ بزِمَامِ نَاقتِهِ، ثمَّ قالَ: يا رَسُول الله -أو: يا مُحمَّد- أَخْبرني بما يُقرِّبني من الجنَّةِ، ويُبَاعدني من النَّار، قال: فكفَّ النَّبيُّ ﷺ، ثمَّ نَظَر في أصحابِهِ، ثمَّ قالَ: «لقَدْ وُفِّق -أو لَقَدْ هدي»، قالَ: كَيْف قلتَ؟ قال: فأعادَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «تَعْبدُ اللهَ ولا تُشرِكُ بِهِ شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكاةَ، وتَصِل الرَّحمَ، دَعِ النَّاقةَ»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما مَرْفوعًا: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: أَنْ يُوحَّد اللهُ...»، الحديث في بَابِ أَرْكانِ الإِسْلامِ ودَعَائمِهِ، مِنْ (كِتَابِ الإِيمَانِ)[(٢)].

وَفِي «صحيح مسلم» أيضًا: بابُ الأَمْر بِقِتَالِ النَّاسَ حتَّىٰ يَقُولُوا: لا إله إلَّا الله، ويُقِيموا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، ويُؤمِنوا بجَمِيع ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ، وقِتَال مَنْ مَنَع الزَّكاةَ، أو غَيْرها من حُقُوقِ الإِسْلامِ.

أورد في حديث أبي مالكٍ عن أَبيهِ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَه إلَّا اللهُ، وكَفَر بما يُعبَد من دُونِ الله، حَرُمَ مالُهُ ودمُهُ، وحسابُهُ عَلَىٰ اللهِ»[(٣)].

وقَدْ تَبيَّن مِنْ جَمِيع ما سَبَرناهُ أَنَّ مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله» بلسانِهِ، ونَاقَضَها بأفعالِهِ، كأَنْ يَدْعو المَخْلُوقينَ، ويَعْتقد فِيهِم القدرةَ عَلَىٰ جَلْبِ النَّفْع، ودَفع

---

(١) أخرجه مسلم (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣).

الضُّرِّ الَّذي لا يَقْدر عليه إلَّا الله- أنَّ قَوْلَها لا يَنْفعه لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ، فلا تَعْصم دَمَه في الدُّنيا، ولا تُنجِّيه من النَّار، ولا تُدْخِله الجنَّةَ في الآخِرَةِ، وقَدِ اتَّضح الحقُّ لمَنْ أرَادَه، والتَّوفيقُ من الله.

□ **الملاحظة الثانية:** إقرارُ المَشَاهِدِ والأَضْرحةِ، وعَدَم مُحاوَلةِ إِزَالتها والقِيَام بحربٍ عَلَيها وعلىٰ مُرْتَاديها.

إنَّ المَشَاهدَ والأضرحةَ الَّتي مازالت قائمةً في البِلَادِ المِصْريَّة والَّتي يَرْتادها المِصْريُّونَ من كلِّ نَوَاحي مصر، يَتطوَّفون بها، ويُقدِّمون لها النُّذُورَ، ويَهْتفونَ بأَسْماءِ أَصْحابِها استغاثةً في الكُرُوبِ، ورجاءً في الرَّغائبِ، إنَّ هَذِهِ المَشَاهِدَ والأَضْرحةَ تُمثِّل الطَّواغيتَ الَّتي كَانتْ في الجاهليَّة؛ كاللَّات والعُزَّىٰ وذي الكفين وذي الخلصة ومناة، وغير ذَلِكَ، والَّتي حَارَبها النَّبيُّ ﷺ مُنْذ بُعِث حربًا شَعْواءَ لا تَخْبو نَارُها، ولا يفتر أُوَارُها، فلمَّا انتصرَ عَلَىٰ المُشْركين، أَرْسَل بعضَ أصحابِهِ لهَدْمِ تِلْك الطَّواغيت وإِبَادَتها وإِحْرَاقها.

وإنَّ الواجبَ عَلَىٰ كلِّ داعيةٍ يَزْعم أنَّه يَدْعو إِلَىٰ الله، ويَكُون في وسَطِه وبيئته كالوسَطِ والبيئة الَّتي كَانَتْ وما زَالَتْ في مصر وغيرها من بُلْدانِ العَالَم الَّتي بُلِيتْ بهذا المَرَض الفَتَّاكِ، وهو مَرَضُ الخُرافَةِ والشِّرْك بالله؛ أقولُ: إنَّ الواجبَ عَلَىٰ كلِّ داعيةٍ في مِثْل هَذَا المحيطِ أَنْ يَبْدأ ببيانِ التَّوحيدِ وما يُنَافِيه من الشِّرْكِ، أمَّا مَنْ سَكَت عن الشِّرْكِ، وهو يَزْعم في نَفْس الوقتِ أنَّه يَدْعو إِلَىٰ الله مع أنَّه لا يَتمعَّر وجهُهُ من هُتافاتِ المُشْركينَ بأَسْماءِ المَخْلوقينَ، يَدْعونهم بما لا يَقْدر عليه إلَّا الله؛ سواء كانوا أحياءً أم أمواتًا، ولم يحارب

تِلْكَ المَشَاهد ومُرْتَاديها حتَّىٰ ولا بالإِنْكَارِ بالكَلِمَةِ، بَلْ هو يذهبُ إِلَيْها بنفسِهِ مُوهمًا لعوامِّ النَّاسِ ودَهْمَائهم أنَّ هَذِهِ الأضرحةَ تُمثِّل الإسلامَ وما يَعْمله النَّاسُ عِنْدها يقرُّه الإسلامُ، كما تَقدَّم أنَّ الشَّيْخَ البنَّا حاضرَ في مَشْهد السَّيِّدة زينب في حَفْل الهجرة، ولم يَذْكر حرفًا واحدًا عن الشِّرْكِ الَّذي يُعمَل في ذَلِكَ المَشْهدِ.

وقالَ حسن البنَّا في «مُذَكراتِهِ» (ص٣٣): «وكنَّا في كثيرٍ من أيَّام الجُمَع الَّتي يَتصَادف أن نَقْضيها في دمنهور، نقترحُ رحلةً لزيارة الأَوْلياءِ القَرِيبينَ من دمنهور، فكُنَّا أحيانًا نزور «دسوقي»، فنَمْشي عَلَىٰ أَقْدامِنا بعد صَلَاة الصُّبْح مباشرةً بحَيْث نصلُ حوالي السَّاعة الثَّامنة صباحًا، فنَقْطع المسافةَ وَهِي حوالي عشرين كم في ثلاث ساعاتٍ، ونَزُور ونُصلِّي الجُمُعة، ونَسْتريح بَعْد الغداء، ونُصلِّي العصرَ ونَعُود أَدْراجَنا إِلَىٰ دمنهور حَيْث نَصِلها بعد المغرب تَقْريبًا».

وقال أيضًا في الصَّفحة نَفْسها: «وكُنَّا أحيانًا نَزُور «عزبة النوام» حَيْث دُفِنَ في مَقْبرتها الشَّيخ «سيد سنجر» من خَوَاص رجال الطَّريقةِ الحصافية، والمَعْروفين بصَلَاحِهم وتَقْواهم، ونَقْضي يومًا كاملًا هناك، ثمَّ نَعُودُ»[١].اهـ.

وأقول: إنَّ الزِّيارةَ تَنْقسم إِلَىٰ ثلاثةِ أقسامٍ: سُنيَّةٌ وبِدْعيَّةٌ وشِرْكيَّةٌ، فمَنْ دَعَا صاحبَ القَبْر فهُوَ مُشْركٌ، وزيارتُهُ شِرْكيَّةٌ، ومَنْ زَعَم أنَّ الدُّعاءَ عند ذَلِكَ القَبْر مُسْتجابٌ فهو مُبْتدعٌ، وزيارتُهُ بِدْعيَّةٌ، ومَنْ زَارَ قَبْرَ فلانٍ ليدعو لَه؛ لعلمِهِ أنَّ المقبورَ في حاجةٍ إِلَىٰ الدُّعاءِ، فتِلْك هي الزِّيارةُ السُّنيَّة الَّتي

---

(١) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص ٣٣).

حثَّ عَلَيها النَّبيُّ ﷺ في قولِهِ: «كُنْتُ نَهَيْتُكم عن زِيَارةِ القُبُورِ فزُورُوها؛ فإنَّها تُذكِّر الآخرةَ»[١].

ولَكِنَّ الزِّيارةَ السُّنيَّةَ لا يَجُوزُ أن يشدَّ إِلَيها رحلٌ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «لَا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إِلَىٰ ثَلَاثةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجدي هَذَا، والمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[٢].

والعِشْرُونَ كيلو «بريد» وهي مَسَافةُ قَصْرٍ عَلَىٰ رأي بَعْض أَهْلِ العِلْم، وظاهرُ الدَّليلِ مَعَهم، فقَدْ وَرَد في حديث: «لا يحلُّ لامْرَأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرةَ ثَلَاثةِ أيَّام»[٣]. وفي روايةٍ: «يَوْمٍ وليلةٍ»[٤]. وفي روايةٍ: «يومٍ»[٥]. وفي روايةٍ: «ليلةٍ»[٦]. «إلَّا مَعَ ذِي مَحْرم».

وهذه الرِّواياتُ صَحَّتْ صِحَّةً لا شكَّ فِيهَا.

ووَرَد في رواية سُهَيل بن أبي صالح وقَدْ رَوَىٰ له البخاريُّ مَقْرونًا بلَفْظ: «لا يحلُّ لامْرَأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافرَ مَسَافةَ بريد»[٧].

وَالبريدُ مَسَافة تِسْعةَ عَشَر كيلو ومئتي متر (١٩٢٠٠)، فتَبيَّن أنَّ هَذِهِ المَسَافةَ مسافةُ قَصْرٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجها مسلم (١٠٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجها مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجها مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (١٠٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمن بالله واليوم الآخِر أن تُسافر مَسيرة يوم وليلة ليس معها حُرْمة».

❁ **وأخيرًا:** مَا هُو الباعثُ للشَّيخ البنَّا ورِفَاقِهِ إِلَىٰ هَٰذِهِ المَشَاهد وهٰذِهِ القُبُور الَّتي فُتِنَ بها النَّاسُ، وجَعَلوها مُضَاهيةً للكَعْبة إِنْ كَانُوا يَدْعون اللهَ عِنْدها، ومُضَاهيةً لله إِنْ كَانُوا يَدْعونها، والأخيرُ هو المعروفُ من حالِ المُشْركينَ الَّذين يَرْتادُونَ هَٰذِهِ الأماكنَ، وما الَّذي حَمَلهم عَلَىٰ أنَّهم يَذْهبون إِلَىٰ هَٰذِهِ القُبُور يَمْشون عَلَىٰ الأَقْدامِ، ويَزْعمون أنَّ ذَٰلِكَ قُرْبةٌ.

والظَّاهرُ أنَّ البنَّا ورِفَاقَه يَقْصدون واحدًا من الاثنين: إمَّا الدُّعاءُ عِنْدها، وهَٰذَا بدعةٌ، وإمَّا دُعاءُ المَقْبُورِينَ فيها، وهذا شركٌ أكبرُ.

فمَنْ عاشَ وتَربَّىٰ عَلَىٰ هَٰذَا من صِغَرِهِ وأيَّام طَلَبِهِ، فكيفَ يُسْتَبعدُ وُقُوعُهُ منه في كِبَرِهِ وأيَّام تَبنِّيه للدَّعوةِ إِلَىٰ الله؟!

بل إِنَّ ذِكْره لذَٰلِكَ معتزًّا ومُغْتبطًا به في «مذكراتِهِ» يدلُّ دلالةً واضحةً عَلَىٰ عَدَم رُجُوعِهِ عنه، وسكوتُهُ عَلَىٰ تِلْك المَشَاهد أيَّام دعوتِهِ، وعَدَم إنكارِهِ عَلَىٰ مُرْتاديها شاهدٌ آخر.

بل والذَّهابُ إليها والمُحَاضرة فِيهَا عن الشِّرْك الَّذي يَجْري فيها شاهدٌ ثالثٌ، وفِيهِ من المَحَاذِير:

١ ـ إيهَامُ العامَّة أنَّ ما يَجْري عند تِلْك القُبُورِ -من الدُّعاءِ لغَيْر الله وَالاسْتِغاثَة بغيْرِهِ من المَخْلُوقِينَ، والذَّبْح والنَّذْر لهم دُونَه- أنَّه هو الإسلامُ، وذَٰلِكَ محاربةٌ للإسْلامِ الصَّحيحِ، لا دعوةٌ إليه.

٢ ـ فيه تَشْجيعٌ للوثنيَّة الَّتي حَارَبها الإسلامُ من أوَّل يومٍ نَزلَ القرآنُ فيه

عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، وبالأخصِّ في السُّورِ المكيَّةِ؛ كقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس:١٠٦].

٣ ـ صُدُورُ هَذَا من داعيةٍ يَظْهر للنَّاس أنَّه يُمثِّل الإسلامَ الصَّحيحَ، أَعْظمُ في التَّغريرِ بالسُّذَّجِ، وأكثر إيغالًا في الإيهَامِ والخِدَاعِ، وأنَا لا أعتقدُ أنَّ البنَّا قَصَد الإيهامَ، ومَنْ سَبَر حالَه من كُتُبِهِ وسيرتِهِ يَتبيَّن له أن الَّذي أَوْقعه في ذَلِكَ هو الجهلُ بالإسلامِ الصَّحيحِ.

□ **الملاحظة الثالثة:** قَبُولُ المُشْرِكِينَ بالله شِرْكًا أكبر بالدُّعاءِ والذَّبحِ والنَّذْرِ، وغَيْر ذَلِكَ في الجماعةِ، وَاعْتِبارهم إِخْوانًا مَعَ مُنَافاةِ عَقِيدتِهم لأَعْظمِ قَاعِدةٍ في الإِسْلامِ، وَاعْتِبارِ الرَّافضةِ الَّذين يَسبُّون الصَّحابةَ رضي الله عنهم ويَعْتقدونَ في أئمَّتهم العِصْمةَ إخوانًا، إِلَىٰ غَيْر ذَلِكَ.

□ **دليلنا عَلَىٰ ذَلِكَ أمورٌ:**

❁ **الأمرُ الأوَّلُ:**

أنَّ حسن البنَّا حِينَ قَامَ بالدَّعوةِ في مصر، تَابَعه عَلَىٰ دَعْوتِهِ عَشَراتُ الأُلُوف، بَلْ مِئَاتُ الأُلُوفِ، لكنَّا لم نَسْمع أنَّه شَرَط عَلَىٰ أحدٍ مِمَّن دَخلوا في حزبِهِ أن يَتخلَّىٰ عن عقيدتِهِ السَّابقةِ؛ سواء كَانَتْ شِرْكيَّةً خرافيَّةً، أو جهميَّةً تَعْطيليَّةً، أو معتزليَّةً تنفي القَدَرَ، وتَقُول بخَلْق القرآنِ، وتَجْحد رُؤيةَ الله في الآخرةِ، أو غَيْر ذَلِكَ، لم نَسْمع ولم نَقْرأ في كُتُبه أنَّه قال لأحدٍ مِنْهم: لا تَدْخل في دَعْوتنا حتَّىٰ تتخلَّىٰ عن عَقيدتِكَ السَّابقةِ.

۞ الأمر الثَّاني:

سَعْيُ الشَّيْخ البنَّا في التَّقريب بَيْن السُّنَّةِ والشِّيعةِ، وَاعْتِباره أنَّ الشِّيعةَ إخوانٌ في الإسْلام رُغْم ما عِنْدَهم من العَقائدِ المُنافِيَةِ للدِّين الإسلاميِّ مُنَافاةً وَاضِحةً؛ من ذَلِكَ زَعْم الشِّيعةِ أَنَّ أئمَّتهم مَعْصُومونَ، وقَدْ خَالَفوا في هَذَا إِجْماعَ عُلَماءِ المُسْلمينَ أنَّ العصمةَ لَيْسَتْ لأحدٍ غَيْر الأَنْبياءِ.

ومِنْ ذَلِكَ زَعْمُهم -عَلَيهم لعائنُ الله- أو زَعْمُ بَعْضهم أنَّ جبريلَ عليه السلام خَانَ، فأَلْقَىٰ الرِّسالةَ عَلَىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، وَهِي كَانَتْ لعليٍّ رضي الله عنه، وهذَا كفرٌ من أَبْشعِ الكُفْرِ.

ومن ذَلِكَ سَبُّهم لأَبِي بكرٍ وعُمَر وعثمان وسَائِر الصَّحابةِ رضي الله عنهم، ورَمْيهم لعَائشةَ رضي الله عنها بالإِفْكِ بعدَ أن بَرَّأها اللهُ منه، وهذَا كفرٌ وإنكارٌ لِمَا جاءَ في القرآنِ مِنْ تَبْرئتها، وجَحْدٌ له.

ومن ذَلِكَ زَعْمهم أنَّ القرآنَ مُبدَّلٌ ومُحرَّفٌ، وقَدْ حذف منه أكثر من النِّصفِ، وهَذَا تكْذيبٌ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].

ومن ذَلِكَ: اعْتِقادُهُمْ جوازَ نِكَاحِ المُتْعةِ، ومُخالَفتهم لإِجْماعِ المُسْلمينَ عَلَىٰ نَسْخِها.

ومن ذَلِكَ: اعْتِقادُهُمْ أنَّه يَجُوزُ للرَّجلِ أن يتزوَّج أكثرَ من أربعٍ، ويُخالِفُونَ إِجْماعَ المُسْلمينَ.

ومن ذَلِكَ: تَأْليههم لأَئمَّتهم خاصَّةً، وأَهْل البيت عامَّةً، وذَلِكَ بتَعْبيدِ أَبْنائِهم لَهم، فهُمْ يُسمُّونَ: عبد الزَّهراء، وعبد الحسين، وعبد الكاظم، وغير ذَلِكَ.

ويَعْتقدُونَ أَنَّ الأمواتَ مِنْهم يُجِيبونَ الدُّعاءَ، ويَكْشفونَ الغُمَّةَ(١).

ورُغْم هَذِهِ الأُمُور المُكفِّرة والبَلَاوي الَّتي هي غايةٌ في البَشَاعةِ والكُفْر، رُغْم هَذَا كلِّه، فَقَدِ اعْتَبرهم حسن البنَّا إخوانًا في الدِّين، وسَعَىٰ في التَّقريبِ بَيْنهم وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ سعيًا حثيثًا، وبَذَل في ذَلِكَ جهدًا ليس باليَسِير، وسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ أَتباعُهُ من بَعْده.

يَقُول عمر التلمساني (المُرْشد العام للإخْوانِ المُسْلمين): «وبَلَغ من حِرْصِهِ -حسن البنَّا- عَلَىٰ تَوْحيدِ كلمةِ المُسْلمين أَنْ كانَ يرمي إِلَىٰ مؤتمرٍ يجمعُ الفِرَقَ الإسلاميَّةَ؛ لعلَّ الله أن يَهْديهم إِلَىٰ الإجماعِ عَلَىٰ أمرٍ يَحُول بَيْنهم وبَيْن تَكْفير بَعْضهم، خاصَّةً وأَنَّ قرآننا واحدٌ، وَدِينُنا واحدٌ، وإِلَهنا واحدٌ، ورَسُولنا واحدٌ»(٢).اهـ.

---

(١) انظر كتاب: «الكافي» للكليني الذي هو عند الرافضة بمنزلة البخاري عند أهل السُّنَّة، ففيه: (١/ ٣٠٠، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب)؛ أي أنَّ الأئمة يعلمون الغيب، وفي (١/ ٢٠٢، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة ﷺ يَعْلمون متىٰ يموتون، وأنَّهم لا يموتون إلا باختيار منهم)، وفي (١/ ٢٠٣، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنَّه لا يخفىٰ عليهم شيءٌ صلوات الله عليهم).

فانظر إلىٰ هذا الضلال والإفك المبين، ومع هذا كله يريد (الإخوان المسلمون) التقريب بين أهل السُّنَّة والرافضة؛ بل يرون أنَّ هذا كله لا يوجب الاختلاف بيننا. محمد بن هادي.

(٢) «حسن البنَّا القائد الملهم الموهوب» (ص ٧٨).

قلت: وهَلْ يُتصوَّر أن تجتمعَ الفِرَقُ الَّتي عَاشَتْ عَلَىٰ الخلافِ أَلْفَ سنةٍ، بل أكثر، هل يُتصوَّر أن تجتمعَ الآن؟!

ولَقَدِ اسْتَضافَ لهذَا الغرضِ فضيلةَ الشَّيخ محمد القمي أحد كِبَارِ عُلَماء الشِّيعة وزُعَمائِهم في المركز العام فترةً لَيْسَتْ بالقصيرة، كما أنَّه من المَعْروفِ أنَّ الإمام البنَّا قَدْ قَابَل المرجعَ الشِّيعيَ آية الله الكاشاني أثناءَ الحجِّ عام ١٩٤٨م، وحَدَث بَيْنهما تفاهمٌ يُشِير إليه أحدُ شَخصيَّات الإخوان المسلمين اليومَ، وأحدُ تلامذة الإمام الشَّهيد الأستاذ عبد المتعال الجبري في كتابِهِ[1] «الاعتصام» نَقَل فيه كلامًا لكاتبٍ إنجليزيٍّ يَذْكر فيه دورَ البنَّا في التَّقريبِ مع الشِّيعةِ.

ويُعلِّق الأستاذُ الجبري قائلًا: «لقَدْ صَدَق «روبير»، وشمَّ بحاسَّتِهِ السِّياسيَّة جُهْدَ الإمام في التَّقريب بَيْن المَذَاهبِ الإسلاميَّةِ، فما لَه لَوْ أَدْرك عن قُرْبٍ دَوْرَه الضَّخْمَ في هَذَا المجالِ ممَّا لا يَتَّسع لذِكْره المقامُ».اهـ.

ونَقَل عن كتاب التلمساني «ذكريات لا مذكرات» أنَّه قالَ: «وفي الأَرْبعينيَّات عَلَىٰ ما أَذْكُرُ كانَ السيد القمي وهو شيعيُّ المذهب، يَنْزل ضيفًا عَلَىٰ الإخْوانِ في المركز العام، ووَقْتها كانَ الإمامُ الشَّهيدُ يَعْمل جادًّا عَلَىٰ التَّقريبِ بَيْن المذاهبِ حتَّىٰ لا يَتَّخذ أعداءُ الإسلامِ الفُرْقةَ بَيْن المذاهبِ مَنْفذًا يَعْملون من خلالِهِ عَلَىٰ تمزيقِ وحدة الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وسَألْنَاه يومًا عن مَدَىٰ الخلافِ بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، فنَهَانا عن الدُّخُولِ في مثل هَذِهِ المسائلِ الشَّائكةِ الَّتي لا يليقُ بالمُسْلمينَ أن يَشْغلوا

---

(١) «لماذا اغتيل حسن البنَّا» (ص٣٢). بواسطة «الإخوان المسلمون في الميزان».

أنفسَهم بها، والمسلمونَ عَلَىٰ ما ترىٰ من تَنابُذٍ يَعْمل أعداءُ الإسلامِ عَلَىٰ إِشْعالِ نَارِه، قلنا لفضيلتِهِ: نَحْن لا نسأَلُ عن هَذَا للتَّعصُّبِ، أو توسعة هُوَّة الخلاف بَيْنَ المسلمين، ولكنَّنا نسأَلُ للعِلْمِ؛ لأنَّ ما بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ مذكورٌ في مُؤلَّفاتٍ لا حصرَ لها، وليس لَديْنا من سَعَة الوقتِ ما يمكننا من البَحْثِ في تلك المَراجِع.

فقالَ رضوان الله عليه: اعْلَموا أنَّ السُّنَّةَ والشِّيعةَ مُسْلمون، تَجْمعهم كلمةُ: «لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رَسُولُ الله»، وهذا أصلُ العقيدة، والسُّنَّةُ والشِّيعةُ فيه سواءٌ، وعلىٰ النَّقاءِ، أمَّا الخلافُ بَيْنهما فهو في أُمُورٍ من الممكن التَّقريبُ بَيْنهما فيها»[1].

قلت: القولُ بأنَّ «الشِّيعةَ وأَهْلَ السُّنَّةِ سواءٌ، وعلىٰ النَّقاءِ»: هَذَا القولُ لا يَصْدر إلَّا من جاهلٍ أو مُغَالطٍ.

١ ـ فهَلْ مَنْ يسبُّ أبا بكرٍ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ويُكفِّرهما، ويَتَّهمهما بالخيانةِ هو ومَنْ يُجلُّهما ويَترضَّىٰ عنهما، ويعتقد أنَّهما أفضلُ أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ بعد نَبيِّها سواءٌ؟!

٢ ـ وهَلْ مَنْ يعتقد العِصْمةَ للأئمَّةِ الاثني عشر من أَهْل البيتِ، ومَنْ يَعْتبرهم كغَيْرِهِمْ من المُسْلمينَ سَواء؟!

٣ ـ وهل مَنْ يُعبِّد أبناءَه لأَهْلِ البيتِ ويُسمِّيهم: عبد الزَّهراء، أو عبد

(١) «ذكريات لا مذكرات» لعمر التلمساني (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

الحسين، أو غير ذَلِكَ، ومَنْ لا يرىٰ العُبُوديَّة إلَّا لله تعالىٰ سواء، إِلَىٰ غير ذَلِكَ، ولقَدْ صَرَّح الخميني في بَعْض كُتُبه أنَّ المهديَّ المنتظر إذا ظَهَر، فسَيَنْجَح أكثر من مُحمَّد بن عبد الله ﷺ.

إنَّ الفَوَارقَ بَيْن أهلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ فوارقُ كبيرةٌ، لا يُمْكن مَعَها تقاربٌ ولا اجتماعٌ إلَّا أن يَتخلَّىٰ أحدُ الجانبين عن عقيدتِهِ، ويَرْضىٰ بعقيدة الجانبِ الآخر، وهذا ما لا يجوزُ من السُّنِّي، ولا يمكنُ حُصُولُهُ من الشِّيعة رُغْم وُجُوبِهِ عَلَيهم، ووُجُوبِ الإذْعانِ للحقِّ الَّذي مع أَهْلِ السُّنَّةِ.

وأمَّا قولُهُ: «علىٰ النَّقاء»: فأين النَّقاءُ من قومٍ يَرَوْنَ أفضلَ القرب أَذيَّةَ أَهْل السُّنَّةِ، وفي ذَلِكَ أخبارٌ مستفيضةٌ، وأذكر أنَّا ذَهَبنا لطوافِ الإفاضةِ والسَّعي في آخِرِ ليلة الحادي عشر (١١) أو ليلة الثَّاني عشر (١٢)، فوَجَدنا تحتَ الصَّفا أي: قَبْل الوُصُولِ إِلَيها عذرةً كثيرةً منثورةً عَلَىٰ مَسَافة ما يُقَارب خمسة عشر مترًا، وبكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ ممَّا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ فاعلَ هَذَا قَدْ جَمَعها في باغاتٍ ونَثَرها، وأذكر أنَّ النَّاسَ باللِّسان الواحد كانوا يَتَّهمون بذَلِكَ الشِّيعةَ؛ لأنَّ أذيَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ مبدأٌ من مَبَادِئهِمْ، ودينٌ من دِينِهِمْ.

❁ **الأمر الثَّالث:** قولُ حسن البنَّا حِينَ اجْتمَعَ بلجنةٍ مُشْتركةٍ أمريكيَّةٍ بريطانيَّةٍ جَالَتْ العالمَ العربيَّ من أَجْل قَضيَّة فلسطين، فَالْتَقىٰ بِهم في مصر مُمثِّلًا للحَركَةِ الإِسْلاميَّةِ، فقال: «فَأقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيْسَتْ دينيَّةً؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ حضَّ عَلَىٰ مُصَافاتهم ومُصَادقتِهِمْ، والإسلامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبل أَنْ تكونَ شريعةً قوميَّةً، وقَدْ أَثْنىٰ عَلَيهم، وجَعَل بَيْننا وبَيْنهم اتِّفاقًا ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وَحِينَما أرادَ القرآنُ أَنْ يتناولَ مسألةَ اليهود، تَناوَلها من الوِجْهةِ الاقتصاديَّة، فقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠](1).

وأقولُ: أين هَذَا ممَّا قصَّ اللهُ عَنْهم في سورة البقرة وفي سورة المائدة وغيرهما مِنَ السُّوَر؟ أَيْن قولُ البنَّا: «فأُقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ ليست دينيَّةً» من قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨].

أنزلَ اللهُ ذَلِكَ حِينَ قَالُوا للنَّبيِّ ﷺ: مَنْ يَأْتيك بالوَحْي من الملائكةِ؟ قالَ: جبريل، قَالُوا: ذاكَ عَدوُّنا من المَلَائكةِ، لَوْ كانَ الَّذي يأتيكَ بالوَحْي ميكائيل لَتابَعْناك، فأنزلَ اللهُ هَذِهِ الآياتِ.

فكَيْفَ يقول: «إنَّ خُصُومَتنا مع اليهود لَيْسَتْ دينيَّةً» سبحان الله! إنَّ هَذَا لعجبٌ أي عجب أن يُقرِّر اللهُ عداوةَ اليهود لَه ولمَلَائكتِهِ ورُسُلِهِ وجِبْريل ومِيكَال، ثمَّ يُقرِّر عَداوتَه لهم حين قَرَّروا هُمْ عَدَاوتهم لأَوْليائِهِمْ، ثمَّ يأتي رجلٌ يزعم بأنَّه يَدْعو إِلَىٰ الله ويُقرِّر حتَّىٰ عدم الخُصُومة مع اليهودِ في الدِّين مع أنَّ الخُصُومة أدقُّ من العَدَاوة، فقَدْ يَتخَاصمُ الإخوةُ، فنَفْي الخُصُومة يَسْتلزم نفي العَدَاوة وما هو دُونَها.

إنَّ هَذَا لأمرٌ غريبٌ عجيبٌ، وموقفٌ سَيِّئٌ مريبٌ، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

---

(1) كتاب: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (١/ ٤٠٩)، وعباس السيسي في كتاب: «حسن البنَّا مواقف في الدعوة والتربية» (ص ٤٨٨).

❁ **الأمرُ الرَّابعُ:** ومن ذَلِكَ إقامتُهُ حفلًا لتَكْريم السَّيِّد مُحمَّد عثمان الميرغني، قال فيه البنَّا: «إنَّ دارَ الإخوان لَتسْعَد أكبر السَّعادة، وتَأْنس أَعْظمَ الإينَاسِ؛ إِذْ تَسْتقبل هَذِهِ القُلُوبَ الطَّاهرةَ، والنُّفُوسَ الكريمةَ، أعلامَ الجهادِ، وأبطالَ العُرُوبةِ، وأقطابَ قَادة السَّلام، أتقدَّم إِلَىٰ الزَّعيم السُّوداني الكريم السَّيِّد مُحمَّد عثمان الميرغني، وإلىٰ حَضَرات الَّذين أَجَابوا الدَّعوة بأَجْزل الشُّكْر وأَعْظمه...».

إِلَىٰ أن قال: «أيُّها السَّادة، لعلَّ الكثيرَ لا يَعْلمون أنَّنا نحن الإخوانُ مَدِينون للسَّادة الميرغنية بدَيْن المودَّةِ الخالصةِ، والحَفَاوةِ البَالغةِ الَّتي غَمَرونا بها من قبل، ومن بعد، كُلَّما ذَهَب مَبْعوثنا إِلَىٰ السُّودان، لا، ولكن دَيْنٌ قديمٌ مُنْذ نَشَأت الدَّعوةُ بالإسماعيليَّة، فقَدْ كان أَوَّل أنصارِها والمجاهدون لتركيزها الإخوان الخَتْمية الميرغنية، وقَدْ حضرت في سنة ١٩٣٧م حفلًا للإسْراءِ والمِعْراجِ في زاويةِ وخلوةِ السَّيِّد عثمان الميرغني الكبير بالإسماعيليَّة، وَهِيَ لا تزالُ قائمةً، ولا زلتُ أَذْكرُ أخانا هناك، فالقلبُ الختمي، والتَّأييدُ الختمي يَسِير مع الدَّعوةِ منذ فَجْرها، وسماحة السَّيِّد عثمان الميرغني الكبير ووارثه السَّيِّد محمد عثمان، هو أوَّل مَنْ حَمَل هَذَا اللِّواء وبَشَّر به، فهذا تاريخٌ قديمٌ نَتحدَّث عنه أَيُّها السَّادة لنُعبِّر لفرع الدَّوحة الكريمة السَّيِّد محمد عثمان عَمَّا يكنُّه الإخوانُ لسماحتِهِ من حبٍّ ومودَّةٍ وتقديرٍ».اهـ[١].

---

(١) «قافلة الإخوان المسلمون» للسيسي (١/ ٢٥٩).

وإنَّ قول البنَّا: «إنَّهم مَعْشر الإخوان مَدِينونَ للسَّادة الميرغنيَّة بدَيْن المودَّةِ الخالصةِ، والحَفَاوةِ البالغةِ»، وقولَه في الأخير: «لنُعبِّر لفرع الدَّوْحة الكريمة السَّيِّد مُحمَّد عثمان الميرغني عَمَّا يُكنُّه الإخوان لسماحتِهِ من حبٍّ ومودَّةٍ وتقديرٍ»، إنَّ هَذَا الثَّناءَ وهَذَا التَّكريمَ لَيَدلُّ عَلَىٰ واحدٍ من أمْرين:

الأمر الأوَّل: وهو إمَّا أنَّه يُشَارك الميرغني في عقيدةِ وحدةِ الوُجُودِ، وهذِهِ سَوْأةٌ ما مثلها سوأةٌ، فالميرغني من أقْطابِ وحدة الوُجُودِ وكَهَنتها.

الأمر الثَّاني: وهو أنَّ الولاءَ والبراءَ مُنْعدمٌ عنده، فهَلْ سَيَفْهمُ هَذَا الَّذين عَاشُوا عَلَىٰ التَّوحيدِ، ورُبُّوا عَلَىٰ العقيدةِ السَّلفيَّةِ مُنْذ الصِّغر.

□ **الملاحظة الرَّابعة:** تَهاوُنُه في التَّوسُّلِ الَّذي هُوَ من الذَّرائع المؤدِّية إِلَىٰ الشِّرْك، وَاعْتباره من الفُرُوعِ الَّتي لا يهتمُّ بها، لقَدْ صرَّح البنَّا بأنَّ التَّوسُّلَ من الأُمُور الفرعيَّة الَّتي مازالَ الخلافُ فيها قائمًا، ولَيْسَتْ من أُمُور العقيدةِ، فقالَ في الأَصْل الخامس عشر من الأُصُولِ العشرين: «والدُّعاء إذا قُرِنَ بالتَّوسُّل إِلَىٰ الله تَعَالىٰ بأحدٍ من خَلْقه خلافٌ فرعيٌّ في كيفيَّة الدُّعاءِ، وليس من أُمُورِ العقيدةِ»[1].

قلتُ: التَّوسُّلُ بالذَّواتِ ممنوعٌ ومُحرَّمٌ، فإنَّه لم يُعْرف عن أحدٍ مِنَ الصَّحابة أنَّه فَعَله، أمَّا قولُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الاسْتِسْقاءِ: «اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نَتوسَّل إليك بنبيِّك فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إِلَيك بعمِّ نَبيِّنا فَاسْقِنَا»، فهذا دليلٌ

(١) من كتاب: «نظرات في رسالة التعاليم» (ص١٧٧) إعداد محمد عبد الله الخطيب، ومحمد عبد الحليم حامد.

عَلَىٰ القَائِلينَ بالتَّوسُّلِ بالذَّواتِ؛ لأنَّه لو كان التَّوسُّلُ بالذَّوات جائزًا، ما عَدَل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذاتِ النَّبيِّ ﷺ إِلَىٰ دُعَاءِ العبَّاسِ.

وأنَّ عُمرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه إنَّما تَوسَّل بدُعاءِ العَبَّاس، وليس بذاتِهِ، وقَدْ قالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين سُئِل: هل يجوزُ التَّوسُّل بالنَّبيِّ ﷺ أَمْ لَا؟

فأجاب رحمه الله: «الحَمْدُ لله، أمَّا التَّوسُّلُ بالإيمان بِهِ، ومحبَّتِه، وطاعتُهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عليه، وبدُعائِهِ، وشفاعتِهِ، ونحو ذَلِكَ ممَّا هو من أفعالِهِ وأفعالِ العبادِ المَأمور بها في حَقِّه، فهو مَشْروعٌ باتِّفاق المُسْلمينَ، وكانَ الصَّحابةُ -رضوان الله عليهم- يَتوسَّلون به في حياتِهِ، وتَوسَّلوا بعد موتِهِ بالعَبَّاس عَمِّه كما كَانُوا يَتوسَّلون به».اهـ [1].

ومَقْصودُ الشَّيخ أنَّهم كانوا يَتوسَّلون بدعاء النَّبيِّ ﷺ في حياتِهِ، فلمَّا ماتَ، تَوسَّلوا بدعاءِ عَمِّه العبَّاس، ولهذا قالَ بعد ذَلِكَ: «وأمَّا قولُ القائل: «اللَّهمَّ إنِّي أتوسَّل إلَيك به»، فللعُلَماءِ فيه قَوْلان، كما لهم في الحلف به -يعني النَّبيَّ ﷺ- قَوْلان، وجُمهورُ الأئمَّةِ كمالكٍ والشَّافعيِّ وأبي حنيفة عَلَىٰ أنَّه لا يَسُوغُ الحلفُ بالنَّبيِّ ﷺ ولا بغيرِهِ من الأنبياءِ والملائكةِ، ولا تَنْعقد اليمينُ بذَلِكَ باتِّفاق العُلَماءِ، وهذِهِ إحْدىٰ الرِّوايتين عن أحمد، والرِّواية الأُخْرىٰ عن الإمام أحمد: تَنْعقد اليمينُ به خَاصَّةً دُونَ غَيْره.

ولكنَّ غيرَ أحمد قالَ: إنَّ هَذَا إقسامٌ عَلَىٰ الله بمَخْلوقٍ، ولكنَّ الرِّواية

---

(١) «إقامة الدليل علىٰ إبطال التحليل» (٥/ ١٢٥).

الأخرىٰ عنه وهي قولُ جُمْهور العلماءِ: إنَّه لا يُقسَم عَلَىٰ الله به كسَائِرِ الملائكةِ والأنْبياءِ، فإنَّا لا نعلمُ أحدًا من السَّلفِ والأئمَّةِ قالَ إنَّه يُقسم به عَلَىٰ الله، كما لم يَقُولوا أنَّه يقسم بهم مطلقًا، ولهذا أَفْتىٰ أبو مُحمَّد بن عبد السَّلام أنَّه لا يُقسَم عَلَىٰ الله بأحدٍ من الأنْبياءِ والمَلائكةِ وغَيْرهم، لكن ذكر له أنَّه رُوِيَ حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺ في الإقْسامِ به عَلَىٰ الله، قال: إنْ صحَّ الحديثُ، كانَ خاصًّا بِهِ، والحديثُ المذكورُ لا يدلُّ عَلَىٰ إقسامٍ به، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بالله وإلَّا فَلْيَصْمُتْ»[1]، وقال: «مَنْ حَلَف بغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَر أَوْ أَشْركَ»[2]، والدُّعاءُ عبادةٌ، والعبادةُ مَبْناها عَلَىٰ التَّوْقيفِ والاتِّباعِ، لا عَلَىٰ الهَوَىٰ والابْتِدَاعِ، واللهُ أَعْلم»[3].

□ **قلتُ: القولُ بأنَّ: «الإقسامَ عَلَى الله بذاتِ أَحَدٍ من خَلْقه أو بجاهِهِ مُحرَّمٌ لا يَجُوزُ»، هُوَ القولُ الحقُّ لأُمورٍ:**

❁ **الأمرُ الأوَّل:** أنَّه لم يصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه فَعَله أو أَمَر به، ولم يصحَّ عن أحدٍ من أصحابِهِ أنَّه فَعَله، أو أَمَر به، ولو كانَ التَّوسُّلُ بالجاه أو الذَّاتِ من العِبَاداتِ الَّتي شَرَعها اللهُ لعبادِهِ، لَنَقَله أصحابُهُ عنه نقلًا مُتَواترًا أو مَشْهورًا كسَائِر العِبَاداتِ الَّتي نُقِلت عنه نقلًا مشهورًا.

❁ **الأمرُ الثَّاني:** أنَّ كلَّ ما رُوِيَ في الإِقْسامِ بالمَخْلوقِ عَلَىٰ الخالِقِ، أو

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٨/ ٢٨٢).

(٣) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» لابن تيمية (١/ ١٤٠، ١٤١).

السُّؤال بجاهِهِ، فهو إمَّا موضوعٌ أو ضعيفٌ، انظر كتاب: «التَّوسُّل والوسيلة» لشَيْخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، والجزء الأوَّل من «الفتاوىٰ الكبرىٰ» له رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب: «أوضح الإشارة في الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أجاز الممنوع من الزِّيارة»[1] فيه شيءٌ من التَّحقيق مُقْتبسٌ من كُتُبِ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرها.

❁ **الأمرُ الثَّالثُ:** القاعدةُ الشَّرعيَّة: أن نردَّ المُشْكلَ إِلَىٰ الواضح، والمنكَر إِلَىٰ المعروف بأَنْ نَسْتبعدَ المُنْكَرَ، ونأخذَ بالمَعْروفِ، والمعروفُ من الشَّريعةِ الإسلاميَّة أنَّ الوسيلةَ المَأْمورَ بها هي العملُ الصَّالحُ، كما في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ٣٥﴾ [المائدة:٣٥].

❁ **الأمرُ الرَّابع:** أمَّا حديث عثمان بن حنيف فهو -إِنْ صحَّ- من التَّوسُّل بدعائِهِ لا بذاتِهِ، وكونه أَمَر به رجلًا في عَهْد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقُضِيتْ حاجتُهُ، فهذا مردودٌ بثلاثةِ أمورٍ:

الأمرُ الأوَّل: ضَعْف الرِّواية.

الأمرُ الثَّاني: إِنْ صحَّ، فهو اجتهادٌ من عثمان بن حنيف، ولم يُوافِقه عليه أحدٌ من الصَّحابة.

الأمرُ الثَّالث: أنَّ انقضاءَ حاجة ذَلِكَ الرَّجل لا تدلُّ عَلَىٰ شرعيَّةِ ما أَمَر به، بل قَدْ تُقضَىٰ حاجتُهُ ابتلاءً، كما تُقضَىٰ حَاجَة المُشْرك أحيانًا إذا دَعَا غير الله، ولا يدلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ جوازِ الشِّرْك.

---

(١) هو لشيخنا المؤلف حفظه الله. محمد بن هادي.

۞ **الأمرُ الْخَامس:** أنَّ الواجبَ علينا أن نأخذَ بقول أحمد بن حنبل مَعَ الجماعة، ونردَّ قولَه وحده، فإنَّ قولَه مع الجماعة أصحُّ وأحبُّ إِلَيْنا من قولِهِ وحده؛ لأنَّه وإِنْ كان إمامَ أهل السُّنَّةِ بحقٍّ إِلَّا أنَّه لَيْس بمَعْصومٍ من الخطإ، وقَدْ قال مالكٌ: «كلٌّ يُؤخَذ من قولِهِ ويُردُّ إِلَّا صاحبَ هَذَا القبر»، يعني النَّبيَّ ﷺ.

۞ **الأمرُ السَّادس:** أنَّ القولَ بجَوَاز التَّوسُّلِ بالذَّواتِ مفتاحٌ لبابِ شرٍّ عظيمٍ، أَلَا وهو الشِّرْكُ الأكبرُ؛ لأنَّ العامَّةَ لا يَقْتصرون عَلَىٰ سؤال الله ﷻ بالذَّات الَّذي هو بِدْعةٌ، بل سرعان ما يَنْقلهم الشَّيطانُ من السُّؤال بالذَّاتِ إِلَىٰ سؤال الذَّاتِ نَفْسها، ومَنْ سَبَر أحوالَ النَّاس، لم يُسَاوره في هَذَا أَدْنىٰ شكٍّ.

۞ **الأمرُ السَّابع:** ومن هَذَا يَتبيَّن لك أنَّ قولَ البنَّا أنَّ: «التَّوسُّل مِنَ الأُمُورِ الفَرعيَّة» قولٌ باطلٌ، بل هُوَ من الأَحْكامِ الَّتي تَتعلَّق بالعقيدةِ، وبالله التَّوفيق.

□ **الملاحظة الخامسة:**

حُضُور البنَّا للأَعْيادِ المُبْتدعةِ، ومُحاضرتُهُ فيها:

قال في «قافلة الإخوان»: «**حسن البنَّا في الإسكندرية...**»، **ثمَّ قال:** «دَعَا الإخوانُ المسلمون بالأسكندريَّة إِلَىٰ الاحْتِفَالِ بذِكْرىٰ مَوْلد الرَّسُولِ ﷺ في حفلٍ يحضرُهُ فضيلةُ المرشد العام بمَسْجد نبيِّ الله دانيال، واستقبلَ الإخوانُ الأستاذَ المرشدَ عَلَىٰ مَحطَّة السِّكَّة الحديديَّة قُبَيل صلاة المغرب»، إِلَىٰ أَنْ قال: «وبدأ الأستاذُ المرشدُ مُحاضرتَه بحَمْد الله تعالىٰ، والثَّناءِ عليه، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رَسُول الله الكريم، ثمَّ دَخَل في مَوْضوع الذِّكْرىٰ، فقالَ: نُحْيي ذِكْرىٰ مَوْلد الرَسُولِ ﷺ، ومن حقِّ النَّاس جميعًا؛ مسلمين وغير مسلمين أن

يَحْتفلوا في هَذِهِ الذِّكْرىٰ المباركة، فَرَسُولنا ﷺ لم يأتِ للمُسْلمينَ فقط، وإنَّما بُعِث رحمةً للعَالمَين (الإنس والجن)... إلخ»(١).

وقال محمود عبد الحليم في كتاب: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»: «وأقامَ الإخوانُ حفلًا بشطبة العباسيَّة بالقاهرة بمُنَاسبة ذِكْرىٰ غَزْوة بدرٍ، وأُلْقِيتْ فيها كلمةُ المُرْشد العامِّ الَّتي نُشِرت في الصُّحُفِ في اليوم التَّالي».

وفي «مجلة الدَّعوة» (ص ٤، ٥) عدد ١٣ رجب ١٣٩٧هـ: «أنَّ عمر التلمساني كَتبَ مقالًا بعنوان: «الإسراء» قال فيه: إنَّ الاحتفالَ بهذِهِ المناسبةِ يدلُّ مَظْهرُهُ عَلَىٰ التَّعظيم لشأنِ هَذِهِ المُعْجزة الباهرة»(٢).اهـ.

قلتُ: الاحتفالُ بالمولد بدعةٌ أَحْدثها العبيديُّون الَّذين مَلَكوا المغرب، ثمَّ امتدَّ مُلْكُهم إِلَىٰ مصر في القرن الخامس الهجري، ولم يَفْعله أحدٌ من الخُلَفاءِ الأَرْبعة، ولا سائر الصَّحَابة، ولا عَمِلَه أحدٌ من أَهْل القُرُونِ المُفضَّلةِ.

فهل عَلِمُوا فَضْلَه وتَركُوه؟ أم جَهِلُوه؟

فإنْ قُلْتم: عَلِمُوا فَضْله وتَركوه، فقَدْ كَذَبْتم عَلَيهم، وإنْ قلتم: جَهِلوه، وعَلِمْتُموه أنتم، فأنتم أحقُّ بالجهلِ مِنْهم.

◻ الملاحظة السَّادسة:

انْعِكَاس هَذِهِ العقيدة -أي: التَّسَاهل في شِرْكِ الأُلوهيَّة- انْعِكَاسها عَلَىٰ أَتْباعِهِ، بل عَلَىٰ قَادَتِهم والمُنظِّرين في مَنْهجهم كمُصْطفىٰ السباعي، وسعيد حوىٰ، وعمر التلمساني، وأمثالهم، وإِلَيْك البيان: فأمَّا مصطفىٰ السباعي

---

(١) «قافلة الإخوان المسلمون» (١/ ٤٨).

(٢) بواسطة كتاب: «الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام» (ص٧١).

المُرْشد العام للإخوان المسلمين في سوريا، فقَدْ قالَ في قصيدةٍ نَظَمها في الرَّوضة النَّديَّة -كَما يَقُول- وتَلَاها أمام الحجرة قبل الحجِّ وبَعْده، وعنوانها: «مُنَاجاة بَيْن يدي الحبيب الأعظم» ومن ضِمْنِ ما قَالَ فيها[1]:

يــا ســائقَ الظَّعْــنِ نحــو الــبيتِ والحــرم
ونَحْــو طيبــة تَبْغــي ســيِّدَ الأُمــمِ
إنْ كــان سَــعْيُك للمُخْتــارِ نافلــةً
فــسَعْيُ مثلــي فــرضٌ عِنْــدَ ذي الهِمَــمِ
يــا ســيِّدي يــا حبيــبَ اللهِ جئــتُ إلَــى
أعتـابِ بَابِـكَ أَشْـكو البـرح مـن سـقمِي
يــا ســيِّدي قَــدْ تَمَــادى الــسقمُ في جــسدي
مــن شــدَّة الــسَّقمِ لــم أَغْفــل ولَــمْ أَنَــمِ

إلخ ما قَالَ.

□ **الملاحظاتُ عَلَى هَذِهِ الأبياتِ:**

❁ **أوَّلًا:** أنَّه جَعَل سَعْيه إِلَىٰ قَبْر الرَّسُول ﷺ فرضًا، وهَذَا بِدْعةٌ في الدِّينِ؛ لأنَّ شدَّ الرَّحْل لا يجوزُ إلَّا للمَسْجدِ[2].

(١) انظر مجلة: «حضارة الإسلام»، عدد خاص بمناسبة وفاة مصطفىٰ السباعي، جمادىٰ الآخرة، رجب، شعبان ١٣٨٤هـ العدد (٤، ٥، ٦) السنة الخامسة. تشرين الأول والثاني، كانون الأول عام ١٩٦٤م (ص٢٠٤). محمد بن هادي.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المسجد النبوي الحديث: «لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: =

❁ **ثانيًا:** أنَّه جعَل لسَعْيه إِلَىٰ القَبْر حكمًا غير الحُكْم الشَّرعيِّ، حَيْث جعَله فرضًا، وهذا قولٌ في شَرْع الله بدون دليلٍ، بل بمُجرَّد الهَوَىٰ.

❁ **ثالثًا:** أنَّه استغاثَ بالنَّبيِّ ﷺ، ونَادَاه شاكيًا، وذَكَر أنَّه جاء من مَسَافة شهرٍ، أي: من سوريا إِلَىٰ المدينةِ المُنوَّرة شاكيًا ومُسْتغيثًا ومُسْتجيرًا، وهذِهِ قارعةُ القَوَارع، وهَذَا هو الشِّرْكُ الأكبرُ المُخْرجُ من المِلَّة، فهلَّا شَكَا إِلَىٰ الحيِّ القَيُّومِ الَّذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ!

هلَّا بَاحَ بالضُّرِّ إِلَىٰ مَنْ أنزله وقَدَّره وهو قادرٌ عَلَىٰ رَفْعه متىٰ شَاءَ!

وإذا كانَ هَذَا حالُ المُنظِّرين في هَذَا المنهجِ، فما بَالُك بحَالِ غَيْرهم، ومَا لم يُدوَّن أَضْعافُ أَضْعافِ ما دُوِّن، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وأمَّا سعيد حوى: فَقَدْ ذَكَر في كتابه «تربيتنا الرُّوحيَّة» حيث أَثْنىٰ عَلَىٰ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ، وزَعَم أنَّ أَصْحابَها لهم كراماتٌ، ومن كَرامَاتِهم أنَّ الواحدَ مِنْهم يُضرَبُ بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ ينفذَ من صَدْره، ثمَّ يُنزَع مِنْه ولا يتأثَّر، وكأنَّه يَعْتقد بأنَّهم أفضلُ من النَّبيِّ ﷺ؛ حيث إنَّ النَّبيَّ ﷺ ضُرِبَ عَلَىٰ المِغْفرِ فغَاصَتْ -أي: دَخلَتْ حَلْقتا المغفر- في وَجْنَتيه، فسالَ الدَّمُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فقَالَ: «**كَيْفَ يُفْلحُ قومٌ خضَبوا وَجْهَ نَبيِّهم بالدَّمِ**».

ويَزْعُمُ أيضًا لأَهْلِ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ أنَّ اللهَ أَبْردَ لهم النَّارَ، فلا تُؤثِّر فِيهِم،

=

مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ» أخرجه البخاري برقم (١١١٥)، ومسلم واللفظ له برقم (٢٤٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذِهِ أنواعٌ من السِّحْرِ والشَّعْوذةِ البَاطِلَةِ.

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَزْعمُ بأنَّ هَذَا وأَمْثالَه من الكَرَامَاتِ لِشَيْخِهم الكَذُوبِ الزِّنْديق أحمد الرِّفاعي الَّذي قَالَ فِيمَا نُقِلَ عَنْه: «أنَا مَأْوَىٰ المُنْقَطِعِينَ، أَنَا مَأْوَىٰ كُلِّ شَاةٍ عَرْجَاء انْقَطعَتْ في الطَّرِيق، أَنَا شَيْخُ العَوَاجز، أَنَا شَيْخ مَنْ لا شَيْخَ لَه، فلا يَتشيَّخُ الشَّيْطانُ عَلَىٰ رجلٍ من أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، عَهْدٌ منِّي بالنِّيابةِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ عَهْدًا عَامًّا إِلَىٰ يَوْم القِيَامةِ، العرشُ قِبْلةُ الهِمَمِ، وَالكَعْبةُ قِبْلةُ الجِبَاهِ، وأَحْمَد -يَعْنِي نَفْسَه- قِبْلةُ القُلُوبِ»[1].

قلتُ: فأيُّ زَندقةٍ أَعْظَمُ من هَذِهِ الزَّنْدقةِ! وأيُّ كَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ وَافْتِرَاءٍ عَلَيْهِ أَعْظَمُ من هَذَا الافْتِرَاءِ! وأيُّ شِرْكٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ!

أَتكُونُ أَنْتَ يَا رِفَاعِي قِبْلةَ القُلُوبِ! فأيُّ شَيءٍ أَبْقَيتَه لله، أَمَا سَمِعتَ قولَ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

فَهَذَا كفرٌ مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرِ، وشِرْكٌ من أَعْظمِ الشِّرْكِ، شِرْكٌ مُخْرِجٌ من الإِسْلامِ، ومَنْ لم يُكفِّر الكَافِرين الَّذين يُصرِّحون بالكُفْر فهو كافرٌ، وما أَكْثَرَ هَذَا وأَمْثَاله في صُفُوفِ الصُّوفيَّةِ المَلَاحِدَةِ مِنْ الادِّعَاءَاتِ الكَاذِبَةِ لحقِّ اللهِ وَالتَّطَاوُلِ عَلَيْهِ، فَعَلَيْهِمْ من الله مَا يَسْتحقُّون مِنَ الغَضَبِ وَالمَقْتِ.

وَأَعْظَمُ من هَذَا وأَدْهَىٰ وأَمرُّ ما نَقَله صَاحِبُ: «الكشف عن حَقِيقة

(١) «المجالس الرفاعية» (ص١١٢) بواسطة الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ص٣٦٧) ط. الثالثة عام ١٤٠٦هـ مكتبة ابن تيمية.

الصُّوفيَّة لأوَّلِ مرَّةٍ في التَّاريخ» عن أَحْمد الرِّفاعي الغَوْث(١)، وأنَّ اللهَ أَبْقَىٰ

---

(١) قوله:

لــي هــمة تــعـلو عــلىٰ الهــمـــم	ولي هوىٰ قبل خلق اللوح والقلـم
أنا الرفاعي طـبولي في السماء ضربت	والأرض في قبضتي والأوليا خدمي
كـل المشـــايـــخ يـأتـون باب زاويتي	وفوق هاماتهم فاق العلىٰ علـــمي
فالجأ بأعتاب عــزي والتمس مـددي	وطُفْ ببابي وقف مستمطرًا نعـمي

لقد زاد علىٰ فرعون في ادعاء الألوهية، ففرعون ادعىٰ الألوهية علىٰ أهل مصر وحدهم، أمَّا الرفاعي فقد ادَّعىٰ الألوهية علىٰ جميع مَنْ في الكون.

ومَنْ أوراد الطريقة الرفاعية التي ذكرها محمود عبد الرؤوف القاسم في كتابه: «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التأريخ»: وأرجو أن تُكْرِه نفسك علىٰ قراءة هذا القَرَف الذي يسمىٰ بورد الطريقة الرفاعية لصاحبها أحمد الرفاعي الذي يزعم سعيد حوىٰ أنَّه أعطي معجزات الخليلين (إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما)، قال في (ص٢٤٥): «ومِنْ أوراد الطريقة الرفاعية، ويستعملها غيرهم، فكفىٰ به برهان عين علمك المكنون، بسر معنىٰ «ن»، ودقيقة أمرك المصون، يتجلىٰ بها إشارة كان فيكون، واسطة الكل في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلي الفرق رحمة للعالمين قبل العالمين».اهـ.

تأمل قوله: «واسطة الكل في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلي الفرق...إلىٰ أن قال: رحمة للعالمين قبل العالمين».

ترىٰ أنَّه يلون وحدة الوجود في قوالب مختلفة، فتارة يجعل نفسه هو الله كما في القصيدة، وتارة يجعل ربه هو كل ما يشاهد من المخلوقات، تعالىٰ الله عن قولهم، وهو ما يشير إليه بقوله: «واسطة الكل في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلي الفرق، وتارة يجعل الله عَزَّوَجَلَّ هو النبي، والنبي هو الله، مرسلًا منه إليه رحمة للعالمين قبل العالمين قبل أن يوجدوا»، يشير بهذا إلىٰ ما يُقرره الصوفية أنَّ مُحمَّدًا أصل الموجودات كلها.

ولَا تَسَلْ كيف ذلك، وقَدْ ولد من آمنة؟! بنت وهب القرشية، ومن أبيه عبد الله بن عبد المطلب بعد أن مضت أمم وأزمنة؛ لأنَّك لا تعرف إشارات الصوفية إلَّا إذا خرجت من عقلك تمامًا.

صلاة أخرىٰ في نفس الصفحة (ص ٢٤٥): «اللهمَّ صلِّ علىٰ المتخلق بصفاتك، المستغرق
=

تِلْكَ الكَرَامَةَ فِي أَتْبَاعِهِ وَالمُنْتَمِينَ إِلَيْهِ؛ الصَّالحينَ مِنْهُمْ وَالطَّالحينَ، فَاتَّقوا اللهَ يا مَنْ تَتشيَّعونَ لِلإِخْوَانِ، وَتَنْتَمُونَ إِلَىٰ مَنْهجِهِمْ، وَتُدَافِعُونَ عَنْهم، فَأَيْنَ الوَلَاءُ وَالبَرَاءُ للهِ وَفِي اللهِ؟!

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَمَرنا أَنْ نَتبرأَ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ، وإِنْ كَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْنا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٣، ٢٤].

=

في مشاهدة ذاتك، رسول الحق المتخلق بالحق، حقيقة مدد الحق ﴿أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ [يونس:٥٣]، وقد جعلت كلامك خلقه، وأسماءك مظهره، ومنشأ كونك منه».

تأمل قوله: «حقيقة مدد الحق»، وقوله: «منشأ كونك منه»، فقَدْ جعل حقيقة الذات المحمدية هي منشأ الذات الإلهية، وذلك أنَّ الذات الإلهية عندهم هي عين الوجود المشاهد كلّه بما فيه من كلاب، وخنازير، وقردة، وغير ذلك، فجعلوا الذات المحمدية هي أصل هذا الكون، والذات الإلهية هي عينه، فأي كفر أعظم من هذا الكفر؟!

اللهم فاكتب لعناتك، وغضبك، ومقتك علىٰ الصوفية المارقة التي تقذف من أفواهها أنجس الكفر، وأقذره، وأخبثه، هذه الحقيقة الصُّوفية؛ أما الحقيقة الشرعية: فاسمعها من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].

فهذا هو شيخ الطريقة الرفاعية الذي يحاول سعيد حوىٰ ويزعم أنه أُعطي معجزات الخليلين (إبراهيم ومحمد صلوات الله عليهما).

فَيَا مَنْ رُبِّيتُمْ بِلَبَانِ التَّوحيدِ، وَغُذِيتُمْ بِدُرُوسِهِ في جميعِ مَرَاحِلِ تعْلِيمكُمْ، أَتبيعُونَ الحقَّ الَّذي نَشَأْتُم عَلَيه بِبَاطلٍ؛ اللهُ أَعْلَمُ بِحَالِ أَصْحابِهِ، إنَّ البَاطِلَ وإِنْ زُوِّقَ وحُسِّنَ بِكَثِيرٍ مِنَ المُحسِّناتِ، فَهُوَ بَاطِلٌ.

إذًا، فأيُّ دَعْوةٍ قَامَتْ لِتُحَارِبَ المُنْكَراتِ وَتَقْضي عَلَىٰ الإِبَاحيَّةِ -فِيمَا تَزْعُمُ- وَهِيَ قَدْ تركَتِ الأَصْلَ الَّذي عَلَيه يُبنَىٰ الإيمانُ، وَبِهِ تَقُومُ العَقِيدةُ، فَإِنَّها بَاطِلةٌ؛ شاءَ أَصْحابُها أَمْ أَبَوْا، وَرَضُوْا أَمْ كَرِهُوا.

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوةَ إِلَىٰ تَرْكِ الزِّنا -مثلًا- والرِّبا وشُرْب الخَمْر هِيَ دَعْوةٌ إِلَىٰ حقٍّ، ولكِنْ يجبُ أَنْ تكونَ بَعْد تَصحيحِ العَقيدةِ، فالنَّبيُّ ﷺ مَكث عَشْرَ سِنِين لا يَدْعو إِلَىٰ شيءٍ سِوَىٰ التَّوحيدِ، يَقُولُ لِقَومِهِ: «قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا، قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ كلمةٌ تَدِين لَكُم بِهَا العربُ، وتَمْلكُونَ بِهَا العجمُ»، فقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

وبَعْد كَمَالِ عَشْر سِنِينَ، عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّماءِ، وفُرِضَتْ عليهِ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وحتَّىٰ بعدَ أَنْ هَاجَر إِلَىٰ المَدِينةِ وفُرِضَتِ الفَرائضُ، وَشُرِعَتِ الأَحْكامُ، وبُيِّن الحَلالُ وَالحَرَامُ، مَا كَانَتْ دَعْوتُهُ إِلَّا إِلَىٰ التَّوحيدِ أَوَّلًا، كَما في حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قِصَّةِ إِرْسَالِ النَّبيِّ ﷺ مُعَاذًا إِلَىٰ اليمنِ، قَالَ لَهُ: «**إِنَّك سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كتِابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لكَ بذَلِكَ، فأَعْلِمهم أَنَّ اللهَ افْترضَ عَلَيهم خَمْسَ صَلَواتٍ في اليَوْمِ وَاللَّيلةِ...**»، الحديث [1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

فمَنْ سَكَتَ عَنِ النَّاسِ يَتطوَّفونَ بالقُبُورِ، ويَدْعونَ أَصْحابَها فِي كلِّ نَازِلةٍ، ويَذْبحُونَ لَهُمْ، ويَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ، وَيَجْلِبُونَ لَهمُ النُّذُورَ، ودَعَا إِلَىٰ تَرْك الكَبائِر، وتَرَكَ هَذَا مُعْتقدًا أنَّ فَاعِلِيه لم يَأْتوا مُنْكرًا، فإِنَّه قَدْ أَتَىٰ مُنْكرًا أَعْظم من كلِّ مُنْكرٍ دَعَا إِلَىٰ تَرْكهِ.

□ **ونَحْنُ نَسْأَلُ مَنْ نَصَّبوا أَنْفُسَهم للدَّعوةِ إِلَى الله هَذِهِ الأسْئلةَ، ونُحِبُّ مِنْهم أَنْ يُجِيبُوا عَلَيها بِصَرَاحةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا وَيَعُودُوا إِلَى الحقِّ، فاللهُ المَوْعدُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ:**

۞ **السُّؤالُ الأوَّلُ:** هَلْ ما يَفعلُهُ العامَّةُ عِنْدَ قَبْرِ الحُسَينِ والسَّيِّدة زَيْنب وَقَبْر البَدويِّ، وَغَيْرها، مِنَ الدُّعاءِ لأَصْحابِها وَالاسْتِغاثةِ بِهِم في جَلْبِ النَّفْعِ، وَدَفْع الضُّرِّ، والذَّبحِ لَهم، والنَّذْرِ، وغَيْر ذَلِكَ، هل ذَلِكَ شِرْكٌ بالله أَمْ لَا؟

۞ **السُّؤال الثَّاني:** إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شِرْكًا، فما هو الشِّرْكُ الَّذي بُعِثَتْ من أَجْل مُحارَبتِهِ الرُّسُلُ، وأُنْزِلَتِ الكُتُبُ، وجُرِّدتْ مِنْ أَجْلِهِ السُّيُوفُ، وخُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ الجنَّةُ والنَّارُ؟!

۞ **السُّؤال الثَّالث:** هَلْ مَنْ دَعَا صَنمًا مَنْحوتًا من خَشَبٍ أو حَجَرٍ أو غير ذَلِكَ عَلَىٰ صُورَة وليٍّ، ومَنْ دَعَا الوليَّ نَفْسه، أو سَجَد له، أو تَطوَّف بقَبْره وهَتَفَ بِاسْمِهِ سَواء أَمْ لَا؟!

۞ **السُّؤال الرَّابع:** مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ التَّعبُّدِ بالذِّكْرِ والنَّوافلِ وَتَرْك المُنْكَراتِ وهُمْ مُنْهمِكُونَ في هَذِهِ الشِّرْكيَّاتِ مُصِيبٌ أم مُخْطِئٌ؟!

۞ **السُّؤال الخامس:** وهَلْ دَعْوتُهُ مُوَافقةٌ لدَعْوة النَّبيِّ ﷺ، أَوْ مُخَالفةٌ لها؟
فإنْ قُلْتم: مُوَافقةٌ لَها، فَهَاتُوا الدَّليلَ عَلَىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَبِلَ من أحدٍ أَنْ يكونَ مُسْلمًا من دون أن يَكْفر بكلِّ ما يُعبَد من دُونِ الله، وواللهِ لن تَجِدُوه، ولَنْ تَجِدُوا إلَّا ما هو شَجيٌ في حُلُوقِ القُبوريِّين، قَذىً في عُيُونِهم؟!

وإنْ قُلْتم: بَلْ هِيَ مُخَالفةٌ لها، لَزِمَكُمْ أَنْ تَقُولوا وَاحِدًا من أَمْرين وتُتْبِعُوه بِالْعَمَلِ؛ إمَّا أنَّ دَعْوةَ النَّبيِّ ﷺ ودَعْوة سَائِر الرُّسُلِ هِيَ الحقُّ الَّذي لا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مَحِيصَ عَنْه؛ لأنَّهم يَسِيرونَ في دَعْوتِهم بوَحْيٍ من اللهِ، وأَمْرٍ مِنْهُ تَعَالىٰ، كَما قرَّر ذَلِكَ في كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وإمَّا أَنْ تَقُولُوا: إنَّ دَعْوة غَيْرِهِ هِيَ الصَّوابُ، ودَعْوته هي الخَطَأ، وَلَا أرَىٰ أنَّ أحدًا يَنْتمي إِلَىٰ شَريعتِهِ يَسْتطيع أَنْ يقولَ هَذَا؛ لأنَّه لو قَالَه، لَزِمَه الكفرُ.

۞ **وأخيرًا**، فأَنَا أَنْقل كلامَ سعيد حوىٰ من كِتَابِ «تربيتنا الرُّوحيَّة»[1] لَه، قالَ: «وقَدْ حدَّثني مَرَّةً نَصْرانيٌّ عن حَادثةٍ وقَعتْ له شَخْصيًّا وهي حَادثةٌ مَشْهورةٌ مَعْلومةٌ جَمعنِي اللهُ بصَاحِبها بَعْد أَنْ بَلَغتني الحادثةُ من غيرِهِ، وحَدَّثني كَيْف أنَّه حَضَر حلقةَ ذِكْرٍ، فَضَربه أحدُ الذَّاكرينَ بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ خَرَج الشِّيشُ، وحتَّىٰ قُبِضَ عَلَيه، ثمَّ سُحِبَ الشِّيش مِنْه، ولم يكنْ لذَلِكَ أثرٌ ولا ضررٌ.

إنَّ هَذَا الشَّيءَ الَّذي يَجْري في طَبقاتِ أَبْناءِ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ هُو من أَعْظمِ

(١) انظر (ص ٢١٨) ط. الثانية.

فَضل اللهِ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِذْ إِنَّ مَنْ رَأَىٰ ذَلِكَ، تَقُوم عليه الحُجَّةُ بشَكْلٍ وَاضحٍ عَلَىٰ مُعْجزاتِ الأَنْبياءِ وكَرَاماتِ الأَوْلِيَاءِ.

إِنَّ مَنْ يَرَىٰ فَرْدًا من أَفْرادِ الأُمَّةِ الإِسْلاميَّةِ يُمْسِكُ النَّارَ ولا تُؤثر فِيه، كَيْف يستغربُ أَنْ يُقْذفَ إِبْراهيمُ في النَّار.

وإِنَّ مَنْ يَرَىٰ فردًا من أَفْرادِ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ يخرجُ السَّيفُ من ظهرِهِ بعد أن يُضرَبَ به في صَدْرِهِ، ثمَّ يُسحَبُ ولا أثرَ ولا ضَرَرَ، هل يستغرِبُ مِثْلَ هذا! حَادِثةُ شقِّ الصَّدرِ للنَّبيِّ ﷺ؟!

إِنَّ هَذَا الموضوعَ مهمٌّ جدًّا، ولا يجوزُ أن نقفَ منه مَوْقفًا ظالمًا، ومحلُّه في إِقَامةِ الحُجَّةِ في دين الله عَلَىٰ مِثْل هَذِهِ الشَّاكِلةِ، إِنَّ الحُجَّةَ الرَّئيسةَ لمُنْكِري هَذَا المَوْضوعِ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الخوارقَ تَظْهر عَلَىٰ أيدي فُسَّاقٍ من هَؤُلَاءِ، كما تَظْهر عَلَىٰ أيدي قَوْمٍ صَالِحِينَ، وهذَا صحيحٌ، والتَّعْليلُ هنا هو أَنَّ هَذِهِ الكَرَامةَ للشَّيخِ الأَوَّلِ الَّذي أَكْرمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ بهذِهِ الكَرامَةِ، وَجَعْلها مُستمرَّةً في أَتْباعِهِ مِنْ بَابِ المُعْجِزَةِ لرَسُولِنَا ﷺ، فَهِيَ كَرامةٌ للشَّيخِ الَّذي هُو أَحْمد الرِّفاعي». اهـ.

أَقُول للشَّيخ سعيد: مَصْدرُك وثيقٌ، إِذْ جاءَ من طريقِ نَصْرانيٍّ!!

□ **ثانيًا**: هَلْ مَجالِسُ الذِّكرِ الصُّوفيِّ لَها مُسْتندٌ من شَرْعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومِنْ عَمَلِ السَّلفِ رضوان الله عَلَيهم؟!

□ **ثالثًا**: وَهَلْ ذِكْر اللهِ الَّذي عَلَىٰ نَهْجِ شَرْع الله الَّذي شَرَعهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ هو سبيلٌ إِلَىٰ السِّحْرِ والشَّعْوذةِ؟ أو أنَّه الذِّكْرُ المُبْتدعُ مِنْكم يا أصحابَ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ؟!

□ **رابعًا:** أنَّ مُعْجزاتِ الأَنْبياءِ -صلواتُ الله وسَلَامُهُ عَلَيهم- مَحْفوظةٌ لَا يحتاجُ المُسْلِمُونَ في إِثْباتِها إِلَىٰ الشَّعوذاتِ وأَعْمالِ أَهْل الشَّطحِ والزَّنْدقةِ والتَّخييلاتِ الكَاذِبَةِ.

□ **خامسًا:** بِالْيَمَنِ أناسٌ من السَّاقطينَ الَّذين لا يُصلُّونَ ولَا يَصُومُونَ، يُقال لهم: الطعانة، يَزْعم الواحدُ أنَّه يطعن عَيْنه بالجلجل (حديدة مذبذبة في أَحَدِ طَرفَيْهَا، وفي طَرْفِهَا الآخَرِ جلاجل) فيَزْعُمُ أَحدُهُمْ أنَّه يَطْعَن في أَسْفل عينِهِ حتَّىٰ يغرزَ الحديدةَ ويَتْركها مَغْرُوزةً بنَفْسِها في أَسْفل عينِهِ فيما يرىٰ للنَّاظر، ويُمسِكون الحَيَّات بأَيْدِيهم، فهَلْ هَؤُلَاء كانَ الطَّعْن لهم كرامةً مع أنَّهم يَقُولون إنَّهم يَطْعنُونَ في بحر بن علوان صَاحِب الضَّريح الَّذي في اليَمَن؟ فَاتَّق الله يَا سعيد، أَهَكَذا الإِسْلامُ الَّذي تَزْعمُ بأَنَّك تَدْعو إِلَيه في مُؤلَّفاتِكَ.

□ **سادسًا:** ويَظْهَرُ من أُسْلُوبك أَنَّك تريدُ أن تَجْعَل شطح الصُّوفيَّةِ دليلًا عَلَىٰ صِدْقِ حَادِثَةِ شقِّ الصَّدْرِ، ومَسْك النَّارِ دليلًا عَلَىٰ صِدْقِ جَعْل النَّارِ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهيم ﷺ، فإنَّه يَلْزمك أَنَّك جعلتَ شطح الصُّوفيَّة وتَخْيِيلَاتِهم السِّحْريَّة أصلًا، ومُعْجزات الرُّسُلِ فرعًا؛ إِذْ أَنَّ الأصلَ هُو الَّذي يستدلُّ بِهِ عَلَىٰ الفَرْع.

وَنَقُولُ لَكَ: افْهَمْ، إِنْ كنتَ لا تَفْهم بأَنَّ مُعْجزاتِ الرُّسُلِ مُؤَيَّدةٌ بقُدْرةٍ رَبَّانيَّةٍ تَنْبني عَلَيها عَقِيدةٌ إيمانيَّةٌ، وشطح الصُّوفيَّة مُموَّهٌ بطريقةٍ شَيْطانيَّةٍ يضلُّ بِهَا مَنْ أَرادَ اللهُ لَه الضَّلالَ، وَكَتَب عليه الشِّقوةَ، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون!

اللَّهمَّ أَجِرْنا بفَضْلِكَ مِنْ ضَلالِ الضَّالِّين، وَوفِّقنا بِرَحْمتِكَ إِلَىٰ طَرِيق المُهْتدِين، وأَعِذْنا مِنْ مُضلَّاتِ الفِتَنِ يا ربَّ العَالَمين!

وأمَّا عُمَر التلمساني، فَقَدْ نُقِل عنه أنَّه قالَ في كتابِهِ: «شهيدُ المِحْراب عُمَر ابن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» قالَ ما نَصُّه: «قالَ البعضُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتغفر لَهُمْ إِذَا جَاؤوه حيًّا فَقَط، ولم أتبيَّنْ سببَ التَّقييد في الآيَةِ عندَ الاسْتِغْفارِ بحَيَاة النَّبيِّ ﷺ، ولَيْسَ في الآيةِ ما يدلُّ عَلَىٰ هَذَا التَّقْييد»[١]، وهُنَا يَزْعم أنَّه يجوزُ دُعَاء الرَّسُول ﷺ بعد موتِهِ، وطَلَب الاستغفار مِنْه.

ويَقُول أيضًا: «لِذَا أَرَاني أَمِيلُ إِلَىٰ الأَخْذِ بالرَّأي القَائِل: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتغفر حيًّا وميتًا لمَنْ جَاءَه قاصدًا رِحابَه الكَرِيمَ»[٢].

وَيَقُولُ في نَفْس الصَّفحةِ: «فَلَا دَاعِي -إذًا- للتَّشدُّدِ في النَّكيرِ عَلَىٰ مَنْ يَعْتقدُ في كَرَاماتِ الأَوْلياءِ، وَاللُّجوءِ إِلَيْهم في قُبُورِهم الطَّاهرةِ، والدُّعاء فِيهَا عِنْدَ الشَّدائِدِ، وَكَرامَاتِ الأَوْلياءِ من أدلَّةِ مُعْجزاتِ الأَنْبياءِ».

وَيَقُول أيضًا ما نَصُّه: «فما لَنا وللحَمْلةِ عَلَىٰ أَوْلياءِ اللهِ، وزُوَّارهم، وَالدَّاعين عند قُبُورهم»[٣].

قَالَ العجميُّ حفظه الله: «لم يَبْقَ شركٌ من شِرْكِ القُبُور إلَّا وقَدْ أَباحَه في هَذِهِ العِبَاراتِ المرشد العام للإِخْوانِ المُسْلِمين»[٤].اهـ.

وَأَقولُ: إذا كانَ هَذَا حال المُرْشِدين والمُنظِّرين في هَذَا المنهجِ، فَما بَالُكَ بِغَيْرِهِمْ؟

---

(١) (ص ٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) (ص ٢٢٦).
(٣) (ص ٢٣١).
(٤) من كتاب «وقفات» (ص ١٧).

وَإِذَا كَانَ هَذَا هو المُدوَّنُ، فما بَالك بِمَا لم يُدوَّنْ!

فهَلْ يَعْقِل مَنْ يَزْعمون أنَّهم عَلَىٰ عقيدةِ التَّوحيدِ وهُمْ يَتولَّون مَنْ يُبِيحون الشِّرْكَ الأكبرَ، ويُبْغضون ويُحذِّرون مِمَّنْ يُدَافعونَ عن عقيدةِ التَّوحيدِ!

ولقَدْ سمعتُ خبرًا لَئِنْ صحَّ فهو كارثةٌ عظيمةٌ، سمعتُ بأنَّ بَعْضَ أَصْحابِ المَنَاهِجِ المُعَاصرةِ يَشْترونَ الكُتُبَ الَّتي تَنْتقد مَنْهجَهمْ بكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ وَيَحْرقُونَهَا، ولئن صحَّ هَذَا، إنَّه لأمرٌ فظيعٌ! وأخافُ عَلَىٰ مَنْ يَفْعل هَذَا أن يكونَ رِدَّةً في حَقِّه؛ لأنَّ مَنْ أحرقَ كُتُبَ التَّوحيدِ -أي: الَّتي تَنْصُرُ عَقِيدةَ التَّوحيدِ، وتردُّ عَلَىٰ المُشْرِكِينَ، وتُبيِّن عَقِيدَتَهم السَّيِّئة- فإنَّه يُعتَبر بعملِهِ ذَلِكَ قَدْ نَصَر الوثنيَّةَ، وحَارَبَ عَقِيدةَ التَّوحيدِ، فإنَّا لله وإنَّا إِلَيه رَاجِعُونَ!

ويُتَابع العجمي في «الوقفات»، -جَزَاه اللهُ خيرًا- فيَقُول: «وَالتلمساني يَعْلم -بالطَّبع- أنَّ القُبُورَ في مصر الَّتي صَدَر منها هَذَا الكتابُ: «شهيد المحراب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»، وكانَ التلمساني مُرْشدًا عامًّا فِيهَا، يُصنَع فِيهَا أَعْظمُ شِرْكٍ عَرفتْهُ الأرضُ، فالقُبُورُ يُطَاف بها، ويُطلَب مِنْها كلُّ ما يُطلَب من اللهِ، ومَنْ هم الأَوْلياءُ فِيهَا؟!

إنَّ كثيرًا مِنْهم مجموعةٌ من الزَّنادقَةِ المُلْحِدينَ؛ كأَمْثالِ السَّيِّد البَدَوي الدَّاعية الفَاطِمي الَّذي لَمْ يحضر صلاةً قطُّ، والصُّوفيَّة المُحْترِقِينَ كالشَّاذلي والدُّسوقي والقناوي وغيرهم في كلِّ قَرْيةٍ».

وأقُولُ: إنَّ الدَّعوةَ لغَيْر الله شِرْكٌ أكبرُ أيًّا كانَ هَذَا الغير؛ سواء كَانَ مَلكًا مُقرَّبًا، أو نَبِيًّا مُرْسلًا، أو غَيْر ذَلِكَ، فَالْكُلُّ شِرْكٌ باللهِ، مُنَاقضٌ لِلإِسْلامِ، ثمَّ

يُتَابِعُ فيَقُولُ: «إنَّ هَؤُلَاءِ هُم الأَوْلياءُ، وهذه قُبُورُهم الَّتي يَدْعو إليها المرشد العامُّ للإخوان المسلمين، والَّذي يَقُول أيضًا[1] ما نَصُّه: «ولئن كانَ هَوَاي مع أَوْلياء الله وحُبُّهم والتَّعلُّق بهم، وَلَئِنْ كَانَ شُعُوري الغَامر بالأُنْس والبَهْجة في زِيَاراتِهم ومَقَاماتِهم بما لا يخلُّ بعَقِيدة التَّوحيدِ -هكذا- فإنِّي لا أُروِّج لاتِّجاهٍ بذاتِهِ، فالأمرُ كلُّه من أوَّله إِلَىٰ آخرِهِ أمرُ تَذوُّقٍ، وأقولُ للمُتشدِّدين في الإنكار: هونًا ما، فما في الأمر من شِرْكٍ ولا وثنيَّةٍ ولا إلحادٍ».اهـ.

ثمَّ قالَ: «فمَاذَا بَعْد هَذَا التَّمْييع لأَمْر التَّوحيدِ والعَقِيدة حتَّىٰ أَصْبح دُعاءُ الأَمْواتِ عِنْدَ الشَّدائدِ أمرَ تَذوُّقٍ، ولَيْس فيه شركٌ ولا وثنيَّةٌ كَما يَزْعم المُرْشد العامُّ للإخوان المُسْلمين»، ثمَّ يتابع فيَقُول: «هل المنهجُ الإخوانيُّ العَقَديُّ الَّذي يخرج أمثالَ التلمساني- منهجٌ سلفيٌّ لا غُبارَ عليه؟!

وَهَلِ الجماعةُ الَّتي تَسْمح أن يَتصدَّر- صُفُوفها، ويكون مُرْشدها العامُّ يقولُ هَذَا الكلامَ جماعةٌ سَلفيَّةٌ؟!

تبًّا لهذِهِ السَّلفيَّةِ إِنْ كانَ هَذَا نتاجها، وهؤلاء من رِجَالِها ومُرْشِدِيها وَقَادتِها».

وأَقُولُ: جزاكَ اللهُ خيرًا يا عجمي، وجَزَىٰ الله كلَّ مَنْ نَصَر عقيدةَ التَّوحيدِ بكلمةٍ يَقُولها، أو أَحْرُفٍ يَكْتبها، خيرَ الجزاءِ.

□ الملاحظة السَّابعة:

انْتِسَابُ البنَّا إِلَىٰ عقيدةٍ صُوفيَّةٍ هي الطَّريقةُ الحصافيَّة، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ

---

(١) (ص ٢٣١).

قولُ حسن البنَّا نَفْسِهِ في كتابِهِ: «مذكرات الدَّعوة والدَّاعية»[١]: «وصحبتُ الإخوانَ الحصافية بدمنهور، وَوَاظَبتُ عَلَىٰ الحَضْرة في مسجدِ التَّوبةِ في كلِّ ليلةٍ»، ثمَّ قالَ: «وحَضَر السَّيِّدُ عبد الوَهَّاب المجيز في الطَّريقة الحصافيَّة، وتَلقَّيتُ الحصافيَّة الشَّاذليَّة عنه، وآذنني بأَوْرَادِها وَوَظَائِفِها».

وقالَ جابر رزق في كتابِهِ: «حسن البنَّا بأقلام تلامذتِهِ ومعاصريه»[٢]: «وفي دمنهور تَوثَّقت صلتُهُ -يعني حسن البنَّا- بالإخوانِ الحصافيَّة، وَوَاظبَ عَلَىٰ الحَضْرة في مسجدِ التَّوبةِ كلَّ ليلةٍ معَ الإخوان الحصافيَّة، ورَغِبَ في أَخْذ الطَّريقةِ حتَّىٰ انْتقَل من مَرْتبةِ المحبِّ إِلَىٰ مَرْتبةِ التَّابعِ المُبَايِعَ».اهـ.

قال النَّاقلُ: قلتُ: وقَدْ تعلَّق البنَّا في التَّصوُّف تَعلُّقًا شديدًا حتَّىٰ أَصْبَح يَرىٰ شَيْخَ الطَّريقةِ في منامِهِ كما ذكر في «مذكراتِهِ»[٣].

بَلْ شَارَكَ في إِنْشَاءِ جَمعيَّةٍ صُوفيَّةٍ حصافيَّةٍ كما ذَكَر في «مُذكِّراته»[٤]: قَالَ: «وَفِي الأَثْنَاءِ بَدَا لَنَا أن نُؤسِّس في المَحْمُوديَّةِ جمعيَّةً إِصْلاحيَّةً هي الجَمْعيَّة الحصافيَّة الخيريَّة، وانتخبت سكرتيرًا لَها، وخَلَفَتْهَا في هَذَا الكِفَاح «جمعيَّة الإِخْوانِ المسلمون» بَعْد ذَلِكَ».

---

(١) (ص ٢٧).

(٢) (ص ٨).

(٣) (ص ٢٥، ٢٦).

(٤) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص ٢٨).

وكَانَ البنَّا غارقًا في التَّصوُّفِ كَما قالَ في «مذكراته»[١]: «كَانَتْ أيَّامُ دَمَنهور ومَدْرسة المُعلِّمين أيَّامَ الاسْتِغْراقِ في عَاطفةِ التَّصوُّفِ والعِبَادةِ، فكَانتْ فَتْرةَ اسْتِغْراقٍ في التَّعبُّدِ والتَّصوُّفِ» ثمَّ قالَ: «ونزلتُ دمنهور مُشْبعًا بالفكرة الحصافيَّة، ودمنهور مقرُّ ضَريح الشَّيخ حسنين الحصافي شيخ الطَّريقة الأوَّل».

وقال محمود عبدالحليم في كتابِهِ: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»: «وكنَّا نَذْهب جميعًا كلَّ ليلةٍ إِلَىٰ مسجد السَّيِّدة زينب، فنُؤدِّي صلاةَ العشاءِ، ثمَّ نخرج من المَسْجد، ونصطفُّ صُفُوفًا يَتقدَّمنا الأستاذ المرشد حسن البنَّا يُنْشِدُ نشيدًا من أَناشِيدِ المولدِ النَّبويِّ، ونَحْن نُردِّده من بَعْده بصَوْتٍ جهوريٍّ جماعيٍّ يُلْفت النَّظَرَ»[٢].اهـ.

وَأَقُولُ: فهَلْ سيَقْتنعُ الَّذين يَزْعمون أنَّهم يَعِيشُونَ عَلَىٰ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ وَهُمْ مع ذَلِكَ يَتَّخذونَ المُبْتدِعِينَ أَئمَّةً يَقْتدون بِهِمْ.

□ **الملاحظة الثَّامنة:**

إنَّ قادةَ الإخوان والمُنظِّرين في مَنْهجهم يَذْهبونَ إِلَىٰ العقيدةِ الأشعريَّةِ (عقيدة التَّأويل).

والكلامُ عَلَىٰ هَذِهِ الملاحظةِ عَلَىٰ قسمين: قِسْمٌ مع حسن البنَّا، وقِسْمٌ مَعَ أَتْباعِهِ.

---

(١) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص٣٢).

(٢) (١/ ١٠٩).

فأمَّا حسن البنَّا فَقَدْ ذكر في رسالة «العقائد» من «مَجْموعَةِ رسائِلِه»[(١)]: «أنَّ النَّاسَ انْقَسَموا في الصِّفاتِ عَلَىٰ أَرْبَع فِرَقٍ»، فذَكَر مَذْهبَ المُشبِّهة، وقالَ: «وهؤلاء هُمُ المُجسِّمةُ والمُشبِّهةُ، وَلَيْسُوا من الإِسْلامِ في شَيْءٍ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهمْ نَصِيبٌ من الصِّحَّةِ».

ثمَّ ذَكَر مَذْهبَ المُعطِّلةِ، وحَكَم عليه بالبُطْلانِ أيضًا، ثمَّ قالَ: «**مَذْهب السَّلَف في آياتِ الصِّفاتِ وأَحَادِيثها**: وأمَّا السَّلفُ رضوان الله عليهم، فَقَالُوا: نُؤمِن بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وَرَدتْ، ونَتْرك المَقْصُود منها لله تبارك وتعالىٰ، فهُمْ يُثْبِتونَ اليدَ والعينَ والأعينَ وَالاسْتِوَاءَ والضَّحِكَ وَالتَّعجُّبَ...إلخ، وكلُّ ذَلِكَ بمَعَانٍ لا نُدْرِكُها، ونَتْركُ للهَ تَعَالىٰ الإِحَاطةَ بعِلْمِهَا».اهـ.

قلتُ: ما ذَكَره بأنَّه مَذْهَبُ السَّلفِ، لَيس هو مَذْهب السَّلَفِ، بَلْ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ التَّفويضِ الَّذين رَدَّ عَلَيهم السَّلَفُ.

□ **وَاعْلَمْ أنَّ التَّفويضَ نَوْعانِ:**

١- تَفْويض كَيْفيَّة.

٢- وَتَفْويض مَعْنىٰ.

وَطَرِيقةُ السَّلفِ هِيَ تَفْويضُ الكيفيَّة، وإِثْبات المَعْنىٰ، فهُمْ يُثْبِتونَ لله ما أَثْبتَه الله لنفسِهِ في كتابِهِ، وما أَثْبتَه له رَسُولُهُ ﷺ في الأحاديثِ الصَّحيحةِ

---

(١) وهي تبدأ من (ص٢٩٢)، وقد ذكر في (ص٣٢٤).

بمَعَانِيها الَّتي تَقْتَضيها في اللُّغةِ، ويُفوِّضونَ عِلْمَ الكيفيَّةِ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وعَلَىٰ ذَلِكَ تَوارَد كَلامُهم، فالإمامُ مالكٌ لمَّا سَألَه سائلٌ بقولِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] كيف استوىٰ؟

فأَطْرَق قليلًا، وَعَلَته الرُّحَضاءُ، ثمَّ رفعَ رَأْسَه، فقالَ: «الاسْتِوَاءُ مَعْلومٌ، والكيفُ مَجْهولٌ، والإيمانُ بِهِ واجبٌ، والسُّؤالُ عَنْه بِدْعةٌ، وأنتَ رجلُ سوءٍ، أَخْرِجُوه»، فمَنْ زَعَم أنَّ السَّلفَ فَوَّضوا المَعْنىٰ، فَقَدِ افْتَرىٰ عَلَيهم.

وقَدْ أكَّد البنَّا ما زَعَمه في أنَّ مَذْهبَ السَّلفِ: التَّفويض، بَلْ وأكَّد أيضًا أنَّ السَّلفَ والخَلَفَ كلٌّ منهما يَقْطع بأنَّ المرادَ بأَلْفاظِ هَذِهِ النُّصُوصِ في حقِّ الله -تبارك وتعالىٰ- غير ظَوَاهِرها الَّتي وضعت لها هَذِهِ الأَلْفَاظ في حقِّ المَخْلُوقين، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «وإذَا تَقرَّر هذا، فَقَدِ اتَّفَق السَّلفُ والخَلَفُ عَلَىٰ أَصْلِ التَّأويل، وَانْحَصَرَ الخلافُ بَيْنَهما في أنَّ الخَلَفَ زَادُوا تَحْدِيدَ المَعْنىٰ المراد حَيْثما أَلْجأَتْهم ضَرُورَة التَّنزيهِ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ حِفْظًا لِعَقَائِد العوامِّ من شُبْهَةِ التَّشبيهِ، وَهُوَ خِلافٌ لا يَسْتحقُّ ضَجَّةً ولا إعناتًا»(١).

وَبِهَذَا زَعَم البنَّا أنَّه انْتَهَىٰ من مُشْكلةٍ أَشْغلَتْ بالَ المُسْلمينَ، وأَثارَتْ بَيْنهم الخِصَامَ اثْنَي عَشَر قرنًا بقَطْعِ النَّظَر عن القَرْنِ الأوَّلِ الَّذي لم تَظْهر فِيهِ خُصُومةٌ في إِثْباتِ الصِّفاتِ إلَّا نَادِرًا، وصَوَّر نَفْسَه أنَّه قَدْ أَصْلحَ بَيْنَهم في جلسةٍ واحدةٍ، تَعانَقوا بَعْدها عَلَىٰ الوفاقِ، وَنبذُوا الخِلَافَ، وهَذَا كلامُ مَنْ لم يَتصوَّر أَعْراقَ المُشْكلةِ، وَلم يَعْرف أبعادَها، وظنَّ الأمرَ فيها سهلًا ويسيرًا.

---

(١) «مجموعة رسائل البنا» (ص ٣٣٠).

وإنَّ الأمرَ ليس بسَهْلٍ ولا يَسِيرٍ، فلا يُمْكن أنَّ أحدًا من الفَرِيقينِ يَتنازَل عن عَقيدتِهِ، فالسَّلَفُ الَّذين هُمْ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ وأَتْباعُهم مِمَّنْ سَاروا عَلَىٰ نَهْجهم، واتَّبَعوا طَرِيقَهم مِمَّنْ جاءَ بَعْدهم في سَائِرِ القُرُونِ، يُؤْمِنُونَ بأنَّ صِفَاتِ البَارِي -جلَّ وَعَلا- الَّتي وَرَدتْ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ يجبُ الإيمانُ بِهَا، وَبِمَا تَقْتَضِيهِ في اللُّغةِ العَربيَّةِ مِنْ مَعْنىٰ وإثبات يَلِيق بجلالِ الله -عَزَّ وجلَّ وتَقدَّس- من غير تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تأويلٍ.

فَفِي الاسْتِواءِ يَقُولون: استواءٌ يَلِيقُ بجَلَالِه، وفِي اليدِ والرِّجل والسَّاق والقَدَم والوَجْه والعَيْن يَقُولون: يدًا تليقُ بِجَلالِهِ، مُنزَّهةٌ عَنِ المُشَابهةِ وَالمُماثَلةِ، وَهَكَذا.

وتَوْضِيحُ ذَلِكَ أنَّ الاشتراكَ في الاسْمِ لَا يَلْزم منه الاشْتِراكُ في الحَقِيقةِ، فإِذَا قلنا: إنَّ اللهَ حيٌّ، ووَصَفْنا شخصًا من النَّاسِ بأنَّه حيٌّ، فَلَا يلزم مِنْ الاشْتِراكِ في اسْمِ «الحيِّ» الاشْتِراك في حَقِيقة الحياةِ، فحياةُ الله أزليَّةٌ، فهُوَ الأوَّلُ الَّذي لَيْس قَبْله شيءٌ، وهو الآخِر الَّذي لَيْس بَعْده شيءٌ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وَحَياةُ الله قديمةٌ بِلَا ابتداءٍ، وباقيةٌ بِلَا انْتِهاءٍ، ثمَّ إنَّ حياةَ الإنْسانِ تَتوقَّف عَلَىٰ الأَكْلِ والشُّرْبِ والنَّوْم، فهَلْ لَزِمَ من الاشْتِرَاكِ في الاسْمِ، الاشْتِراكُ في الحَقِيقةِ؟ الجوابُ: لَا، وهَكَذا.

فأَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعون أنَّ صفاتِ الله الثُّبوتيَّة يجبُ عَلَىٰ العِبَادِ الإيمانُ بها، وَاعْتقادُ ما تَقْتَضِيه من مَعَانٍ في اللُّغة عَلَىٰ الوجهِ اللَّائق بجَلَالِ الله تَعالىٰ.

قالَ شَيْخ الإسلامِ ابن تَيْمية رَحِمَهُ اللهُ في الرِّسالةِ الجَوابيَّة المُسمَّاة بـ «الحَمويَّة»:

«ومَذْهب السَّلَف أنَّهم يَصِفونَ الله عَزَّوَجَلَّ بما وَصَف به نَفْسَه، وبما وَصَفه به رَسُولهُ ﷺ من غَيْر تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تَكْييفٍ ولا تَمْثيل، ونَعْلم أنَّ ما وَصَف اللهُ به نَفْسه من ذَلِكَ فهو حقٌّ، ليس فيه لُغْزٌ ولا أَحَاجي، بَلْ مَعْناه يُعرَف من حَيْث مَقْصود المُتكلِّم بكلامِهِ، لا سِيَّما إذا كانَ المُتكلِّمُ بذَلِكَ أعلمَ الخَلْقِ بما يَقُول، وأفصحَ الخَلْقِ في البيانِ والتَّعريفِ والدَّلالةِ والإِرْشادِ.

وَهُو سُبْحانه مع ذَلِكَ لَيْس كمثلِهِ شيءٌ، لا في نفسِهِ المُقدَّسة المَذْكورة بأَسْمائِهِ وصِفَاتِهِ، ولا في أَفْعالِهِ، فكَما نَتيقَّن أنَّ الله له ذاتٌ حقيقةً، ولَه أفعالٌ حقيقةً، فكذَلِكَ له صفاتٌ حقيقةً، وهو ليس كمثلِهِ شيءٌ، لا في ذاتِهِ، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعالِهِ، وكلَّما أوجبَ نَقْصًا أو حُدُوثًا، فإنَّ الله مُنزَّهٌ عَنْه حقيقةً، فإنَّه سُبْحانه مُستحقٌّ لِلْكمالِ الَّذي لا غايةَ فَوْقه، ويَمْتنع عليه الحُدُوثُ لامْتِناعِ العَدَمِ عَلَيه، وَاسْتِلْزَام الحُدُوثِ سَابقة العَدَم، وَلافْتِقَارِ المُحدَث إِلَىٰ مُحدِثٍ، ولِوُجُوبِ وُجُودِهِ بنفسِهِ سبحانه.

ومَذْهَبُ السَّلَفِ وَسَطٌ بَيْنَ التَّعْطيلِ والتَّمْثيلِ، فَلَا يُمثِّلون صفات الله بصِفَاتِ خَلْقِهِ، كما لا يُمثِّلونَ ذاتَه بذَاتِ خَلْقِهِ، ولا يَنْفُونَ عَنْه ما وَصَف به نَفْسَه، ووَصَفَه به رَسُولُهُ ﷺ، فيُعطِّلوا أَسْماءَه الحُسْنىٰ وصفاتِهِ العُلْيا، ويُحرِّفوا الكَلِمَ عن مواضعِهِ، ويُلْحدون في أسماءِ الله تَعَالىٰ وآياتِهِ.

وكلُّ واحدٍ من فَرِيقي التَّعْطيل والتَّمْثيل فهو جامعٌ بَيْن التَّعْطيل والتَّمْثيل، أمَّا المُعطِّلون فإنَّهم لم يَفْهموا من أَسْماءِ الله وصفاتِهِ إلَّا ما هُوَ اللَّائقُ بالمَخْلُوقِ، ثمَّ شَرَعوا في نَفْي تِلْك المَفْهوماتِ، فَقَدْ جَمَعوا بَيْن التَّعطيلِ

والتَّمثيل، مَثَّلوا أَوَّلًا، ثمَّ عَطَّلوا أخيرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ مِنْهم للمَفْهوم مِنْ أسمائِهِ وصفاتِهِ بالمَفْهومِ من أَسْماءِ خَلْقه وَصِفَاتهم، وتعطيلٌ لِمَا يَستحقُّه هو سُبْحانه من الأَسْماءِ والصِّفاتِ اللَّائقة به جلَّ وَعَلَا»(١).اهـ.

وَقَالَ إمامُ الأئمَّةِ مُحمَّد بن إسحاق بن خزيمة في «كتاب التَّوحيد»: «فنَحْن وجميع عُلَمائِنا من أَهْل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشَّام ومصر مَذْهبنا: أنَّا نُثْبتُ لله ما أثبتَه الله لنفسِهِ، نُقِرُّ بذَلِكَ بأَلْسِنتنا، ونُصدِّق ذَلِكَ بقُلُوبنا، من غير أنَّ نُشبِّه وَجْهَ خَالِقنا بوَجْه أحدٍ من المَخْلوقينَ، عزَّ ربُّنا عن أن نُشبِّهه بالمَخْلُوقينَ، وجلَّ ربُّنا عن مَقَالةِ العَاطِلينَ، وعزَّ أن يكونَ كَما قَالَه المُبْطِلونَ»(٢).

وَذَكر البيهقيُّ في كتابِهِ «الاعتقاد» بابًا في ذِكْر آياتٍ وأخبارٍ وَرَدتْ في إِثْبَاتِ صفةِ الوَجْه واليَدَين والعين: «وهذِهِ صفاتٌ طريقُ إِثْباتِها السَّمعُ؛ لوُرُود خَبَر الصَّادقِ بها، ولا نُكيِّفها»(٣).

قالَ الخَطِيبُ البغداديُّ: «أمَّا الكَلَامُ في الصِّفاتِ: فإنَّ ما رُوِيَ مِنْها في السُّننِ الصِّحاحِ، مَذْهب السَّلف رضوان الله عَلَيهم: إِثْباتُها وَإِجْرَاؤها عَلَىٰ ظَوَاهِرها، ونَفْي الكيفيَّة والتَّشبيه عَنْها.

---

(١) (٥/ ٢٦) في «الفتاوىٰ الكبرىٰ».

(٢) كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ» (١/ ٢٦) تحقيق:الشهوان. محمد بن هادي.

(٣) كتاب «الاعتقاد» (ص ٨٨) ط: دار الآفاق الجديدة، تحقيق: أحمد عصام الكاتب. محمد ابن هادي.

وَقَدْ نَفَاها قومٌ، فأَبْطَلوا ما أَثبتَه اللهُ سبحانه، وحَقَّقها من المُثْبتينَ قومٌ، فخَرَجوا في ذَلِكَ إِلَىٰ ضَرْبٍ من التَّشبيهِ والتَّكْييف، والقَصْد إنَّما هو سُلُوكُ الطَّريقةِ المُتوسِّطةِ بَيْن الأَمْرينِ، ودينُ الله تعالىٰ بَيْن الغَالِي فيه، والمُقصِّر عَنْه.

والأَصْلُ في هَذَا: أَنَّ الكلامَ في الصِّفاتِ فرعٌ عَلَىٰ الكَلَامِ في الذَّاتِ، ويُحتَذىٰ في ذَلِكَ حذوه ومثاله.

فَإِذَا كانَ مَعْلومًا أَنَّ إثباتَ ربِّ العَالَمين عَزَّوَجَلَّ إنَّما هو إثباتُ وُجُودٍ، لا إِثْباتُ كَيفيَّةٍ، فكذَلِكَ إِثْبات صِفَاتِهِ، إنَّما هو إثباتُ وُجُودٍ، لا إثباتُ تَحْديدٍ وتَكْييفٍ». اهـ [(١)].

وقَالَ ابْنُ قُدامَة المَقْدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ والخَلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلُّهم مُتَّفقون عَلَىٰ الإِقْرارِ والإِمْرارِ والإِثْباتِ لمَا وَرَد من الصِّفاتِ في كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُول الله ﷺ من غير تَعرُّضٍ لتأويلِهِ، وقَدْ أمرنا بِالاقْتِفاءِ لآثَارِهم، وَالاهْتِدَاء بِمَنارِهِمْ، وَحَذَّرنا من المُحدَثاتِ، وأَخْبرنا أَنَّها ضَلالاتٌ». اهـ [(٢)].

وَقَالَ أَبو مُحمَّد الجويني في رسالتِهِ «إثبات الاستواء والفوقيَّة»: «وإِثْباتنا عُلوَّ ربِّنا سبحانه، وفَوْقيَّته، وَاسْتِواءَه عَلَىٰ عَرْشه كما يَلِيقُ بجلالِهِ وعَظمتِهِ، والحقُّ واضحٌ في ذَلِكَ، والصُّدورُ تَنْشرحُ لَه، فإنَّ التَّحْريفَ تَأْباهُ العُقُولُ الصَّحيحةُ؛ مثل تَحْريفِ الاسْتِواءِ بِالاسْتِيلَاءِ وَغيره، والوُقُوف في ذَلِكَ جهلٌ،

---

(١) أورده ابن جماعة في «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» (١/ ٤٩)، والذهبي في «العلو» (٥٧٧).

(٢) «لمعة الاعتقاد» (ص٥).

وَهِيَ مع كونِ الرَّبِّ تعالىٰ ما وَصَف لنا نَفْسَه بهذا إلَّا لنُثْبِتَ له ما وَصَف به نَفْسَه لَنا، ولا نَقِفُ فِي ذَلِكَ»[1].اهـ.

هذِهِ بَعْضُ النُّقُولِ عَنْ مَذْهَبِ السَّلفِ، ولَوْ أَردْنَا بَعْض التَّقصِّي لاحْتَجْنَا إِلَىٰ مُجلَّدٍ أو أكثر، ولَطَال بنَا الكلامُ، وفيما ذَكَرنا كفايةٌ ومقنعٌ، ومَنْ أرادَ الاسْتِزادةَ فَعَليهِ بالكُتُبِ المُخصَّصةِ لهَذَا الشَّأنِ؛ كَكِتَابِ «التَّوحيد» لابْنِ خُزَيمة، وكِتَابِ «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتاب «الرَّد عَلَىٰ الجهميَّة» للدَّارمي، و«الفَتَاوىٰ الكبرىٰ» لابْنِ تَيْمية، و«العقل والنَّقْل» له، وكَتَب ابْنُ القَيِّم، وابْنُ عبد الوَهَّاب، و«معارج القبول» للشَّيخ حافظ الحكمي، وغير ذلك من الكتب التي أَلَّفها أصحاب العقيدة السلفية -رحم الله الجميع، وَكِتَاب «علاقة الإثبات والتَّفْويض بصِفِاتِ ربِّ العَالَمين» للدُّكتور رضا نعسان.

ومن هَذِهِ النُّقُولِ تَعْلم أنَّ ما قرَّره الأستاذ حسن البنَّا من أنَّ «السَّلفَ والخَلَفَ اتَّفقوا عَلَىٰ أَصْل التَّأويلِ»، كلامٌ باطلٌ، وافتراءٌ عَلَىٰ السَّلَفِ رَحِمهم الله تَعَالىٰ، فالسَّلَفُ يَذمُّون المُفوِّضةَ ويُبدِّعونَهم، فمَتَىٰ اتَّفقوا مَعَهم عَلَىٰ التَّأويلِ؟!

---

(١) مجموعة «الرسائل المنيرية» (١/ ١٨١)، وقبل هذا الكلام الذي نقله شيخنا -حفظه الله- عن الجويني كلام هذا نصه: «فصل: إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصّنا من شبه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه، وفوقيته... إلخ». محمد بن هادي.



وأمَّا أتباع حسن البنَّا، فمِنْ ذَلِكَ ما نَقَله صاحبُ كتاب «وقفات» عن سعيد حوىٰ «جولات في الفِقْهين الكَبِيرِ والأَكْبر» الجولة الأُولَىٰ ما نصُّه: «إنَّ للمُسْلمين خِلَال العُصُور (أي: الماضية) أئمَّتهم في الاعتقادِ، وأئمَّتهم في الفِقْه، وأئمَّتهم في التَّصوُّف والسُّلوك إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فأئمَّتهم في الاعتقادِ كأبي الحَسَن الأَشْعريِّ، وأبي منصور الماتريدي!»[1].

ويقول أيضًا في الجولة الرَّابعة ما نصُّه: «وسَلَّمتِ الأُمَّةُ في قَضَايا العَقائِدِ لاثنين: أبي الحسن الأشعريِّ، وأبي مَنْصور الماتريدي!»[2].

أمَّا الغزاليُّ فإنَّه يَزِيد عَلَىٰ كونِهِ أشعريَّ العقيدة أنَّه يَسْخَر من عقيدة السَّلَفِ، ومن الشَّباب الَّذين يَنْتمون إليها، فمِنْ ذَلِكَ قولُهُ في كتابِهِ: «السُّنَّة النَّبويَّة بَيْن أَهْلِ الفِقْه وأَهْل الحديثِ»[3]: «وفي هَذَا الكتابِ جَرْعةٌ قَدْ تكون مُرَّةً للفِتْيانِ الَّذين يَتَناولونَ كُتُبَ الأَحَاديثِ النَّبويَّةِ، ثمَّ يَحْسبون أنَّهم أَحَاطُوا بالإِسْلامِ عِلْمًا بَعْد قراءةٍ عابرةٍ أو عميقةٍ لعلَّ فيه درسًا لشُيُوخٍ يُحارِبون الفقهَ المذهبيَّ لحسابِ سَلفيَّةٍ مَزْعومةٍ عَرفَتْ من الإِسْلام قُشُورَه، ونَسِيتْ جُذُورَه».

قلتُ: وهَلْ في الإِسْلامِ قُشُورٌ؟! إنَّ وَصْفَ الإِسْلام بأنَّ فيه قشورًا وجُذُورًا كذبٌ وفريةٌ عَلَىٰ الله، وعلىٰ الإِسْلامِ، وعَلَىٰ مَنْ جاءَ بالإِسْلامِ، ويُخَاف عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ أن يكونَ قَدِ ارتدَّ عَنِ الإِسْلامِ إِنْ كانَ من جملةِ أهلِهِ قَبْل هَذِهِ الكَلِمَةِ.

---

(١) (ص٢٢).

(٢) (ص ٦٦).

(٣) (ص١١).

ونَحْن نقولُ: إنَّ الإسلامَ كلَّه جُذُورٌ، لا قُشُورَ فيه، وحقٌّ لا باطلَ فيه، وصِدْقٌ لا كَذِبَ فيه، ومَنْ زَعَم خلافَ ذَلِكَ فهُوَ مُنَافقٌ، إنَّ مَنْ يَزْعم أنَّ إطْلاقَ اللِّحيةِ، وَرَفْع الثَّوْبِ فَوْقَ الكَعْبين، وتَرْك التَّختُّم بالذَّهبِ، وَسَماع القُرْآنِ بَدلًا عن الأَغَانِي، وإِثْبات الصِّفاتِ الَّتي وَصَفَ اللهُ بها نَفْسَه، أو وَصَفه بها رَسُولُهُ ﷺ؛ سواء كَانَتْ من الصِّفاتِ الخبريَّة؛ كَإِثْباتِ صِفَةِ الوَجْه والعَيْن واليدِ والسَّاقِ والرِّجلِ والقَدَم، وغير ذَلِكَ، أو من الصِّفاتِ الفعليَّةِ كصفة الاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ، والنُّزول إِلَىٰ السَّماءِ الدُّنيا ثُلُث اللَّيلِ الأَخِير، وَحَدِيث كَشْفِ السَّاقِ في عَرَصاتِ القِيَامةِ، ووَضْع الجَبَّار رِجْله، وفي روايةٍ: «قَدَمه» عَلَىٰ النَّار فيَنْزوِي بَعْضها إِلَىٰ بَعْضٍ، وتَقُول: قَطِ قَط، حَسْبي حَسْبي، إنَّ مَنْ يَزْعم بأَنَّ هَذِهِ الأَحْكامَ قُشُورٌ فهُوَ مَسْعورٌ، وعَنِ الخيرِ مَبْتورٌ.

إنَّ الغزالي يُحاربُ العقيدةَ السَّلَفيَّةَ في إثباتِ الصِّفاتِ حَرْبًا شَعْواءَ، لا هَوادَة فيها.

وإنَّ عمر التلمساني يَقُولُ في كتابِهِ: «بعض ما عَلَّمني الإخوان المسلمون» عِنْد قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

فقالَ: «وإنَّ هَذِهِ اليمينَ الَّتي تُشِير إليها الآيةُ الكريمةُ هي التَّمكُّنُ من طيِّ السَّماواتِ، أي: القُدْرة الَّتي تَفْعل ما تَشاءُ، كَيْفما تَشاءُ، عِنْدما تَشَاءُ»، وهذِهِ عَقِيدةُ الأَشَاعرةِ، أي: عقيدةُ التَّأويلِ.

وكذَلِكَ إسماعيل الشطي، قالَ وَهُو يَتحدَّثُ عن العقيدةِ: «لَا أَدْري كَيْف أثبتَ لله يدًا» حَكَىٰ ذَلِكَ عَنْه وعن التلمساني العجميُّ في كتابِهِ «وقفات»[١].

---

(١) (ص٢٢، ٢٣).

أَمَّا سَيِّد قطب فإِنَّه كثيرًا ما يُميِّع القَضَايا العقديَّة تَمْييعًا قَدْ يصلُ إِلَىٰ حدِّ التَّشْكيكِ أحيانًا، فَانْظُرْ إِلَيه يقولُ فِي تَفْسير «الظِّلال» عَلَىٰ آيةِ الطَّلاقِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

قَالَ: «والسَّمَاواتُ السَّبْعُ لا عِلْمَ لنا بِحَقِيقةِ مَدْلُولها وأَبْعَادها ومِسَاحَاتها» ويَقُول فِي تَفْسير سورة النَّبأ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ:١٢].

قالَ: «والسَّبْعُ الشِّدادُ الَّتي بَناهَا اللهُ فوقَ أَهْل الأرضِ هِيَ السَّمَاواتُ السَّبْعُ والطَّرائقُ السَّبعُ» فِي مَوْضعٍ آخر: «والمقصودُ بها عَلَىٰ وَجْه التَّحْديدِ يَعْلمه اللهُ، فقَدْ تكونُ سَبْع مجموعاتٍ من المَجرَّاتِ، وَهِيَ مَجْموعاتٌ من النُّجُومِ قَدْ تَبْلغ الواحدةُ مِنْها مئةَ مليون نجمٍ، وقَدْ تكونُ السَّبع المَجْموعات هَذِهِ هِيَ الَّتي لها علاقةٌ بأَرْضِنا أو بمَجْموعتِنا الشَّمسيَّة».

قلتُ: وأيُّ تَمْييع أعظمُ مِنْ هَذَا التَّمييعِ، السَّماواتُ السَّبْعُ الَّتي وَرَدتْ في وَصْفها أحاديثُ تبلغُ حدَّ التَّواتر، ومِنْها أحاديثُ المِعْراجِ الَّتي وَصَف فيها النَّبيُّ ﷺ السَّماواتِ، وأنَّه وَجَد في كلِّ سماءٍ بعضَ الأَنْبياءِ.

ويَقُولُ عن الاسْتِوَاءِ فِي تَفْسير سورة الحديد فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤]: «أَمَّا الاستواءُ عَلَىٰ العَرْشِ فنَمْلِكُ أَنْ نقولَ: إنَّه كِنَايةٌ عن الهَيْمنةِ عَلَىٰ هَذَا الخَلْق اسْتِنادًا إِلَىٰ مَا نَعْلمُهُ من القرآنِ عن يَقِينٍ أَنَّ الله سُبْحانه لا تَتغيَّر عَلَيه الأَحْوالُ، فَلَا يكونُ فِي حَالَةِ عَدَمِ اسْتِوَاءٍ عَلَىٰ العَرْشِ، ثمَّ تتبعها حال استواءٍ...إلخ»، وهذِهِ عَقِيدةُ المُؤوِّلة الأَشَاعرة.

□ الملاحظة التَّاسعة:

دَعْوىٰ الشَّيخ البنَّا أنَّ دَعْوتَه جَمَعتْ كلَّ المعاني الإِصْلاحيَّة بزَعْمِهِ: «فهي دعوةٌ سَلفيَّةٌ، وطريقةٌ سُنيَّةٌ، وحقيقةٌ صوفيَّةٌ، وهيئةٌ سياسيَّةٌ، وجماعةٌ رياضيَّةٌ، ورابطةٌ علميَّةٌ ثقافيَّةٌ».

وفسَّر ذَلِكَ بقولِهِ: «دعوةٌ سَلفيَّةٌ»؛ لأنَّهم يَدْعون إِلَىٰ العَوْدةِ بالإِسْلامِ إِلَىٰ مَعِينِهِ الصَّافي من كِتَابِ الله وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ.

وأقول: ما أَحْسنَ هَذَا لو أُسِّس عَلَىٰ التَّوحيدِ ومُفَاصلةِ الشِّرْكِ بجَمِيع أَنْواعِهِ وأَنْواعِ مُعْتنقِيه وسَلِمَ من البِدَعِ! ولَكِنْ كَيْفَ يَسْلَم مِنَ البِدَعِ وَالشِّركيَّاتِ مَنْ تربَّىٰ في أَحْضانِ الصُّوفيَّةِ، وَشَرِبَ من لبانها مُنْذ نُعُومةِ أَظْفارِهِ، ثمَّ قالَ: «وَطَريقةٌ سُنيَّةٌ»؛ لأنَّهم يَحْملون أَنْفُسَهم عَلَىٰ العملِ بالسُّنَّةِ في كلِّ شيءٍ، وبخاصَّةٍ في العَقَائدِ والعِبَاداتِ مَا وَجَدوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَأَقُولُ: هَذِهِ دَعْوىٰ، وَلَكِنَّ وَاقِعَ الإِخْوانِ ومُؤسِّس دَعْوتِهم لا يُصدِّقها، ونَحْن نُطَالِبهُمْ بأكبرِ فقرةٍ في هَذِهِ الدَّعوىٰ، وأهمِّ شيءٍ فيها، وأوَّل شيءٍ فيها، فلمَاذَا لَمْ يَبْدؤوا به؟ لمَاذَا لم يَبْدؤوا من حَيْث بدأ المُصْطَفىٰ ﷺ ومِنْ حَيْث بدأ كلُّ رَسُولٍ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ۝٥٩﴾ [الأعراف:٥٩]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۝٣٦﴾ [النحل:٣٦].

إنَّ كلَّ دعوةٍ لا تُؤسَّس عَلَىٰ هَذَا الأساسِ، ولا تَنْطلقُ من هَذَا المُنْطلقِ فَإِنَّها غير سُنيَّةٍ ولا سَلفيَّةٍ مَهْما ادَّعىٰ أَصْحابُها أنَّهم سُنيُّونَ أو سَلفيُّون.



قالَ: «وَحَقِيقةٌ صُوفيَّةٌ»؛ لأنَّهم يَعْلمونَ أنَّ أساسَ الخيرِ طَهارَةُ النَّفسِ ونَقَاءُ القَلْبِ، والمُوَاظبةُ عَلَىٰ العَمَلِ، والإعْرَاضُ عن الخَلْقِ، والحبُّ في الله.

أقول: كلُّ مُسْلمٍ سَلَّمَه اللهُ من الأَهْواءِ يَعْلم حقًّا أنَّ أساسَ الخير طهارةُ النَّفسِ، ونَقَاءُ القلبِ، والمُوَاظبةُ عَلَىٰ العملِ، ولكن أَيْن هَذَا من الصُّوفيَّة؟! أَيْن مِنْهم طهارةُ النَّفسِ؟! وأَيْن مِنْهم نقاءُ القلبِ؟! وهُمْ يُؤْمِنون بوحدةِ الوُجُودِ، فيُؤمِنُونَ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حلَّ في جَمِيعِ خَلْقِهِ، أو في بَعْضِ خَلْقه!

أَيْنَ مِنْهم طهارةُ النَّفسِ وَهُمْ يَتْركونَ مَصْدر التَّلقِّي الَّذي أَمَر اللهُ به ورَسُولُهُ ﷺ وَهُو الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وَيَجْعلُونَ مَصْدرهم الَّذي يَأْخُذُونَ عَنْه الإلهامَ، فيقول أَحَدُهُمْ: «حَدَّثني قَلْبي عن ربِّي»؟!

وأَيْن مِنْهم طهارةُ النَّفسِ ونَقاءُ القَلْبِ وهُمْ يَسْتبيحونَ المُحرَّماتِ، ويَزْعمون أنَّهم وَصَلوا، ولمَّا وَصَلوا، أباحَ اللهُ لهم ما حَرَّم عَلَىٰ غَيْرهم، وأَسْقَط عَنْهم الفَرَائِضَ الَّتي أَوْجَبها عَلَىٰ غَيْرهم؟!

أَمْ أَيْنَ طهارةُ النَّفسِ وصفاءُ القلبِ مِمَّنْ يَزْعمون أنَّ الوليَّ أعلَىٰ مَقَامًا من النَّبيِّ؛ لأنَّ النَّبيَّ يَأْخذ بِوَاسطةِ المَلَكِ، أمَّا الوليُّ فيأخذُ مِنَ الحَضْرة القُدسيَّةِ؟!

أم أَيْنَ مِنْهم طهارةُ النَّفسِ، ونقاءُ القلبِ، وهُمْ يَعْتقدون أنَّ بعضَ الأَوْلياءِ يَتصرَّفونَ في هَذَا الكونِ؟

وَاسْمَعْ إِلَىٰ عبدِ الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُو ينقلُ في كتابِهِ: «هذِهِ هِيَ

الصُّوفيَّة»[١] عن الجيلي ادِّعاءَه للرُّبوبيَّةِ، فيَقُول: ادِّعاءُ الجيلي الرُّبوبيَّة العُظْمىٰ حَيْث قالَ:

لـــي المُلْـــك في الـــدَّارين لـــم أرَ فِيهِمـــا
سِـــوَاي فـــأَرْجُو فَـــضْله أو فأَخْـــشَاهُ
وقَـــدْ حُـــزْتُ أنـــواعَ الكمـــالِ وإنَّنـــي
جَمـــالُ جَـــلَال الكُـــلِّ مـــا أنَـــا إلَّا هـــو

ثمَّ يقول: هَذَا قولُ الجيلي، واللهُ تَعَالَىٰ يقولُ: «﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران:١٨٩]، وَلَكِنَّ الجيلي يَفْتري أنَّ لَه وَحْدَه مُلْكَ الدُّنيا والآخِرَةِ، وأنَّه لَيْس للوُجُودِ ربٌّ سِوَاهُ، ولا لِيَوْمِ الدِّينِ مَلِكٌ غيره، وأنَّه الغنيُّ بذاتِهِ، فلا تَنْقدح في قلبِهِ رغبةٌ في نِعْمةٍ من أحدٍ؛ لأنَّه الوَهَّابُ للنِّعَمِ، ولَا تَلْفحُ نَفْسَه رَهْبةٌ من سُلْطانٍ؛ لأنَّه مَلِك الكُلِّ، ومَالِكُهمْ.

ولَمْ يكتفِ الجيلي بهَذَا، بَلْ مَضَىٰ يُعدِّد أنواعَ الخَلْق وصُور الوُجُود المادِّيِّ والحسِّيِّ والرُّوحيِّ والمعنويِّ ليزعم بعدها أنَّه هُوَ عَيْنها ذاتًا ووُجُودًا، فلا يَتوهَّم وَاهِمٌ أنَّ شيئًا في الوُجُودِ يُغاير الجيلي، ويخرج عن حَقِيقةِ ذاتِهِ، فقَالَ:

فمَهْمـــا تَـــرَى مـــن مَعْـــدنٍ ونباتـــه
وحيوانـــه مَـــعَ إنْـــسِه وسَـــجَاياه

---

(١) (ص٤٤).

ومَهْمـــا تـــرَى مـــن أبحـــرٍ وقِفَـــاره

ومـــن شَـــجرٍ أو شَـــاهقٍ طَـــالَ أَعْـــلاه

ومَهْمـــا تَـــرى مـــن صـــورةٍ مَعنويَّـــة

ومـــن مَـــشْهدٍ للعـــينِ طـــابَ محيـــاه

ومَهْمـــا تَـــرَى مِـــنْ هيئـــةٍ ملكيَّـــة

ومـــن مَنْظـــر إبلـــيس قَـــدْ كَـــانَ مَعْنـــاه

ومَهْمـــا تَـــرَى مـــن شَـــهْوةٍ بَـــشريَّةٍ

لطَـــبعٍ وإيثَـــارٍ لـــحقٍّ تَعَاطَـــاه

ومَهْمـــا تَـــرَى مـــن عَـــرْشِهِ ومُحِيطِـــه

وكُرْسـِـيِّه أو رَفْـــرفٍ عـــزَّ مجـــلاه

فـــإنِّي ذاك الكـــلُّ والكـــلُّ مَـــشْهَدي

أنـــا المُتجلِّـــي في حَقِيقَتِـــهِ لا هُـــو

وإنِّـــي ربٌّ للأنَـــامِ وسَـــيِّدُ

جَمِـــيع الـــوَرَى اســـم وذاتـــي مُـــسمَّاهُ

ثمَّ قَالَ الوكيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرأيتَ إِلَىٰ الجيلي بأيٍّ وَثنيَّةٍ يَنْعق، وبأيٍّ مَجوسيَّةٍ يَدِينُ، أرأيتَ إِلَىٰ قولِهِ: «أَنَا المُتجلِّي في حقيقتِهِ لَا هُوَ» يا للجيلي! يَحْكم عَلَىٰ الوُجُودِ الحقِّ بالعَدَمِ الصِّرْفِ، أرأيت إِلَيه في زَعْمه أنَّه هو ربُّ الأنامِ وسَيِّده...» إِلَىٰ أن قالَ: «إنَّ تِلْكَ الزَّنْدقةِ يَتوَارثها صُوفيٌّ عن صُوفيٍّ، فحقَّ عَلَيهم قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ [الذاريات:٥٣].

هذِهِ هي الصُّوفيَّةُ الَّتي يَزْعم البنَّا أنَّها مَعْنىً من المعاني الإِصْلاحيَّة، فأيُّ إِصْلاحٍ يَأْتي من الصُّوفيَّةِ؟!

أتظنُّ أنَّ البنَّا يجهلُ هَذَا الهُرَاءَ والدَّجلَ والافتراءَ وهذِهِ المَزاعمُ الإلحاديَّةُ، وقَدْ نَشَأ في أَحْضانِ الصُّوفيَّةِ، وتَربَّىٰ في كَنَفها، وعَايَشها ليلَ نَهارٍ.

ولقَدِ انْتقَد هَذَا الأُسْلوبَ أحدُ أَسَاطين الجماعة، وَهُو مُحمَّد سرور زين العابدين، قالَ في مَقَالٍ نَشَره في مَجلَّته الَّتي يُسمِّيها بـ «السُّنَّة»!! العدد السَّابع والعشرون جمادىٰ الآخرة عام ١٤١٣هـ، وَهُو مقالٌ مطولٌ، ذَكَر فيه كثيرًا مِنْ سَلبيَّات هَذِهِ الجَماعَةِ وَغَيْرها من الجَماعَاتِ الحِزْبيَّة، وذَكَر أَسْبابَ انْفِصَالِهِ عَنْها، ثمَّ قالَ: «بَعْد انْفِصَالِي عن الجماعةِ الأُولَىٰ، وَضَعْتُ لنَفْسي ثَوَابتَ ومُنْطلقَاتٍ مُحدَّدةً لا أَحِيدُ عنها، ولا أستبدلُ بِهَا غَيْرها، وها قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَسِيرتِي أكثر من عِشْرِينَ عامًا، ومُرُورُ هَذِهِ الأيَّام زَادني قناعةً وَاسْتِمْساكًا بهذِهِ الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ...» إِلَىٰ أَنْ قالَ: «أوَّلًا: أصبحَ الأَصْلُ عِنْدِي الالْتِزَامُ بِعَقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ رضوان الله عليهم، وهذِهِ مسألةٌ لا مجالَ للمُسَاومةِ عَلَيها، فمَنْ كان هَذَا هو اعتقادُهُ في أُصُولِ الدِّين وفُرُوعِه، فهو أخي، ومن أَقْربِ النَّاسِ إليَّ، ولا يَهمُّنا بعد ذَلِكَ لونُ بَشْرتِهِ، أو اسمُ الجماعةِ الَّتي يَنْتسبُ إِلَيها، أو بُعْد الدِّيار بَيْننا وبَيْنَه.

وَلم يَعُدِ العملُ الإسلاميُّ عِنْدِي دعوةً سَلفيَّةً، وحقيقةً صُوفيَّةً؛ لأنَّ مثل هَذَا الخَليطِ لا يَصْلح أساسًا لوحدة العمل الإسلاميِّ، ولا يُؤدِّي إلَّا إِلَىٰ الخُصُومةِ والفُرْقةِ والتَّناحرِ؛ لأنَّ الصُّوفيَّةَ شُذُوذٌ وَانْحِرَافٌ عن المَنْهجِ الحقِّ الَّذي آمنَّا بِهِ.

كما أنَّ العملَ الإسلاميَّ لم يَعُدْ شعارًا يُردِّده البعضُ دونَ تَدبُّر مَعْناهُ، ومِنْ ذَلِكَ قولُ القَائِلِينَ: «ويَعْذر بَعْضنا بعضًا فِيمَا اخْتلَفنَا فِيهِ».

وكَما قلتُ سابقًا من هَذَا الحديثِ، فإنِّي لا أَعْذر مَنْ كانَ اخْتِلافِي مَعَه اخْتِلافَ تَضادٍّ، وكَيْف أَعْذره وأنَا أعتقدُ أنَّ الحقَّ مَعِي، والدَّليل إِلَىٰ جَانِبي، ولم يَعُدْ عَقْلي يَتصوَّر وُجُودَ جماعةٍ واحدةٍ فيها السَّلَفيُّ والصُّوفيُّ والأشعريُّ والخارجيُّ ودُعَاة الاعْتِزَالِ والعَقْلانيَّة، وغير ذَلِكَ من العَقَائِدِ والاتِّجاهاتِ المُخْتلفَةِ المُتبَاينةِ، وأدركت أنَّ الكمَّ الكبيرَ لَيْس دليلًا عَلَىٰ نَجَاح العملِ الإسلاميِّ، وأنَّ سياسةَ التَّجميعِ سياسةٌ فاشلةٌ إذا أهملَ الدُّعاةُ سلامةَ التَّصوُّراتِ، ووحدةَ الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ».اهـ.

وبقَطْع النَّظَرِ عن صِدْقيَّة ادِّعائِهِ أنَّه حينَ تركَ الإخوانيَّة انْتقَل إِلَىٰ المنهجِ السَّلَفيِّ الصَّحيح، أو عَدَم صِدْقيَّتِهِ لكونِهِ أَخَذ بجوانبَ، وتَركَ جوانبَ إلَّا أنَّ الشَّاهدَ منه أنَّ هَذَا الرَّجلَ رُغْمَ أنَّه عَايَش هَذَا المنهجَ[1] بُرْهةً من الزَّمنِ، وعَرَف كثيرًا من سَلْبيَّاتِهِ قَدْ تَركَه من أجلِ كَثْرة سَلبيَّاتِهِ، ومنها جَمْع مُؤسِّسه بَيْن مُتَناقضاتٍ؛ كجَمْعِهِ بَيْن السَّلَفيَّةِ والصُّوفيَّةِ مَعَ مَا بَيْنها من البَوْنِ الشَّاسعِ وَالفَرْقِ العَظِيمِ، بَلْ مَعَ مَا بَيْنهما مِنَ التَّناقضِ.

ونَقْده فِي قولِهِ: «ويَعْذر بَعْضُنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فِيهِ»، فإذَا كانَ الاخْتِلافُ في العَقَائدِ المُتَناقِضة، كَيْف يعذرُ بَعْضُهم بعضًا؟!

(١) أي المنهج الإخواني.

ونَقْدُهُ سياسةَ التَّجميع، وحُكْمه عَلَيها أنَّها سياسةٌ فاشلةٌ، فكيفَ يجتمعُ قومٌ قناعاتُهُم مختلفةٌ، وعَقَائدُهُم متباينةٌ، وقرَّر أنَّ النَّجاحَ لا يكونُ إلَّا للمَنْهج الَّذي اتَّحَد أهلُهُ في سَلامةِ التَّصوُّرِ المبنيِّ عَلَىٰ وحدة الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ، ومَعْنىٰ ذَلِكَ أَنْ يَعْتقدُوا مَنْهجًا ثابتًا، وَهُو كتابُ الله وسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وما جَرَىٰ عليه السَّلَفُ الصَّالحُ من الأعمالِ، وأنَّ التَّلقِّي لا يكونُ إلَّا من الله ورَسُولِهِ ﷺ، وأنَّ العصمةَ ليست لأحدٍ غير رَسُولِ الله ﷺ.

ولئن سَلَّمنا جَدَلًا أنَّ صُوفيَّته سليمةٌ من وحدة الوُجُودِ، فإنَّها لم تَسْلم من شِرْكِ الوثنيَّةِ الَّذي كان يَرَىٰ النَّاسَ غَارِقِينَ فيه، ولم يُغيِّر من الأَمْرِ شيئًا، بل أقرَّه وسَكَت عنه، وزَعَم أنَّ الشِّرْكَ الَّذي حرَّمه اللهُ وحَذَّر منه هو شِرْكُ الحاكميَّةِ، ونَحْنُ نَقُولُ: إنَّ شِرْكَ الحَاكِميَّةِ واحدٌ من أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الوَثنيِّ، وإنَّ الرُّسُلَ قَدْ بُعِثتْ في أَقْوامٍ لَهُم طَوَاغِيتُ يتحَاكَمُونَ إِلَيهم، وَيَخْضعُونَ لحُكْمِهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الَّذي أَرْسَلهم أن يُنْكروا شِرْكَ الحَاكميَّةِ ويَتْركُوا شِرْكَ العبادةِ، بَلْ أَمرَهُمْ أَنْ يَبْدؤوا بشِرْكِ العِبَادةِ، فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]، وشِرْكُ الحاكميَّةِ يَدْخل تبعًا.

□ **وأخيرًا:** فهَلِ الصُّوفيَّةُ بجَمِيع أَنْوَاعها وسيلةٌ مِنْ وَسَائِلِ إِصْلاحِ المُجْتمعاتِ أَوْ مِنْ وَسَائِلِ إِهْلَاكِهَا وإِتْلَافِها؟ فاللهُ المُسْتَعانُ.

وهل يصلحُ أن تُقْرنَ بالسَّلَفيَّةِ والسُّنَّةِ؟ أتركُ الجوابَ للقَارِئ.

إنَّ الجمعَ بَيْن هَذِهِ الأُمُورِ جمعٌ بَيْن مُتَناقضاتٍ لا تَجْتمع أبدًا.

□ الملاحظة العاشرة:

□ ضَعْفُ الوَلَاءِ والبَراءِ في المَنْهجِ الإخوانيِّ، فمِنَ الأدلَّةِ الوَاضحةِ عَلَى ذَلِكَ:

۞ **أوَّلًا:** مَا نُقِلَ في كتابِ «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» تَحْتَ عنوان: (في قَضيَّة فَلَسطين) تَحدَّث محمود عبد الحليم وهو مِنْ قَادَة حزب الإخوان عن لجنةٍ مُشْتركةٍ أمريكيَّةٍ بريطانيَّةٍ جَالَتِ العالَمَ العربيَّ من أَجْل قضيَّة فَلَسطين، وقَدْ حَضَر البنَّا اجتماعًا لها في مصر مُمثِّلًا عن الحَركَةِ الإسْلاميَّة، وألْقَىٰ كَلِمةً قالَ فِيهَا ما نَصُّه:

«والنَّاحِيةُ الَّتي سَأتحدَّثُ عَنْها نقطةٌ بسيطةٌ من الوِجْهةِ الدِّينيَّة إلَّا أنَّ هَذِهِ النُّقطة قَدْ لا تَكُونُ مَفْهومةً في العَالَمِ الغربيِّ، فأريدُ أَنْ أُوضِّحها باخْتِصَارٍ، فَأقرِّر: أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيْسَتْ دينيَّةً؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ حضَّ عَلَىٰ مُصَافَاتِهِمْ ومُصَادَقتِهِمْ، والإسْلامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قَبْلَ أن تكونَ قوميَّةً، وقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيهم، وجَعَل بَيْنَنا وبَيْنَهم اتِّفاقًا ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وَحِينَما أَرَادَ القرآنُ أَنْ يتناولَ مَسْألةَ اليَهُودِ، تَناوَلها من الوِجْهَةِ الاقْتِصاديَّةِ والقَانونيَّة، قالَ تَعَالىٰ: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [النساء:١٦٠].اهـ [(١)].

---

(١) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (١/ ٤٠٩) ط. الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

وأَقُولُ: إذَا كانَ البنَّا يُقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيْسَتْ دينيَّةً، فما هي؟ أَلَيْسَ القرآنُ يُقرِّر بأنَّها دينيَّةٌ، ويخبر اللهُ نَبيَّه بأنَّ اليهودَ والنَّصارَىٰ لا يَرْضون عن المُسْلِمينَ إلَّا باتِّباع مِلَّتِهِمْ، ويُحذِّر نَبيَّه من اتِّباع مِلَّتهم بَعْدما جَاءَه الحقُّ، ويَتوعَّد مَنِ اتَّبعَ مِلَّتهم من أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، فيَقُولُ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠].

وأمَّا قولُهُ: «لأنَّ القرآنَ الكريم حَضَّ عَلَىٰ مصافاتهم اليَهُودِ ومُصَادَقتِهِمْ» فهَذِهِ إنْ صَحَّتْ عنه فهي فِرْيةٌ ما أَعْظَمها! وكيفَ لا تصحُّ وقَدْ ذَكَرها أتباعُهُ مُعتزِّين بمِثْل هَذِهِ الأقوالِ، ومُفْتخِرينَ بها، فلا حولَ ولا قُوَّة إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

۞ **ثانيًا:** سَعْيُهُ وَجَمِيعَ أَتْباعِهِ في التَّقْريبِ بَيْنَ الشِّيعة مَعَ ما عندهم من البَلَايا المُكفِّرةِ والمُفسِّقةِ، وبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وزَعْمهم أنَّ الشِّيعةَ والسُّنَّةَ كُلَّهم مُسْلِمونَ.

وأقول:

١- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ سبَّ أبَا بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما بأَبْشَعِ السَّبِّ وأَقْذَعِهِ وأَقْذَرِه؟!

٢- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ سبَّ أُمَّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرَّأة من فَوْق سَبْع سَمَاواتٍ، رَضِي اللهُ عَنْها وعَنْ أَبِيها، ورَمَاها بالفَاحِشَةِ بَعْد أن بَرَّأها اللهُ في كتابِهِ، وكَذَّب القرآنَ في تَبْرئتِهِ لَها؟!

٣- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَحْكُمُ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابةِ بِالرِّدَّة عَنِ الإِسْلامِ إلَّا نَفَرًا قَلِيلِينَ، ويَزْعُمُ أنَّهم كَفَروا بسَحْبِهم للخِلَافَةِ من عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه وَعَنْهم، وَاتِّفاقهم عَلَىٰ ذَلِكَ مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تَجْتَمِعُ أُمَّتي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**»، وَهُمْ خَيْرُ أُمَّتِهِ وأَفْضَلُهُمْ وقُدْوَتُهُمْ، أَفيُعْقل أَنْ يَجْتَمِعُوا كلُّهم عَلَىٰ ضَلالةٍ؟!

٤- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَدَّعي العِصْمةَ لعليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وَبَنِيهِ الاثْنَيْ عَشَر؟! مع أنَّ العِصْمةَ لم تَثْبُتْ لأحدٍ غير رَسُولِ الله ﷺ، وواللهِ ما ادَّعاها عليٌّ لنفسِهِ، ولا ادَّعاهَا الحَسَنُ ولا الحُسَينُ، ولا أحدٌ من أَبْنائِهم الغُرِّ المَيَامِين الَّذين ادُّعِيَتْ لهم.

٥- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ عَبَدَ بَعْض المَخْلُوقِينَ؛ أحياءً وأمواتًا، ودَعَاهُمْ عِنْدَ الشَّدائِدِ، وتَطوَّف بقُبُورِهِمْ، بل وَزَعَمَ أنَّ الحجَّ إِلَىٰ كربلاء يَعْدلُ الحجَّ إِلَىٰ بَيْتِ الله الحَرَامِ؟!

٦- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يُعبِّدُ أَبنَاءَه للمَخْلُوقِينَ، فيُسمِّيهم بعبد الحسين، وعبد الكاظم، وعبد الزَّهراء، وما أَشْبه ذَلِكَ؟!

٧- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَعْتقدُ أنَّ جِبْريلَ عليه السلام خَانَ، فذَهَب بالرِّسالةِ إِلَىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، وكَانَتِ الرِّسالةُ إِلَىٰ عليٍّ رضي الله عنه، فعَدَل بها عَنْه؟! ويَلْزم منه لوازمُ كُفريَّةٌ:

أ- تَخْوِينُ الأَمِينِ جِبْريل عليه السلام الَّذي وَصَفَهُ اللهُ بقولِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٥].

وذَلِكَ تكذيبٌ لله في خَبَره، وَهُوَ الكُفْرُ بعينِهِ.

ب- ويَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ نَفْي عِلْمِ الغَيْبِ عن الله تَعَالىٰ، وأنَّه يُمْكن أن يُخَان مِنَ الوَرَاءِ وَهُو لا يَعْلم، كما يُخَانُ المَخْلُوقُ وَهُو لَا يَعْلم، وهذا كفرٌ بإِجْمَاعِ المُسْلِمينَ.

ج- ويَلْزمُ مِنْه أنَّه -جلَّ وَعَلَا وتَقدَّس- لا يَعْرفُ المصلحةَ، وأنَّ جِبْريلَ عليه السلام كانَ أعرفَ بالمَصْلحةِ مِنْه حينَ وَجَّه بالرِّسالةِ إِلَىٰ ابن ثمان سَنَواتٍ، فعَدَل بِهَا جبريلُ عليه السلام إِلَىٰ ابْنِ الأَرْبعينَ، وفي ذَلِكَ تجهيلٌ لله جلَّ وَعَلا، ونفيٌ للحِكْمةِ عَنْه، وهذَا أَعْظمُ الكُفْرِ.

٨- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَعْتقد أنَّ القيامةَ هِيَ إِحْياءُ أَعْداءِ آل مُحمَّدٍ عند خُرُوج المَهْدي المُنْتظرِ، وَالاقْتِصَاص لآلِ مُحمَّدٍ مِنْهم عند ذَلِكَ، ويَزْعم أنَّ أوَّلَ مَنْ يُقتَصُّ مِنْه هُمَا: أبو بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما؟!

٩- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَزْعم أنَّ المهديَّ المُنْتظر إذا خرجَ سيُحقِّق ما لم يُحقِّقه مُحمَّدٌ ﷺ؟! وهذِهِ مقالةُ الخميني الَّتي صرَّح بها في كتابِهِ.

١٠- أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يُبِيح الزِّنا مُمثَّلًا في نِكَاحِ المُتْعةِ؟! إِذْ أنَّه إذَا أُبِيحَ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ نكاحِ ليلةٍ أو ليالٍ مَعْدودةٍ، أو شهرٍ أو أقل أو أَكْثَر، وهَذَا هُو عَيْنُ الزِّنا.

□ **وَأَخِيرًا:** أَيكُونُ مُسْلمًا مَنْ فِيهِ هَذِهِ البَلَاوي كلُّها ومَا هُوَ أكثرُ مِنْها؟ وَهَلْ يُمْكِنُ التَّقريبُ بَيْن هَؤُلَاءِ وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ؟ وهَلْ سَيَحْصلُ تَقَاربٌ بَيْن أَهْلِ العَقَائِدِ المُتناقِضَةِ دُونَ أَنْ يَتنازَلَ أحدُ الفَرِيقَينِ أو كِلَا الفَرِيقَينِ عَنْ شَيءٍ مِمَّا هو من صَمِيم عقيدتِهِ؟ فهَلْ تَنَازلَتِ الرَّافضةُ عن عَقَائِدِها الَّتي هي عَلَيها من أكْثر من أَلْفِ سنةٍ أو حتَّىٰ عن بَعْضها؟! هَذَا ما لا يكونُ إلَّا أَنْ يشاءَ الله.

وهَلْ يمكنُ أن يَتنَازلَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنْ بَعْض عَقَائدِهِمْ من أَجْل أن يَتَّفقوا مع الرَّافضةِ؟ هَذَا ما لا يكونُ إلَّا أَنْ يشاءَ الله، وإنَّ مَنْ يَتخيَّل ذَلِكَ، يَتخيَّل سَرابًا لا ماءَ فِيهِ، وظُنُونًا لا حَقِيقةَ لَها.

وإنَّ السَّعْيَ إِلَىٰ التَّقريبِ لم يَقْتصر عَلَىٰ البنَّا في حياتِهِ، بل استمرَّ عليه أتباعُهُ من بَعْده، وقَدْ أرسلَ الإخوانيُّون وفدًا إِلَىٰ الخميني أيَّام ثَوْرتِهِ يُهنِّئونه بالثَّورةِ الإسلاميَّةِ كَما زَعَموا، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وقَدْ نقل كِتَابُ: «مَوْقف عُلَماء المُسْلِمينَ من الشِّيعةِ والثَّورةِ الإسلاميَّة»، تَأْليف مَنْ يُسمَّىٰ عز الدِّين إبراهيم [1] قَوْله:

«وقَبْل أَنْ نتركَ الأزهرَ، نَسْتمع إِلَىٰ الفَتْوىٰ الَّتي أَصْدَرها بخُصُوصِ المَذْهبِ الشِّيعيِّ، جاءَ فِيهَا: «إنَّ مَذْهَبَ الجعفريَّةِ المَعْرُوفِ بمَذْهبِ الشِّيعةِ الاثْنَيْ عَشريَّة مَذْهبٌ يجوزُ التَّعبُّدُ به شرعًا كسَائِرِ مَذَاهبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فيَنْبغي للمُسْلمينَ أَنْ يَعْرفوا ذَلِكَ، وأَنْ يَتخلَّصوا من العَصبيَّة بغير حقٍّ لمذاهبَ

---

(١) (ص١٩).

مُعيَّنةٍ، فما كانَ دين الله وما كَانَتْ شريعتُهُ بتابعٍ لمذهبٍ مُعيَّنٍ، أو مَقْصورةٍ عَلَىٰ مَذْهبٍ، فالكلُّ مُجْتهدُونَ مَقبولُونَ عِنْدَ الله تعالىٰ».

ويَسْتغلُّ هَذِهِ الفتوىٰ الَّتي صَدَرتْ من شيخ الأزهر سابقًا محمود شلتوت يَستغلُّها الشَّيخُ مُحمَّد الغزالي أحدُ المُؤلِّفين والمُنظِّرين في المَذْهبِ الإِخْواني، فيَقُولُ في كتابِهِ: «دفاع عن العقيدة الإسلاميَّة ضدَّ مَطَاعِنِ المستشرقين»[1]: «جَاءَنِي رجلٌ من العَوامِّ مُغْضبًا، يَتسَاءَلُ: كَيْفَ أَصْدَرَ شَيْخ الأَزْهر فَتْواه بأنَّ الشِّيعةَ مذهبٌ إسلاميٌّ كسَائِر المَذَاهبِ المَعْرُوفةِ؟

فقلتُ للرَّجلِ: ما تَعْرفُ عن الشِّيعةِ؟ فسَكَتَ قليلًا، وقالَ: ناسٌ عَلَىٰ غَيْر دِينِنا. فقلتُ له: لكنِّي رَأيتُهُمْ يُصلُّون ويَصُومُونَ كما نُصلِّي ونَصُومُ، فعَجِبَ الرَّجلُ، وقالَ: كيفَ هَذَا؟ قلتُ: والأغربُ أنَّهم يَقْرؤونَ القرآنَ، ويُعظِّمون الرَّسُولَ ﷺ، ويَحجُّون البيتَ الحرامَ. قال: لَقَدْ بَلَغنِي أنَّ لهم قرآنًا آخر، وأنَّهم يَذْهبُونَ إِلَىٰ الكعبةِ ليحقروها، فنَظَرتُ إِلَىٰ الرَّجل راثيًا، وقلتُ له: أنتَ معذورٌ، إنَّ بَعْضنَا يشيع عن البعض ما يحاول به هَدْمه، وجَرْح كَرامتِهِ».اهـ.

قلتُ: قَاتَل اللهُ الهَوَىٰ، رجلٌ عاميٌّ عَرَف أنَّ الشِّيعةَ لهم دينٌ غير دِينِنا، وإنْ صَلَّوا وصَامُوا، وعَقَائدُ غير عَقَائدِنا، وإنْ أَسْدَلوا عَلَيها ستارًا وأَنْكَروها أمامَ الآخَرِينَ عَملًا بالتَّقيَّةِ الَّتي هي مِنْ أُصُولِ عَقَائدِهِمْ، وَهُو يُحاوِلُ تَغْطية هَذِهِ العَقَائِد وإِنْكَارها أو بَعْضها.

---

(١) انظر (ص٢٥٦).

وقالَ عزُّ الدِّين إبراهيم في كتاب: «موقف عُلَماء المسلمين من الشِّيعة»[1] بعد أَنْ نقلَ عن الغزالي نُقُولًا من كُتُبه تُؤيِّد فكرةَ التَّقريبِ، فقال: «ويُصرِّح الغزاليُّ للطَّليعة الإسلاميَّة في عدد ٢٦ مارس/ ٨٥ ردًّا عَلَىٰ سؤالٍ وُجِّه إليه حَوْل دَوْرِهِ في جماعة التَّقريب، قال: «نَعَمْ، أنا كنتُ من المَعْنيِّين بالتَّقريبِ بَيْن المذاهبِ الإسلاميَّةِ، وكانَ لي عملٌ دَؤُوبٌ ومُتَّصلٌ في دار التَّقريبِ بالقاهرة، وَصَادقتُ الشَّيخَ محمد تقي القمي، كَما صَادَقتُ مُحمَّد جواد مغنية رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلِي أَصْدقاء من العُلَماءِ والأَكَابر من عُلَماءِ الشِّيعةِ، وأَنَا أُرِيدُ - فعلًا- أَنْ تذهبَ الجفوةُ والشِّقاقُ المرُّ الَّذي شاعَ بَيْن المُسْلمينَ».

ثمَّ تَابَع صاحبُ الكتاب النُّقُولَ عن أَصْحابِ المَنْهجِ الإخوانيِّ، أي: عن كِبَارِهِمْ والمُنظِّرين فِيهِمْ، ومِمَّنْ نقل عَنْهم صبحي الصَّالح، والدكتور عبد الكريم زيدان، ومُحمَّد أبو زهرة، والدُّكتور مصطفىٰ الشكعة، والشَّيخ حسن أيُّوب، وحسن التُّرابي، وفتحي يكن، والشَّيخ سعيد حوىٰ، والمُفكِّر أنور الجندي، والأستاذ سميح عاطف الزين، والأستاذ صابر طعيمة، والأستاذ علي سامي النشار، والدُّكتور علي عبد الواحد وافي، وزينب الغزالي، والتلمساني، ويُوسُف العَظْم، والغنوشي، كلُّ هؤلاء لهم مَقَالاتٌ ضِمْنَ مُؤلَّفاتٍ أو إجاباتٍ عَلَىٰ أسئلةٍ يُؤيِّدون فيها فِكْرةَ التَّقريبِ بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، ويُبرِّؤون الشِّيعةَ أَنْ تكونَ عِنْدهم عَقَائدُ مُنْحرفةٌ تُوجِبُ الكُفْرَ أو الفِسْقَ، ويُقرِّرونَ كلُّهم أنَّ الشِّيعةَ مُسْلمونَ كَسَائِرِ المُسْلِمينَ؛ لأنَّهم يَقُولُون:

---

(١) انظر (ص٢٢).

«لا إِلَه إِلَّا الله»، ويُصلُّون ويَصُومُونَ ويَحجُّون، وأنَّ الخلافَ بَيْنهم وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ كالخِلَافِ بَيْن المَذَاهبِ(١).

ولمَّا قام الخميني بثورتِهِ في إيران، هبَّ الإِخْوانيُّون يُؤيِّدون، فهَذَا يُرْسِلُ بَرْقيَّةً، وهذا يُدبِّجُ مَقَالًا في الصُّحُفِ، وهذا يُنظِّمُ مسيرةَ تظاهرٍ تُؤيِّد الخميني؛ لأنَّه هُوَ الإمامُ الحقُّ، ودولتُهُ هي الدَّولةُ المؤمنةُ وَحْدها دون غَيْرها، وَاسْمَعْ إِلَىٰ يُوسُفَ العظم إِذْ يَقُولُ:

بالخُمَيـــــــني زعيمًـــــا وإمـــــام
هَــدَّ صَــرْح الظُّلــم لا يخـشى الحِمَــام
قَـــدْ مَنَحْنَــــاهُ وِشَـــاحًا وَوِسَـــام
مِــــنْ دِمَانَـــا وَمَـــضَيْنا للأَمَـــام
نُـــدمِّر الـــشِّرْكَ ونَجْتَـــاحُ الظَّـــلَام
لِيَعُـــودَ الكَـــونُ نُـــورًا وسَـــلَام

فَانْظُرْ أَخِي القَارِئ إِلَىٰ هَذَا العَمَىٰ، وهذِهِ الرُّعونةِ، أيُّ شِرْكٍ دَمَّره الخميني، والشِّرْكُ عند الشِّيعة قَدْ باضَ وفرَّخ؟!

وأيُّ شِرْكٍ دَمَّره الإخوانُ وَهُمْ مِنْ أَوَّل يَوْمٍ رَاضُونَ بِهِ، ومُقرُّونَ لَهُ، بَلْ وَاقِعُونَ فِيهِ؟!

وَالْعَجِيبُ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهم يبغضون الدَّولةَ السَّعوديَّةَ (دولة التَّوحيد) الَّتي

---

(١) أي مذهب الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله، والله أعلم.

قَامَتْ عَلَيه من أوَّل يَوْمها وَهِيَ الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي تُدرِّس التَّوحيدَ في مَدَارِسها ومَعَاهِدِها وكُلِّيَّاتِها، ولا تُوجَد بها قُبُورٌ ولا أَضْرِحةٌ ولا مَشَاهِد يَرْتادُهَا المُشْرِكُونَ، ويَأْتُونَ إِلَيها من كلِّ مكانٍ يَطْلبُونَ من أَصْحابِها ما لا يُطْلَبُ إلَّا مِنَ اللهِ، ويُحبُّونَ دَوْلَةَ الشِّرْكِ والكُفْرِ والإِلْحادِ، وَيَجْعَلُونَها هِيَ الدَّولة المُسْلِمَة الوَحِيدَة.

يَقُولُ جَابِر بن رزقٍ في مقالٍ في مجلة «الاعتصام»[1]: «وقَدْ نسي (صدام حسين) أنَّه سَيُقَاتل شعبًا تعداده أربعة أَضْعاف الشَّعب العراقيِّ، وهذا الشَّعبُ هو الشَّعبُ المسلمُ الوحيدُ الَّذي اسْتطَاع أن يَتمرَّد عَلَىٰ الإمبرياليَّة الصَّليبيَّة واليَهوديَّة.

وَيَقُولُ النِّظامُ الدُّوَليُّ للإخوان: ولَوْ كانَ الأمرُ يخصُّ إيران وَحْدها لَقَبِلَتْ حلًّا وسطًا بَعْد أن تَبيَّنت ما حَوْلها، ولكنَّه الإسلامُ وشُعُوبُه في كلِّ مكانٍ، وقَدْ أَصْبحَتْ أمانةً في عُنُقِ الحُكْمِ الإسلاميِّ الوحيدِ في العالم الَّذي فَرضَ نَفْسَه بدِمَاءِ شَعْبِهِ في القرنِ العِشْرِينَ ليثبت حُكْم الله فوق حُكْم الحُكَّامِ، وفَوْقَ حُكْمِ الاسْتِعْمارِ والصُّهيونيَّة العالميَّة ٤٦م».

فَانْظُرْ كَيْفَ تَجاهَل الحُكُومةَ السُّعُوديَّة وَلَمْ يَعْتبرهَا دَوْلةً مُسْلمةً، وحَصَر الإِسْلَامَ في دَوْلةِ إِيرَان، والأَعْجَبُ من ذَلِكَ أنَّ أَهْلَ المَنْهَجِ الإخوانيِّ يَدَّعونَ أنَّهم سَلفيُّونَ، وهُمْ مع ذَلِكَ يَخصُّونَ المَذْهبَ السَّلَفيَّ بالعَداءِ، ويَتعَاطفونَ مع أَصْحابِ المَذاهبِ المُنْحرِفَةِ كَما تَرَىٰ، وكَمَا سَيأتِي.

---

(١) (ص ٣٧) عدد محرم عام ١٤٠١هـ.

وسِيَاسَةُ التَّجْمِيعِ الَّتي يَجْمعون فِيهَا بَيْن أَصْحابِ العَقَائِدِ المُخْتلفةِ، فهَذَا سُنِّيٌّ، وهَذَا شِيعيٌّ، وهَذَا جَهْميٌّ، وهَذَا أَشْعريٌّ، وهَذَا وَثَنِيٌّ، وغير ذَٰلِكَ يدلُّ عَلَىٰ عَدَم الوَلَاءِ والبَراءِ عِنْدَهمْ»[1].

قَالَ أحمد سلام في كتابِهِ «نظرات في مَنَاهج الإخوان»[2]: «وقَدِ اسْتمرَّت الدَّعوة عَلَىٰ خطِّ البناءِ في إِعْطاءِ الحَركةِ أَهمِّيَّةً أُولَىٰ، بَيْنما بَقِي الاهتمامُ بتَصْحيحِ العقيدةِ في دَرَجةٍ ثالثةٍ، أو رابعةٍ، وبحجمٍ مُتَواضعٍ، وأمَّا قضيَّة التَّميِيزِ عَلَىٰ أَسَاسِ العقيدةِ فَهِيَ غير وَاردةٍ أصلًا في مُخطَّطِ الجماعةِ، فمُنْذ الأيَّامِ الأُولَىٰ كَانَ التَّركيزُ مُتَّجهًا إِلَىٰ المَعَانِي الإِسْلاميَّة العامَّة، فتَرَىٰ الجماعةَ تَضمُّ في صُفُوفِها خَليطًا لا لونَ لَه، ولا مَنْهجَ إلَّا أُصُول البنَّا العشرين، فهِيَ الَّتي تُشكِّلُ المُنْطلقَ النَّظريَّ للجماعةِ».اهـ.

□ الملاحظة الحادية عشرة:

عَدَاوُهُمْ للمُوحِّدينَ السَّلَفيِّين، وتَعَاطُفهمْ مع المُبْتدِعِينَ والمُشْركينَ، ومن أَعْظمِ الأدلَّةِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ: قِتَالهم لجَماعَةِ جَمِيل الرَّحمن الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ في (كنر) وتَرْكهم للمُلْحِدِينَ، وَاجْتِماع جَمِيعِ الفِرَقِ عَلَيهم، وتَصْريح بَعْضهم أنَّ قِتالَهم لهم قتالُ عقيدةٍ.

ومن أَعْظَمِ الأدلَّةِ عَلَىٰ عَدَائِهم للسَّلفيَّة المنشور الَّذي نَشَروه بعنوان:

---

(١) انظر كتاب: «نظرات في مناهج الإخوان المسلمين» لأحمد سلام (ص٩٦، ٩٧) وما نقله عن محمد قطب في كتاب: «واقعنا المعاصر» (ص٤٠٥، ٤٠٦).

(٢) (ص١٦١).

«السَّلَفِيَّة الجديدة نُدُوبٌ في وَجْه السَّلَفيَّة الحقيقيَّة»، إنَّ هَذَا العنوانَ جديرٌ بأَنْ يُحاكَموا فيه.

فهَلْ في وَجْه السَّلَفيَّة نُدُوبٌ؟ وما هي هَذِهِ النُّدُوبُ؟

أَهِيَ دَعْوتُهمْ إِلَىٰ التَّوحيدِ وإِفْرادِ الله بالْعِبَادةِ دُونَ سِوَاهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ؟ أَمْ هُوَ إِنْكَارُهُمْ عَلَىٰ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، أو أقرَّ الشِّرْكَ وسَكَتَ عَنْ فَاعِلِيه؟ بَلْ وَاحْتَضَنهُمْ وَجَعَلهُمْ إِخْوانًا؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم أَثْبَتُوا لله ما أَثْبَتَه لنفسِهِ من الأَسْماءِ والصِّفاتِ، وَلَمْ يُحرِّفوها أو يُؤوِّلوها أو يُعطِّلوها؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم اتَّبعوا كتابَ الله وسُنَّةَ نَبيِّه ﷺ، وتَركُوا أقوالَ الرِّجالِ؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم جَعَلوا مُتابَعتهم لرَسُولِ الله ﷺ وأَصْحابِهِ الكرامِ والتَّابعين لهم بإِحْسانٍ إِلَىٰ يومِ الدِّينِ؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم نَبَذُوا البِدَعَ بِجَمِيعِ أَنْواعِها وأَجْنَاسها، ونَبذُوا أَصْحابَها، ودَانُوا بسُنَّةِ نَبيِّهم ﷺ، أَخَذوها من المَنْبع الصَّافي (كتاب الله وصِحَاح السُّنَنِ)؟

أفي وَجْه السَّلَفيَّةِ نُدُوبٌ؟ كلَّا واللهِ، إنَّ النُّدوبَ في الوُجُوه الكالحةِ الَّتي اتَّخذت لها قدوةً من الخُرافيِّين والمُبْتدِعينَ، وأَعْرَضوا عن الحقِّ بَعْد أَنْ عَرَفوه.

إنَّ هَذَا العنوانَ فِيهِ ظلمٌ وحَيْفٌ عَلَىٰ السَّلَفيَّةِ الحقيقيَّةِ، فَلَوْ فَرضْنا أَنَّ أحدًا مِمَّن انْتَمىٰ إِلَىٰ السَّلَفيَّة في زَمَننا هَذَا قالَ قولًا في غير مَحلِّه، أو اعْتَقَد عقيدةً تُخالِفُ مَنْهجَ السَّلَفِ، فهَلْ يلحق السَّلَفيَّةَ منه شيءٌ فضلًا عن أنْ يكون

نُدُوبًا في وَجْهِها، كما أنَّ مَنِ انْتمَىٰ إِلَىٰ الإِسْلام، وَعَمِلَ ما يَتنَافَىٰ مع الإِسْلامِ، فإنَّ عَملَه لا يُؤثِّر عَلَىٰ الإِسْلامِ، ولا يَكُونُ نُدُوبًا فيه.

وكذَلِكَ السَّلَفيَّةُ الَّتي هِيَ المَنْهَجُ النَّبويُّ الأصيلُ الَّذي سَارَ عليه النَّبيُّ ﷺ في حياتِهِ، ثمَّ سارَ عَلَيه أَصْحابُهُ من بعدِهِ وأَتْباعهم بإِحْسَانٍ إِلَىٰ يوم الدِّين.

لقَدْ قرأتُ هَذَا المَنْشُورَ الظَّالمَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، ورأيتُ ما فيه من الاتِّهاماتِ الجَائِرة للسَّلفيِّينَ، فأَحْيانًا يُسمِّيهم الكاتبُ أَذْنابًا للشَّيْطانِ، وأحيانًا مُنَافِقِينَ، وأحيانًا يَتَّهمهم بأنَّهم يُريدون أَنْ يُزَحْزحوا الشَّبابَ عن الثِّقة في دُعَاةِ الإِسْلام الَّذين سَلكوا مَسَالِكَ عِدَّةً، وَاسْتَخدمُوا وَسَائلَ مُتنوِّعةً في نَشْره، وتارةً يَتَّهمهم بأَنَّهم خَوَارجُ، أو مِثْل الخوارجِ الَّذين يَقْتلون أَهْلَ الإيمانِ وَيَتْركُونَ عَبَدَة الأَوْثانِ.

ونَحْن نقولُ: المُلْتقَىٰ عندَ الله، ولا نَعْلم للسَّلفيِّين ذَنْبًا إِلَّا أَنَّهم قالوا: إنَّ كلَّ دعوةٍ لا تُؤسَّس عَلَىٰ التَّوحيدِ الَّذي أَسَّس عليه الرُّسُلُ في دَعَواتِهم، فَهِيَ مخالفةٌ للمَنْهج النَّبويِّ الكريمِ، والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وإِن ادَّعىٰ أَصْحابُها أَنَّهم عَلَىٰ السُّنَّةِ، فالدَّعاوَىٰ لا تُقبَل بدُونِ إِثْباتٍ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٢٧].

□ الملاحظة الثَّانية عشرة:

الحِزْبيَّةُ الَّتي تُفرِّق الأُمَّة وتَشْطرها شِيعًا وأحزابًا، يَكِيد بَعْضُهم لبعضٍ، ويبغض بَعْضهم بعضًا، وقَدْ سَبَق الكلامُ عن الحِزْبيَّةِ بما أَغْنىٰ عن إعادتِهِ هُنَا.

□ الملاحظة الثَّالثة عشرة:

دَعْوتُهمْ إِلَىٰ إقامةِ دولةٍ، وإِعَادةِ خلافةٍ، وهذا خطأٌ من مُؤسِّس المَنْهجِ وإنْ كانَ قَدْ حَصَل منه بحسنِ نِيَّةٍ إلَّا أنَّه مخالفٌ لما عَلَيه دَعوات الرُّسُل - صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعين- قالَ البنَّا في «مجموعة الرَّسائل»[1] «(٤): تَقْوية الرَّوابطِ بَيْنَ الأَقْطارِ الإسلاميَّةِ جَمِيعًا تمهيدًا للتَّفكيرِ الجَدِّيِّ العمليِّ في شأن الخِلَافةِ الضَّائعةِ».اهـ.

وَيَقُول أيضًا: «الإِسْلامُ دينٌ ودولةٌ، ومصحفٌ وسيفٌ»، ويَقُول[2]: «الإخوان المسلمون والخلافة»، وذَكَر كلامًا، ثمَّ قال: «والإخوان المسلمون لهَذَا يَجْعلُونَ فكرةَ الخِلافَةِ والعَمَل لإِعَادتِها في رَأْسِ مِنْهاجِهِمْ».

وهَذَا التَّعبيرُ وإِنْ كانَ صحيحًا في نفسِهِ أنَّ الدِّينَ لا يقوم إلَّا بدولةٍ تَحْمِيهِ، وتُقِيمُ حُدُودَ الله فيه إلَّا أنَّا لم نُكلَّف بالدَّعوة إِلَىٰ دولةٍ، وإنَّما كُلِّفنا بالدَّعوةِ إِلَىٰ الدِّين الحقِّ الَّذي يَقُوم عَلَىٰ التَّوحيدِ الَّذي هُوَ مَعْنىٰ: «لا إله إلَّا الله»، والَّذي ما بُعِثَتِ الرُّسُلُ، وأُنْزلَتِ الكُتُبُ، وجُرِّدت السُّيُوفُ إلَّا من أجل تَقْريرِهِ والعَمَل بِهِ، ولا خُلِقَتِ الجنَّةُ والنَّارُ إلَّا من أَجْل جَزاءِ العَامِلِينَ بِهِ والرَّافضين لَهُ، وهذِهِ هِيَ دَعْوةُ الرُّسُلِ، ولم يُعرَف عن نبيٍّ ولا عَنْ رَسُولٍ مِنْهم أنَّه دَعَا إِلَىٰ خلافةٍ، ولقَدْ قصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَينا أَخْبارَهم، وأَوْضَح لنا مَنَارَهُمْ، وأَمَرنا أَنْ نَقْتَفِي آثَارَهُمْ.

---

(١) (ص٧٤).

(٢) (ص١٧٨).

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۝٩٠﴾[الأنعام:٩٠].

ولَا يَقْبلُ اللهُ دعوةً لا تَقُومُ عَلَىٰ الأَسَاسِ الَّذي أَسَّسَ عَلَيه الأنبياءُ من أوَّلهم نوحٍ عليه السلام إِلَىٰ آخِرِهم وَخاتَمِهم نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ.

ومِنْ جِهَةٍ أُخرَىٰ، فإنَّ الدَّعواتِ الَّتي قَامَتْ في بلدانٍ لَيْس فيها دولةٌ تُحكِّم شَرْع الله، ربَّما يكونُ لها بَعْض العُذْر لِكَوْنِهِمْ في دُوَلٍ لا تحكم بشَرْعِ الله فِيمَا شَجَر بَيْن النَّاسِ، بَلْ تُحكِّم القَوَانِينَ المُسْتوردَةَ، فإنَّ مَنْ يُقِيمُ في دولةٍ تُحكِّم شَرْع الله، وتُقِيم حُدُودَه، لا يجوزُ له أن يَدْعو إِلَىٰ إقامةِ دولةٍ، وإنْ فعلَ، كان خارجًا عَلَىٰ الدَّولةِ الَّتي هو فِيهَا، ومُستحقًّا للذَّمِّ والعُقُوبةِ، وبالله التَّوفيق.

□ **الملاحظة الرَّابعة عشرة:**

أنَّهم يَتصيَّدونَ عَثَراتِ الوُلَاةِ مِنْ أَجْل الإِثَارةِ عَلَيهم، مُتأسِّين في ذَلِكَ بالخَوَارجِ الَّذين ثَارُوا عَلَىٰ عُثْمان رضي الله عنه، وزَعَموا أنَّه لا يَسْتحقُّ الخلافةَ، والَّذين وَصَفهُمُ النَّبيُّ ﷺ بأنَّهم يَمْرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهم من الرَّميَّة، ثمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيه آخر مَا عَلَيهم، وأنَّهم يَقْتلون أَهْلَ الإِيمَانِ، ويَتْركُونَ أَهْلَ الأَوْثانِ.

وبالتَّأمُّلِ في حَالِ الإخوانيَّة، نَراهُمْ يُحبُّونَ المُشْركينَ، ويُعَادونَ المُوحِّدينَ، فنَرَاهم يُحبُّون الشِّيعةَ، وَيُثْنونَ عَلَيهم، ويَزْعُمونَ أنَّهم هُمُ المُؤْمِنُونَ حقًّا كما تَقدَّم لَنَا مَا نقل عن بَعْضهم أنَّه يقولُ: إنَّ دولةَ الخميني هي الدَّولةُ المُسْلمة الوَحِيدة.

وقَدْ تَأسَّوا بِهِمْ في إِحْصاءِ عَثَرات الوُلَاة والخُرُوج عَلَيهم ولَوْ كانوا

مُسْلمين، ولَوْ كَانَتِ الأخبارُ المنقولةُ عَنْهم كثيرٌ منها غير صحيحٍ، علمًا بأنَّه لا يَجُوزُ الخُرُوجُ عَلَيهم وَلَوْ فَسَقوا.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**خِيَارُ أَئمَّتكُمْ الَّذين تُحبُّونهم ويُحبُّونكُمْ، وتُصلُّونَ عَلَيهم ويُصلُّونَ عَلَيْكم، وَشِرَارُ أئمَّتكم الَّذين تَبْغَضُونَهم ويَبْغَضُونكُمْ، وتَلْعنُونَهم ويَلْعَنونكُمْ**» قالَ: قلنا: يا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قالَ: «**لَا، ما أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا، ما أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، أَلَا مَنْ وَلِي عَلَيه والٍ فرَآه يَأْتي شَيْئًا من مَعْصية الله، فليكره ما يَأْتِي من مَعْصيةِ الله، وَلا يَنزعنَّ يدًا من طَاعةٍ**»[(١)].

وَفِيهِ أَيْضًا عن أُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**إنَّه يُسْتَعمل عَلَيكم أُمَرَاء، فتَعْرفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَنْ أَنْكَر فقَدْ بَرِئَ، ومَنْ كَرِهَ فقَدْ سَلِمَ، ولكن مَنْ رَضِيَ وتَابَع**».

قالوا: يا رَسُول الله، أَلَا نُقَاتِلهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوا**»[(٢)].

وعَنْ عَبْد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه أَتَىٰ إِلَىٰ عَبْد الله بن مطيع يوم الحرَّة، فقالَ: إنِّي لم آتِكَ لأَجْلسَ، وإنَّما أَتيتُكَ لأُحدِّثك حديثًا سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلعَ يدًا من طَاعةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القيامةِ وَلا حُجَّةَ له، ومَنْ ماتَ ولَيْسَ في عُنُقه بيعةٌ، ماتَ ميتةً جاهليَّةً**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

فهَذِهِ الأحاديثُ الصَّحيحة تدلُّ عَلَىٰ عَدَم جَوازِ الخُرُوجِ عَلَىٰ وُلَاةِ الأُمُورِ، وعَلَىٰ عَدَم نَشْر مَثَالبهم وعُيُوبِهم؛ لأنَّ ذَلِكَ يَترتَّب عَلَيه من المَسَاوِئِ والأَضْرارِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.

□ **الملاحظة الخامسة عشرة:**

البَيْعةُ في المَنْهجِ الإخوانيِّ وأَرْكانها العشرة، وقَدْ ذَكَرها البنَّا في رِسَالةِ التَّعاليمِ مِنْ مَجْموعَةِ الرَّسائلِ لَهُ[1]، حَيْث قالَ:

«أيُّها الإخوة الصَّادقون، أَرْكَانُ بَيْعتنا عشرةٌ، فَاحْفَظوهَا:

(١) الفَهْمُ. (٢) الإِخْلَاصُ. (٣) العَمَلُ.

(٤) الجِهَادُ. (٥) التَّضْحِيَةُ. (٦) الطَّاعَةُ.

(٧) الثَّباتُ. (٨) التَّجرُّدُ. (٩) الأُخوَّةُ.

(١٠) الثِّقةُ».

□ **ومُلاحَظَاتي عَلَى هَذِهِ البَيْعةِ مِنْ جِهَاتٍ:**

❁ **الجِهَةُ الأُولَى:**

أنَّ البَيْعةَ حقٌّ لِلإِمَامِ الأَعْلىٰ، فمَنْ أخذَ البَيْعةَ غَيْر الإمامِ الأَعْلىٰ، فَقَدِ ابْتدَعَ في الدِّينِ بِدْعةً مَذْمومةً، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ورَجُلٌ بَايَعَ إمامًا لم يُبَايِعْهُ**

---

(١) (ص٢٦٨).

إِلَّا لِدُنْيا، فإِنْ أَعْطاهُ مِنْها وَفَّىٰ لَه، وإِنْ لم يُعْطِه لم يفِ»[(١)].

وقوله ﷺ: «سَيَكُونُ عَلَيكُمْ أُمَراءُ فيكثرون»، قَالُوا: فَما تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ»[(٢)].

وقوله ﷺ: «إِذَا بُويعَ خَلِيفَتَانِ، فَاقْتُلُوا الآخرَ- مِنْهُما»[(٣)].

❁ الجهةُ الثَّانيةُ:

أَنَّه لم يَعْرف أنَّ أصحابَ الدَّعَوات يَأْخذُونَ البَيْعةَ عَلَىٰ دَعَواتِهم، فقَدْ قَامَ الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في القرن الثَّاني عشر الهجري بالدَّعوة إِلَىٰ الله في نجد، ولم يَأْخُذْ من أحدٍ البَيْعةَ عَلَىٰ الطَّاعةِ، ومع ذَلِكَ فقَدْ بَارَكَ الله فيها، وكذَلِكَ الشَّيخ عبد الله بن محمد القرعاوي حِينَ قامَ بالدَّعوة إِلَىٰ الله في جنوب المَمْلكَةِ، لم يقلْ لأحدٍ أنَّه يريدُ أَخْذَ البيعةِ منه لِمَا يَدْعوه إليه، وقَدْ باركَ اللهُ فيها، وقَبْلهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، لم يَأْخُذْ من أَحَدٍ بيعةً، وقَدْ باركَ اللهُ في دَعْوتِهِ، فهؤلاء أَصْحابُ الدَّعوةِ السَّلَفيَّةِ، أمَّا المُبْتدعَةُ فإِنَّهم لا يَتَحاشَوْن من البِدَعِ، ومِنَ الدَّعوةِ إِلَيْهَا.

❁ الجِهَةُ الثَّالِثَةُ:

أنَّ أَرْكانَ بَيْعةِ البنَّا عشرةٌ، أَمَّا بَيْعة النَّبيِّ ﷺ لأَصْحابِهِ، فهي أقلُّ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بكَثِيرٍ، ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث عُبَادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «بَايَعْنا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ فِي المَنْشطِ والمَكْرهِ، وألَّا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَه، وأَنْ نَقُولَ بالحقِّ حَيْثما كُنَّا، لا نَخَافُ في الله لَوْمةَ لائمٍ»[1].

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «بَايَعْنا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ»، فَلقَّنَنا: «فِيمَا اسْتَطعْتَ»[2].

وَفِي حَدِيثِ جَرِير بن عبد الله البجليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنَّه بَايَع النَّبيَّ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ والنُّصْحِ لكلِّ مُسْلمٍ»[3].

فهَذِهِ بَعْضُ الأَرْكانِ العَشْرة، وأينَ الدَّليلُ عَلَىٰ البَاقِي؟

فإنْ قِيلَ: إنَّ بَيْعةَ البنَّا لَيْسَتْ لنفسِهِ، وإنَّما هي للعَمَلِ للإسْلَامِ.

فالجَوَابُ: إنَّه قَدْ سَبَق البنَّا دُعَاةٌ دَعَوْا إِلَىٰ الله دَعْوةً سَلفيَّةً، أو قُلْ: سُنيَّةً، أَسَّسوا دَعْوتَهمْ عَلَىٰ التَّوحيدِ، كَمَا دَعَا رَسُولُ الله ﷺ، وَلَمْ يَأْخُذُوا البيعةَ عَلَىٰ أَحَدٍ بالعَمَلِ للإسْلامِ، ومَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَجَحوا في دَعَواتِهم، رحمهم الله، وجَزَاهم عن الإسْلامِ والمُسْلِمينَ خيرًا.

قالَ شَيْخ الإسْلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولَيْسَ لأحدٍ مِنْهم -أي: المُعلِّمين- أن يأخذَ عَلَىٰ أحدٍ عهدًا بمُوافقتِهِ عَلَىٰ كلِّ ما يريده، ومُوَالاة مَنْ يُوَاليه، ومُعَاداة مَنْ يُعَادِيه، بل مَنْ فعل ذَلِكَ منهم كانَ من جنس جنكيز خان وأمثالِهِ الَّذين

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦).

يَجْعلون مَنْ وَافَقَهمْ صديقًا واليًا، ومَنْ خَالَفهُمْ عدوًّا باغيًا، بَلْ عَلَيهم وعلىٰ أَتْباعِهِمْ عهد الله أن يُطِيعوا اللهَ ورَسُولَه ﷺ، ويَفْعلوا ما أَمَر اللهُ به ورَسُولُهُ ﷺ، ويُحرِّموا ما حرَّم اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ، ويَرْعوا حُقُوقَ الله ورَسُولِهِ ﷺ».اهـ[1].

ورَوَىٰ الذَّهبيُّ في «السِّير» بسندِهِ إِلَىٰ قتادة قَالَ: «حدَّثنا مطرف (أي: ابن عبدالله بن الشِّخِّير التَّابعي المَعْروف) قال: كنَّا نأتي زيد بن صوحان، فكَانَ يَقُولُ: «يا عِبَادَ الله، أَكْرِمُوا وأَجْمِلُوا، فإنَّما وَسِيلَةُ العِبَادِ إِلَىٰ الله بخَصْلتين: الخوفُ والطَّمعُ.

قال: فأتيتُهُ ذاتَ يومٍ وقَدْ كَتَبوا كتابًا، فنَسَّقوا فيه كلامًا من هَذَا النَّحْو: إنَّ اللهَ ربُّنا، ومُحمَّدًا نَبيُّنا، والقُرْآنَ إِمَامُنا، ومَنْ كانَ مَعَنا كنَّا وكنَّا، ومَنْ خَالَفنا، كَانَتْ يَدُنَا عليه، وكنَّا وكنَّا.

قَالَ: فجَعَل يَعْرِضُ الكتابَ عَلَيهم رجلًا رجلًا، فيَقُولُونَ: أَقرَرتَ يا فلان... حتَّىٰ انْتَهَوْا إليَّ، فقالُوا: أَقرَرتَ يَا غُلَامُ؟

قلتُ: لَا.

قالَ زيدٌ: لا تَعْجلوا عَلَىٰ الغُلَامِ، ما تَقُولُ يا غُلَام؟

قلتُ: إنَّ اللهَ قَدْ أخذَ عليَّ عهدًا في كتابِهِ، فلَنْ أُحْدِثَ عهدًا غير العَهْد الَّذي أَخَذه عليَّ، فرَجَعَ القَوْمُ من عِنْد آخِرِهِمْ، ما أقرَّ مِنْهم أحدٌ، وَكَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِينَ نَفْسًا»[2].اهـ.

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٨/ ١٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٢).

قلتُ: وَفِي هَذَا دليلٌ عَلَىٰ أَنَّ البيعةَ لا تُؤخَذ في الدَّعوة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ أخذَ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يُطِيعُوه، ويُطِيعُوا رَسُولَه ﷺ، وأَنْ يَفْعلوا ما أَمَرهم به، ويَتْركوا مَا نَهاهُمْ عَنْه، وما عَلَىٰ الدَّاعيةِ إلَّا أن يُبيِّن للنَّاس مَا أَمَرهم اللهُ به ورَسُولُهُ ﷺ، وقَدْ قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ لنَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورىٰ:٤٨].

وقَالَ لَهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١، ٢٢].

وبَعْد البيانِ الَّذي يَقُومُ به الدَّاعيةُ، يَتْرك النَّاس يَعْملون فِيمَا بَيْنهم وبَيْنَ رَبِّهم، فَهُوَ الَّذي سَيُحَاسِبُهُمْ إلَّا إذا ظَهَر له أنَّ أحدًا رَكِبَ مُحرَّمًا، أو قَصَّرَ في وَاجِبٍ، فعَلَيْهِ أَنْ يأمرَ بالمَعْرُوفِ، ويَنْهىٰ عن المُنْكرِ بالطُّرُقِ المَشْرُوعةِ لذَلِكَ، وبِحَسَبِ الحَالةِ المُناسِبَةِ، أمَّا أن يَأْخذَ عَلَيهم البيعةَ، أن يَخْلِصُوا، أَوْ أن يَتجرَّدوا لِمَا أَوْجَبَه عَلَيهم وكَلَّفهم بِهِ، أو أَنْ يَتآخَوْا، أو أَنْ يثِقَ المَتْبوعُ في التَّابعِ حتَّىٰ يُعْطيَه الطَّاعةَ العَمْياءَ، فهَذَا ما أنزلَ اللهُ به من سُلْطانٍ.

❁ **الجِهَةُ الرَّابعةُ:**

جَعْله للطَّاعةِ في المَرْحلَةِ الثَّانيةِ مِنْ مَراحِلِ الدَّعوةِ الثَّلاث الَّتي ابْتدَعَها طاعةً عسكريَّةً لَا بدَّ فيها من التَّنفيذِ؛ سواء كانَ الأمرُ خطأً أَمْ صوابًا، باطلًا أم حقًّا، وقَدْ كَانَ النَّبيُّ ﷺ مع أنَّه مَعْصومٌ من الخطإ، ومُؤيَّدٌ بالوَحْي، يُشَاوِرُ أَصْحابَهُ، وقَدْ شَاوَرهم يَوْمَ بدرٍ، وشَاوَرهم يَوْمَ أُحُدٍ، وقَدْ مرَّ بِنَا قريبًا أنَّه كانَ يُبَايعُ أَصْحابَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ، ويُلقِّنهم: «**فِيمَا اسْتَطعْتَ**».

أَمَّا الطَّاعةُ عِنْدَ البنا، فَإِلَيْكَ مَا قَالَه في «رسالة التَّعاليم»[1] قالَ: «وأُرِيدُ بِالطَّاعةِ امْتِثالَ الأَمْر، وإِنْفاذَه تَوًّا في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشطِ والمَكْرهِ، وذَلِكَ أَنَّ مَرَاحِلَ هَذِهِ الدَّعوةِ ثَلَاثٌ...

إِلَىٰ أَنْ قالَ في المَرْحلةِ الثَّانيةِ الَّتي هِيَ مَرْحلَةُ التَّكْوينِ: وَنِظَامُ الدَّعوةِ في هَذِهِ المَرْحلةِ صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وَعَسْكَريٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العَمَليَّةِ، وشِعَارُ هَاتَيْنِ النَّاحِيَتينِ دائمًا: «أمرٌ وطاعةٌ» من غير تَردُّدٍ، ولا مُرَاجعةٍ، ولا شكٍّ، ولا حَرَجٍ».اهـ.

□ **قلتُ: وهَاتَانِ النَّاحِيتَانِ غَرِيبَتانِ عَنِ الإِسْلامِ، فالطَّاعةُ في الإِسْلامِ حُكْمها الوُجُوبُ إلا أنَّها مُقيَّدةٌ بقُيُودٍ:**

❁ **الأوَّل:** مُقيَّدةٌ بالمَعْرُوفِ، فلا طَاعةَ في المَعْصيةِ.

وَفِي «صحيح البخاريِّ» من حديث ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ والطَّاعةُ حقٌّ ما لم يُؤمَر بمَعْصيةٍ، فإذا أمر بمَعْصيةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[2].

وقَدْ وَرَدَ أَيْضًا: «**إِنَّما الطَّاعةُ في المَعْرُوفِ**»[3].

❁ **القَيْدُ الثَّاني:** أن تكونَ الطَّاعةُ فِيمَا يَسْتطِيعُ المرءُ، وكَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا بَايَعَ رَجُلًا عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ يُلقِّنه: «**فِيمَا اسْتَطعْتَ**»، رَوَاهُ البخاريُّ بمَعْنَاهُ

(١) (ص٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٥٧) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في كِتَابِ الأَحْكامِ مِنْ «صحيحه»، وهذِهِ الأَحَاديثُ دَالَّةٌ عَلَىٰ أنَّ الطَّاعةَ مُقيَّدةٌ بما يَسْتطِيعُ العبدُ، وقَدْ بَوَّبَ البخاريُّ بقولِهِ: «باب عَزْمِ الإمامِ عَلَىٰ النَّاسِ فِيَما يُطِيقُونَ»، وأَوْردَ فيهِ حديثَ ابْنِ مَسْعودٍ قالَ: أَتَانِي اليومَ رجلٌ، فسَألنِي عن أمرٍ، ما دريت ما أردُّ عليه، قال: أرأيت رجلًا مُؤدِّيًا نشيطًا يخرجُ مَعَ أُمَرائِنا في المَغَازِي، فيَعْزم عَلَينا في أَشْياء لا نُحْصِيها، فقلتُ له: واللهِ، لا أَدْري ما أقولُ لَكَ إلَّا أنَّا كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ، فعَسَىٰ ألَّا يَعْزم علينا في أَمْرٍ إلَّا مَرَّةً حتَّىٰ نَفْعلَهُ...إلخ.

ومَعْنىٰ «لَا نُحْصِيها»: لا نُطِيقُها، ومنه قولُهُ في سورة المزمل: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴾ [المزمل:٢٠]،أي: لا تُطِيقُوهُ.

ومِنْ هُنَا تَعْلم أنَّ قولَ البنَّا: «وَنظَام الدَّعوةِ في هَذِهِ المَرْحلَةِ صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وعسكريٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العَمَليَّةِ»، ومَعْنىٰ ذَلِكَ أنَّ النَّاحيتينِ تَتَّفقانِ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّنفيذِ من غَيْر مُرَاجعةٍ، ولا تَردُّدٍ، ولا تَأْخيرٍ، وَشِعَارُ الصُّوفيَّةِ: «كُنْ بَيْن يَدَيْ شَيْخك كَالميِّتِ»، أي: تَجرَّد من عَقْلِكَ، وَثِقْ به ثِقةَ عَمْياءَ، ونَفِّذْ كلَّ ما يَطْلبه مِنْك وإنْ نَاقَض الدِّينَ والعقلَ، وَشِعَارُ النِّظامِ العَسْكريِّ يَقُولُ: «نفِّذ ثمَّ اعْتَرِضْ»، أي: لا تَعْترض قَبْلَ التَّنفيذِ.

ومِنْ هنا تَعْلم أنَّ النِّظَامَ الصُّوفيَّ والعَسْكريَّ في الطَّاعة كِلَاهُما نظامٌ باطلٌ مُخَالفٌ للإسْلَامِ، ومُضَادٌّ له، وباللهِ التَّوفيق.

قال الشَّيخ أحمد سلام في كتابِهِ: «نظرات في مناهج الإخوان»: «إنَّ للطَّاعةِ في الإِسْلامِ حُدُودًا ظاهرةً، ومَعَالِمَ واضحةً، يَقُولُ اللهُ تَبارَك وتَعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

فَطَاعَةُ الله هِيَ أَسَاسُ التَّوْحِيدِ وحَقِيقتُهُ، وطَاعَةُ الرَّسُول ﷺ هي مِنْ طَاعةِ الله ﷻ، فمَنْ أطاعَ رَسُولَ الله ﷺ، فبِطَاعةِ الله أَطَاعَه، ولِذَا أنزلَ اللهُ تَعَالىٰ رَسُولَه ﷺ مَنْزلةً لم يُنْزلها أَحَدًا من النَّاسِ، وجَعَلَ لَه طاعةً لم تكُنْ لِسِوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥].

وهذِهِ الطَّاعةُ المُطْلَقَةُ الَّتي جَعَلها اللهُ لرَسُولِهِ ﷺ، والَّتي لا يَتحقَّقُ إيمانُ عبدٍ دُونَها؛ لأنَّه عَصَمه اللهُ من الخطَإ والهَوَىٰ، وفي هَذِهِ الآيةِ فَرضَ اللهُ طاعةَ أُولِي الأَمْر فِيما أَمَروا به مِنْ طَاعَةِ الله وَطَاعةِ رَسُولِهِ ﷺ، ولا طَاعَةَ لَهم فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

ولهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ في الآيةِ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا طَاعَةَ لمَخْلُوقٍ في مَعْصيةِ الخَالِقِ، إنَّما الطَّاعةُ في المَعْرُوفِ»**[١].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩٤) (٧٢٤) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٣٦٩٦).

وذَلِكَ أنَّ وَلِيَّ الأَمْرِ مَهْما كانَ عَلَىٰ عِلْمٍ وفَضْلٍ، فإنَّه بشرٌ يجوزُ عَلَيه الخطأُ والنِّسيانُ، والمَيْلُ مع الهَوَىٰ، والأمرُ بالظُّلم، وغير ذَلِكَ، فكانَ لا بدَّ مِنْ وَضع حَدٍّ لِطَاعتِهِ حتَّىٰ لا تَزلَّ الأُمَّةُ بخَطئِهِ، ولَا تَنْحرفُ بانْحِرافِهِ، وَلِذَا أَوْجَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهي عن المُنْكَرِ ومُنَاصحَة أُولِي الأَمْرِ إِلَىٰ أَنْ قالَ: فهَلْ يَتَّفقُ هَذَا المفهومُ للطَّاعةِ مَعَ مَفْهُومِ الطَّاعةِ الصُّوفيَّة الَّذي أَدْخَلَه البنَّا في أُصُولِهِ: «صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّة، وعَسْكريٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العَمَليَّة، أمرٌ وطاعةٌ من غَيْر تَردُّدٍ، ولا مُرَاجعةٍ، ولا شكٍّ، وَلَا حَرَجٍ»[1].اهـ.

وَأَقُولُ: إنَّ البنَّا أنزلَ نَفْسَه مَنْزلةَ مُشرِّعٍ حِينَ فَرَض طاعةً تختلفُ عَنِ الطَّاعةِ الَّتي فَرضَها اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ، وفَرضَ بَيْعةً، وجَعَل لها أَرْكانًا عَشرةً، وفَرضَ طاعةً عَمْياءَ، وثقةً في القَائِدِ لا تختلفُ عن الثِّقةِ في المَعْصُوم من الخَطَإِ، ولا نَعْرِفُ أَحَدًا من أَهْلِ الإِسْلامِ وعُلَماءِ الإِسْلامِ يَقُولُ بِعِصْمةِ أَحَدٍ من الخَطَإِ إلَّا الشِّيعة الإِمَاميَّة الاثْنَي عَشْريَّة في أئمَّتهم، وإلَّا الصُّوفيَّة في شُيُوخِهم، ومَعَ ذَلِكَ يَزْعم البنَّا أنَّ دَعْوتَه دَعْوةٌ سُنيَّةٌ سَلفيَّةٌ مع مَا فِيهَا مِنْ طَوام ودَوَاهِي أَوْقَعه فِيهَا تربيتُهُ الصُّوفيَّة الَّتي عَاشَها في نَشْأتِهِ، وطَبَّق الكثيرَ مِنْها في دَعْوتِهِ.

□ **الملاحظة السَّادسة عشرة:**

جَعَل البنَّا الأُصُولَ العِشْرينَ قاعدةً لأصحابِهِ يَنْطلقُونَ مِنْها، وَهِي فِيهَا حقٌّ مُسلَّمٌ به، وَفِيهَا باطلٌ مَقْطوعٌ بِبُطْلانِهِ، وَفِيهَا شيءٌ فيه نَظَرٌ، والَّذي

---

(١) «نظرات في مناهج الإخوان» (ص٧٨، ٧٩) بتصرف.



يُلَاحظُ عَلَيه أَكْثر هو: إِلْزامُهُ لأَتْباعِهِ بهَذِهِ الأُصُولِ، وكأَنَّه حَصَر الدِّين فِيهَا، وقَدْ أَنْكَر ذَلِكَ عَلَيه عُلَماءُ الشَّريعةِ.

وأَنَا أَنْقل ما قَالَه الشَّيخُ أحمد سلام في كتابِهِ: «نظرات في مناهج الإخوان المسلمين»[1] قال: «ونحن لا نَشُكُّ في ضَرُورة الْتِزامِ الدُّعاةِ بفَهْمٍ واحدٍ، ومَنْهجٍ واحدٍ من أجل تَوْحيد مَصَادر التَّلقِّي، وإيجاد أَسَاسٍ لوحدة المَفَاهيم والسُّلوكِ والمَسَار».

فهل يَتحقَّق هَذَا المطلبُ بصِيَاغةِ الإمام البنَّا لأُصُولِهِ العشرين ودَعْوة الدُّعاة إِلَىٰ الالتزامِ بها وَحْدها، وَاعْتِبارها دينًا يَدِينون الله به وإذا علم الأخُ المسلمُ دينَه من هَذِهِ الأُصُول العِشْرين، فَقَدْ عرف معنىٰ هُتَافه دائمًا: القرآن دُسْتورنا، والرَّسُول ﷺ قُدْوتنا، فما الَّذي يَمْنع المُسْلمين ودُعَاتهم من وَضْع أُصُولٍ شبيهةٍ، تَزِيد عنها أو تَنْقص، ومن دَعْوة النَّاس إِلَىٰ الْتِزامها، والتَّجرُّد مِمَّا سِوَاها، وفَهْم الإسلام من خِلَالها، والتَّعامل مع القرآن والسُّنَّةِ من قَنَاتها؟!).

أفبِهَذَا المَسْلك يَسِير دُعَاة الإسلام نَحْو تَحْقيق وَحْدتهم؟

أَمْ يَكُونُونَ عَوْنًا لعَدوِّهم عَلَىٰ حَرْبهم، ونَحْن لا نشكُّ لحظةً واحدةً أَنَّ غَيْرة الإمامِ البنَّا عَلَىٰ دَعْوة الإسلام، وشِدَّة حُرْقتِهِ عَلَىٰ أَوْضاع المسلمين هي الَّتي أَمْلَتْ عليه هَذِهِ الأُصُول؛ رغبةً في جَمْع المسلمين في سَبيلٍ واحدٍ، وتَوْظيف جُهُودهم في عَملٍ مُوحَّدٍ، غير أَنَّ التَّجرُّد لأُصُولِهِ وأفكارِهِ وَاعْتبارها

---

(١) (ص٧٦، ٧٧).

أَسْنَىٰ الفكر وأجمعها وأَعْلاها إنَّما هو لازم العِصْمة في الحقيقة، ولِذَا فلن تجدَ بَيْن عُلَماء الإسلام في السَّابق مَنْ يَدْعو إِلَىٰ فكرِهِ ورأيِهِ دون بقيَّة الآراءِ والأفكارِ؛ لأنَّ كلَّ عَالِمٍ منهم كان يَعْلم أنَّ عِلْمه علمُ اتِّباعٍ، وأنَّ عملَه مَقْصورٌ عَلَىٰ بيان ما جَهِل النَّاسُ من العِلْم، ودَعْوتهم إليه، وإيضاح سَبِيل الحقِّ السَّويِّ الَّذي جاءَ به مُحمَّد بن عبد الله ﷺ، وإِصْلاح ما فَسَد منه، وتَرْبيتهم عَلَيه». اهـ.

وأقولُ: إنَّ إلزامَ البنَّا بأُصُولِهِ العِشْرين، والْتِزام أتباعِهِ بها يُصيِّر المندوبَ فيها واجبًا، والواجبَ رُكْنًا، وإنَّ عنايةَ أتباعِهِ بهذِهِ الأُصُول يَفُوق كلَّ الأَحْكام الَّتي لم تذكر فيها، لذَلِكَ فإنَّهم يَقْرؤونها ويَحْفظونها أكثر من غَيْرها، ويعنون بشَرْحها، وهذا يجعلُ لها مَيْزةً أكثر من غيرها، ويُعْطي ما جاءَ فيها حُكْمًا أَقْوىٰ من الحُكْم الَّذي جاءَ في الشَّرْع، وكَفَىٰ بهذا دليلًا عَلَىٰ إِضْفاءِ الصِّبغة التَّشريعيَّة عليها، ومَنْ شَرَّع مَعَ الله، فقَدْ شَارَكه في منصب الأُلوهيَّة، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۝٢١﴾ [الشورىٰ:٢١].

□ الملاحظة السَّابعة عشرة:

اسْتِعْمالُهمْ للإمَارةِ في الحَضَر، وإِكْثَارهم مِنْها مع أنَّ الإمارةَ لم تَرِدْ في الشَّرْع إلَّا في السَّفر، أمَّا في الحَضَر فالأميرُ العامُّ كافٍ، ولا يجوزُ أن نَتَّخذ أميرًا آخرَ، وإلَّا لَزِمَ من ذَلِكَ التَّناقضُ، ومَنْ زَعَم أنَّ الإمارةَ في الحضر -غير الإمارة الَّتي تُمثِّل السُّلطة القائمة- مَشْروعةٌ، فعَلَيه الدَّليلُ، ولن يجد.



▢ الملاحظة الثَّامنة عشرة:

اسْتعمالهم للتَّقيَّة في أَخْبارِهم وأَقْوَالهم، وهذِهِ أُمُورٌ سَبَرْناها فِيهِم، وعَرَفناها مِنْهم، والله يَسْألني قبل كلِّ أحدٍ عن كلِّ حرفٍ أكتبُهُ عنهم، وواللهِ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو، ما كتبتُ عَنْهم شيئًا إلَّا بَعْد أن سَبرتُهُ فيهم، وعرفتُهُ منهم.

▢ الملاحظة التَّاسعة عشرة:

الإكثارُ من الأَناشِيدِ ليلَ نهارٍ، وتَنْغيمهم لها، أي: تَلْحينهم لَها، وأنا لا أُحرِّم سماع الشِّعر، فقَدْ سَمِعه النَّبيُّ ﷺ، ولكن هَؤُلاء يَذْهبون في هَذِهِ الأناشيدِ مَذْهب الصُّوفيَّة في غِنَائِهم الَّذي يُثِير الوجدَ عَلَىٰ ما يَزْعمون، وقَدْ ذكر ابْنُ الجوزيِّ في كتابِهِ: «نقد العلم والعلماء»[1] عن الشَّافعيِّ أنَّه قال: «خَلَّفت بالعراق شيئًا أَحْدثَته الزَّنادقةُ يشغلون به النَّاس عن القرآنِ يُسمُّونه: التَّغيير.

قال المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ (يعني ابن الجوزي) وذَكَر أبو منصور الأزهري: المغيرةُ قومٌ يغيرون بذِكْر الله بدعاءٍ وتَضرُّعٍ، وقَدْ سَمُّوا ما يطربون فيه من الشِّعر في ذِكْر الله عَزَّ وَجَلَّ تَغْبيرًا كأنَّهم إذا شَاهَدوها بالأَلْحانِ طربوا ورقصوا، فَسمُّوا مُغيرة بهذَا المَعْنىٰ.

وقال الزَّجَّاج: سُمُّوا مُغيرين لتَزْهِيدهم النَّاسَ في الفانِي من الدُّنيا، وتَرْغيبهم في الآخِرةِ».

---

(١) (٢٣٠).

قلتُ: عجيبٌ أَمْر الصُّوفيَّة، يَزْعمون أنَّهم يُزهِّدون النَّاسَ في الدُّنيا بالغناءِ، ويُرغِّبونهم في الآخرةِ بالغِنَاءِ، فهل الغناءُ يكونُ سببًا في الزُّهدِ في الدُّنيا والرَّغبة في الآخِرَةِ أَم العكس هو الحقيقةُ؟

أَنَا لا أشكُّ ولا يشكُّ أحدٌ عقل عن اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ أنَّ الغناءَ لا يكونُ إلَّا مُرغِّبًا في الدُّنيا، مُزهِّدًا في الآخرةِ، ومُفْسدًا للأَخْلاقِ مع العِلْم أنَّهم إذا قَصَدوا به التَّرغيبَ في الآخرة فَهُو عبادةٌ، والعبادةُ إنْ لم يشرعها رَسُولُ الله ﷺ فهِيَ بِدْعةٌ مُحْدَثةٌ، ولهَذَا نَقُول: إنَّ الأناشيدَ بِدْعةٌ.

☐ **الملاحظة العشرون:**

الإكثارُ من التَّمثيليَّاتِ الَّتي تَنْبني عَلَىٰ الكذبِ والتَّصنُّعِ وتَقمُّصِ الشَّخصيَّة زُورًا وبُهْتانًا وظُلْمًا وعُدْوانًا، فيَتقمَّص الكافرُ أو الفاسقُ الشَّخصيَّةَ الإسلاميَّة العالية؛ كالصَّحابةِ أو غيرهم من أَهْلِ العِلْم والإيمان، وقَدْ يَتقمَّص المُسْلمُ شخصيَّةً كافرةً، وأذكر أنِّي مرةً حضرتُ حفلًا مَثَّل طالبٌ نَعُدُّه من خِيَار الطَّلَبة دَوْر «برجنيف» الزَّعيم الرُّوسي المُلْحد، ونُصِح الطَّالبُ والمُشْرفُونَ عَلَىٰ الحفلِ بعَدَم إنفاذِ ذَلِكَ؛ ولكنَّهم أَبَوْا إلَّا إنفاذه، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون (١).

---

(١) بل أذكر مرةً حضرنا محاضرة لشيخنا (المؤلف) في أحد المخيمات بعد صلاة المغرب إلىٰ صلاة العشاء، ولما انتهت المحاضرة وأقيمت صلاة العشاء وصلينا، كان عند إحدىٰ الأسر المشاركة حفل سمر -كما يسمونه- وطُلب من الشيخ أن يجلس ليرىٰ برنامج حفلهم، فجلس الشيخ، وجلسنا معه، وكان من فقرات الحفل تمثيلية، وقد قام أحد الطلاب بتقمص شخصية الشيطان، فسوَّد وجهه بالسواد، وجُعل له ريش، وجاء إلىٰ شخص ليوسوس له =



□ **الملاحظة الحادية والعشرون:**

خُرُوج بَعْضهم في جُنْح اللَّيل إِلَىٰ مكانٍ بعيدٍ عن البلدِ يَزْعمون أنَّهم يَقْرؤُونَ فيه القرآنَ، أو... أو...

ولقَدْ دُعِيتُ مَرَّةً إِلَىٰ إلقاءِ مُحَاضرةٍ في أحدِ المُعَسكراتِ، فكانَ من ضمن الأسئلةِ سؤالٌ يقول: جماعةٌ يَخْرجونَ من بعدِ صلاة العشاء إِلَىٰ الأماكنِ البعيدةِ يَزْعمون أنَّهم يَقْرؤونَ القرآنَ، فهل تَنْصحني بالذَّهابِ مَعَهم أم لا؟

فقلتُ إجابةً عَلَى هَذَا السُّؤالِ: لا أرىٰ لكَ أن تَذْهب مَعَهم؛ لأنَّ هؤلاءِ لَوْ كَانُوا صَادِقينَ أنَّهم يُريدُونَ أن يَقْرؤوا القرآن لَجَلسوا في المسجدِ، أمَّا الخُرُوجُ في اللَّيل إِلَىٰ الأماكنِ البعيدةِ، فأَخْشىٰ أن يُسوِّل لهم الشَّيطانُ مَعْصيةً، وبالأخصِّ إذا كانَ مَعَهم طالبٌ صغيرٌ.

وبناءً عَلَىٰ هَذِهِ الفَتْوىٰ، فقَدْ جاءَ بَعْضُهم يُعَاتبني، ويَزْعم بأنِّي أتَّهمهم بشيءٍ أَسْتحي من ذِكْره، فقلتُ: سبحان الله! وهل يُعقَل أنِّي أقول هذا، وبَعْد حوارٍ ونقاشٍ قلتُ له: أذكر أنِّي دُعِيتُ إِلَىٰ معسكرٍ ما، وكان من ضِمْن الأسئلة كذا وكذا، وأجبتُ عليه بكذا، فَتنفَّس الصُّعداء، وخَفَّت حَمْلتُهُ قليلًا، فقلتُ: أليسَ السَّلَفُ كانوا يَنْهون عن الخَلْوةِ بالأَمْرد؟ قال: نعم، وكان بَعْضهم يُجْلِسه خَلْفَ ظهرِهِ.

=

حتىٰ يضله، فغضب شيخنا من هذا، ونصحهم، ثم انصرفنا، فليت شعري أين لقوا الشيطان ورأوه حتىٰ يُمثِّلوه ويُصوِّروا صورته؟! محمد بن هادي.

□ الملاحظة الثَّانية والعشرون:

مُغَالَاتُهم في شَخْصِ البنا، ومن ذَلِكَ ما ذَكَره جابر رزق، نقلًا عن مجلة الدَّعوة، السَّنَة الأولىٰ العدد ٧ جماديٰ الأولىٰ ١٣٧٠هـ لصالح عشماوي عن حسن البنَّا، قال فيها:

«قَــدْ كنــتُ أوثِــرُ أن تقــولَ رِثَــائِي

يــا مُنْــصِفَ المَــوْتَى مــن الأَحْيــاءِ

ثمَّ قال: «رَحِمَ اللهُ حسن البنَّا، فقَدْ كان فَلْتةً من فلتاتِ الطَّبيعةِ قَلَّما يَجُود الزَّمانُ بمثلِهِ، وهو لم يَمُتْ، بل حيٌّ عند ربِّه يُرزَق»[1]. اهـ.

□ قلت: في هذين السَّطرين وبعض السَّطر[2] عِدَّة أخطاءٍ:

❁ الخطأ الأوَّل: في قولِهِ: «يا مُنْصفَ المَوْتَىٰ من الأحياءِ»: وذَلِكَ أنَّ إنصافَ المَوْتىٰ من الأَحْياءِ من خَصَائِصِ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي يعلم حالَ المَوْتَىٰ وحَالَ الأَحْياءِ، وما ظَلَموا به المَوْتَىٰ، ويَقْدر عَلَىٰ إِنْصَافِهم مِنْهُمْ.

❁ الخطأ الثَّاني: قوله: «فَقَدْ كان فلتةً من فَلَتَاتِ الطَّبيعةِ»: وقائل هَذَا القول كأنَّه يقرُّ إسنادَ خَلْق هَذَا الكون إِلَىٰ الطَّبيعة، وكأنَّ الطَّبيعةَ هي الخَالِقة لهَذَا الكونِ، ولها فيه خَلْقٌ مُنظَّمٌ، وخَلْقٌ غير مُنظَّم، بَلْ هو فَلَتاتٌ، والفَلْتَةُ هو الشَّيء الَّذي يأتي مُصَادفةً من غَيْر سابقِ تَقْديرٍ ونَظَرٍ، وهذِهِ عقيدةُ المُلْحدينَ الَّذين يَزْعمون أنَّ الطَّبيعةَ هي المُوجِدة لهذَا الكَوْنِ، والمُتصرِّفة فيه، ومَنِ

(١) من كتاب: «دعوة الإخوان المسلمون في الميزان».

(٢) أي علىٰ اعتبار أن البيت من الشعر سطر واحد كما في الطبعة السابقة للكتاب.



اعتقدَ هَذَا الاعتقادَ، كَفَر.

۞ **الخطأ الثَّالث:** في قولِهِ: «قلَّما يَجُود الزَّمانُ بمثلِهِ»: ووَجْه الخَطَإِ فيه أنَّ الزَّمانَ هو الَّذي يَجُود أحيانًا برجلٍ أو رجالٍ مثل البنا، وفي هَذَا إسنادُ الخَلْقِ إِلَىٰ الزَّمَانِ، لا إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي هو خَالِقُ كلِّ شيءٍ.

۞ **الخطأ الرَّابع:** قولُهُ عن البنَّا: «وهو لم يَمُتْ، بل حيٌّ عند ربِّه يُرزَق»: هَذَا كذبٌ عَلَىٰ الله، وقَدْ وَرَد في الصَّحيح من حديث أمِّ العلاءِ، قالت: طارَ لنا عثمان بن مظعون، فمَرِضَ، فمرَّضناه، فلمَّا تُوفِّي قلتُ: شَهَادتي عليك أبا السَّائب، لقَدْ أكرمكَ الله، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وما يُدْريكِ أنَّ الله أكْرمَه؟**» قالت: بأبي وأُمِّي أنت يا رَسُول الله، واللهِ ما أَدْري، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي -واللهِ- وأنَا رَسُولُ الله، ما أَدْرِي ما يُفعَل بي وَلَا بِكُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠١٨) وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح»، فقال: (باب لا يقال: فلان شهيد)، ثم قال: قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكلَم في سبيله**».

قلت: وهذا الذي أَوْرَده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معلقًا هنا، قد أخرجه في (٦/ ٦، كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ح٢٧٨٧) من طريق سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله...**»، الحديث.

وأخرجه في (٦/ ٢٠، كتاب الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ح٢٨٠٣) من طريق الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**والَّذي نفسي بيده، لا يُكلَم أحدٌ في سبيل الله -والله أعلم بمَنْ يُكلَم في سبيله...**». الحديث.

وهذه الجملة (والله أعلم... إلخ) معترضة قصد بها التنبيه علىٰ شرطيَّة الإخلاص في نيل هذا الثواب. قاله الحافظ.

وقول البخاري: (باب لا يقال: فلان شهيد). قال الحافظ: «أي: علىٰ سبيل القطع بذلك إلَّا إنْ كان بالوحي، وكأنَّه -يعني البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ- أشار إلىٰ حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خطب فقال:
=

وعَلىٰ هَذَا، فلا يجوزُ لأَحَدٍ أن يقطعَ بأنَّ فلانًا عند ربِّه يُرزَق، ولَكِنْ يَقُولُ: أَرْجُو له الخيرَ، وأَرْجُو له الجنَّةَ، وأَرْجو أنَّه شهيدٌ.

◻ الملاحظة الثَّالثة والعشرون:

تَنْظِيم المسيراتِ والتَّظاهراتِ، والإسلامُ لا يَعْترف بهذا الصَّنيعِ، ولا يُقرُّه، بل هو مُحْدثٌ من عَمَلِ الكُفَّارِ، وقَدِ انْتَقَل من عِنْدهم إِلَينا، أفكُلَّما عَمِل الكُفَّارُ عملًا، جَارَيْناهم فيه، وتَابَعْنَاهم عليه.

إنَّ الإِسْلامَ لا يَنْتصرُ بالمَسِيراتِ والتَّظاهراتِ، ولكن يَنْتصر بالجهادِ الَّذي يكون مَبنيًّا عَلَىٰ العَقِيدةِ الصَّحيحةِ، والطَّريقة الَّتي سَنَّها مُحمَّد بن عبد الله ﷺ، ولقَدِ ابْتُلي الرُّسُلُ وأَتْباعُهمْ بأنواعٍ من الابْتِلَاءاتِ، فلم يُؤمَروا إلَّا بالصَّبرِ، فهَذَا مُوسَىٰ ﷺ يقولُ لبَنِي إِسْرائيل رُغْم ما كانوا يُلَاقونَه من

=

«تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيدًا، ولعلَّه قد يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلك، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مات في سبيل الله أو قُتِل فهو شهيد**»، وهو حديثٌ حسنٌ أخرجه أحمد، وسعيد بن منصور، وغيرهما.

وله شاهد مرفوع أخرجه أبو نعيم من طريق عبدالله بن الصلت، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تعدُّون الشهيد؟**»، قالوا: مَنْ أصابه السلاح. قال: «**كَمْ ممَّن أصابه السلاح وليس بشهيدٍ، ولا حميدٍ، وكم ممَّن مات علىٰ فراشه حتف أنفه عند الله صديق وشهيد**»، وفي إسناده نظرٌ.

وقال الحافظ أيضًا: «وعلىٰ هذا فالمراد: النَّهي عن تعيين وصف واحد بعينه بأنَّه شهيد؛ بل يُقَال ذلك علىٰ طريق الإجمال».اهـ. من «الفتح» (٦/ ٩٠).

قلت: فانظر أخي طالب العلم -رعاك الله ووَفَّقك لكل خيرٍ- كلام رسول الله ﷺ، وكلام أصحابه رضي الله عنهم، وكلام أهل العلم بسُنَّة رسول الله ﷺ. وكلام (الإخوان المسلمين) في هذا الذي تَعُجُّ به صُحُفهمْ ومجلاتهم، فاللَّهمَّ إنَّا نسألك الفقه في الدين. محمد هادي.

فِرْعون وقَوْمِهِ من تَقْتيل الذُّكُور من المواليدِ، وَاسْتِحْياءِ الإناثِ، يقولُ لهم ما أخبرَ الله عَزَّوَجَلَّ به عَنْه، قال مُوسَىٰ لقومِهِ: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف:١٢٨].

وهذا رَسُولُ الله ﷺ يقولُ لبَعْضِ أصحابِهِ لَمَّا شَكَوْا إليه ما يَلْقونه مِنَ المُشْرِكِينَ: «**إنَّ مَنْ كانَ قَبْلكم كانَ يؤتَىٰ بالرَّجلِ مِنْهم، فيُوضَع المِنْشار في مفرقِهِ حتَّىٰ يشقَّ ما بَيْن رِجْليه ما يَصدُّه ذَلِكَ عن دينِهِ، وليُتِمنَّ الله هَذَا الأمرَ حتَّىٰ يَسِيرَ الرَّجلُ من صَنْعاء إِلَىٰ حَضرموت لا يخافُ إلَّا اللهَ والذِّئبَ عَلَىٰ غَنمِهِ، ولَكِنَّكم تَسْتعجِلُونَ**»[1]، فهو لم يَأْمر أَصْحابَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بمُظَاهراتٍ وَلَا اغْتيالَاتٍ.

□ الملاحظة الرَّابعة والعشرون:

تَدْبيرُ الاغْتِيَالاتِ: انظر كتاب «النقط فوق الحروف، الإخوان المسلمون والنِّظام الخاص»، لمُؤلِّفه أحمد عادل كمال، أحد أعضاء الإخوان، انظر: (ص٢٧٧) من هَذَا الكِتَابِ مَوْضوع النقراشي الَّذي كان وَزِيرًا للدَّاخليَّة ووزيرًا للماليَّة، وأَصْدر النقراشي في ٦/ ١٢/ ١٩٤٨م أَمْره بحلِّ جماعة الإخوان المُسْلمينَ، وَلَمْ تَنْقضِ ثلاثة أسابيع حتَّىٰ سَقَط النقراشي في عرينِهِ بوزارة الدَّاخليَّة برصاص الإخوان المسلمين، وكان لذَلِكَ أسبابٌ ثلاثةٌ كما أَفْصَح عَنْها عبد المجيد أحمد حسن الَّذي اغْتَاله: تَهاوُنُهُ في وحدة مصر والسُّودان،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَخِيانتُهُ لقضيَّة فلسطين، واعْتِداؤُهُ عَلَىٰ الإِسْلامِ بحلِّ الإخوان المسلمين كُبْرىٰ الحَركَاتِ الإِسْلاميَّة في عَصْرها». وانظر (ص٢١٨) من نَفْس الكتاب تحت عنوان: كيف اغْتِيلَ الخازندار.

وأنا لا أُنصِّبُ نفسي خصمًا للإخوان في فِعْلتهم، ولا أُدَافع عن أَعْداء الإسلام إلَّا أنِّي أُفْهمهم أنَّ مثل هَذَا الصَّنيعِ لا يُقرُّه الإسلامُ، فاللهُ تَعَالىٰ يقولُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف:٥٢].

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «يُنْصَب لكلِّ غادرٍ لِوَاءٌ يومَ القِيَامةِ، يُقَال: هَذِهِ غَدْرة فُلَان ابن فُلَانٍ»[1]، واللهُ تَعَالىٰ لم يرضَ الغَدْرَ من عبادِهِ المؤمنين حتَّىٰ ولا في حقِّ الكُفَّار الصُّرحاءِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨].

وقَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسير هَذِهِ الآية: «يَقُول تَعَالىٰ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨].

أَيْ: نَقْضًا لما بَيْنك وبَيْنهم مِنَ المَوَاثِيقِ والعُهُودِ، ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ عَهْدَهم ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أَعْلمهم أنَّك نَقَضْتَ عَهْدَهم حتَّىٰ يَبْقىٰ عِلْمك وعِلْمهم بأنَّك حَرْبٌ عَلَيهم، وأنَّهم حربٌ عليك، وأنَّه لا عهدَ بَيْنك وبَيْنهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾أي: تَسْتوي أنت وَهُمْ في ذَلِكَ». اهـ[2].

ثمَّ أَوْرَدَ حديثًا من «مسند الإمام أحمد» عن سليم بن عامرٍ، قال: «كانَ

(١) أخرجه البخاري (٧١١١)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٧٩).



مُعَاوية يَسِير في أرضِ الرُّومِ، وكان بَيْنه وبَيْنهم أَمَدٌ، فأرادَ أن يَدْنو مِنْهم، فإذَا انْقَضىٰ الأَمَدُ غَزَاهم، فإذا شيخٌ عَلَىٰ دَابَّةٍ يقول: اللهُ أكبرُ، وفاء لا غَدْر، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**مَنْ كَانَ بَيْنه وبَيْن قوم عَهْدٌ، فلا يحلنَّ عُقْدةً، ولا يَشدَّها حتَّىٰ يَنْقضي أَمَدُها، أو يَنْبذ إِلَيهم عَلَىٰ سَواء**»، قال: فبَلَغ ذَلِكَ مُعَاوية، فرَجَع، وإذا بالشَّيخِ عمرو بن عبسة رضي الله عنه».

وهَذَا الحديثُ رواه أبو داود الطَّيالسي عن شُعْبة، وأَخْرجه أبو داود، والتِّرمذي، والنَّسائي، وابن حِبَّان في «صحيحه»، وقالَ التِّرمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقَدْ أَنْكرَ صنيعَ الإخوان في الاغتيالات الشَّيخُ عبد الرَّحمن عبد الخالق في كِتابِهِ المُسمَّىٰ: «فُصُول من السِّياسة الشَّرعيَّة في الدَّعوة إِلَىٰ الله»، فقال: «واليوم ابْتُلِينا بمَنْ يَتصدَّر الدَّعوة إِلَىٰ الله سُبْحانه، فيَنْتحلون الاغتيالاتِ السِّياسيَّةَ، والأعمالَ الهمجيَّةَ الغوغائيَّةَ، وَالاسْتِعانة عَلَىٰ الباطلِ بالباطلِ، وإذَا جئتَ تَنْصحهم وتقولُ لهم: إنَّ هَذِهِ أخطاء، اتَّهموك بالكُفْرِ، والزَّنْدقةِ، والمُرُوقِ، ومُخالَفةِ سبيلِ المؤمنين والمُجَاهدين.

وإِنْ قلتَ لهم: اعْتَرفُوا بأَخْطائِكم لِتتَجَاوَزُوها، زَعَموا لأَنْفُسِهم وَقَادتهم العِصْمةَ، أو أَنْكَروا الحقائقَ، وَجَادَلوا بِالْبَاطِل، ولَوْلا أَنَّ الدِّينَ الَّذي يَحْتَمونَ به عظيمٌ، وقَدْ نَشَره غيرهم، لما وجدَ هؤلاء طريقًا إِلَىٰ قُلُوبِ النَّاس وعُقُولهم».اهـ.

قلتُ: وإنَّهم حِينَ يَعْملون مِثْل هَذِهِ الأخطاءِ الفَادِحة وهُمْ يَزْعمون أَنَّهم دعاةٌ إِلَىٰ دين الله، يُحمِّلون الدِّين تَبِعَةَ أَخْطائِهم، وأخطاء كلِّ مَنْ نُسِبوا إِلَىٰ

الدِّين عند عامَّة النَّاسِ وغَوْغائهم، ومَنْ يريدون تَشْويه سُمْعةِ أَهْل الدِّين لينفروا عنه، فكانَ في ذَلِكَ مُسَاهمةٌ في التَّنفير عن الدِّين، وتَشْويهٌ لسُمْعةِ الدِّين وأَهْل الدِّينِ، وإعانةٌ مِنْهم لكلِّ عدوٍّ مُتربِّصٍ ليستغلَ الإثارةَ ضدَّ الدِّين الحنيفِ.

ولقَدْ ترك النَّبيُّ ﷺ قَتْلَ المُنافِقِين نفاقًا اعتقاديًّا بعد أن عَرَفَ أَعْيانَهم خوفًا من أن يُقَال: إنَّ مُحمَّدًا يَقْتل أَصْحابَه، فيستغل ذَلِكَ أعداءُ الدِّين في التَّنفير عن الدِّين مع ما لَقِيَ مِنْهم، فقَدْ هَمُّوا بالإطاحةِ به ليلةَ العقبة لَوْلا أنَّ الله ﷻ قَدْ عَصَمه، وأخبرَ حذيفة بن اليمان بأَسْمائِهم، وَاسْتَسرَّه، وقبل ذَلِكَ قال عبد الله بن أبيٍّ مَقالتَه الَّتي ذَكَرها اللهُ في سورة المُنافِقِين، ففَضَحه اللهُ، وأظهرَ ما كان يَكْتمه من عداوتِهِ للدِّين وللرَّسُولِ الَّذي جاء به ﷺ حتَّىٰ عرض ابنُهُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ أن يَقْتلَه ويَأْتيه برأسِهِ خوفًا من أن يأمر النَّبيُّ ﷺ أحدًا بقتلِهِ، فتَحْمله الحِميَّةُ أن يَقْتلَ مؤمنًا بكافرٍ، فيكون من أَهْل النَّار، فَأَبَىٰ النَّبيُّ ﷺ ذَلِكَ، وقالَ: «**بَلْ نَترفَّقُ بِهِ، ونُحْسِنُ صُحْبتَه ما دامَ مَعَنا**»[(١)].

وما كانَ المانعُ للنَّبيِّ ﷺ أن يقتلَ المُنافِقِين مع معرفتِهِ بأَعْيانِهم إلَّا أن يُشَاعَ في العرب أنَّه يَقْتل أَصْحابَه، فيستغلُّها أعداءُ الإِسْلامِ في التَّنفير عَنِ الإِسْلامِ، وإنَّ الواجبَ عَلَىٰ أصحابِ كلِّ دعوةٍ إسلاميَّةٍ يزعم أَصْحابُها أنَّهم يَدْعون إِلَىٰ الإسلام أَنْ يَتقيَّدوا بأَوَامِر الإسلامِ ونَواهِيهِ وآدابِهِ، وأَلَّا يذهبَ بِهِم الهَوَىٰ مَذَاهبَ تَنْأَىٰ عن الإِسْلامِ كثيرًا أو قليلًا.

---

(١) «البداية والنهاية في التاريخ» لابن كثير (٤/ ١٤٠).



إنَّ الإِسْلامَ دينُ النَّقاءِ والوفاءِ، وليس للغَدْر والخيانةِ فيه مكانٌ، ونحن نعلمُ أنَّ الإسلامَ أباحَ للإنسان إذا ظُلِم أن ينتصرَ، ولكن بالطَّريقةِ المشروعةِ ولَيْس بالطُّرُقِ المُلْتويةِ، وبقَدْر مَظْلمتِهِ فَقَط، لا زيادةَ، فمَنْ سَبَّك واحدةً، لا يجوزُ لَكَ أن تَسُبَّه اثنتين، وإنْ عفوتَ، كان ذَلِكَ خيرًا لك.

◻ الملاحظة الخامسة والعشرون:

أنَّهم يُزهِّدون في عُلَماءِ السُّنَّةِ، وينبزونهم بالألْقابِ، فيَصِفُونَ بَعْضهم بأنَّه عَمِيلٌ، والبعضَ الآخر بأنَّه مُدَاهنٌ، وتارةً يَقُولون عَنْهم: إنَّهم علماءُ الوَرَق، وعلماءُ الحيضِ والنِّفاسِ، وأنَّهم يجهلون الواقعَ و...و...و...إلىٰ آخر القَامُوس الَّذي نَفَثه قَادتُهم في صُدُورِهم، فيُنفِّرون الشَّبابَ عَنْهم، ويُزهِّدون فِيهِمْ وفي حَلَقاتِهم، فلا ينظرون إليهم إلَّا بعينِ الاحْتِقَارِ.

ويَنْشأ عن ذَلِكَ حاجزٌ وحجابٌ يَفْصل بَيْن هؤلاءِ وهؤلاءِ، أي: بَيْن العُلَماءِ والطُّلَّابِ، وتكون النَّتيجةُ مُرَّةً، والعاقبةُ سَيِّئةً؛ لأنَّهم إذا زهدوا في عُلَمائهم واتَّهموهم عَلَىٰ الدِّين، سَيَقِيسُونَ الأُمُورَ بأَهْوائِهم وما يُسيِّرهم به قَادَتُهُمْ، وبحُكْمِ جَهْلهم بكثيرٍ من الأَحْكامِ الشَّرعيَّةِ سَيَقعُونَ في أخطاءٍ كثيرةٍ يَظنُّونها صوابًا، فَيَسْتمرُّون عَلَيها، فتموت بسبب ذَلِكَ سننٌ، وتَرُوج بدعٌ وتَفْشو، ويحملها بَعْضهم عن بعضٍ حتَّىٰ يأتي زمانٌ يظنُّ النَّاسُ فيه أنَّها سُنَّةٌ.

فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجعون، اللَّهمَّ أَرِنَا الحقَّ حقًّا، وَارْزقنا اتِّباعه، وأَرِنَا الباطلَ باطلًا، وَارْزقنا اجْتِنابَه، ولا تَجْعله مُلْتبسًا علينا فَنَضِلَّ!

يَقُولُ عَبْدُ الرَّحمن عبد الخَالِق في كتابِهِ: «خُطُوط رَئيسيَّة لبَعْث الأُمَّةِ

الإسلاميَّة»[١] وَهُو واحدٌ من هَذَا النَّمَط، وإنْ كانَ يخالفهم أحيانًا كما سبق أَنْ نقلت عنه نَقْده لمنهج الإخوان في الاغتيالات، قال: «واليومَ للأسف نَمْلك شُيُوخًا يَفْهمون قُشُورَ الإسلام عَلَىٰ مستوىٰ عصورٍ قديمةٍ تَغيَّر بَعْدها نظام حَيَاة النَّاس، وطَرَائق مُعَاملاتِهم، ما قيمةُ عَالِمٍ يقرأ آياتِ الرِّبا ولا يَفْهم نظامَ المُعَاملاتِ الرِّبويَّة القائم الآن؟

وما قيمةُ عَالِمٍ لا يَسْتطيع الرَّدَّ عَلَىٰ مُلْحدٍ يَزْعم أنَّ قَطْعَ اليد في السَّرقةِ وَحْشيَّةٌ، وأنَّ الزَّواجَ بأربع نسوةٍ همجيَّةٌ ورَجْعيَّةٌ؟ وما قيمةُ عَالِمٍ بالشَّريعةِ يَزْعم أنَّ السِّياسةَ لَيْسَتْ من الدِّين، وأنَّها وقفٌ عَلَىٰ هَذَا الطَّابورِ الجَاهِلِ من مُحْترفِي السِّياسةِ ولُصُوصِها؟» وما قيمةُ عَالِمٍ بالشَّريعةِ لَوْ دُعِي إِلَىٰ نداءِ الجِهَادِ وحَمْلِ السِّلاحِ يَقُول: ليسَ هَذَا من شَأْن رجالِ الشَّريعةِ، إنَّنا نَسْتطيع فَقَط الفَتْوىٰ في الحلالِ والحرامِ، والحيضِ والنِّفاسِ؟»

ثمَّ اسْتطردَ في كلامِهِ، وضَرَب مثلًا لهذا النَّمطِ بعالمٍ جليلٍ وشيخٍ عبقريٍّ عَلَّامة قلَّ أن يُرَىٰ مثله، فَسَّر كتاب الله بتفسيرٍ عظيمٍ سَمَّاه: «أضواء البيان»، ورُغْمَ أنَّه أَثْنَىٰ عليه إلَّا أنَّه دسَّ السُّمَّ في الدَّسم، فقالَ: «ولكن هَذَا الرَّجل لم يكن عَلَىٰ شيءٍ من مُسْتوىٰ عَصْرِهِ، فما كانَ يُدْرك جوابَ شُبْهةٍ يُورِدها عدوٌّ من أعداءِ الله، ولا كانَ عَلَىٰ اسْتِعْدادٍ لسماعِ هَذِهِ الشُّبْهة...» إلخ ما قَالَ. انظر الكتاب المذكور.

وأقُولُ: قَاتَلك الله يا عبد الرَّحمن، أكانَ هَذَا جزاء شَيْخك منك أن تَرْميه

---

(١) (ص ٧٧، ٧٨).

بهذا البهت، فتَزْعم أنَّه عَلَىٰ سَعَةِ عِلْمِهِ يعجز أن يردَّ شبهةً يُورِدها عدوٌّ من أَعْداءِ الله عليه، وقَدْ فسَّر كتاب الله بتَفْسيرٍ لم يسبق إِلَىٰ مثله، وهو يحفظُ أقوالَ الفُقَهاءِ والأُصوليِّين في كلِّ حُكْمٍ، ويحفظُ أشعارَ العرب وأقوالَ اللُّغويِّين وَخِلَافهم، وما يستشهد به لكلِّ قولٍ أو كلِّ فريقٍ.

أَتُراه وقَدْ حفظَ كتابَ الله، وسُنَّة نَبيِّه ﷺ، وأقوالَ أَهْلِ العِلْم، يعجز أن يردَّ عَلَىٰ مارقٍ من المارقين شبهةً إلحاديَّةً، إِنَّ هَذَا لهو الافتراءُ والكذبُ والظُّلْمُ، فلو ضربت مثلًا بغَيْرِ هَذَا الرَّجل لكانَ في الإمكان أن يُصدِّقك بعضُ النَّاس، ولكنَّ اللهَ يريد أن يُظْهر تَجنِّيك عليه، وظُلْمك له، فَاتَّقِ الله، وَتُبْ إليه، وَامْسَح ما كتبته في هَذَا المَقْطع من رَمْيك للعُلَماءِ بالجهلِ والعجزِ والخورِ.

أتريدُ من العُلَماءِ أن يَعْكفوا عَلَىٰ نِظَامِ المُعَاملاتِ الغربيَّة فيدرسوه، وَهُمْ قَدْ دَرَسوا الشَّريعةَ وآمَنُوا بأنَّها هي الحقُّ، وما سِوَاها باطلٌ، فلا يُعرَض عَلَيهم نظامٌ من نُظُمِ الجاهليَّةِ إلَّا عَرَفوه، وبَيَّنوا بُطْلانَه بما عِنْدهم من عِلْمِ الشَّريعةِ الَّذي هو مُهَيمنٌ عَلَىٰ كلِّ علمٍ.

ثمَّ أَرِنِي عالمًا واحدًا من العُلَماءِ بحقٍّ يقولُ: إنَّ السِّياسةَ لَيْست من الدِّينِ، أو واحدًا من العلماء بحقٍّ يُدْعىٰ إِلَىٰ الجهادِ في سبيلِ الله فيَأْبَىٰ ذَلِكَ.

□ **وأخيرًا:** أَرِنِي القُشُورَ الَّتي في الدِّين الإسلاميِّ، وبيِّن لي ما هي؟

إنَّ الإسلامَ كلَّه حقٌّ، لا باطلَ فيه، وصدقٌ لا كذبَ فيه، وجدٌّ لا هَزْلَ فيه، ولبٌّ لا قُشُورَ فيه، وأخافُ عَلَىٰ مَنْ زَعَم أنَّ في الإسلام قُشُورًا أن يكونَ قَدْ خرج منه، وصار مرتدًّا، فاتَّقِ الله يا عبد الرَّحمن، وتُبْ إليه، لا يَحْملك التَّحزُّبُ والعصبيَّةُ أن تَرْمي الدِّين بما لَيْس فيه وأنتَ تَزْعم أنَّك

تَدْعو إليه وتَرْمي حَمَلتَه من العلماءِ الرَّبَّانيِّين بما لَيْس فيهم، فالتَّوبةُ مُوَاتيةٌ وممكنةٌ الآن.

□ **وأخيرًا:** فهَذَا وَاحِدٌ من أَهْل هَذَا المَنْهجِ، بَلْ ربَّما قيل: إنَّه من المُعْتدلِين فيهم، يَتَّهم العلماء، ويَزْدَريهم، ويَرْميهم بما لَيْس فِيهِم، ويَزْعم أَنَّهم فَهِموا من الدِّين قُشُورَه، إنَّه يسيرُ عَلَىٰ نَمَط الغزاليِّ، ويَضْرب عَلَىٰ الوتر الَّذي ضَرَب عَلَيه الغزاليُّ، ويأتي مَنْ يَنْتقد السَّلَفيَّةَ الجديدةَ كما زعم، فيَزْعم أنَّ السَّلَفيَّةَ الجديدةَ سَلفيَّةٌ عَرفَتْ من الإِسْلامِ قُشُورَه، يُقلِّد بَعْضهم بعضًا، فهلَّا بَيَّنوا لنا القُشُورَ الَّتي في الدِّين حتَّىٰ نَعْلمها! ولكنَّه التَّقليد الأَعْمىٰ ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات:٥٣].

❁❁❁



فصل
كلام محمد سرور زين العابدين في نقده لمنهج الإخوان

□ **وَمِنْ وَلائِدِ الإِخْوانيَّةِ:** السُّروريَّة والقُطبيُّون، وهُمَا فِرْقتانِ أو حِزْبانِ انْفَصَلتا من الإِخْوانيِّينَ، فالسُّروريَّةُ تُنسَب إِلَىٰ مُحمَّد سرور بن نايف زين العَابِدِين الَّذي هو الآن مُقِيمٌ في مدينة لندن، ويُصْدر مجلةً تُسمَّىٰ مجلة: «السُّنَّةِ» وأَمَامي الآن مَقالٌ مُطوَّلٌ بعنوان: «السُّروريَّة» كَتبَه هو بنفسِهِ، وهَاجَم فيه الإخوانيَّة بعد أَنْ عَمِل فيها عَشْر سنين كما ذكر(١).

قال فِيهِ بعد رحلةٍ في هَذِهِ الجماعةِ استمرَّت عشرة أعوامٍ: «هَيَّأَ اللهُ لي أجواءً علمتُ من خلالها أنَّ الدَّعوة إِلَىٰ الله يجب أن تكونَ من خلال عقيدةِ ومَنْهج السَّلَفِ الصَّالح رضوان الله عليهم، وَلَمْ تكُنِ الجماعةُ الَّتي أَنْتسِبُ إليها كذَلِكَ، وكنتُ أُحَاوِلُ التَّوفيقَ بَيْن قَناعَاتِي الجديدة، ووَضْعي في هَذِهِ الجماعةِ، ولكن هَيْهات، فالمَسَافةُ بعيدةٌ، والخَرْقُ يَتَّسعُ، صحيحٌ أنَّ الجماعةَ في المنطقةِ الَّتي أُقِيمُ فيها لَيْس فيها أشاعرةٌ أو مُتصوِّفةٌ أو مُعْتزلةٌ، ولكنَّ هَذَا الصِّنفَ مَوْجودٌ في أَمَاكِن أُخْرىٰ، وبَيْنهم مَسْؤولون من كِبَارِ أَهْلِ الحلِّ والعَقْدِ في إطار بِلَادِ الشَّام، أو في إِطَارِ البُلْدانِ العربيَّة، وهؤلاء عِنْدَ

---

(١) وهذا المقال نشر في مجلة «السُّنَّة» العدد السابع والعشرون جمادىٰ الآخرة عام ١٤١٣هـ.

مُنْتسبي الجماعةِ ثقاتٌ، وغَيْر مَسْموحٍ بنَقْدهم أو تَجْريحهم؛ لأنَّ الأصلَ في تَوْثِيقهم انْتِماؤُهُمْ لهذه الجماعةِ، ولَيْس الأصلُ مِنْهاجِهم وتَصوُّراتهم الَّتي يَدْعون إليها، وهذَا العَمَلُ الحزبيُّ يجعل الفردَ المُنْتمِي إِلَىٰ هَذِهِ الجماعةِ يَشْعر بأنَّ فلانًا الصُّوفيَّ أقربُ إليه مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ من فلانٍ السَّلَفيِّ لسببٍ بسيطٍ جدًّا، فالأوَّلُ من الجماعةِ، والثَّاني مُسْتقلٌّ، ولا يَنْتمي لأيَّةِ جماعةٍ.

لقَدْ سَئِمتُ من سِيَاسةِ التَّجميعِ عَلَىٰ أساسٍ غير سليمٍ، وصرتُ أعتقدُ فَشَلَ سِيَاسةِ وتَخْطيط هَذَا الخليطِ من الخَلائِق وإِنْ زَعَموا أنَّهم من النَّصْرِ قَابَ قَوْسين أو أَدْنىٰ، ومَلَلْتُ تَرْدادَ من حولي: «ويعذر بَعْضنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فيه».

كَيْف يعذر بعضنا بعضًا في اخْتِلَافِ التَّضادِّ، وهذَا الإعذارُ يعني أنَّه لا فَرْقَ يَسْتحقُّ الذِّكْر بَيْن السَّلَفيِّينَ وأَهْل الاعتزالِ وغَيْرهم من أَهْل البِدَعِ والخُرَافاتِ.

إنَّ الغوغائيَّةَ هي الَّتي تَجْعل هؤلاءِ النَّاس يُردِّدون هَذِهِ المقولةَ، وعِنْدما يَتحرَّرونَ من الغوغائيَّةِ والسَّطحيَّةِ، سَوْف يَشْعرون بخَطَر هَذَا الشِّعارِ.

وفَضْلًا عن هَذَا وذاكَ، لم أَجِدْ مُسوِّغًا لتَقْديم قول قادة هَذِهِ الجماعة عَلَىٰ كلِّ قولٍ، وإِنْ كانَ هَذَا القولُ شرعيًّا وعليه أدلَّةٌ واضحةٌ من الكتاب والسُّنَّةِ، حَاوَلوا تَأْويلَ هَذِهِ النُّصُوصِ حتَّىٰ لا تَتعارَضُ مع أَقْوال القادةِ، وهذِهِ هِيَ مُشْكلة الأتباع، يُغَالون في حُبِّ قَادَتهم، ويَزْداد هَذَا الغلوُّ مع مُرُور الزَّمَنِ، وقلَّة العُلماءِ العَامِلين، وَانْدِراس العِلْمِ.

٢- كنتُ صغيرًا عِنْدَما انتسبتُ إِلَىٰ هَذِهِ الجماعةِ، وكنتُ أفتقدُ الحدَّ

الأَدْنَىٰ من العُلُومِ الشَّرعيَّةِ الَّتي تُمكِّنني من مَعْرفة حُدُود الطَّاعة، ولهذا فَقَدْ كُنَّا نَخْضع لمزاجيَّةِ المسؤول عنَّا...

كان يَأْمُرُنَا بأَنْ نُقَاطعَ فلانًا؛ لأنَّه انْحرَفَ عن خطِّ الجماعةِ، وكنَّا نَسْتجيبُ له؛ لأنَّا نعتقدُ أنَّ طاعةَ هَذَا المسؤولِ طاعةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ، وهُوَ - أي: المسؤول- الَّذي عَلَّمنا هَذَا الاعتقادَ، وكنَّا نَعْلم بطريقةٍ أو بأُخْرىٰ أنَّ هَذَا الأخَ الَّذي قَاطَعْناه لم يَنْحرِف عن خطِّ الجماعةِ، ولم يَتخلَّ عنها أو يُنَاصبها العداءَ، ولكنَّه اختلفَ اختلافًا شخصيًّا مع صَاحِبنا الَّذي أَمَرنا بمُقَاطعتِهِ، وكنَّا فِي هَذِهِ الحالة نَبْحث عن أعذارٍ للمَسْؤول عنَّا، فإِنْ لم نجد، أَوْهَمنا أنفسَنا بأنَّ الجماعةَ عَلَىٰ خَيْر ما يُرَام، ويجب أَلَّا نَشْتغلَ بما لا يَعْنينا».اهـ.

وبعد هَذَا الهُجُومِ العَنِيفِ والنَّقْدِ اللَّاذع الَّذي سَمِعناه إِلَّا أَنَّه هُجُومٌ فِي مَحلِّه، ونَقْدٌ أصابَ المقاتلَ من جَماعَةِ الإخوانِ؛ لأنَّه صَدَر عن رجلٍ عاشَ فِي هَذِهِ الجماعةِ عَشْر سنواتٍ، عَرَف خلالها أشياءَ كثيرةً من الأخطاءِ، وكلُّ ما انْتَقَده يُؤيِّد ما لَاحَظه أَهْلُ العِلْم عَلَىٰ هَذَا المنهجِ، ودَوَّنتُهُ فِي مُلَاحظاتِي السَّابقةِ:

❁ **فأوَّلُ ما انْتقَدَه:** هو ذَلِكَ الخليط من البَشَر بَيْن قناعاتٍ متباينةٍ، وعقائدَ مُتضادَّةٍ، واتِّجاهاتٍ مختلفةٍ ممَّا لا يَسْتسِيغه عقلٌ، ولا يُقرُّه شرعٌ.

❁ **وثانيًا:** قولُهُ: «وهذا العملُ الحزبيُّ يجعل فلانًا الصُّوفيَّ أقربَ إليه مرَّاتٍ ومرَّاتٍ من فلانٍ السَّلَفيِّ لسببٍ بسيطٍ جدًّا، فالأوَّلُ من الجماعةِ،

والثَّاني مُسْتقلٌّ»، ويَتبيَّن من هَذَا شُؤْم الحزبيَّة، وأنَّها تُوجِب عَلَىٰ صَاحِبها أن يَتولَّىٰ مَنْ يجب بغضه وعَدَاوته، ويبغض مَنْ يجب حبُّه ومُوَالاته، لا لشيءٍ سِوَىٰ أنَّ الأوَّلَ من أهل هَذَا الحزب، والثَّاني من خارجه.

۞ **ثالثًا:** قولُهُ: «سمعتُ مِنْ تَرْداد مَنْ حولي: «ويعذر بَعْضنا بعضًا فيما اخْتَلَفنا فيه»، وقَدْ أنكرَ هَذَا التَّعبير الباطل الَّذي يَتنَافىٰ مع أَعْظم الأُسُس في دينِ الإِسْلامِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المجادلة:٢٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، الآية [الممتحنة:٤].

۞ **رابعًا:** ذكر أنَّ الغوغائيَّةَ هي الَّتي تجعل هَؤُلاء النَّاس يُردِّدون هَذِهِ العبارةَ[1] بدون تَفْكيرٍ ولا تَأمُّلٍ لما وَرَاءها من نتائجَ سَيِّئةٍ.

۞ **خامسًا:** قوله: «وَفَضْلًا عن هَذَا وذَاكَ، لم أَجِدْ مُسوِّغًا لتَقْديم قول قادة هَذِهِ الجماعةِ عَلَىٰ كلِّ قَوْلٍ»: وذَلِكَ أنَّه لمسَ أنَّ أَصْحَابَ الحزبِ يُقدِّمون أقوالَ قَادَتهم حتَّىٰ ولَوْ خَالَفتِ النُّصُوصَ الشَّرعيَّةَ، وأنَّهم حينئذٍ يَتأوَّلون النُّصُوصَ لِتُوافِقَ أَقْوالَ أئمَّتهم.

۞ **سادسًا:** تَعْظيمُ التَّابعينَ للمَتْبُوعِينَ، ومُغَالاتُهم في حُبِّهم يُؤدِّي بهم إِلَىٰ أنَّهم يَرْفُعونَهم فوقَ مَنْزلتهم، ويُعْطونهم ما لَيْس لهم، ويَتَّخذونهم

(١) أي توهم: «ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

مُشرِّعين من دون الله.

۞ **سابعًا**: اسْتنكَر أيضًا تَحكُّم القادة في حُرِّيَّات مَنْ تحت أَيْديهم، فيأمرهم القائدُ أن يُقَاطعوا فلانًا؛ لأنَّه انْحرَف عن خطِّ الجماعةِ حتَّىٰ ولَوْ لَمْ يكن مِنْه انْحِرَافٌ، ولكن مُجرَّد هَوًىٰ.

۞ **ثامنًا**: ويُسْتَنتج من هَذَا دليلٌ عَلَىٰ صِحَّةِ ما قُلْناه من أنَّهم يُحذِّرون مِمَّنْ لم يَكُنْ مَعَهم يومًا من الدَّهْر من العُلَماءِ، لا لشَيْءٍ سِوَىٰ أنَّه لَيْس من جماعةِ الحِزْبِ.

۞ **تاسعًا**: إِيمانُهمْ بالنِّظام الدِّيمقراطيِّ الغربيِّ في الاسْتِفْتاءِ، وأنَّ مَنْ أَخَذ أصواتًا أكثرَ، كانت له الشَّرعيَّةُ في نَظَرهم حتَّىٰ ولو زادَ صوتًا واحدًا أو صَوْتين، وَاعْتِقادُهُمْ أنَّ هَذَا يُوجِبُ الشَّرعيَّةَ!! فما هِيَ الشَّرعيَّةُ الَّتي اكْتسَبها بِذَلِكَ؟

۞ **عاشرًا**: أنَّ الرَّئيسَ الَّذي يَصِلُ إِلَىٰ سُدَّة الرِّئاسة يُصْبح ديكتاتورًا مُتسلِّطًا؛ يَفْصل مَنْ يشاءُ، ويُعيِّن مَنْ يشاءُ، لا من أَجْل المصلحة، ولكن من أَجْل الهَوَىٰ، وإِذَا قال قولًا، وَجَب عَلَىٰ الأعضاءِ أن يَرْفعوا أَيْديهم بالمُوَافقةِ؛ سواء كان حقًّا أو باطلًا، والويلُ لمَنْ خالفَ أو رَفَع رأسَه مُسْتنكرًا، وقَدْ يحدثُ التَّخَاصمُ وتبادلُ التُّهَم، وتَنْفصل عن الجماعة جماعةٌ أُخْرىٰ إِلَىٰ آخر ما ذكر.

قلتُ: وفي هَذَا دليلٌ لما قرَّرته سابقًا من أنَّ الحزبيَّةَ مثل الجرثومة، تَنْقسم، وكلُّ قِسْمٍ من القسمين يَنْقسم، وهَكَذا دواليك.

ثمَّ أخبرَ أنَّه قرَّر انْفِصالَه عن الجماعة لما عرف عِنْدهم من السَّلبيَّاتِ الَّتي

ذكر، وغيرها، ثمَّ قال: «بَعْد انْفِصالِي عن الجماعة، وضعتُ لنفسي ثوابتَ ومُنْطلقاتٍ مُحدَّدةً لا أَحِيدُ عنها، ولا أستبدلُ بِهَا غَيْرها، وها قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَسِيرتي في الطَّريق الجديد أكثر من عشرين عامًا، ومُرُور هَذِهِ الأَيَّام زَادَني قناعةً وَاسْتِمْساكًا بهذه الثَّوابتِ».

□ **ومن هَذِهِ الثَّوابتِ ما يلي:**

❁ **أولًا:** أَصْبَحَ الأصلُ عِنْدي الالتزامَ بعقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ رضوان الله عَلَيهم.

❁ **ثانيًا:** لم يَعُدِ العملُ الإسلاميُّ عِنْدي «دعوةً سَلفيَّةً» و«حقيقةً صوفيَّةً»؛ لأنَّ مثلَ هَذَا الخليطِ لا يَصْلح أساسًا لوحدة العَمَلِ الإسلاميِّ، ولا يُؤدِّي إلَّا إلَىٰ الخُصُومةِ والفُرْقةِ والتَّناحرِ.

❁ **ثالثًا:** أنَّ العملَ الإسلاميَّ لم يَعُدْ شعارًا يُردِّده البعضُ دون تَدبُّرٍ لمَعْناه؛ كقولِ القَائِلِين: «ويَعْذر بعضنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فيه»، فإنِّي لا أعذرُ مَنْ كان اخْتِلافِي مَعَه اختلافَ تَضادٍّ.

❁ **رابعًا:** ولم يَعُدْ عَقْلي يَتصوَّر وُجُودَ جماعةٍ واحدةٍ فيها السَّلَفيُّ والصُّوفيُّ والأشعريُّ والخارجيُّ[1] ودُعَاة الاعتزالِ والعقلانيَّةِ، وغير ذَلِكَ

---

(١) كذا قال! ويالله العجب! وهو الذي يكفر الحكام قاطبةً بالعموم وبدون استثناءٍ. انظر ذلك في مجلته «السُّنَّة» عدد (٢٦) سنة ١٤١٣هـ (ص٢، ٣).

ويكفر الحكام من (آل سعود) في العدد (٤٣) سنة ١٤١٥هـ جمادىٰ الثانية (٢٧-٢٩) حيث يقول في حوار بينه وبين صديق له: «قال صاحبي: ما رأيك بهذا القول: لو سلم أبناء عبد العزيز =

من العَقَائد والاتِّجاهاتِ المُخْتلفةِ المُتبَاينةِ.

❁ **خامسًا:** وَعِنْدَما نقولُ: إنَّ الأصلَ عِنْدنا الالتزامُ بعقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَف الصَّالح -رضوان الله عليهم- فإنَّما نَقْصد به رجالَ خَيْر القُرُونِ المفضَّلة، وليست السَّلَفيةُ عندنا تقليدَ رجلٍ من الرِّجال المُعَاصِرين في كلِّ ما يقولُهُ ويُفْتي به، فمثل هَذَا النَّوع من التَّقليدِ نَعْتبره لونًا من ألوانِ الحزبيَّةِ الضَّيِّقةِ، وشكلًا من أشكالِ التَّعصُّب المذهبيِّ المَذْموم، والعَالِم مَهْما عَلَا شأنُهُ، وعَمَّ فضلُهُ وعلمُهُ، لابدَّ أن نأخذَ من قولِهِ ونردَّ.

❁ **سادسًا: لَيْس لِعَمَلِي هَذَا تَسْميةٌ مُعيَّنةٌ لسَببينِ:**

١ ـ نَحْن جزءٌ من أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ، ونَعْمل من أَجْل عَوْدة الجميع إِلَىٰ هَذَا الكيانِ الكبيرِ، وكُلَّما ذَكَرنا أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ، فإنَّما نَقْصد به ما كانَ عَلَيه سَلَفُ الأُمَّةِ الأَخْيار...إلخ.

٢ ـ رأيتُ كثيرًا من الأَحْزابِ والجماعاتِ الإسلاميَّةِ يَتعصَّبون لِلاسْمِ الَّذي أَطْلقوه عَلَىٰ أَنْفسهم، ويُصْبحُ هَذَا الاسمُ شعارًا يُميِّزهم عَنْ

=

من البطانة العلمانية التي تحيط بهم لما كانت الأمور بهذا السوء؟

فأجابه محمد سرور قائلًا: قلت: يا أبا... هم أخبث من بطانتهم العلمانية؛ لأنَّ عقائد الطرفين واحدة».

فانظر أخي القارئ -رعاك الله ووَفَّقك لكل خيرٍ- كيف جعل (آل سعود) أخبث من العلمانيين، وهذا يدل علىٰ أنَّهم عنده أكفر من العلمانيين؛ لأنَّ العلمانيين كفار، ومَنْ كان أخبث منهم فإنه أشد كفرًا منهم، ومع هذا كله يقول هذا الدجال عن نفسه إنَّه علىٰ عقيدة السلف! محمد بن هادي.

غَيْرهم... إِلَىٰ أن قالَ: وإذا كانَ الأمرُ كذَلِكَ، فمِنْ أينَ أَتَىٰ الظَّالمون بِاسْمِ السُّروريَّةِ، وفِي أيِّ مَصْنعٍ من مَصَانِع كَذِبهم لَفَّقوا هَذَا الاسمَ»[1] .اهـ. ما أردتُ نَقْلَه من مقالِهِ بِتصرُّفٍ.

---

(١) والله ما لفَّقوه، وإنَّما منك خرج، وفي مصنعك وجدوه، ألم تقل في مجلتك «السُّنَّة» العدد (٢٩) (ص٨٩) مقال بعنوان: «الوحدة الإسلامية»، وفيه ما نصه: «ولا يحق لأيِّ جماعةٍ مهما كان منهجها سليمًا الادعاء بأنَّها جماعة المسلمين، ولا يحقُّ لأمير هذه الجماعة أن يطلب البيعة لنفسه كما كان يطلبها خلفاء المسلمين، ولكن يحق لهذا الأمير ومَنْ حوله أن يُنظِّموا أمورهم كمؤسسةٍ دعويةٍ تعمل من أجل أن يكون الدين كله لله في الأرض، ويقتضي هذا التنظيم أن يكون للمؤسسة رئيس، ونائب للرئيس، ومسؤولون عن الأقسام والفروع، وأوامر تَصْدُر فتطاع؛ إلا ما كان مخالفًا للكتاب والسُّنَّة».
أليس هذا المقال في مَجلَّتك؟ أليس فيه إقرارٌ للبيعة؟ وإلَّا فما معنىٰ قوله: «ولكن يحقُّ لهذا الأمير»؟، وما معنىٰ قوله: «وأوامر تصدر فتطاع»؟ وممن تَصْدر هذه الأوامر؟ أليست من أمير الجماعة؟ وأليس في هذا المقال الإقرار بإمارة الجماعات الإسلامية المبتدعة؟
ألم تقل أنت يا سرور في مجلتك «السُّنَّة» العدد (٢٧) (ص ٥١):
«ومن أجل أن تستقيم أمور الجماعات الإسلامية لا بد من مراعاة الأمور التالية:
١- أن يكون عند العضو في الجماعة حد أدنىٰ من العلوم الشرعية تُمكِّنه من معرفة الحلال من الحرام، والطاعة الشرعية من الطاعة البدعية.
٢-أن تراعىٰ شروط أهل الحل والعقد في اختيار قادة الجماعة... إلخ».
فأي قائد هو هذا يا محمد سرور الذي يختاره أهل الحل والعقد؟ أليس هو الأمير، وإنْ سَمَّيتموه بغير هذا الاسم؟
ألم تقل يا سرور بلسانك عندما زرت الشيخ مقبل الوادعي: إنَّنا جماعة، وأنَّ معنا الشيخ سفر الحوالي؟
ألم تقل يا سرور في رسالة لك جوابية لبعض مَنْ كاتبك ورددت عليه بهذه الرسالة المؤرخة في ٤ شوال عام ١٤١٠هـ - وهذه الرسالة عندي بخط يدك علىٰ أوراقك الرسمية التي تحمل شعار مركز الدراسات الإسلامية، ألم تقل فيها في (ص٢) وبالتحديد سطر (١٥).
=

وعَلَىٰ هَذَا، فإنَّ كلامَ مُحمَّد سرور زين العابدين في نَقْده للمَنْهجِ الإخوانيِّ في محلِّه، وهو نَقْدٌ في الصَّميم، ومَنْ قالَ كلمةَ الحقِّ يجب أن يُقَال له: صدقتَ.

وأمَّا قولُهُ بأنَّه في مَنْهجِهِ الجديد أَخَذ بالمنهجِ السَّلَفيِّ، فهذا (**أولاً**) فيه نظرٌ، فإنَّه إِنْ سُلِّمَ له هَذَا في أشياءَ كأَنْ يكونَ قَدْ أخذَ بالمنهجِ السَّلَفيِّ في الأَسْماءِ والصِّفاتِ، والوَلَاءِ والبراءِ، وهذا حَسَب ما يظهر من كتابتِهِ هذِهِ.

أمَّا التَّفصيلُ والطَّريقةُ في المَجَالِ العمليِّ فهذا شَيْءٌ لا أَعْلمه، وأسألُ اللهَ أن يُوفِّقه ويُوفِّق جميعَ الدُّعاةِ إِلَىٰ السَّيْر عَلَىٰ النَّهْجِ الصَّحيحِ، وأخذه بحَذَافيره، إلَّا أنِّي أُلَاحظُ عَلَىٰ الشَّيخ عدم تَصْريحه بالبدءِ بتَوْحيدِ الأُلوهيَّة الَّذي بدأت به الرُّسُل -صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم- كما أخبرَ الله عَزَّوَجَلَّ عَنْهم بقولِهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

=

«وأنا أعمل في جماعةٍ ليس لها اسمٌ؛ لأننا لا نجد أفضل ولا أحسن من اسم أهل السُّنَّة والجماعة، وجماعتنا ليست جزءًا من أية جماعة معروفة علىٰ الساحة».

أقول: وإذ قد ثبت بهذا أنَّك في جماعة، وهي ليست جزءًا من أية جماعة معروفة علىٰ الساحة، فما الَّذي يمنع أن تنسب إليك، لا سيما وصفات أهل السُّنَّة والجماعة لا تنطبق عليها؛ وإنَّما الذي ينطبق عليها مذهب الخوارج؛ لأنَّ أهل السُّنَّة معروفون، وصفاتهم معروفة، وهم علىٰ الساحة بارزون لا يختفون، والأسماء لا تغير الحقائق، والعبرة بحقيقة ما أنت عليه وجماعتك، وقد ظهر هذا جليًّا في مجلتك، ويستطيع كل مَنْ نور الله بصيرته بنور العلم الشرعي أن يميِّزه. محمد بن هادي.

❁ **ثانيًا**: الَّذي ظَهَر لنا وبَلَغنا عن الفِرْقة الَّتي تُسمَّىٰ بـ«السُّرورية» بقَطْع النَّظَر عن كونِهِ هو الَّذي سَمَّاها بهذا الاسم، أو هي سَمَّتْ نَفْسها أو سَمَّاها بهذا الاسْمِ بَعْض القادة فيها، فكلُّ ذَلِكَ جائزٌ، وإنَّما الَّذي يَهمُّنا هو العملُ، فهَلْ كَانَتْ هَذِهِ الفِرْقةُ كما قالَ مُؤسِّسها أنَّها عَلَىٰ المنهج السَّلَفيِّ تمامًا؟ أم أنَّهم تنكَّروا له وتَنكَّبوه في بَعْض الأُمُور الَّتي تُعتَبر من الصَّميم؟ هَذَا ما سنراه في السُّؤال الآتي:

كَتَبَ لي سائلٌ ما، فقالَ: فضيلةَ الشَّيخ، أسألُ اللهَ أن يشرحَ صَدْرك للحقِّ، إنَّني -ولله الحمد- هَدَاني اللهُ إِلَىٰ الصَّوابِ، ولكن مَعَ اسْتِقامَتي هَذِهِ وَجدتُ مَجْموعاتٍ سِريَّةً تقومُ بأَنْشطةٍ سِريَّةٍ، وبرامج فِكريَّةٍ مُعَاصرةٍ، وهي عبارة عن سِلْسلةٍ من الحلقاتِ السِّريَّةِ حتَّىٰ المسؤول عنَّا لا نَعْرف مَنْ يقوم بتَوْجِيهِهِ، وَهِيَ تقومُ بسبٍّ ولَعْن الحُكَّامِ، والبَحْث في الواقعِ أكثر من طَلَب العِلْمِ الشَّرعيِّ، ويَقُولُون: إنَّ الَّذي يَفْقه الواقعَ أَفْضلُ من علماء هَذَا الزَّمن، وهم يَتلقَّون تَرْبيتهم من بَعْض المعاصرين الفكريِّين، وَصِلتهم بالسَّلَفِ الصَّالحِ والأئمَّة قليلةٌ جدًّا بدَعْوىٰ أنَّ هَذَا العصرَ لا يَصْلح إلَّا لهذه الفِكْرة، وهذِهِ المجموعة تُسمَّىٰ: «السُّرورية» أو «القُطْبيِّين»، وأنا منتظمٌ فيها، ولي فيها أربع سنواتٍ، وواللهِ، لم أَسْتفد أيَّ شيءٍ، فما هي نصيحةُ والدي الغالي، فأنقذني من هَذَا الأمر بالنَّصيحة الفاضلة؟

❑ **وقَدْ أجبتُهُ بما يلي:**

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، **أمَّا بعد:**

فإنَّ هَذِهِ المجموعات السِّريَّة مجموعاتٌ مبتدعةٌ، ويَتَّضح ذَلِكَ من الأُمُورِ الآتية:

* **أوَّلاً:** السِّريَّةُ والتَّكتُّمُ في دَعْوتهم بدُونِ حاجةٍ إليه، فالدَّولةُ مسلمةٌ (١)، تُؤيِّد الدَّعوةَ، وتُعِين عليها، وتضعُ مُرتَّباتٍ لأَهْلها، والمجتمعُ مسلمٌ يُؤيِّد كلَّ دعوةٍ إصلاحيَّةٍ، ويَتضَافر معها، فما هو الدَّاعي للسِّريَّة؟! إلَّا أنَّهم عندهم في دَعْوتهم أُمُورٌ غير تَعْليم الأَحْكام الشَّرعيَّة يُريدُونَ التَّكتُّم عليها حتَّىٰ يَصِلوا إلَىٰ مَآرِبِهِمْ.

* **ثانيًا:** الحزبيَّة والتَّنظيم الَّذي يُفرِّق الأُمَّةَ، وَيَجْعلها فِرقًا مُتَعادِيةً يبغض بَعْضُها بعضًا، ويَتنكَّر بَعْضُها لبعضٍ، فكلُّ حزبٍ يرىٰ أنَّ الحقَّ ما هو عليه دون غيره، فيَتعَاطفُونَ ويَتنَاصَرونَ فيما بَيْنهم، بَيْدَ أنَّهم لا يَفْعلون ذَلِكَ مع غَيْر حِزْبهم، وهذِهِ بدعةٌ تَشْطر الأُمَّةَ وتُفرِّقها رُغْمَ أنَّ الأُمَّة واحدةٌ حسب

---

(١) قلت: لكن محمد سرور لا يرىٰ هذا، بل الذي يراه: أنَّ «حكامها أخبث من العلمانيين»، كما بينت هذا في (ص٢٦٧) من هذا الكتاب في هامش رقم (١)، ونقلت ذلك عنه من مجلته المُسمَّاة زورًا بـ «السُّنَّة»، استمع إليه حيث يقول في العدد (٤٣) (ص ١٧) معلقًا ومتهكمًا بتأييد الدولة للدعوة والدعاة:

«ياللعجب من تناقضات دولة فهد وأشقائه، يَفْتخرون بإرسال الدُّعاة إلىٰ جميع بلدان العالم، ويدفعون لهم المكافآت، ويمنعون الدُّعاة الأحرار المتطوعين في بلدهم، يمنعونهم حتىٰ من رفع صوتهم بالدعوة إلىٰ الله داخل بيوتهم، ترىٰ ماذا أبقىٰ هؤلاء الظَّلَمة -يعني خادم الحرمين وإخوانه وَفَّقهم الله- للقذافي، والأسد، وصدام، وجنرالات الجزائر؟».

قلت: فانظر إلىٰ الفرق بين مواقف أهل العلم المتمثل في اعترافهم بالفضل لهذه الدولة -وفقها الله- في إرسال الدعاة، ودعمهم وتأييدهم، ولا يعرف الفضل لأهله إلا أولو الفضل، وبين موقف هذا الخارجي التكفيري المحترق، عليه من الله ما يستحق. محمد بن هادي.

التَّوجيه القرآنيِّ الكريم، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء:٩٢].

۞ **ثالثًا:** مِنْ بِدَعِهِم: الإمارةُ في الحَضَر، وهذِهِ بدعةٌ يَسْتَعبدون بِهَا الأَحْرارَ، فلا يَتحرَّك أحدٌ مِمَّن انْتظَموا في حِزْبهم إلَّا بعد إذنِ أَمِيره، علمًا بأنَّ هَذَا لم يَطْلبه رَسُولُ الله ﷺ من أصحابِهِ، ولا أمرَ الله ﷻ عبادَه بذَلِكَ، أي: بألَّا يَتحرَّكوا إلَّا بَعْد استئذان نَبيِّهم إلَّا إذا كانوا معه عَلَىٰ أمرٍ جامعٍ؛ كالغزو مثلًا، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴿٦٢﴾﴾ [النور:٦٢].

أمَّا بدون ذَلِكَ، فكلٌّ منهم يَذْهب لحاجتِهِ، لا يحتاج أن يستأذنَ النَّبيَّ ﷺ، وإنَّ هؤلاء القوم يُلْزمون النَّاسَ بما لم يُلْزمهم به اللهُ، ولا رَسُولُهُ، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

۞ **رابعًا:** مِنْ بِدَعِهم وجَرَائِمِهم: لَعْنُ الحُكَّام، وسَبُّهم، والتَّزهيدُ فيهم، وعَدَمُ اعْتِبارِهم وُلاةً تجبُ طَاعَتهم[1]، وهذا خلاف ما أمر به رَسُول الله ﷺ،

---

(١) ولم يقتصر سَبُّهم علىٰ الحكام، بل يتناولون علماء السعودية بالسبِّ، والتَّنقُّص، والتجريح، ويُسمِّيهم محمد بن سرور بعبيد السياسة، وعبيد الحكام، كما في مقالٍ له في بعض أعداد مجلته المُسمَّاة ظلمًا بمجلة «السُّنَّة»، وقال في الكتاب الثالث والعشرين من هذه المجلة تحت عنوان: «المساعدات الرسمية»، قال: «وصنفٌ آخر يأخذون ولا يَخْجلون، ويربطون مواقفهم بمواقف سادتهم، فإذا استعان السادة بالأمريكان، انبرىٰ العبيد إلىٰ حشد الأدلة التي تجيز هذا العمل، ويقيمون النكير علىٰ مَنْ يخالفهم، وإذا اختلف السَّادة مع إيران الرافضية، تذكر العبيد خبث الرافضة، وانحراف منهجهم، وعداءهم لأهل السُّنَّة، وإذا انتهىٰ الخلاف، سكت العبيد، وتوقفوا عن توزيع الكتب التي أعطيت لهم، هذا الصنف من =

حَيْث يَقُول: «اسْمَعْ وأَطِعْ، وإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وأُخِذ مَالُكَ»[١]، فمَنْ منَّا اليومَ ضُرِبَ ظَهْرُهُ بدُونِ حقٍّ، أو أُخِذ مالُهُ بدون حقٍّ؟ إنَّ دَوْلتنا[٢] -ولله الحمد- تُعْطينا ولا تأخذ منَّا، بل نَحْن في أَمْنٍ ورَغَدِ عيشٍ تَغْبطنا عليه جميعُ الأُمَم، فما هو الدَّاعي للعن وُلَاة الأُمُور وسَبِّهم؟

أمَّا المنكراتُ، فهي قَدْ وَقَعتْ في أَبْهىٰ العُصُور وأَفْضلها؛ كعصر الخُلَفاء الرَّاشدين، وعَصْر بني أُميَّة، وأوَّل دولة بني العبَّاس الَّتي هي العُصُور المُفضَّلة، فَاقْرَؤوا التَّاريخَ، وَانْظُروا ما تَجِدونَ فيه في زمن السَّلَفِ الصَّالحِ والأئمَّة المَتْبوعِينَ؛ كالإمامِ مالكٍ والشَّافعيِّ وأحمد بن حنبل، ولمَّا وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ لأَصْحابِهِ وُلَاة الجَوْر، قالوا: أفلا نُنَابِذهُمْ؟ قال: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ: قال: «لا، إلَّا أن تَرَوْا كفرًا بواحًا عِنْدَكُمْ من الله فيه بُرْهانٌ»[٤].

وإنَّ دَوْلتنا -ولله الحمد- تُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُقِيمُ الحُدُودَ، وتُحكِّم شَرْعَ الله،

=

الناس يكذبون، يتجسسون، يكتبون التقارير، ويفعلون كل شيء يطلب السادة منهم...»، إلىٰ أن قال: «يا إخواننا، لا تغرنكم هذه المظاهر، فهذه المشيخة صنعها الظالمون، ومهمة فضيلة الشيخ لا تختلف عن مهمة كبار رجال الأمن».

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أي المملكة العربية السعودية.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالكٍ الأشجعي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عُبَادة بن الصامت رضي الله عنه.

وتَحْكم به فِي مَحاكِمِها، وتُشجِّع عَلَىٰ العِلْم، وتُعِين عليه، وتُعِين عَلَىٰ الأَمْر بالمَعْروفِ والنَّهي عن المُنْكر، وقَدْ رَصَدتْ له ميزانية، وللدَّعوةِ والدُّعاةِ؛ فهِيَ لَا زَالَتْ -والحمدُ لله- بخيرٍ.

فقُلْ لمَنْ يلعن الحُكَّامَ السُّعوديِّين في هَذَا البلد، لينظر في حُكَّام المعمورة أجمع، هل يجد مثل الحُكَّام السُّعوديِّين، بل إنَّ الفرقَ كبيرٌ، والبونَ شاسعٌ، فليتَّقِ اللهَ هؤلاء، وليعودوا إِلَىٰ رُشْدهم قبل أن يُعَاقِبهم اللهُ.

ونَحْن لا نَقُولُ: إنَّ الحُكَّامَ في هَذَا البلد مَعْصومون من الخطإ، أو أنَّهم مَلَائكةٌ لا يُخْطؤونَ، فكلُّ بَشَرٍ يخطئ ولا بدَّ، ولكنَّ ذَلِكَ لا يُوجِبُ سبًّا، ولا لعنًا، ولا خُرُوجًا عن الطَّاعةِ ما داموا مُلْتزمين بالشَّرْع في أغلب أُمُورِهم عَلَىٰ أَنْفُسِهم، وعلىٰ مَنْ تَحْت أيديهم.

۞ **خامسًا:** أمَّا فِقْهُ الوَاقِعِ الَّذي ما زالَ هؤلاء يشقشقون به، ويطنطنون، فنَحْن نقولُ لهؤلاء: إِنْ كُنْتم تريدون بفِقْهِ الواقع ما تَترتَّب عليه الأحكامُ الشَّرعيَّة، وتَتبيَّن به الفَتْوىٰ مِمَّا يكون مَناطًا للحُكْم، أو سببًا له، أو وسيلةً إليه، فإنَّ سماحةَ الشَّيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وابن فوزان، والغديان واللحيدان، والأطرم، وعبد العزيز آل الشَّيخ، وغيرهم من القُضَاة أو المُفْتين لم يُصْدروا الحُكْمَ أو الفَتْوىٰ إلَّا بَعْد أن يعرفوا الواقعَ الَّذي يُحِيط بها، أو يُؤثِّر فيها، وإِنْ كنتم تُريدون بفِقْه الواقع الاطِّلاع عَلَىٰ أَسْرار الدُّول، وأخبار أَهْل العصر مِمَّا يُكتَب في الجرائد والمجلَّات، أو تَتنَاقَله وسائلُ الإعلام، أو يَسْتنتجه المُحلِّلون السِّياسيُّون، أو غير ذَلِكَ، فإنَّ لأَهْلِ العِلْم



شُغْلًا بأَعْمالهم الَّتي نِيطَتْ بهم، وأُوكِلَتْ إليهم من الفَتْوىٰ والتَّدريس والدَّعوة إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يَتَّسع معه لشيءٍ آخر مع أنَّهم لهم قدرةٌ محدودةٌ، وهذا من خَصَائص وزارة الدِّفاع في كلِّ بلدٍ، أي: التَّنبُّه لمَكَائِدِ الأَعْداءِ ومُخططَّاتهم، والإعدادُ لكلِّ أمرٍ بما يناسبه.

❁ **وأخيرًا:** فإنِّي أَنْصحك بأَنْ تَبْتعدَ عنهم، وتهربَ منهم بعد أن تقرأ عَلَيهم هَذِهِ الإجابةَ المختصرةَ، فإِنْ أطاعوكَ ورَجَعوا وإلَّا فَابْتَعِدْ عَنْهم وَعَنْ مُجالَستِهِمْ، والسَّلام.

❁ **وأخيرًا،** فمن هَذَا يَتبيَّن أنَّ السُّروريَّةَ وليدةُ الإخوانيَّة، وتَحْذو حَذْوها في سبِّ الحُكَّام ولَعْنهم وإن ادَّعىٰ مُؤسِّسها أنَّه عَلَىٰ المنهج السَّلَفيِّ إلَّا أنَّ واقعَ السُّروريَّة الَّذي علمناه خلاف ذَلِكَ، ولستُ أقطع بأَنَّ هَذِهِ الجماعةَ تابعةٌ له إلَّا أنَّ الاسمَ يدلُّ عَلَىٰ المُسمَّىٰ، وكونه يقول: إنَّه لم يسمِّ جماعتَه بهذا الاسم، فلعلَّه سَمَّاها بهذا الاسم بعضُ أتباعِهِ [١]، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا مَنْ وَلِيَ عليه والٍ، فرآه يَأْتي شيئًا من مَعْصيةِ الله، فَلْيَكرَه ما يَأْتِي، ولا يَنْزعنَّ يدًا مِنْ طَاعةٍ**»[٢]، فما كانَ سبُّ الحُكَّامِ المُسْلِمينَ وَلَعْنهم من مَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ، ولا مِنْ طَرِيقهم، ولا يَمُتُّ إِلَىٰ مَنْهجهم بِصِلَةٍ، وإنَّما هو مَنْهجُ الخوارجِ الَّذين يُكفِّرون بالكبيرة.

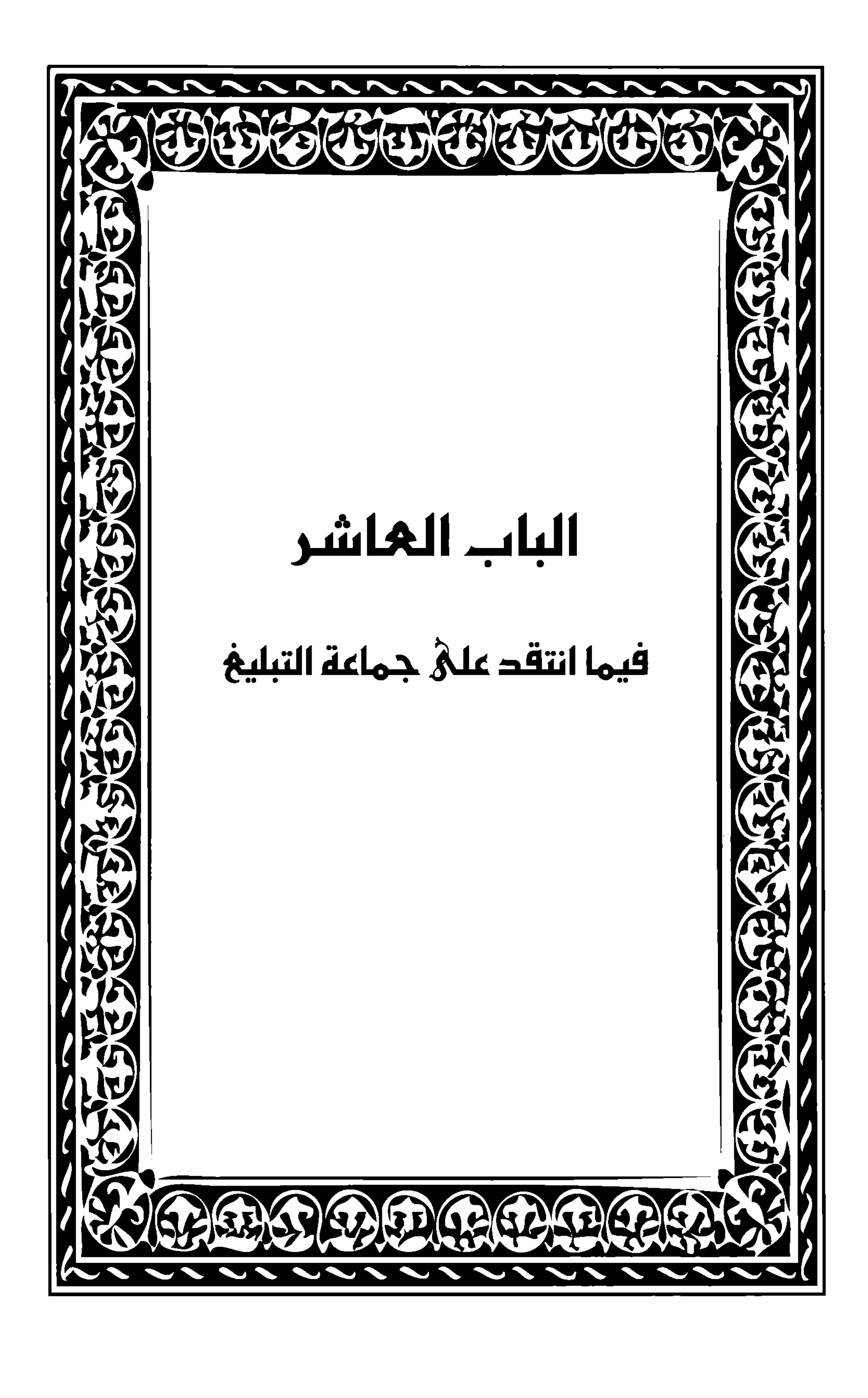
---

(١) علمًا بأنَّ كل قوم يسمُّون باسم قائدهم ومتبوعهم غالبًا؛ كالأشعرية، والماتريدية، والجهمية، والحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وما أشبه ذلك.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أمَّا القُطبيُّون: فهُمْ قومٌ دَرَسوا كُتُبَ سيد قطب، وتَابَعوه في كلِّ ما قاله واعْتَقده، بل وَعظَّموه كلَّ التَّعظيم مِمَّا جَعَلهم يَتَّخذون كلَّ ما قالَه في كُتُبِهِ حقًّا وَصَوابًا وإِنْ خالفَ الأدلَّةَ، وبَايَنَ منهجَ السَّلَف، ويَتَّضح ذَلِكَ من الثَّورة الكلاميَّة، والإشاعاتِ الإعلاميَّةِ الَّتي أَشَاعوها ضدَّ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حين ردَّ عَلَىٰ سَيِّد قطب في بَعْض الأخطاءِ الاعتقاديَّة الفَظِيعة، وَجَعَلوه مُتجنِّيًا عليه، وظالمًا له، ولم يَحْملهم الإنصافُ أَنْ يعودوا إِلَىٰ تِلْك الأماكنِ والأَرْقامِ الَّتي أشارَ «ربيع» في كتابِهِ إليها كالنَّيْل من نبيِّ الله مُوسَىٰ عليه السلام، والتَّحامل عَلَىٰ عثمان رضي الله عنه، وإِسْقاط خِلَافتِهِ من بَيْن خلافة الخُلَفاء الرَّاشدين، وجعلها فجوةً بَيْنها، ونَيْله من باقي الصَّحابة، وجَهْله بتَوْحيد الأُلُوهيَّة، وسُلُوكه مَذْهب الأشاعرة في تَأْويل الصِّفاتِ، وتَمْييعه لكثيرٍ من المَسَائل العَقَديَّة، وغير ذَلِكَ، فاللهُ المُسْتعانُ.

❁ ❁ ❁



الباب العاشر

فيما انتقد على جماعة التبليغ

الباب العاشر
فيما انتقد على جماعة التبليغ

جماعة التَّبليغ هِيَ واحدةٌ من الجماعاتِ الدَّعويَّة المَوْجودة عَلَىٰ السَّاحةِ، وقَدْ تَأسَّستْ في مُنْتصف القرن الرَّابع عشر الهجري -أي: القرن الماضي- عَلَىٰ يد المُؤسِّس لها، وهو الشَّيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي.

❁ ترجمة المُؤسِّس:

وُلِد مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة وهو مُحمَّد إلياس عام ١٣٠٢هـ وحَفِظ القرآن، وقرأ الكُتُبَ السِّتَّة في الحديث عَلَىٰ المَنْهج الديوبندي الحنفيِّ مَذْهبًا، الأشعريِّ الماتريديِّ عقيدةً، الصُّوفيِّ طريقةً.

□ والطُّرق الَّتي عندهم أربعُ طرقٍ، وهي:

١ـ الطَّريقة النَّقشبنديَّة.

٢ـ الطَّريقة السَّهْرورديَّة.

٣ـ الطَّريقة القادريَّة.

٤ـ الطَّريقة الجشتية.

وقَدْ أَخَذ الشَّيخُ محمد إلياس المذكور البيعةَ الصُّوفيَّةَ عَلَىٰ يد الشَّيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثمَّ جدَّدها بعد مَوْت الشَّيخ رشيد عَلَىٰ يد الشَّيخ أحمد السهارنفوري الَّذي أَجازَه في المُبايَعة عَلَىٰ النَّهجِ الصُّوفيِّ المعروف، وكانَ يجلس في الخَلْوة عند قبر الشَّيخ نور محمد البدايوني، وفي المُرَاقبة الجشتية كانَ يجلس عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي[1] الَّذي كانت تُسَيطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود [2]، أقامَ ودَرَس ودرَّس وماتَ في دلهي سنة ١٣٦٣هـ.اهـ. من كتاب: «حقيقة الدَّعوة إِلَىٰ الله» للشَّيخ سعد بن عبد الرَّحمن الحصين، بِتَصرُّفٍ.

□ **ظروف نشأتها:**

يَرَىٰ الشَّيخُ أبو الحسن الندوي أنَّ الشَّيخ محمد إلياس لجأ إِلَىٰ هَذِهِ الطَّريقة في الدَّعوة حين أَعْيَته السُّبُلُ التَّقليديَّةُ في إِصْلاح أَهْل منطقتِهِ[3]، وينقل الشَّيخ ميان محمد أسلم عن مَلْفوظاتِ إلياس لمحمد منظور النعماني قول الشَّيخ محمد إلياس نفسه أنَّه انكشفَ له عَلَىٰ هَذِهِ الطَّريقة بأَنْ أُلْقِي في رُوعِهِ في المنام تفسيرٌ جديدٌ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠].

---

(١) جماعة التبليغ لـ(ميان محمد أسلم) (ص١٢، ١٣) بواسطة كتاب: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للشيخ سعد الحصين.

(٢) الإمام السرهندي؛ حياته وأعماله: أبو الحسن الندوي (ص١١٨) بواسطة المصدر أعلاه.

(٣) من رسالة للشيخ أبي الحسن الندوي، كتبها إلىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز تأييدًا للجماعة في ١٨/ ٥/ ١٤٠١هـ. بواسطة «حقيقة الدعوة إلىٰ الله».

يَقْتضي الخُرُوجَ للدَّعوة إِلَىٰ الله، فإنَّها لا تَتحقَّق بالإقامة في مكانٍ واحدٍ بدليل قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ وأنَّ الإيمانَ يزدادُ بالخُرُوج، بدليل قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ بعد قولِهِ: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وأنَّ المرادَ بقولِهِ: ﴿أُمَّةٍ﴾: العرب، والمراد بقولِهِ: ﴿لِلنَّاسِ﴾: العجم.

□ **ويُلاحَظ عَلَى هَذَا المقطع ما يلي:**

❁ **أوَّلاً:** أنَّ القرآنَ لا يُفسَّر بالكُشُوفاتِ والأَحْلامِ الصُّوفيَّةِ الَّتي يكون أَغْلبُها -بل كلُّها- من وَحْي الشَّيطان.

❁ **ثانيًا:** يظهر ممَّا سبق أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة غارقٌ في الصُّوفيَّةِ من أَخْمُصِه إِلَىٰ مُشَاشِهِ، فهو أَخَذ بَيْعتين فيها، وفُتِنَ بِطَوَاغِيتها، وأَمْضَىٰ وَقْتَه في الجُلُوسِ عَلَىٰ قُبُورِهم.

❁ **ثالثًا:** أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة قُبُوريٌّ خُرَافيٌّ، ويظهر ذَلِكَ من قولِهِ، وكانَ يجلسُ في الخلوة عند قَبْر الشَّيخ نور محمد...إلخ، وذكر عن الثَّاني أنَّه كَانَتْ تُسَيْطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود، عياذًا بالله، فكيفَ يُوجَد الخيرُ عند مَنْ يَعْكف عَلَىٰ قبر مَنْ كانت تُسَيْطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود؟! وإِنَّ عُكُوفَه عند قبر مَنْ كانت تُسَيْطر عليه هَذِهِ الفكرة لَدليلٌ واضحٌ أنَّه يُؤمِنُ بها، ولَوْ لم يكن يُؤمِن بها لَمَا فَعَل ذَلِكَ.

□ **ما هي وحدةُ الوُجُود؟**

❁ **وحدةُ الوُجُود:** فكرةٌ إلحاديَّةٌ يُؤمِن بها زنادقةُ الصُّوفيَّةِ، يَتغنَّون بها في أَشْعارِهِمْ، ويُعبِّرون عَنْها في مَقَالاتِهم، وأَمَامي الآن عددٌ كبيرٌ من عِبَاراتِهم الدَّالَّة

عَلَىٰ سخف عُقُولِهِم، وسوء عَقِيدتهم، وخُبْث ما يَنْطوون عليه من الكُفْر القَذِر، والزَّندقةِ المُلْحدةِ الَّتي تَقْشعرُّ القُلُوبُ من سَماعِها، ويعفُّ اللِّسانُ عن النُّطقِ بها وإِسْمَاعها، ويَتحرَّج الإنسانُ من كِتَابِتِها، وقَدْ قيل: «كَفَاك من شرٍّ سماعُهُ»، لكن لا بدَّ من كتابةِ شيءٍ منها ليستدلَّ به عَلَىٰ ما وراءه، وللشَّيخ عبد الرَّحمن الوكيل رئيس أنصار السُّنَّة بمصر سابقًا كتابٌ صغيرُ الحجم، عظيمُ الفائدة، اقتنيتُهُ قبل سنواتٍ، ولمَّا قرأتُهُ، كتبتُ عليه هَذِهِ العبارة -وإنِّي لأَعدُّها من صَالِح عَمَلي: «رحمك الله يا عبد الرَّحمن، لقَدْ سَجَّلتَ -حقًّا- في هَذَا الكتابِ، وكشفتَ السِّتْرَ المفتعلَ عَلَىٰ تلك الأَصْنام الجوفاء الَّتي كانت ومازالت بَقَاياها تَقْذفُ أخبثَ الكفر وأَقْذَره، وتزعم أنَّه عينُ التَّوحيدِ، وتُضْفِي هالةً من القَدَاسة عَلَىٰ قَائليه الضُّلَّال، مُعْتقدين فيهم أنَّهم أولياءُ الله في الوُجُودِ، وخَاصَّته من بَيْن العباد حتَّىٰ بَيَّنَ اللهُ أَمْرَهم عَلَىٰ يديك».اهـ.

وإنِّي لأحثُّ جميعَ طُلَّاب العِلْمِ عَلَىٰ اقْتِنَاءِ هَذَا الكتابِ وقِرَاءتِهِ، واسم هَذَا الكتابِ: «هذِهِ هِيَ الصُّوفيَّةُ».

أيُّها القَارِئُ الكريمُ، أَرْجو مِنْك المعذرةَ إِنْ رأيت في هَذِهِ الكتابة ما يقرف مَسَامعك، ولرُبَّما أسالَ مَدَامعك من وَصْف الصُّوفيَّة المارقة للرَّبِّ -جلَّ وعَلَا- أنَّه حلَّ في مَخْلُوقاتِهِ، أو اتَّحد بها، جلَّ ربِّي وعزَّ وتَقدَّس وتَعَالىٰ عمَّا يقول الظَّالمون علوًّا كبيرًا.

قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن الوكيل -رحمه الله وأَسْكنَه فسيحَ جنَّاته- في كتابِهِ: «هذِهِ هي الصُّوفيَّة»: «آلهة الصُّوفيَّة، ثمَّ قال: يَفْتري الصُّوفيَّةُ أنَّهم الَّذين يَعْرفون اللهَ معرفةً لا يمسُّ يَقِينَها ريبٌ، ولا يَشُوب جلالَ الحقِّ فيها

شُبَهٌ، ويَصِمُونَ المُسْلمين بعَمَىٰ البصيرة، وعمه العَقْل، وخَطَلِ الفِكْر، وجُمُودِ العَاطفةِ، وفَسَادِ الذَّوقِ، وخُمُودِ جَذْوة الحياةِ في الشُّعُورِ، والإغراق العَمِيق في المادَّة الصَّمَّاء، والجُمُود الأَحْمق عَلَىٰ عِبَادةِ التَّاريخ، وما زَالَتْ تِلْك دَعْواهم، فما الرَّبُّ الَّذي يَعْبدونه؟ وإِنْ شئت إِحْكامَ الدِّقَّة، فَسَلْهُمْ مَا الرَّبُّ الَّذي اخْتلَقُوه ثمَّ عَبَدوه؟!

نَاشَدْتُكَ الله، إِنْ مَسَّك فيما أقول وَهْمٌ وريبةٌ، أو فتنتك مِنْهم عن الحقِّ غزلُ ابتسامةٍ، أو تَرْنيمةُ عاشقةٍ بتسبيحةٍ أو دعاءٍ، ناشدتك الله إلَّا ما قرأت شيئًا من كُتُبهم لتعرفَ ربَّ الصُّوفيَّة الأعظمَ، اقرأ من «الفُتُوحات»، أو «الفُصُوص»، أو «ترجمان الأشواق»، أو «عنقاء مغرب»، أو «مواقع النُّجُوم»، وكلُّها لابن عربي، واقرأ «من الإنسان الكامل» للجيلي، واقرأ من «تَائيَّة ابن الفارض»، واقرأ من «الطَّبَقَات والجواهر والكبريت الأحمر» للشعراني، واقرأ من «الإبريز» للدباغ، و«الجواهر والرماح» للتيجاني، و«روض القُلُوب المُسْتطاب» لحسن رضوان، بل اقرأ حتَّىٰ «مجموع الأوراد» الَّتي يَتعبَّدون بها الآنَ، «ودلائل الخيرات»، و«أحزاب الكهنة منهم في العشايا والأسحار».

إنَّ الصُّوفيَّة تَنْعت ابنَ عربيٍّ بأنَّه الشَّيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، وتخرُّ له ساجدةً، والجيليَّ بأنَّه العارفُ الرَّبَّانيُّ، والمعدنُ الصَّمدانيُّ، وابنَ الفارض بأنَّه سلطانُ العَاشِقِين، والشَّعرانيَّ بأنَّه الهيكلُ الصَّمدانيُّ، والقطبُ الرَّبَّانيُّ.

فما أَدْعوك -إذًا- إِلَىٰ كُتُبٍ تَنْقم مِنْها الصُّوفيَّة دلائلَ الحقِّ، وإشراق الهُدَىٰ، بل إِلَىٰ كُتُبٍ تُقدِّسها الصُّوفيَّة عَلَىٰ اخْتِلَافِ نَوَازِعهم، وتَبايُنِ

أَهْوائِهم، ويُجلُّونها، ولا أَعْدو الصِّدقَ إنْ قلتُ: يَعْبدونها، ويَرَوْنها الأُفُقَ الأَسْمىٰ لنور التَّوحيد، والمَنْبع السلسال لفُيُوضِ الرَّبَّانيَّة، فإن قرأتَ شيئًا من تِلْك الكُتُبِ فتَدبَّر بَعْده آيةً واحدةً من كِتَابِ الله، وَاقْذِفْ بنُورِ الحقِّ الإلهيِّ عَلَىٰ دياجير الباطلِ الصُّوفيِّ، وثمَّة يَرُوعك ويستفزُّ الغضاب الثَّوائر من لعناتك أن تجدَ الصُّوفيَّةَ تَدِينُ بربٍّ يَتجسَّد في أَحْقر الصُّور، وتَتعيَّن هُويَّته وإنيته في أنتن الجيف، وتَتمثَّل حَقِيقتَه الوُجُوديَّة صورُ أوهامٍ في الذِّهن الكليل، وظُنُونُ حَيْرىٰ في الكُفْر الضَّليل، وتهاويل أُسْطُوريَّة في الخيال.

ألم تُؤلِّه الصُّوفيَّةُ في دين كَاهِنِها التلمساني رِمَّةَ كلبٍ تَقزَّز من صَدِيدِها الدُّودُ، ثمَّ بعد ذَلِكَ يقول عبد الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إله ابن الفارض هُوَ مُؤْمنٌ ببِدْعةِ الوحدة، أي: وحدة الوُجُود، وسَمِّها بما شئتَ بصيرورة العبدِ ربًّا، والمَخْلوقِ خالقًا...» إِلَىٰ أن قال: «يؤمنون بأنَّ الرَّبَّ الصُّوفيَّ تَعيَّن بذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ وأفعالِهِ بصورٍ مَادِّيَّةٍ أو ذِهْنيَّةٍ، فكانَ حيوانًا وجمادًا وإنسًا وجنًّا وأصنامًا وأوثانًا، وكان وهمًا وظنًّا، وكانت صفاتُهُ وأسماؤُهُ وأفعالُهُ عين ما لِتِلْكَ الأشياءِ من صفاتٍ وأسماءٍ وأفعالٍ؛ لأنَّها هي هو في مَاهيَّته ووُجُودِهِ المطلق أو المقيَّد، وكُلّ ما يقترفُهُ البُغَاة، وما تنهش الضَّاريات من لُحُومٍ، وتعرق من عِظَامٍ، فهو فعلُ الرَّبِّ الصُّوفيِّ وخطيئته وجُرْمه...» إِلَىٰ أن قال: «وتَدبَّر ما سأنقلُ لَكَ عن ابن الفارض في «تَائيَّتِهِ» فلعلَّه يزول عجبك، ويفيء غضبك، يقول:

جَلَّـــت في تَجلِّيهـــا الوجـــود لنَـــاظِري

ففـــي كـــلِّ مرئـــيٍّ أَرَاهـــا بِرُؤيتِـــي

وأشـــهدُ غَيْبِـــي إِذْ بَـــدتْ فَوَجـــدتني
هنالـــك إيـــَّاها بجلـــوة خَلْـــوتِي
فَفِـــي الـــصَّحْو بعـــد المَحْـــو لَـــمْ أكُ غيرهـــا
وذاتـــي بـــذاتي إِذْ تَجلَّـــت تَجلَّـــتِ

إلىٰ أَنْ قالَ:

فـــإِنْ دعيـــت كُنْـــت المجيـــب وإِنْ أَكُـــنْ
منـــادى أَجَابـــت مَـــنْ دَعَـــاني ولَبَّـــتِ

يَقُول عبد الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ دَعَا اللهُ، أجابَ ابْنُ الفَارِض؛ لأَنَّه عينه، وإِنْ دَعَا ابنُ الفارضِ، لبَّىٰ اللهُ؛ لأَنَّه اسمه ومُسمَّاه... إِلَىٰ أن قال:

وَلَا فلـــك إلَّا ومـــن نـــور باطـــني
بـــه ملـــك يَهْـــدي الهُـــدَى بمَـــشِيئتِي
وَلَا قطـــر إلَّا حـــلَّ مـــن فَـــيْضِ ظَـــاهِرِي
بـــه قَطْـــرة عَنْهـــا الـــسَّحائبُ سَـــحَّتِ
وَلَـــوْلَاي لـــم يُوجَـــد وُجُـــودٌ ولـــم يَكُـــنْ
شُـــهُودٌ ولـــم تَعْهـــد عهـــودٌ بِـــذِمَّتي
فَـــلَا حـــيٌّ إلَّا مِـــنْ حَيَـــاتِي حَيَاتـــه
وطَـــوْع مُـــرَادِي كـــلُّ نفـــسٍ مُرِيـــدةِ

يَقُولُ: «إِنَّ كلَّ نَفْسٍ اسْتَمدَّتْ حَيَاتها من حَيَاة ابْنِ الفارضِ؛ لأَنَّه هُوَ الله» عليه لَعَناتُ الله المُتَتَابعة، ثمَّ يَقُول ابْنُ عربيٍّ:

«أمَّا الطَّاغوتُ الأكبرُ، فَقَدِ افْتَرىٰ للصُّوفيَّة ربًّا عجيبًا يجمعُ بَيْن النَّقيضينِ المتوتِّرين في ذاتِهِ، وبَيْن الحقيقتين في صفاتِهِ، فهو الوُجُودُ الحقُّ، وهو العَدَمُ الصِّرفُ، وهو الخَلَّاقُ، وهو المَخْلوق، وهو عَيْنُ كلِّ كائنٍ وصفاتِهِ، وعين صفاتِ كلِّ مَوْجودٍ وكلِّ مَعْدومٍ، هو الحقُّ الكريمُ، والباطلُ اللَّئيمُ، هو الفكرةُ العبقريَّةُ، والخرافةُ الحمقىٰ، هو الخاطرةُ المُلْهمةُ، والوهمُ الذَّاهلُ، والخيالُ الحيرانُ، والمستحيلُ الَّذي لا يتصور فيه العقل أبدًا... إِلَىٰ أن قال: هو المؤمنُ وهو الكافرُ، هو المُوحِّدُ الخالصُ التَّوحيد، وهو المشركُ الأصمُّ الوثنيَّة، هو الجمادُ الغليظُ، والحيوانُ ذو المشاعر المُرْهفة والحَساسية المُتوقِّدة، هو المَلاكُ السَّاجدُ تحت العرش، وهو الشَّيطانُ الَّذي يَصْرخ في سَقَر، هو القِدِّيسُ النَّاسكُ يذوب دَمْعُهُ في دُمُوع التَّسابيح، وهو العِرْبيدُ يضجُّ الماخور من بَغْي خَطَاياه...»، وَلَا أُرِيدُ أن أُطِيلَ عليك. انظر: «هذه هي الصُّوفيَّة» لعبد الرَّحمن الوكيل.

ثمَّ يقول: «الرَّبُّ هو صور العالم، أي: في عَقِيدة ابن عربيٍّ، وَاسْمَع إليه يُؤكِّد لكَ أنَّ ربَّه كلُّ ما ترىٰ من صُوَر العالم، هي ظاهر الحقِّ إِذْ هو الظَّاهرُ، وَهُو بَاطِنُها إِذْ هو الباطنُ، وهو الأوَّلُ إِذْ كانَ ولا هي، وهو الآخر إِذْ كانَ عَيْنها».اهـ. «الفُصُوص»[1].

ثمَّ قال: «التَّجسُّدُ في النِّساء» وإليك نصًّا واحدًا من نُصُوصِهِ يكشفُ لَكَ عن مَدَىٰ إيغال ابن عربيٍّ في عبادة الأنثىٰ: «ولمَّا أحبَّ الرَّجلُ المرأةَ، طَلَب الوصلة،

(١) (ص ١١٢) ط الحلبي.

أي: غاية الوصلة الَّتي تكونُ في المحبَّةِ، فلم يَكُنْ في صورة النَّشأة العُنْصريَّة أعظم من وصلة النِّكاح، ولهذا تعمُّ الشَّهوةُ أجزاءه كلَّها، ولذَلِكَ أُمِرَ بالاغْتِسالِ منه، فَعمَّتِ الطَّهارةُ كما عمَّ الفناءُ فيها عند حُصُولِ الشَّهوةِ، فإنَّ الحقَّ غيورٌ عَلَىٰ عبدِهِ أن يعتقدَ وأن يلتذَّ بغيره، فَطهَّره بالغُسْل، ليرجعَ بالنَّظَر إليه فيمَنْ فنىٰ فيه، إِذْ لا يكون إلَّا ذَلِكَ، فإذا شاهدَ الرَّجلُ الحقَّ في المرأة، كانَ مَشْهودًا في مُنْفَعلٍ، وإذا شَاهَده في نفسِهِ من حَيْث ظُهُور المرأة عنه، شَاهَده في فَاعلٍ، وإذا شَاهَده في نفسِهِ من غير اسْتِحْضارِ صُوَر ما تكون، كان شُهودُهُ في مُنْفعلٍ عن الحقِّ بلا واسطةٍ، فشهودُهُ للحقِّ في المرأة أتمُّ وأكملُ؛ لأنَّه يشاهد الحقَّ من حَيْث هو فاعلٌ بلا واسطةٍ، فشهودُهُ للحقِّ في المرأة أتمُّ وأكملُ؛ لأنَّه يشاهد الحقَّ من حَيْث هو فاعلٌ مُنْفَعلٌ». اهـ. «الفصوص»[1].

ثمَّ قال: «فَقْرُ الإله الصُّوفيِّ إِلَىٰ الخَلْق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

غير أنَّ الصُّوفيَّةَ تؤمن بإلَهٍ فقيرٍ إِلَىٰ الخَلْقِ، فقيرٍ إليهم في وُجُودِهِ، فقيرٍ إليهم في عِلْمِهِ، فقيرٍ إليهم في بقائِهِ، فقيرٍ إليهم في طعامِهِ وشرابِهِ، فقيرٍ إليهم في كلِّ شيءٍ، يهب له الظُّهور بعد الخَفَاء، والوُجُود بعد العَدَم، ويَحُول بَيْنهم وبَيْن الفَناءِ».

يقول ابن عربي: «فوجُودُنا وُجُودُهُ، ونَحْن مُفْتقِرونَ إليه من حَيْث وُجُودِنَا، وهو مُفْتقرٌ إلينا من حَيْث ظُهُورِه لنفسِهِ»، ويقول: «فأنتَ غِذَاؤُهُ

(١) (ص ٢١٧).

بالأَحْكامِ، وهو غِذَاؤُكَ بالوُجُودِ، فتَعيَّن عليه ما تَعيَّن عليكَ، والأمرُ منه إليك، ومِنْك إليه، غير أنَّك تُسمَّىٰ مُكلَّفًا، وما كَلَّفك إلَّا بما قلت له كَلِّفني بحالك، وبما أنتَ عليه، ولا يُسمَّىٰ مُكلَّفًا فيحمدني وأحمده، ويَعْبدني وأعبده»، ثمَّ ذكر عن الجيلي وادِّعائه الرُّبوبيَّة العُظْمىٰ حَيْث يقول:

فمَهْمـــا تَـــرَى مـــن مَعْـــدن ونباتـــه
وحيوانـــه مَـــعَ إنـــسِهِ وسَـــجَاياه

ومَهْمَـــا تَـــرى مِـــنْ أبحـــرٍ وقِفَـــاره
ومِـــنْ شَـــجرٍ أو شَـــاهقٍ طَـــالَ أَعْـــلاه

إلىٰ أن قال:

فـــإنِّي ذاك الكـــلُّ والكـــلُّ مـــشهدي
أنـــا المُتجلِّـــي في حقيقتِـــهِ لا هُـــوْ

وإنِّـــي ربٌّ للأنـــام وسَـــيِّد
جميـــع الـــوَرَى اســـم وذاتـــي مُـــسمَّاهْ

ثمَّ ذكر عن الغزاليِّ، وأنَّه يُدَنْدنُ بوحدة الوُجُود، فيقول: «العارفون بعد العُرُوج إِلَىٰ سماء الحقيقة اتَّفقوا أنَّهم لم يَرَوْا في الوُجُود إلَّا الواحدَ الحقَّ، ولكن مِنْهم مَنْ كان له في هَذِهِ الحالة عرفانٌ علميٌّ، ومنهم مَنْ صارَ له ذوقٌ وحالٌ، فَانْتفَتْ عَنْهم الكثرةُ بالكُلِّيَّة، وَاسْتَغرقوا بالفردانيَّة المحضة، فلَمْ يَبْقَ عِنْدهم إلَّا الله، فسكروا سكرًا وَقَع دُونَه سلطانُ عُقَولِهم، فقالَ بَعْضهم: أنا الحقُّ. وقال بَعْضُهم: سبحاني! ما أعظمَ شَانِي!

وقَالَ آخر: «ما في الجُبَّة إلَّا الله».

وكلام العُشَّاق في حال السُّكر يُطْوىٰ ولا يُحْكَىٰ».اهـ. من «هذه هي الصُّوفيَّة»[1].

وفي (ص ٥٧) قال المُؤلِّف: «إله ابن عامر البصري: ولكي لا تَرْتاب أنَّ ما ذكرته هو دين الصُّوفيَّة جميعًا من سَلَفهم إِلَىٰ خَلَفهم ومُعَاصريهم، أذكر لك دينَ بَعْض أَصْنامِهم الصَّغيرة، فَاسْمَع إِلَىٰ ابْنِ عامرٍ الَّذي عارض «تائيَّة» ابن الفارض بتائيَّةٍ مثلها؛ وزنًا ومعنىً، ولَطَّخها بنفس الزَّندقة الفارضيَّة، قال:

تَجلَّى لي المحبوبُ في كلِّ وجهةٍ
فشاهدتُهُ في كلِّ مَعْنى وصُورةِ

وخَاطَبَني منِّي بكشفِ سَرَائر
تَعالَتْ عَنِ الأَغْيارِ لطفًا وَجلَّتِ

فقَالَ أَتدْرِي مَنْ أَنَا قلتُ أنتَ يَا
مُنَادى أَنَا إِذْ كنتَ أنتَ حقيقة»

وفي (ص ٥٨) قال المُؤلِّف إله الصدر القونوي:

قال في كتابِهِ «مراتب الوُجُود»: «فالإنسانُ هو الحقُّ، وهو الذَّاتُ، وهو الصِّفاتُ، وهو العرشُ، وهو الكرسيُّ، وهو اللَّوحُ، وهو القلمُ، وهو الملكُ، وهو الجنُّ، وهو السَّماواتُ وكَوَاكبها، والأرضون وما فيها، وهو العَالَمُ

---

(١) (ص ٥٣).

الدُّنيويُّ، وهو العالمُ الأُخْرويُّ، وهو الوُجُودُ وما حَوَاه، وهو الحقُّ، وهو الخَلْقُ، وهو القديمُ، وهو الحادثُ».اهـ.

ثمَّ ذكر عن النابلسي وابن بشيش والدمرداش وابن عجيبة وحسن رضوان عباراتٍ تُفِيد أنَّهم يُؤْمنون بوحدة الوُجُود القذرة.

أمَّا صاحب «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مَرَّةٍ في التَّاريخ» وهو الشَّيخ مُحمَّد عبد الرَّؤوف القاسم، جزاه الله خيرَ الجزاءِ، فهو يقول:

«إنَّ الصُّوفيِّين كلَّهم من أوَّلهم إِلَىٰ آخِرِهم إلَّا المُبْتدِئين منهم، يُؤمِنون بوحدة الوُجُودِ، وما مَضَىٰ ومئات النُّصُوصِ التَّالية هي أدلَّةٌ وبراهين».اهـ. «الكشف»[1].

ويقول: «قبل الوُلُوج في مَتَاهاتِ النُّصُوصِ الصُّوفيَّة ودَهَاليزها الملتوية المُتعرِّجة، وزَحَاليقها المتقنة الصُّنع، قبل ذَلِكَ يجب أن نأخذَ فكرةً واضحةً عن الأَسَاليبِ الَّتي يَتَّبعونها في بَسْط أَفْكَارِهم وعَقَائِدهم في أَقْوالِهم وكِتَاباتِهم، في تَوَالِيفهم ودِعَايَاتِهم، لنستطيع فَهْم كَلَامِهم بوُضُوحٍ تامٍّ، وأن نعرفَ أغراضَه وأَهْدافَه، وبدون ذَلِكَ لا نَسْتطيعُ دراسةَ الصُّوفيَّة دراسةً صحيحةً، وسَتكُون دِرَاستُنا لأَسَالِيبِهم من أَسَالِيبِهم، ومن أَقْوالِهم وتَوَاصِيهم فيما بَيْنهم، سَنَرىٰ بوُضُوحٍ تامٍّ في هَذِهِ الدِّراسة ما يلي:

١ ـ هناك سرٌّ غريبٌ يَتواصَوْن بكتمانِهِ عن غير أهلِهِ.

---

(١) (ص ١٠٥).

٢ـ أهلُ هَذَا السِّرِّ هُم الصُّوفيَّة.

٣ ـ هَذَا السِّرُّ هو كفرٌ وزندقةٌ، يُقتَل مَنْ يَبُوح به عَلَىٰ أنَّه مُرْتدٌّ عن الإِسْلامِ.

٤ـ يقسمون المجتمعَ الإسلاميَّ إِلَىٰ صِنْفينِ:

أ ـ أَهْلِ الشَّريعةِ، ويُسمُّونهم أهلَ الظَّاهر، أو أَهْلَ الرُّسُوم، أو أَهْلَ الأَوْراق، أو العامَّة.

ب ـ أَهْلِ الحقيقة، وهُم الصُّوفيَّة، ويُسمُّونهم أيضًا أَهْلَ البَاطِنِ، وأَهْلَ الأَذْواقِ أو الخاصَّة، وخاصَّة الخاصَّة، وهُمْ كِبَارهم.

٥ ـ يَتَوَاصوْنَ دائمًا وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ أن يُظْهِروا لأَهْلِ الشَّريعة ما يُوافِقهم من الأَحْكامِ الإِسْلاميَّة، وأن يَكْتُموا عَنْهم ذَلِكَ السِّرَّ حتَّىٰ لا تُبَاح دِمَاؤُهُمْ.

٦ ـ لا يُعرَف هَذَا السِّرُّ إلَّا بالذَّوق، أَنْ يَذُوقَه الإنسانُ بنفسِهِ، وضَرَبوا لذَلِكَ مثلًا باللَّذَّة الجنسيَّة، لا يَعْرفها إلَّا مَنْ ذَاقَها.

٧ ـ في العادة يَرْمزونَ إِلَىٰ الذَّاتِ الإلهيَّة بأسماءٍ مُؤنَّثةٍ، مثل: ليلىٰ وبثينة وغيرها.

قَاتَلهم اللهُ أَنَّىٰ يُؤفَكون». اهـ. «الكشف»[1].

لقَدْ ملأ كتابَ «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مَرَّة» مُؤلِّفُهُ بمئاتِ النُّصُوص

(١) (ص ١٧، ١٨).

الصُّوفيَّة الَّتي تُفِيد أنَّ أَصْحابَها يؤمنون بوحدة الوُجُود، وخَصَّص لها بابًا أو فصلًا في (ص١٠٥) قال فيه: «الفصل الثَّالث وحدة الوُجُود عقيدةُ كلِّ الصُّوفيَّة، وساقَ فيه نُصُوصًا كثيرةً جدًّا في مئةٍ وسبعٍ وخمسين صفحةً (١٥٧)، ولَوْلا أنِّي أَخْشَىٰ عليك الملَلَ والسَّآمةَ، لأوردتُ كثيرًا منها؛ لا حبًّا في تلك النُّصُوصِ، ولا رغبةً في سَمَاع أو كتابةِ ما فيها من الكُفْرِ والزَّنْدقةِ، ولكن رغبةً في إقناع أقوامٍ لا يُصدِّقون في فلانٍ وفلانٍ أنَّ صُوفيَّتهم صُوفيَّةٌ مَذْمُومةٌ، وكأنَّهم قَدْ تَيقَّنوا أنَّ الصُّوفيَّةَ منها ما هو مَذْمومٌ، ومِنْها ما هو غير مَذْموم، ولنعلم أنَّ الصُّوفيَّةَ كلَّها مَذْمومةٌ؛ لأنَّ مَنْ لم يؤمن بوحدة الوُجُودِ منهم قَدْ اسْتَمْرأها من غيره، فسَكَت عنها ولم يُنْكرها، ولم يُنْكر عَلَىٰ أَصْحابِها، وربَّما عَظَّمهم، وتعظيمُهُ إيَّاهم عَلَىٰ ما عِنْدَهم من الكُفْر جريمةٌ كُبْرىٰ، ومن جهةٍ أُخرىٰ، فإنَّ مَنْ دَخَل في الصُّوفيَّةِ أقلُّ أحوالِهِ أن يَسْتَمرئ الشِّرْكَ الأكبرَ، فلا يُنْكره، بل يَرَاه حسنًا أو مباحًا، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون، ماذا جرَّت الصُّوفيَّةُ عَلَىٰ الإِسْلَام من بلاءٍ، وماذا خَرَّبت فيه من تخريبٍ.

❏ **وأخيرًا:**

فإنَّ عقيدةَ وحدة الوُجُود عقيدةُ إلحادٍ وزندقةٍ وتأليهٍ للمادَّة، وهي في ذَلِكَ تُشَابه الشُّيوعيَّةَ شبهًا بَيِّنًا، فالشُّيوعيَّةُ شِعارُها: «لا إلهَ، والحياةُ مادَّةٌ»، فَأَلَّهوا بذَلِكَ المادَّةَ، وهي كلُّ ما نراه في هَذَا الكونِ، والصُّوفيَّةُ يَقُولون في وحدة وُجُودِهم: «لا شيءَ في هَذَا الكون سِوَىٰ الله»، وكلُّ ما نراه ونَسْمعه ونُحسُّه بأيِّ نوعٍ من أَنْواعِ الإِحْساسِ فهو الله، فهو الإنسُ والجنُّ والملائكةُ، وهو الطَّيرُ والهوامُّ والحشراتُ الزَّاحفةُ، وهو البحرُ المائجُ، والبرُّ المترامي،

والهواءُ الطَّلْق، وهو الشَّجَرُ والحَجَرُ، وهو الجِيفةُ العفنةُ والشَّهوةُ العارمةُ، وهو الحيُّ الحياة الَّتي تَسْري في الأحياءِ، وهو الموتُ الَّذي يُصيِّر المَيِّتَ جُثَّةً، وهو الَّذي يولد ويموت، وهو كلُّ شيءٍ».

وبقليلٍ من التَّفكير نَرَىٰ أنَّ كلَّ ما قالوه هو المادَّةُ الَّتي أَلَّهها الشُّيوعيُّون، ويَتَّضح لنا أنَّ هَذِهِ الأشياءَ قائمةٌ بنفسها، وأنَّ الخالقَ لها والمُتصرِّفَ فيها هو الله الَّذي اتَّفَقت عَلَىٰ إنكارِهِ النِّحلةُ الشُّيوعيَّةُ، والنِّحلةُ الصُّوفيَّةُ، سواء كان ذَلِكَ بقصدٍ أو بغير قصدٍ.

ولقَدْ عَقَد مُؤلِّفُ كتاب «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مرَّة» فصلًا في آخر كتابِهِ ببيان التَّشابه بَيْن الصُّوفيَّة والشُّيوعيَّةِ، وهو آخرُ فصلٍ فيه (ص ٨٧١) قَالَ فيه: هناك تشابهٌ عجيبٌ بَيْن الصُّوفيَّة والشُّيوعيَّة، ومن وُجُوه هَذَا التَّشابه:

١ ـ الصُّوفيَّةُ والشُّيوعيَّةُ تَلْتقيان بعقيدة وحدة الوُجُود، والخلافُ بَيْنهما لفظيٌّ، فالصُّوفيَّةُ تقول: «لا موجودَ إلَّا الله، وكلُّ الموجودات هي الله»، والشُّيوعيَّون يقولون: «لا إلهَ موجودٌ»، إذًا فالخلافُ في التَّسمية فقط، هؤلاء يُسمُّونها الله -تَعَالىٰ اللهُ عن قَوْلهم- وهؤلاء (أي: الشُّيوعيَّة) يُسمُّونها المادَّة.

٢ ـ الصُّوفيَّةُ والشُّيوعيَّةُ تَلْتقيان في الكذبِ الَّذي لا يَعْرف الحُدُودَ، فالصُّوفيَّةُ يَكْذبون عَلَىٰ الله ومخلوقاتِهِ من العرش إِلَىٰ الفرش من دون خوفٍ ولا حياءٍ، والشُّيوعيُّونَ شِعَارُهُمْ: أَكْذِبُ، ثمَّ أَكْذِبُ، ثمَّ أَكْذِبُ، وسوف يُصدَّق الكذبُ.

٣ ـ تَلْتقيانِ في الكَيْد للدِّين والمَكْر به، مثلًا تقول الصُّوفيَّةُ: إنَّ الصُّوفيَّةَ

نَزلَتْ وَحْيًا من اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وكان مُحمَّدٌ ﷺ صُوفيًّا، وأخذَ الطَّريقة عنه أبو بكرٍ وعمر وعليٌّ وغيرهم، والشُّيوعيُّون يقولون: إنَّ الإسْلَامَ دينُ الاشتراكيَّة، وقَدْ كانَ مُحمَّدٌ ﷺ اشتراكيًّا.

قلتُ[1]: وتَلْتقيانِ في العَدَاءِ للدِّين الصَّحيح، وهو دينُ التَّوحيدِ والحقِّ والعدلِ والعقيدةِ الصَّحيحةِ، فالصُّوفيَّةُ تخصُّ بعَدَائها السَّلَفيِّين، وتُسمِّيهم الوَهَّابيِّين مع أنَّها تَتعَاطف مع سَائِر النِّحَل الوثنيَّة والباطلة حتَّىٰ ولو كانوا مِمَّنْ يَزْعمون لأنفسهم أنَّهم عَلَىٰ السُّنَّةِ والسَّلَفيَّةِ، وقَدْ رأينا كيفَ تَعَاطف الإخوانيُّون مع الشِّيعة وإمامهم الخميني، وزَعَموا أنَّ الشِّيعةَ هُمْ أهلُ الإِسْلَام الصَّحيح وَحْدهم، ونَسَوْا أو تَنَاسَوْا أنَّ الشِّيعةَ يُؤَلِّهون الأئمَّةَ، ويَسبُّون الصَّحابةَ، ويُبِيحونَ الزِّنا مُمثَّلًا في المُتْعة، أمَّا الشِّرْكُ فلَيْس من قَوَاعِدهم إنكاره، ولا مَحبَّة مَنْ ينكره.

والشُّيوعيَّةُ تُعَادي الإِسْلَامَ وحده، وتَتعَاطفُ مع سَائِر الأديانِ، فتَشَابَهتا في ذَلِكَ... ثمَّ قال:

٤ ـ وتَلْتقيانِ بتأْلِيهِ البشر وَعِبَادَتِهم وتَقْديسهم في حَيَاتِهم، وبَعْد مَوْتِهم، فالمُتصوِّفةُ يُؤَلِّهون سَدَنةَ الصُّوفيَّة وكَهَنتها (الشُّيوخ) بشكلٍ عامٍّ، وشيخِ طَرِيقتِهم بشَكْلٍ خاصٍّ، والشُّيوعيَّةُ يُؤَلِّهون الشُّيوعيَّةَ وكُهَّانها (ماركس ولينين وماوتسي تونغ) وغيرهم بشكلٍ عامٍّ، وحاكمِ بَلَدِهم بشكلٍ خاصٍّ.

٥ ـ تَلْتقيان في سجن الفَرْدِ المُنْتمي إليها في زنزانةٍ فكريَّةٍ لا تَسْمح له بالتَّطلُّع خارجها.

---

(١) القائل هو: شيخنا المؤلف -حفظه الله- محمد بن هادي.

٦ ـ تَلْتقيانِ أو تَتشَابهانِ في الغاية، فالصُّوفيَّةُ تُعِدُّ مُرِيدَها أن يكونَ هو الله المُتصرِّف في الكَوْن، والشُّيوعيَّةُ تُعِدُّ مُرِيدَها أن يكونَ سَيِّد مَصِيرِهِ.

٧ ـ تَدَّعي الصُّوفيَّةُ أنَّها الطَّرِيقُ إِلَىٰ السَّعادةِ الأبديَّة الَّتي لا تزيد عَنْ كَوْنِها تَلْبيسًا وخدعةً، والشُّيوعيَّةُ تَدَّعي أنَّها تُؤدِّي إِلَىٰ نَعِيم الإِنْسانِ والَّذي لا يَزِيد عن كونِهِ تَلْبيسًا وخدعةً.

٨ ـ كِلْتاهما تَنْبذان الآخرة، وقَدْ مرَّ مَعَنا قولهم: «وَاخْلَعْ نَعْليك؛ الدُّنيا والآخرة» إِلَىٰ أن قالَ: «تشابهٌ بَيْن الضَّلالتين يُثِير الانتباهَ، وتلاقٍ يَبْعث عَلَىٰ التَّساؤل».

□ **وَأَخيرًا**: فهذِهِ هي الصُّوفيَّةُ، وهذِهِ عَقِيدتُها، إيمانٌ بالمادَّة، وكفرٌ بالله، إيمانٌ بالكَشْف الشَّيطانيِّ للشُّيُوخ، وكفرٌ بالقرآن، تَصْديقٌ للخرافة، وجُحُودٌ للتَّوحيدِ، انغماسٌ في البِدَعِ، ورفضٌ للسُّنَن، إيمانٌ بالباطل، وكفرٌ بالحقِّ، تطاولٌ عَلَىٰ عَظَمة الله وأُلُوهيَّته، وادِّعاءٌ لها، أمنٌ مِنْ مَكْر الله، وتَجرُّؤٌ عَلَىٰ مَحارِمِ الله، وتَعدٍّ لحُدُودِهِ، وطغيانٌ وتجاوزٌ للحُدُودِ البشريَّة بناءً عَلَىٰ التَّخييلاتِ الشَّيطانيَّةِ الَّتي حَوَتْ كلَّ شرٍّ، وخَلَتْ من كلِّ خيرٍ.

□ **وبالجُمْلة**، فما كيدَ الإِسْلَامُ بشَيْءٍ أعظم من الصُّوفيَّةِ، فاللهُ المُسْتعانُ.

ظُرُوف نَشْأتها، أي: دَعْوة جماعة التَّبليغ:

يَرَىٰ أَبُو الحَسَنِ الندوي في كتابٍ كَتَبه للشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الشَّيخَ محمد إلياس لجأ إِلَىٰ هَذِهِ الطَّرِيقةِ في الدَّعوة بَعْد أن أَعْيَتْه السُّبُلُ التَّقليديَّة في إِصْلاح أَهْل منطقتِهِ[1].

---

(١) من رسالة كتبها أبو الحسن لسماحة الشيخ ابن باز تأييدًا للجماعة في ١٨/ ٥/ ١٤٠١هـ بواسطة «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» (ص٦٣).

قلتُ: أيُّ إصلاحٍ يُرجَىٰ مِمَّنْ يؤمن بوحدة الوُجُود، إنْ كانَ المقصودُ هو الإصلاح الصَّحيح، أمَّا الإصلاحُ في حسبانهم فهو إدخالُ العامَّة في صُوفيَّتهم وَوَثنيَّتهم، إيمانٌ بالقُبُور، وعُكُوفٌ عليها، وتأليهٌ لأَصْحابها.

قال (أي: **الحصين في «الدَّعوة إِلَىٰ الله»** (ص ٦٣): «وينقل الشَّيخ محمد أسلم عن مَلْفوظاتِ[1] إلياس لمحمد منظور النعماني، قول الشَّيخ محمد إلياس نفسه: «إنَّه انْكَشَف عَلَىٰ هَذِهِ الطَّريقة بأَنْ أُلْقِي في رُوعِهِ في المنام تفسيرٌ جَيِّدٌ لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠]، يَقْتضي الخُرُوجَ للدَّعوة إِلَىٰ الله، فإنَّها لا تَتَحقَّق بالإقامةِ في مكانٍ واحدٍ بدليل قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ وأنَّ الإيمانَ يَزْداد بهذا الخُرُوج، بدليل قولِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ بعد قولِهِ: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وبعد قولِهِ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وأنَّ معنىٰ ﴿أُمَّةٍ﴾: العرب. ومعنىٰ ﴿لِلنَّاسِ﴾: الأعاجم، أمَّا العرب فقَدْ قِيلَ في حَقِّهم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢٢].

وقال: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام:١٠٧]».

□ **وتعليقي عَلَىٰ هَذَا المقطع ما يلي:**

١ ـ أنَّ القرآنَ لا يُفسَّر بالمناماتِ والكُشُوفِ الصُّوفيَّة الَّتي هي من الشَّيطان.

٢ ـ قوله: «إنَّ الدَّعوةَ لا تَتحقَّق إلَّا بالخُرُوجِ، وأنَّها لا تَتحقَّقُ بالإقامةِ في

---

(١) «جماعة التبليغ» ميان محمد أسلم (ص ١٤) بواسطة «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للحصين (ص٦٣).

مكانٍ واحدٍ»: هَذَا كلامٌ باطلٌ، فقَدْ تَحققَّتْ دعوة النَّبيِّ ﷺ وهو مُقِيمٌ في مكَّة، وتَحقَّقتْ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو مقيمٌ بالدرعية، ومَنْ فَتحَ مدرسةً وعلَّم النَّاس، تَحقَّقت الدَّعوةُ عَلَىٰ يديه إذا أَخْلصَ ونصحَ وهو مقيمٌ، فالدَّعوةُ تَنْتشر وصَاحبُها مقيمٌ في مكانٍ مُعيَّنٍ.

٣ ـ وأمَّا قوله: «إنَّ الإيمانَ يزيدُ بالخُرُوجِ»، فهَذَا كلامٌ غير صحيحٍ أيضًا، بَلْ يزيدُ بالطَّاعة أيًّا كان نَوْعها إذا توفَّر فيها شَرْطا القَبُول، بأَنْ تكونَ خالصةً لله، وصوابًا عَلَىٰ ما شَرَعه رَسُولُهُ ﷺ؛ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۝٧٦﴾ [مريم:٧٦].

فَقِرَاءةُ القرآنِ بالتَّدبُّر، وقراءةُ السُّنَّةِ، والتَّفقُّهُ في الدِّين، والذِّكْرُ المَشْروع، ونَوافِلُ الصَّلاةِ والصَّدقةِ والصَّومِ، وغير ذَلِكَ، هَذِهِ هي الَّتي تزيد في الإيمانِ، لَيْس مُجرَّد الخُرُوجِ.

٤ ـ أمَّا قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۝١١٠﴾ [آل عمران:١١٠].

فهَذَا قَدْ تَركَه التَّبليغيُّون مرَّةً واحدةً، فهُمْ حتَّىٰ الأمر بالمَعْروفِ صراحةً لا يَفْعلونه، ولا يُحبُّون مَنْ فَعَله، أمَّا النَّهي عن المنكر فإنَّهم لا يَقْتصرون عَلَىٰ تَرْكه، ولَكنَّهم يَغْضبون أشدَّ الغضبِ، وينفرون أشدَّ النُّفور مِمَّنْ ينكر منكرًا ولَوْ كان في البيان كما يَقُولون، ولو قالَ المُنْكِر له: ما بالُ أقوام كما قال النَّبيُّ ﷺ، فإنَّهم يَشْمئزُّون من ذَلِكَ جدًّا، وربَّما فَصَلُوه إنْ كانوا قَدْ أَدْخلوه في حِزْبهم.

٥ ـ أمَّا تفسير ﴿أُمَّةٍ﴾ بأنَّهم العرب خاصَّة، و﴿لِلنَّاسِ﴾ بأنَّهم العَجَم، فهَذَا التَّفسيرُ لم أرَ له فيه سَلفًا، بل الخطابُ لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ عامَّةً؛ عربهم وعجمهم، وفي الحديث: «أَنْتُمْ تُوفونَ سَبْعينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وأَكْرمُهَا عَلَىٰ الله»(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «نَحْن خيرُ النَّاس للنَّاسِ، نَسُوقُهم بالسَّلاسلِ إِلَىٰ الإِسْلامِ»(٢).

وقالَ عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «هُمُ الَّذين هَاجَروا من مَكَّة، وشَهِدوا بدرًا والحديبية»(٣).

وقال عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ فَعَل فِعْلهم، فهو مِثْلهم»(٤).

وفي الحديثِ الصَّحيح: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذين يَلُونهم، ثمَّ الَّذين يَلُونَهمْ»، الحديث(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣) (٢٠٠٣٧) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٤٠٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، قال: «خير النَّاس للنَّاس تأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم، حتىٰ يدخلوا في الإسلام».

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠١).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لو شاء الله لقال: «أنتم»، فكنا كلنا، ولكن قال: ﴿كُنتُمْ﴾ في خاصةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ومَنْ صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر».

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فتَبيَّن أنَّ الخيريَّة ثابتةٌ لهذه الأُمَّةِ عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَم، ولِصَدْر هَذِهِ الأُمَّة عَلَىٰ مَنْ بَعْدهم، وللسَّابقين إِلَىٰ الإِسْلَام، ونُصْرة النَّبيِّ ﷺ والجهاد مَعَه من الصَّدر الأوَّل عَلَىٰ غيرهم.

٦ ـ يَظْهر من فَحْوىٰ كلامِهِ أنَّ العربَ لَيْسوا بحاجةٍ إِلَىٰ تَذْكيرٍ؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال لنَبيِّه ﷺ في حَقِّهم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

وقَالَ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝١٠٧﴾ [الأنعام:١٠٧].

فإِنْ كان قَصْده هذا، فهو قولٌ باطلٌ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّىٰ تَضْطربَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذي الخَلَصة**»[1]، وهُوَ صَنمٌ لدوسٍ كَانُوا يَعْبدونَه في الجاهليَّةِ.

وقالَ أيضًا: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدي كفَّارًا يَضْربُ بَعْضُكمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[2].

٧ ـ قوله: «وأنَّ النِّيَّةَ في الدَّعوةِ إِلَىٰ إِصْلاح النَّفْس وصلاح الغير هي الدَّعوةُ المبنيَّةُ عَلَىٰ التَّوحيد، وأن تكونَ خالصةً لله، صوابًا عَلَىٰ شَرْعِهِ».

□ منهج دعوة التَّبليغ:

قال الشَّيخ سعد الحصين: «لا يُعْرف عن الجماعةِ إصدارُ وثيقةٍ واحدةٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. و«**الأليات**»: معناها: الأعجاز؛ جمع: أَلْيَة، والمراد: يضطربن من الطواف حول ذي الخَلَصَة، أي: يكفرون ويرجعون إلىٰ عبادة الأصنام وتعظيمها. و«دَوْس»: قبيلة من اليمن.

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عن مَنْهجها، فهي لا تَسْتخدم نُظُمَ الإدارة الحديثة في تَسْيير شُؤونِها، إنَّما يتمُّ التَّخطيطُ والتَّنفيذُ بالطَّريقةِ البسيطةِ الأُولَىٰ دون حاجةٍ إِلَىٰ الثَّقافةِ العالميَّةِ المستوردة.

ولا يَظْهرُ مِنْ مَنْهجِها للمُشَارِك العَادِي في نَشَاطها إلَّا قراءة السُّورِ العَشْر الأَخِيرة من القُرْآنِ مَعَ فَاتحةِ الكِتَابِ، والقِرَاءة في كِتَابِ «رياض الصَّالحين» للنَّووي، وكتاب «حياة الصَّحَابة» للكاندهلوي (قصص عن الصَّحابة لا يَثْبت أَكْثرُها)، وَهُمَا للعَربِ خاصَّةً، وكتاب «تبليغي نصاب» لمحمد زكريا، وهو لغير العرب، وهو فَضَائلُ الأَعْمال، ويقومُ عَلَىٰ القصَّةِ والحديثِ الضَّعيفِ والموضوعِ والخُرَافة والبِدْعة غالبًا، ولا يَخْلو من الشِّرْكِ، وسَأَعْرض منها أمثلةً قليلةً إن شاء الله.

يُضَاف إِلَىٰ ذَلِكَ أُصُول الجماعةِ السِّتَّة، وتَغلَّب عَلَيها في الأَعْوامِ الأخيرة تَسْميتها بـ«الصِّفاتِ السِّتِّ المختارة من صفات الصَّحابة»، ويَبْدو أنَّ قيادةَ الجماعة لجأتْ إِلَىٰ هَذَا التَّغيير للتَّخلُّص من اتِّهامها بِاسْتِبْدالِ أُصُولها السِّتَّة بأركانِ الإِسْلَام الخمسة.

□ **والأُصُولُ السِّتَّةُ أو الصِّفاتُ السِّتُّ كما تَرِد في خُرُوجهم، هي:**

١ـ تحقيق الكلمة الطَّيِّبة: «لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رَسُولُ الله».

٢ـ الصَّلاةُ ذات الخُشُوع والخُضُوع.

٣ـ العِلْمُ بالفَضَائلِ لا المسائل مع الذِّكْرِ.

٤ ـ إكرام المسلم.

٥ ـ تصحيح النِّيَّة.

٦ ـ الدَّعوةُ إِلَىٰ الله، والخُرُوجُ في سبيل الله (علىٰ منهج التَّبليغ).

ولكلٍّ من هَذِهِ الأُصُول أو الصِّفات مَقْصدٌ وفضيلةٌ وطريقةُ حُصُولٍ مُحدَّدٍ.

فمَقْصد «لا إله إلَّا الله» عَلَىٰ سبيل المثال: إخراجُ اليَقِينِ الفاسدِ من القلبِ عَلَىٰ الأشياء، وإِدْخَالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله، وأنَّه لا خالقَ إلَّا الله، ولا رازقَ إلَّا الله، ولا مُدبِّرَ إلَّا الله.

وفَضِيلتُهَا: قولُ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ: لا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَل الجنَّةَ**»[1].

وطريقةُ الحُصُولِ عليها: تَرْديدها[2].

□ **ومُلاحَظاتِي عَلَى هَذَا المقطع وعلى قولِهِ: «فمَقْصد «لا إله إلاَّ الله»:** إِخْراجُ اليقين الفاسد عَلَىٰ الأشياء، وإِدْخالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله»: أنَّه كلامٌ خطيرٌ يُقرِّر فيه قائلُهُ وحدةَ الوُجُود، ولكن في قالبٍ وعبارةٍ لا تُنكَر عليه، فاليقينُ الفاسدُ عند أصحاب وحدة الوُجُودِ هو التَّوحيدُ الَّذي جَاءَتْ به الرُّسُلُ، واعتقادُ أنَّ كلَّ ما في هَذَا الكون هو خَلْقٌ لله، وأنَّ الله مُسْتوٍ عَلَىٰ عرشِهِ، بائنٌ من خَلْقِهِ، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٢١).

(٢) من كتاب: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للحصين، جزاه الله خيرًا.

ولهذا يقولُ بَعْضهم وهو عبد السلام بن بَشِيش: «وزُجَّ بي في بحار الأَحَديَّة، وانْشلنِي من أَوْحالِ التَّوحيدِ، وأَغْرقني في عين بحر الوحدة حتَّىٰ لا أَرَىٰ ولا أسمعَ ولا أحسَّ إلَّا بها»(١).

فهُمْ يَعْتقدونَ أنَّ التَّوحيدَ أَوْحالٌ(٢)، ويَعْتبرون وحدة الوُجُودِ هي اليقينُ الصَّحيحُ، وأن تَتيقَّن أنَّ كلَّ ما تُشَاهده هو الله جلَّ الله عمَّا يقولون، ولكنَّهم يَتستَّرون عَلَىٰ ذَلِكَ، ويَأْتون بعباراتٍ مُحْتملةٍ حتَّىٰ لا يُحْكمَ عَلَيهم بالرِّدَّة، فيُقْتلوا، ويذهبَ القَبُولُ لهم عند العامَّة، والتَّصريحاتُ في كُتُبهم كثيرةٌ، لكنَّهم لا يَبُوحُونَ بها إلَّا عَلَىٰ أَمْثالِهم، فإذا ماتَ القائلُ، نَشَروا مَقُولاتِهِ، فإذَا قال أَحَدُهُمْ: «لا إله إلَّا الله»، فإنَّه يعتقدُ في هَذِهِ الكلمة أنَّه لا مَوْجودَ إلَّا الله، بمَعْنىٰ أنَّ كلَّ الموجودات هِيَ الله، وإنْ كنت في شكٍّ مِمَّا قرَّرته عَنْهم، فإليك هَذَا الذِّكْر، وهو من أذكار النَّقشبنديَّة.

قال في «الكشف عن الصُّوفيَّة»: «ومن أَذْكَار النقشبنديَّة: ذِكْر النَّفي والإثبات «لا إله إلَّا الله»، جاءَ في آدابِهِ ضاربًا بلفظ الجلالة إِلَىٰ القلب منفذًا إِلَىٰ قَعْره بقوَّةٍ يتأثَّر بحَرارتِها جميع البدن، مَعَ مُلَاحظة مَعْنىٰ هَذِهِ الجملة، وهو أنَّه لا مَقْصودَ إلَّا ذات الله تَعَالىٰ، ويَنْفي بشقِّ النَّفي «لا إله» جميعَ المُحْدثاتِ الإلهيَّة، ويَنْظرها بنَظَر الفَناءِ، ويثبت بشقِّ الإثبات «إلَّا الله» ذات الحقِّ تَعَالىٰ، وينظره بنَظَر البَقاءِ.

---

(١) «النفحة العلية في الأوراد الشاذلية» (ص ١٨).

(٢) انظر كتاب: «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» لمحمود عبدالرؤوف القاسم (ص٢٤٨).

ومَعْنىٰ «نظر الفناء» عندهم: أَنْ ينظر إِلَىٰ المَخْلوقاتِ مع تَعدُّدها وتَعدُّد أَسْمائِها وصِفَاتِها- أَنَّها شيءٌ واحدٌ، هو الله، جلَّ الله عمَّا يَقُولون، وتَعَالىٰ عُلوًّا كبيرًا»[1].

وقالَ في المَرْجِع السَّابق: «ومِنْ أَوْرادِهم -أي: الشَّاذليَّة- مُنَاجاة ابن عَطَاء الله، وتُقْرَأ في السَّحَر: إِلَهي كُلَّما أَخرَسني لُؤمِي، أَنْطقنِي كَرمُك، وكُلَّما أيأسَني أَوْصَافِي، أطمعتني مِنَّتُك، وتَردُّدي في الآثارِ، يُوجِبُ بُعْد المزار، فَاجْمعنِي عليك بخِدْمةٍ تُوصِلني إليك».

تأمَّل في العِبَاراتِ الآتية: «أيكونُ لِغَيْرِكَ من الظُّهُور ما ليس لكَ حتَّىٰ يكون هو المظهر لَكَ، مَتَىٰ غبت حتَّىٰ تحتاجَ إِلَىٰ دليلٍ يدلُّ عليك، ومَتَىٰ بعدت حتَّىٰ تكونَ الآثارُ هي الَّتي تُوصِل إليك، حَقِّقني بحَقَائِق أَهْلِ القرب، وَاسْلك بي مَسَالِكَ أَهْلِ الجذب، أنتَ الَّذي أَشْرقَتِ الأنوارُ في قُلُوبِ أَوْليائِك، أنتَ الَّذي أزلتَ الأغيارَ من أَسْرار أَحِبَّائك».اهـ[2].

□ **تَوْضيحُ هَذِهِ العبارةِ أو العباراتِ:**

مَعْنىٰ قولِهِ: «أيكون لِغَيْرك من الظُّهُور ما لَيْس لك حتَّىٰ يكونَ هو المظهر لك»:

يعني أنَّه لا يعقل في عُقُولِ أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ المُنْحرفة أن يكونَ لغيرِهِ من الظُّهُور ما لَيْس له حتَّىٰ يكونَ ذَلِكَ الغير هو المظهر له، وعلىٰ هَذَا

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٧).

فيكون: أنَّ كلَّ ما ظَهَر لك فرأيته ببَصَرِك، أو سَمِعتَه بأُذُنِك، أو لمستَه بِيَدِكَ، فهُو الله، عياذًا بالله من ذَلِكَ.

وعلىٰ هَذَا المعنىٰ يُحْمَل قولُهُ: «متىٰ غبتَ حتَّىٰ تحتاجَ إِلَىٰ دليلٍ يدلُّ عليك، ومتىٰ بعدتَ حتَّىٰ تكون الآثارُ هي الَّتي تُوصِل إليك»: يَعْني أنَّك لم تَغِبْ، بل أنتَ موجودٌ نَراكَ ونَسْمعك ونَلْمسك، فأنتَ الشَّمسُ، وأنتَ القمرُ، وأنتَ الكواكبُ، وأنتَ السَّماءُ، وأنتَ الأرضُ، وأنتَ الصَّخرُ، وأنتَ الإنسانُ، وأنتَ كلُّ شيءٍ نَراه ونَسْمعُهُ ونَلْمسُهُ، ولو كانَ حقيرًا كالكلبِ والخنزيرِ، أو مُسْتَقذرًا كالجيفِ والنَّتنِ.

اللَّهمَّ فَاكْتُبْ لَعَناتك المُتَتَابعةَ وغَضبَك المستمرَّ عَلَىٰ الصُّوفيَّةِ المارقةِ الَّذين يَزْعمون أنَّك حَلَلْتَ في الفَرْجِ المَنْكُوحِ، والطَّعامِ المأكولِ، والجيفةِ المُسْتحيلةِ.

فهَلْ هناك كفرٌ أعظمُ من هَذَا الكفر؟! كلَّا[1]!

---

(١) قال محمد زكريا الكاندهلوي في كتابه: «فضائل الصدقات» (ص٥٥٦): أريد أن أسجل هنا قصتين لأكابرنا كنموذج:

إحداها: رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرة الكنكوهي قدس سره، التي كتبها إلىٰ شيخه شيخ العرب والعجم، الحاج إمداد الله أعلىٰ الله مرتبته... يقول: «إنَّ إطالة الكلام إساءة أدب، اللهم اغفر، فإنَّما كتب بأمر الشيخ، أنا كذاب، أنا لا شيء، لا ظلَّ إلَّا ظلك، ولا وجود إلَّا وجودك، من أنا؟، لا شيء، وما أنا هو أنت، وتفريق أنا وأنت هو شرح محض، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقول أيضًا في كتابه: «تبليغي نصاب» فضائل القرآن (ص٣٠): «إنَّ الحق -سبحانه- منبع في الواقع لكل حسن وجمال، والحق أنَّه لا يوجد في الكون جمال سواه».

=

نقلتُ لَكَ هَذِهِ النُّقُولَ وهي قليلٌ من كثيرٍ، لتستيقن أنَّ ما قلته عَنْهم أنَّهم حِينَما يَقُولون: «لا إله إلَّا الله» إنَّما يَقْصدون مَعْنىٰ أنَّه لا يُوجَد إلَّا الله، وأنَّ هَذِهِ عَقِيدتُهم الَّتي يَتستَّرون عليها، وأنَّ معنىٰ قولِهِ: «إخراجُ اليقينِ الفاسدِ عَلَىٰ الأشياء، وإدخالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله»، لا يقصد به إلَّا هَذَا الاعتقاد الخبيث كما أوضحتُهُ سابقًا.

ومِمَّا يدلُّ عَلَىٰ صِحَّة ما أوضحتُهُ أنَّ محمد إلياس كان يجلسُ في المُراقَبة الجشتية عِنْدَ قَبْر عبد القدوس الكنكوهي الَّذي طَغَتْ عليه فكرةُ أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ، ولو كان مُنْكِرًا لهذه الفكرة ما جَلَس عند قبرِ مَنْ قالها، وأقرَّها، وتَفوَّه بها.

=

قلت: فانظر إلىٰ هذا الضلال والانحراف في عقيدة وحدة الوجود الكفرية عند شيخ الجماعة محمد زكريا الكاندهلوي.

وإذا أردت أخي المسلم معرفة ضلال هؤلاء، فاقرأ كتاب: «الديوبندية»، ففيه بيانٌ شافٍ لضلال وانحراف جميع مشايخ التبليغ في جميع أبواب العقيدة بلا استثناء، فجزىٰ الله مؤلفه خيرًا. محمد بن هادي.

فصل
فيما ذكره عنهم الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ

قال: «وأمَّا في بابِ السُّلُوكِ فهُمْ صوفيَّةٌ، والصُّوفيَّةُ من شرِّ أَهْلِ البِدَعِ، وقَدْ تقدَّم ذِكْر الطُّرُق الأربع الَّتي كانوا يُبَايعونَ أَتْباعَهم عليها -قال: هي الجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية- قال: ومِنْ أَوْرَادِهم: «إلَّا الله» أربع مئة مرَّةٍ، و«الله، الله» ست مئة مرَّةٍ يوميًّا، والأنفاس القدسيَّة عشر دقائق يوميًّا، وتَتحقَّق بالْتِصاقِ اللِّسان في سَقْف الفَمِ، والذِّكْر بإِخْراجِ النَّفَس من الأنف عَلَىٰ صورة لفظ «الله»، والمُرَاقبة الجشتية نصف ساعةٍ أسبوعيًّا عند أَحَد القُبُور بتَغْطية الرَّأس، والذِّكْر بهذه العبارة: «الله حاضري، الله ناظري»، وهذِهِ الأَوْرادُ بِدَعٌ وضلالاتٌ مخالفةٌ لما كان عليه رَسُولُ الله ﷺ، وأصحابُهُ، والتَّابعون لهم بإِحْسانٍ.

وقَدْ ذَكَر بعضُ العُلَماءِ عَنِ التَّبليغيِّين نوعًا آخر من الذِّكْر، وهو أنَّهم يُكرِّرون كلمة: «لا إله» ست مئة مرَّة، و«إلَّا الله» أربع مئة مرَّة، وذَكَر آخر عن عددٍ كثيرٍ من الرِّجال أنَّهم سَمِعوا جماعةً من التَّبليغيِّين الهنود وهُمْ في بيتٍ في شارع المنصور في مكَّة يُكرِّرون كلمة «لا إله» نحوًا من ست مئة مرَّة، ثمَّ بعد ذَلِكَ يُكرِّرون كلمة «إلَّا الله» نحوًا من مئتي مرَّة، ويقولون ذَلِكَ بصوتٍ

جماعيٍّ مُرْتفعٍ يَسْمعه مَنْ كان فِي الشَّارع، وذَلِكَ بحضرة شيخٍ من كِبَارِ مَشَائخهم الهنود، وقَدِ استمرَّ فِعْلهم هَذَا مُدَّةً طويلةً، وكانوا يَفْعلون ذَلِكَ فِي الشَّهر مرَّتين؛ مرَّةً فِي نصفِهِ، ومرَّةً فِي آخرِهِ.

ولا شكَّ أنَّ هَذَا من الاستهزاءِ بالله وبذِكْره، ولا يَخْفىٰ عَلَىٰ مَنْ له عِلْمٌ وفهمٌ أنَّ فِعْلهم هَذَا يَتضمَّن الكفرَ ست مئة مرَّة؛ لأنَّ فَصْل النَّفي عن الإثبات فِي قول: «لا إله إلَّا الله» بزَمَنٍ مُتَراخٍ بَيْن أوَّلِ الكلمةِ وآخِرها عَلَىٰ وَجْه الاختيار، يَقْتضي نَفْي الأُلُوهيَّة عن الله ست مئة مرَّة، وذَلِكَ صريحُ الكفر، ولَوْ أنَّ ذَلِكَ وَقَع من أحدٍ مَرَّةً واحدةً لكانَ كفرًا صريحًا، فكيفَ بمَنْ يفعل ذَلِكَ ست مئة مرَّة فِي مَجْلسٍ وَاحِدٍ؟!

ثمَّ إنَّ إتْيانَهم بكَلِمةِ الإثبات بَعْد فَصْلها عن كَلِمةِ النَّفي بزَمَنٍ مُتَراخٍ لا يُفيدهم شيئًا، وإنَّما هو التَّلاعبُ بذِكْرِ الله والاستهزاءِ به، وهذا المنكرُ القبيحُ والضَّلالُ البعيدُ من نَتائِج تَقْليدهم لشُيُوخِهم؛ شُيُوخِ السُّوءِ والجهلِ والضَّلالِ الَّذين أَغْواهم الشَّيطانُ، وزَيَّنَ لهم ما كَانُوا يَعْملون». اهـ[1].

وقال أيضًا: ومِمَّا ذَكَره بعضُ العُلماءِ عن التَّبليغيِّين أيضًا: أنَّ رجلًا من طَلَبة العِلْمِ خَرَج مَعَهم من المدينةِ إِلَىٰ الحناكية، وأميرهم أحد رُؤسَاء جماعة التَّبليغ، وفي أثناءِ اللَّيل رَأَىٰ أَحَدهم يهتزُّ، ويقول: هو..هو.. هو، فأَمْسَكه، فترك الحركةَ وسكتَ، وفي الصَّباح أخبر أميرهم بما فَعَله الهنديُّ

(١) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» لمؤلفه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

الصُّوفيُّ التَّبليغيُّ، فأنكرَ الأميرُ عَلَىٰ طَالِبِ العِلْم إنكارَه عَلَىٰ التَّبليغيِّ، وقال له بغضبٍ شديدٍ: أنت صرتَ وَهَّابيًّا، والله، لَوْ لِي من الأمر شيءٌ، لأحرقتُ كُتُبَ ابن تيمية، وابن القيِّم، وابن عبد الوهَّاب، ولم أترك عَلَىٰ وَجْه الأرض منها شيئًا.

ففَارَقهُمْ طالبُ العِلْم حينَ سَمِع منه هَذَا الكلامَ السَّيِّئ؛ لأنَّه عَرفَ عَداوَتهم لأَهْلِ العِلْمِ والهُدَىٰ من أَهْلِ التَّوحيدِ وأَنْصار السُّنَّةِ، وعَرَف مُحارَبتهم لكُتُبِهم المُشْتملة عَلَىٰ تَقْرير التَّوحيدِ والدَّعوة إليه، وإِخْلاص العِبَادةِ لله وَحْده، والنَّهي عن الشِّرْك والبِدَعِ والخُرافَاتِ وأَنْواع الضَّلالاتِ والمنكراتِ والتَّحذير مِنْها ومن أَهْلِها...

إِلَىٰ أن قالَ: «ومِنْ أَوْرَادِ التَّبليغيِّين أيضًا: «دلائل الخيرات» ذكر ذَلِكَ بَعْض العلماء عَنْهم[1]، وفي هَذَا الكتابِ من الشِّرْك والغلوِّ والأحاديث المَوْضُوعة ما لا يَخْفىٰ عَلَىٰ مَنْ نوَّر اللهُ قلبَه بنُورِ العِلْم.

---

(١) بل سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وهو من كبار رؤوس التبليغيين وعلمائهم:
«س/ ما قولكم في تكثير الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وقراءة: «دلائل الخيرات»، والأوراد؟
فأجاب: يستحب عندنا تكثير الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وهو من أرجىٰ الطاعات، وأحب المندوبات، سواء كان ذلك بقراءة «الدلائل»، والأوراد الصلواتية المؤلفة في ذلك، أو بغيرها، وكان شيخنا العلامة الكنكوهي يقرأ «الدلائل»، وكذلك المشايخ الآخرون من ساداتنا، وقد كتب في إرشاداته مولانا ومرشدنا قطب العالم، حضرة الحاج إمداد الله قدس سره العزيز، وأمر أصحابه بأن يجربوه، وكانوا يروون «الدلائل» روايةً، وكان يجيز أصحابه «بالدلائل» مولانا الكنكوهي رحمة الله عليه».اهـ. من كتاب «المهند علىٰ المفند» (ص ٤١) السؤال السابع. محمد بن هادي.

وذكر بعضُ العلماءِ عن التَّبليغيِّين[١] أنَّهم يَعْتنون بالقصيدةِ الَّتي تُسمَّىٰ بـ«البُرْدة» وبالقَصِيدةِ «الهَمزيَّة»، وفيها من الشِّرْك والغُلُوِّ ما هو مَعْروفٌ عند أَهْلِ العِلْمِ من أَهْل التَّوحيدِ».

قلتُ: والقَصِيدتَانِ في مَدْح النَّبيِّ ﷺ، وقَدْ أسرفَ صَاحِباهُما في الغُلُوِّ في النَّبيِّ ﷺ بما لا يَرْضاه النَّبيُّ ﷺ.

قال الشَّيخ التويجري: «وأهمُّ كتابٍ عند التَّبليغيِّين كتاب: «تبليغي نصاب»؛ الَّذي ألَّفه أحدُ رُؤسَائِهم المُسمَّىٰ محمد زكريا الكاندهلوي، ولهُمْ عنايةٌ شديدةٌ بهَذَا الكِتَابِ، فهم يُعظِّمونه كما يُعظِّمُ أَهْلُ السُّنَّةِ «الصَّحيحين»، وقَدْ جَعَل التَّبليغيُّون هَذَا الكتابَ عُمْدةً ومَرْجعًا لهم -أي: الهنود وغيرهم من الأعاجم التَّابعين لهم- وفيه من الشِّرْكيات والبِدَعِ والخُرافَاتِ

---

(١) مثال ذلك ما قاله الشيخ حسين أحمد المدني، وهو ديوبندي تبليغي محترق خرافي منحرف: «إنَّ الوهابية الخبيثة ترىٰ أنَّ الإكثار من الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ، وقراءة «دلائل الخيرات»، و«قصيدة البردة»، و«القصيدة الهمزية»، وغيرها، وجعلها وردًا، أمر قبيح جدًّا، كما أنَّهم يعدُّون بعض أبيات «قصيدة البردة» شركًا، كبيت:

يا أشرف الخلق ما لي مَنْ ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وأما مشايخنا الأجلَّاء: فكانوا يمنحون أتباعهم وثائق لقراءة «دلائل الخيرات»، وغيرها، ويأمرونهم بالإكثار من قراءتها، ومن الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ، وقد كان الشيخ الكنكوهي، والشيخ النانوتوي -رحمة الله عليهما- يقرآن «دلائل الخيرات»، كما أنَّهما منحا الإجازة لقراءتها لآلاف من أتباعهما».اهـ. من «الشهاب الثاقب» (ص٦٦) بواسطة كتاب: «الديوبندية».

فانظر إلىٰ الضلال المبين في محاربة أهل التوحيد، ووصفهم بأخبث الأوصاف، وتولي أهل الشرك والخرافة، والذب عنهم وعن باطلهم، فهل من عاقلٍ منصفٍ؟ محمد بن هادي.

والأَحَاديثِ الموضوعة والضَّعيفة شيءٌ كثيرٌ، وهو في الحقيقةِ كتابُ شرٍّ وضلالٍ وفتنةٍ، وقَدِ اتَّخذه التَّبليغيُّون مَرْجعًا لنَشْر بِدَعِهِمْ وضَلَالاتِهم وتَرْويجها وتَزْيينها للهمج الرَّعاع الَّذين هم أضلُّ سبيلًا من الأَنْعام.

ومِمَّا زَيَّنوه لهم: إيجابُ زيارة قَبْر النَّبيِّ ﷺ بعد الحجِّ، واستدلُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ بأحاديثَ مَوْضوعةٍ».

وذكر عن الأستاذ سيف الرَّحمن أنَّه ذكر في كتابِهِ المُسمَّىٰ: «نظرة عابرة اعتباريَّة عن الجماعة التَّبليغيَّة»: أنَّ كبارَ أَهْلِ التَّبليغ يُرَابطون عَلَىٰ القُبُور، ويَنْتظرون الكشفَ والكراماتِ والفُيُوضَ الرُّوحيَّة من أَهْل القُبُورِ، وذكر أنَّهم يُقرُّون بمسألة حياة النَّبيِّ ﷺ وحياة الأولياء حياةً دُنيويَّةً لا حياةً برزخيَّةً كعادة القُبُوريِّين.

وذَكَر عَنْه أَيْضًا في كتابِهِ الَّذي تَقدَّم ذِكْره أنَّ من الشِّرْكياتِ الرَّائجة عند التَّبلغيِّين: تَعْليقَ التَّمائمِ والحُرُوزِ والحُجُبِ الَّتي تَشْتمل عَلَىٰ الطَّلاسم، والأَسْماء الغريبة، والمُرَبعات، والأَرْقام، والرُّمُوز المُبْهمة الَّتي لا تَخْلو من الالْتِجاءِ لغَيْر الله وَالاسْتِعاذَة به.

وذَكَر عَنْه أيضًا أنَّه ذَكَر في كتابِهِ المَذْكور أنَّ من أُصُولهم تَعْطيلَ جَمِيع النُّصُوصِ الوَاردة في الكِتَابِ والسُّنَّةِ بصَدَدِ الكُفْر بِالطَّاغوتِ، وبصَدَدِ النَّهْي عن المُنْكَرِ، وتَعْليل ذَلِكَ بأنَّه يورث العناد لا الإصلاح.

وذَكَر لهم أيضًا أُصُولًا كثيرةً ابْتَدعوها، وَشَذُّوا بها عن المُسْلمين، وكلُّها من أُصُولِ الغيِّ والضَّلال.

ولا يَخْفىٰ ما في أُصُولهم المذكورة هاهنا من المُعَارضة للكتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّ اللهَ تَعَالىٰ يَقُول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

ويقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠][1].

□ **قال: وقَدْ دلَّت الآيةُ الأُولى عَلَى أنَّ الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوة الوُثْقى له شَرْطان لا بُدَّ منهما:**

❁ **أحدهما:** الكُفْرُ بالطَّاغوت.

❁ **والثَّاني:** الإيمان بالله.

فمَنْ أتىٰ بهَذَين الشَّرطين، فَقَدِ اسْتَمْسك بالعُرْوة الوُثْقىٰ، ومَنْ لم يأتِ بهما أو تَرَكَ واحدًا مِنْهما، فلَيْس له حظٌّ في الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ.

والعُرْوةُ الوُثْقىٰ هي الإيمانُ، وقيل: الإِسْلامُ، وقيل: «لا إله إلَّا الله»، وقيل: الحبُّ في الله، والبُغْض في الله.

قال ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره»: «وكلُّ هَذِهِ الأَقْوالِ صَحِيحةٌ، ولا تَنَافِيَ بَيْنها».اهـ[2].

وإذا عَرَفنا الأُصُولَ الثَّلاثةَ الَّتي تَقدَّم ذِكْرها من أُصُول التَّبليغيِّين عَلَىٰ نصِّ الآية الكريمة الَّتي تَقدَّم ذِكْرها، تَبيَّن لنا أنَّه لا حظَّ لهم في الاسْتِمْسَاكِ

---

(١) انظر: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ التويجري رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٤).

بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ؛ لأنَّهم قَدْ تركُوا شَرْطًا من شُرُوطِ الاسْتِمْساكِ بها، وهُوَ الكُفْر بالطَّاغوتِ، ومَنْ لَيْس لهم حظٌّ من الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ، فلا خَيْرَ فيهم، ولا في مُرَافَقتِهِمْ، ولا الخُرُوج معهم.

ثمَّ إنَّ التَّبليغيِّين لم يَقْتصروا عَلَىٰ تَرْك التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوت، بل ضَمُّوا إِلَىٰ ذَلِكَ ما هو شرٌّ منه، وهو التَّجنُّبُ بشدَّة، والمنعُ بعُنْفٍ من التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوت، وتَعْطيلهم جميعَ النُّصُوصِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصَدَد الكُفْر بالطَّاغوتِ، وهذَا من زيادة ارْتِكاسِهم في الغيِّ والضَّلال، عَافَانا الله وإِخْوانَنا المسلمين مِمَّا ابْتلَاهُمْ به.

وأمَّا تَرْكهم التَّصريحَ بالنَّهي عن المنكر، وتَجنُّبهم ذَلِكَ بشدَّةٍ، ومنعهم منه بعُنْفٍ، وتَعْطيلهم لجَمِيع النُّصُوصِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصَدَد النَّهْي عن المُنْكر، فهو من أَوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ زَيْغهم وفَسَادِ مُعْتقدهم، وسُلُوكِهم طريق الغيِّ والضَّلالِ الَّذي ذَكَره الله عَزَّوَجَلَّ عن العُصَاةِ من بَنِي إِسْرائيلَ، وذَمَّهم عَلَىٰ ذَلِكَ، ولَعَنهم فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩].

ورَوَىٰ الإمامُ أحمد، وأبو داود، والتِّرمذيُّ، وابن ماجة عَنْ عبد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرائيلَ في المَعَاصي، نَـهَتْهُمْ عُلَماؤُهُمْ فلَمْ يَنْتهوا، فجَالَسُوهُمْ في مَجالِسِهِمْ، وآكَلُوهُمْ، وشَارَبُوهُمْ، فضَربَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهم ببعضٍ، وَلَعنَهم عَلَىٰ لِسَانِ داود وعيسىٰ ابن مريم،**

ذَلِكَ بما عَصَوْا وكَانُوا يَعْتدُونَ»، وكان رَسُولُ الله ﷺ **مُتَّكئًا فجَلَس، فقال: «لا والَّذي نَفْسي بيدِهِ، حتَّىٰ تَأْطُرُوهُمْ عَلَىٰ الحقِّ أَطْرًا[1]»**، هَذَا لفظُ أحمد والتِّرمذيِّ[2].

ولفظ أبي دَاودَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إنَّ أَوَّلَ ما دَخَل النَّقصُ عَلَىٰ بني إِسْرَائِيلَ: كانَ الرَّجلُ يَلْقىٰ الرَّجُلَ، فيقول: يا هَذَا، اتَّق الله، ودَعْ ما تَصْنع؛ فإنَّه لا يحلُّ لَكَ، ثمَّ يَلْقاه من الغدِ فَلَا يَمْنعه ذَلِكَ أن يكونَ أَكِيلَه وشَرِيبَه وقَعِيدَه، فلمَّا صَنعوا ذَلِكَ، ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهم ببَعْضٍ»**، ثمَّ قالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة:٧٨]»، إِلَىٰ قولِهِ: ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة:٨١]، ثمَّ قالَ: **«كلَّا واللهِ، لِتَأْمُرنَّ بالمَعْرُوفِ، ولَتنهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، ولتأخذنَّ عَلَىٰ يَدِ الظَّالمِ، ولتَأْطُرنَّه عَلَىٰ الحقِّ أطرًا، ولتقصرنه عَلَىٰ الحقِّ قَصْرًا[3]»**[4]، زادَ في روايةٍ: **«أَوْ لَيَضْربنَّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكم ببَعْضٍ، ثمَّ ليَلْعَنكُمْ كَما لَعَنهُمْ»**[5].

وفي هَذَا أَبْلغُ ردٍّ عَلَىٰ التَّبليغيِّين الَّذين لا يُبَالون بالنَّهي عن المُنْكر، ولا يَعدُّونه من وَاجِبَاتِ الإِسْلَام، وقَدْ زَادُوا عَلَىٰ ما ذَكَره اللهُ عن بَنِي إِسْرائِيلَ

(١) أي: حتىٰ تعطفوهم علىٰ الحقِّ عَطفًا، وتُلْزموهم به إلزامًا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) (٣٧١٣)، والترمذي (٣٠٤٧)، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٣٨٨).

(٣) أي: لتحبسنَّه عليه، وتُلزمنَّه إياه. انظر «عون المعبود» (١١/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود» (٩٣٢).

(٥) أخرجها أبو داود (٤٣٣٧)، وضَعَّفها الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود» (٩٣٣).

بزِيَاداتٍ من الغيِّ والضَّلالِ، وهي تَجنُّبهم الصَّراحة في النَّهْي عن المُنْكر بشِدَّةٍ، ومنعهم من ذَلِكَ بعنفٍ، وتَعْطيلهم جَمِيع النُّصُوصِ الوَارِدَة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصَدَدِ النَّهْي عن المُنْكر، وفي هَذَا أَوْضَحُ دليلٍ عَلَىٰ مُخَالفتِهِمْ لطريقِ الرُّسُلِ صَلَواتُ الله وسلامُهُ عليهم». اهـ[1].

□ **الملاحظات نعدُّها باختصارٍ؛ لأنَّ الكَلامَ فيها قَدْ تقدَّم، أمَّا ما لم يُذْكر من المُلاحظاتِ، أي: ما تجدَّد، فسَأذكُرُه مع التَّوضيحِ:**

۞ **الملاحظة الأولَى:** أنَّ مُؤسِّسَ جماعة التَّبليغِ نَشَأَ عَلَىٰ الصُّوفيَّةِ، وأَخَذ فيها بَيْعتَينِ، وعَاشَ عليها إِلَىٰ أَنْ ماتَ، لذَلِكَ فهو صوفيٌّ عريقٌ في الصُّوفيَّةِ.

۞ **الملاحظة الثَّانية:** أنَّه كانَ يُرَابط عند القُبُور، ينتظر الكَشْفَ والفُيُوضاتِ الرُّوحيَّةَ من أَصْحابِها.

۞ **الملاحظة الثَّالثة:** أنَّه كانَ يُرَابط في المُراقَبة الجشتية عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي؛ الَّذي كان يُؤمِن بفكرة وحدة الوُجُودِ.

۞ **الملاحظة الرَّابعة:** المراقبة الجشتية: أَنْ يجلسَ عند القبر نصفَ ساعةٍ من كلِّ أُسْبوعٍ بتَغْطية الرَّأس، والذِّكْر بهذه العبارة: «اللهُ حَاضِري، اللهُ نَاظِرِي»، وهذا العملُ إِنْ كانَ لله، فهو بِدْعةٌ، وإِنْ كانَ الخُضُوعُ لصاحبِ القبر فهو شِرْكٌ بالله، والأخيرُ هو الظَّاهرُ؛ لأنَّه لَوْ كان هَذَا الخُضُوعُ لله لعملِهِ في المسجد ولم يجلس عند القبر، فلمَّا جَلَسَ عند القبر بهذا الخُضُوعِ، كان

(١) من «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري، رحمه الله، ورفع درجته في الفردوس.

ذَلِكَ دليلًا عَلَىٰ أنَّه قَصَد بهذا الخُضُوعِ صاحبَ القبر.

۞ **الملاحظة الخامسة:** أنَّ مُؤسِّسَ هَذِهِ الجماعة وأَتْباعَه في السُّلُوكِ صُوفيَّةٌ يَعْملون عَلَىٰ أربع طُرُقٍ، هي: الجشتية، والنقشبندية، والسهروردية، والقادرية[1].

۞ **والملاحظة السَّادسة:** أنَّ جُلُوسَ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة عند قبر مَنْ يؤمن بوحدة الوُجُودِ يدلُّ عَلَىٰ أنَّه يؤمن بها، ولَوْ لم يكن يُؤمِن بها ما جَلَس عند قبر مَنْ يُؤمِن بها عَلَىٰ تِلْك الهيئة وذَلِكَ الخُضُوع، عَافَانا اللهُ ممَّا ابْتَلاهُمْ.

۞ **الملاحظة السَّابعة:** أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة صوفيٌّ قُبُوريٌّ خرافيٌّ.

---

(١) يقول خليل أحمد السهارنفوري -وهو من كبار التبليغيين الديوبنديين- كما تقدم في كتابه: «المهند علىٰ المفند» (ص٣٠)، وهذا الكتاب ألَّفه خليل لبيان معتقدات علماء ديوبند للرَّدِّ علىٰ الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته، وعلماء ديوبند هم التبليغيون، قال: «ليعلم أولًا قبل أن نشرع في الجواب، أنَّا بحمد الله ومشايخنا -رضوان الله عليهم أجمعين- وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام، وذروة الإسلام، الإمام الهمام، أبي حنيفة النعمان -رضي الله تعالىٰ عنه- في الفروع، ومتبعون للإمام الهُمام أبي الحسن الأشعري، والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلىٰ الطريقة العلية المنسوبة إلىٰ السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلىٰ السادة الجشتية، وإلىٰ الطريقة البهية المنسوبة إلىٰ السادة القادرية، وإلىٰ الطريقة المنسوبة إلىٰ السادة السهروردية، رضي الله عنهم أجمعين».اهـ.
وقد اعترف أميرهم الذي هلك منذ ثلاث سنوات تقريبًا إنعام الحسن، وكتب ذلك بخط يده أنهم يأخذون البيعة علىٰ الطرائق الأربع المذكورة، ونشر اعترافه هذا في الوثائق التي بآخر كتاب: «وقفات مع جماعة التبليغ» لنزار الجربوع، فانظره إن أردت غير مأمور.
قلت: ولمعرفة هذه الطرائق وضلالها انظر كتاب: «الماتريدية» (١/ ١٧٥) لصاحبه شمس الدين الأفغاني السلفي، وهو أطروحة نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين. محمد بن هادي.

❁ **الملاحظة الثَّامنة:** أنَّ مَسْجِدَهُمُ الَّذي انْطَلَقَتْ منه دَعْوتُهم فيه أَرْبعة قُبُورٍ، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ من شِرَارِ الخَلْق الَّذين يَتَّخذون القُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخذوا القُبُورَ مَساجِدَ، فإنِّي أَنْهاكُمْ عن ذَلِكَ**»، الحديث في «الصَّحيحين»[(١)].

❁ **الملاحظة التَّاسعة:** أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة يُؤمِن بالكَشْف كما ظَهَر من قولِهِ في تَفْسير آية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠]، أَنَّه فَسَّرها بالكَشْف الصُّوفيِّ، ولا يجوز أن يُفسَّر القرآنُ بالكَشْفِ الصُّوفيِّ.

❁ **الملاحظة العاشرة:** أنَّ التَّبليغيِّين يَتعبَّدون بالذِّكر المُبْتَدع عَلَىٰ طريقة الصُّوفيَّةِ، وهو تَفْريقُ كلمةِ التَّوحيد: «لا إله إلَّا الله».

❁ **الملاحظة الحادية عشرة:** أنَّ مَنْ قَطَع النَّفْيَ عن الإثبات عمدًا بأَنْ يقولَ: «لا إله» لَزِمَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الكُفْرَ، وأنَّ مَنْ قال: «لا إله» خمس مئة مرَّة، فقَدْ كَفَر خمس مئة مرَّة، كما قرَّر ذَلِكَ الشَّيْخُ حُمُود التويجري نقلًا عن العلماء.

❁ **الملاحظة الثَّانية عشرة:** أنَّ الذِّكرَ بهذه الصِّفة الَّتي عَلَيها الصُّوفيُّون بِدْعةٌ وضَلالةٌ لا يَجُوزُ التَّعبُّدُ به، فمَنْ يقول: «لا إله» خمس مئة مرَّة، ثمَّ يقول: «إلَّا الله» أربع مئة مرَّة، فإنَّه مُبْتدعٌ ضَالٌّ، بل كافرٌ؛ لأَنَّه فَصَل النَّفيَ عن الإِثْباتِ، ومَنْ فَعَل ذَلِكَ عمدًا، كَفَر، وإِنْ كانَ جاهلًا لم يُعْذر بالجَهْلِ.

❁ **الملاحظة الثَّالثة عشرة:** أنَّهم أو بَعْضهم يَجْعلون وِرْدهم حرز

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها، وعند مسلم أيضًا (٥٣٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

الجوشن، وَفِيهِ بدعٌ وشِرْكيَّاتٌ كثيرةٌ.

❁ **الملاحظة الرَّابعة عشرة:** أَنَّهم يُجِيزون حَمْلَ الحُرُوزِ الَّتي فيها طَلَاسم وأَسْماء مَجْهولة لعلَّها أسماء شَيَاطين، وهذَا لا يَجُوزُ.

❁ **الملاحظة الخامسة عشرة:** أَنَّهم يَعْتقدونَ أنَّ حياةَ النَّبيِّ ﷺ وحياةَ الأَوْلياءِ حياةٌ دُنيويَّةٌ ليست حياةً برزخيَّةً.

❁ **الملاحظة السَّادسة عشرة:** أَنَّهم يَجْهلُونَ توحيدَ الأُلُوهيَّةِ، ولا يَجْعلونَ له قيمةً ولا اهتمامًا في حِسَابِهم لما قَدْ تقدَّم تَوْضيحُهُ في الملاحظاتِ السَّابقةِ.

❁ **الملاحظة السَّابعة عشرة:** وَهُمْ في تَوْحيدِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ أشعريَّةٌ ماتريديَّةٌ وإِنْ كانوا يَقْرؤونَ الحديثَ للبَرَكَةِ.

❁ **الملاحظة الثَّامنة عشرة:** أنَّ عِبَارَاتِهم تَدُور حولَ تَوْحيدِ الرُّبوبيَّة، وهذا التَّوحيدُ لا يُدْخِل أحدًا في الإِسْلَام، كما لم يُدْخِلْ مُشْركي العرب فيه.

❁ **الملاحظة التَّاسعة عشرة:** أَنَّهم يُبْغضونَ دُعَاةَ التَّوحيد الَّذين يُسمُّونهم بالوَهَّابيَّة[1]؛ كابْنِ تَيْمية، وابْنِ القَيِّم، وَابْنِ عبد الوهَّاب، وهذا يدلُّ عَلَىٰ انْحِرَافِهِمْ وَخُبْثِهِمْ.

❁ **الملاحظة العشرون:** أَنَّهم لا يُصرِّحون بوُجُوب الكفر بالطَّاغوتِ، ولا يَرْضون لأحدٍ أن يتكلَّم عن الكُفْر بالطَّاغوتِ، ويَغْضبونَ غضبًا شديدًا إِنْ تكلَّم أحدٌ عن ذَلِكَ، بل ويَطْردونَه من بَيْنهم.

❁ **الملاحظة الحادية والعشرون:** أَنَّهم لا يَنْهونَ عن مُنْكرٍ، ولا يُصرِّحون

---

(١) انظر ذلك فيما تقدم (ص ٣٠٨) تعليق رقم (١) وقولهم عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنصار دعوته (ص٣٠٩): «الوهابية الخبيثة». محمد بن هادي.

لأحدٍ بإنكار أيِّ منكرٍ؛ بل يَعدُّون التَّنصيصَ عَلَىٰ بَعْض المُنْكراتِ يُنَافي الحِكْمةَ كَما زَعَموا، واللهُ ﷻ قَدْ ذمَّ بَنِي إِسْرائيلَ ولَعَنهم بِسَببِ عَدَم تَناهِيهم عن المُنْكرِ، فقَالَ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩]، فهَل تَرىٰ أنَّهم هُمْ أَعْلَمُ أم الله؟!

❁ **الملاحظة الثَّانية والعشرون:** أنَّ قولَ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة: «فمَقْصد «لا إله إلَّا الله» إِخْراجُ اليَقِين الفاسدِ من القَلْب عَلَىٰ الأشياءِ، وإِدْخالُ اليَقِينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله»؛ مَفْهومه الإيمان بوحدة الوُجُودِ، وهو أنَّ اليقينَ الفاسدَ عِنْدهم ما يعتقدُهُ كلُّ مُسْلمٍ أنَّ كلَّ ما نَراه ونَسْمعه ونَلْمسه ونحسُّه، فهو مَخْلوقٌ إلَّا كلام الله، فهو صفةٌ من صفاتِهِ غير مَخْلوقٍ، واللهُ خالقُ هَذَا الكونِ، والمالكُ له، والمُتصرِّفُ فيه، وهو مُسْتوٍ بذاتِهِ عَلَىٰ عرشِهِ، بائنٌ من خَلْقِهِ، وعلمُهُ بكلِّ مكانٍ، فهذِهِ العقيدةُ باطلةٌ عند أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ، وَاعْتقادُها اعتقادٌ باطلٌ وفاسدٌ عِنْدهم، واليقينُ الصَّحيحُ عَلَىٰ ذاتِ الله: أنَّه لَيْسَ عَلَىٰ العرش، وأنَّ الرَّبَّ كلُّ ما نراه من المَخْلوقاتِ كما سَبَق أَنْ بَيَّنْتُهُ ودَلَّلتُ عليه مِنْ كَلامِهِمْ وتَصْريحَاتِهِمْ وأَوْرادِهِمْ.

وعلىٰ هذَا، فمَعْنىٰ «لا إله إلَّا الله» أنَّه لا مَوْجودَ إلَّا الله، وذَلِكَ نفيٌ لوُجُودِ كلِّ مَوْجودٍ إلَّا الله تَعَالىٰ، تَعَالىٰ الله عن قَوْلهم عُلُوًّا كبيرًا.

❁ **الملاحظة الثَّالثة والعشرون:** اعْتِقادُهُمْ في المناماتِ والكراماتِ والحِكَاياتِ والخُرَافاتِ، وأنَّ فُلانًا خرجَ من عند أهلِهِ، وأَغْلق عَلَيهم البابَ، ومَكَث عَنْهم

أَرْبعة أشهرٍ، ثمَّ عادَ إليهم فوَجَدهم عَلَىٰ أحسنِ حالٍ، ولمَّا سألهم، قالوا له: إنَّ عجوزًا تَدْخل عَلَيهم وتَخْدمهم، وقَدْ سمعتُ مثلَ هَذَا من بَعْضهم بأُذني، ويَزْعمونَ أنَّ هَذِهِ كرامةٌ تدلُّ عَلَىٰ أنَّ عَملَهم مَرْضيٌّ لله عَزَّوَجَلَّ[1].

❁ **الملاحظة الرَّابعة والعشرون:** أنَّ المُؤسِّسَ لهذه الجَماعَةِ قَدْ نَصَّبَ نَفْسَه مُشرِّعًا، فشَرَع لأتْباعِهِ هَذِهِ الأركانَ السِّتَّةَ أو الصِّفات السِّتَّ، وشَرَع لهم الخُرُوجَ ثَلاثةَ أيَّامٍ، أو عشرة أيَّامٍ، أو أرْبعين يومًا، أو أربعة أشهرٍ...إلخ، وهَذَا يُعَدُّ تَشْريعًا لأتباعِهِ، وإذا وَقَف أتباعُهُ عَلَىٰ ما رَسَمه لهم ولم يَتَجاوزُوه، فقَدْ جَعَلوه مُشرِّعًا لهم حَيْث مَشَوْا عَلَىٰ الخُطَّة الَّتي رَسَمها لهم ممَّا سَبَق ومن غيره؛ كعَدَم التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوتِ، وعَدَم التَّصريح بإنْكار المُنْكر، إلَىٰ غير ذَلِكَ.

❁ **الملاحظة الخامسة والعشرون:** ما ذَكَره الشَّيخ حمود التويجري نقلًا عن الأُسْتاذ سيف الرَّحمن بن أحمد في كتابِهِ: «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة» أنَّ لهم شَبهًا بالشِّيعة في عدَّة أمورٍ، فقالَ: وقَدْ ذَكَر سيف الرَّحمن في كتابِهِ أنواعًا كثيرةً من مُشَابهة التَّبليغيِّين للشِّيعة[2]، و:«**مَنْ تَشبَّه بقَوْمٍ فَهُو مِنْهُمْ**»[3]، وهَذَا مُلخَّص ما ذَكَره.

قالَ: «ومِمَّا يُلَاحَظ أنَّ لَـهُم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخْفاءِ السُّمِّ بالدَّسَم، ولهم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخْفاءِ ما في كُتُبهم، ولهم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخْفاء كثيرٍ من

---

(١) بل هذه خرافات ما أنزل الله بها من سلطان، عليهم من الله ما يستحقون.

(٢) انظر: «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة» لسيف الرَّحمن بن أحمد (ص ٥٦، ٥٧).

(٣) لفظُ حديثٍ أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (٤٣٤٧).

عَقَائِدِهم المبعدة في الغُلُوِّ والضَّلالِ والتَّطرُّفاتِ النَّائيةِ، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في التَّقيَّة باسْمِ الحِكْمةِ والاحْتِياطِ، حَيْث يُظْهرونَ شيئًا، ويُخفونَ شيئًا، ويُحرِّفونَ الكَلِمَ عن مَواضعِهِ، ويَقُولونَ شيئًا ويَفْعلون شيئًا، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في كثيرٍ من التَّأويلاتِ النَّائيةِ عن طريق السَّلَفِ الصَّالح، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في بُعْدهم عن النُّصُوصِ، وعن العِلْمِ بالنُّصُوصِ.

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في تَحْديد عِلْمهم، وعِلْمِ طَائفتِهم في كُتُبهم المَعْروفةِ عِنْدهم دُونَ غَيْرها من الكُتُبِ، ودُونَ غَيْرهم من عُلَماءِ المُسْلمينَ.

وَلهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في مَنْع أَتْباعِهِمْ عن البَحْث وطَلَبِ الحقِّ من عند غَيْرهم.

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في جَعْلِ مُعْظمِ الدِّين مَحْصورًا في المَناقِبِ والمثَالِبِ وتَعْظيم الأكابر.

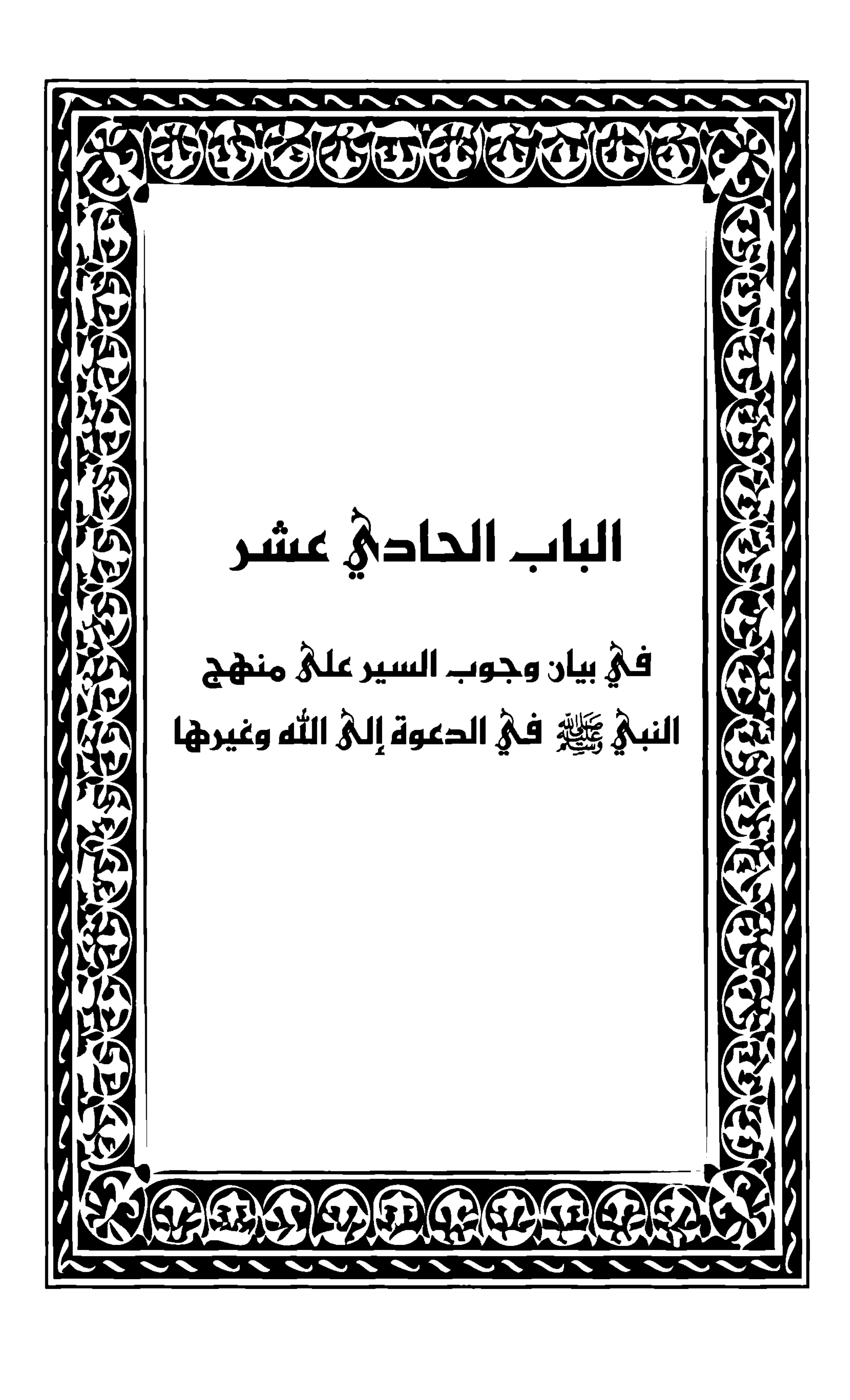
ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في المَقْدرة عَلَىٰ المُغَالطاتِ والمُبالَغاتِ.

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في المَقْدرةِ عَلَىٰ النِّفاقِ وإِظْهار التَّوحيدِ وإِخْفاءِ الإِشْراكِ؛ بل النِّداء بالتَّوحيد وتَرْويج الإِشْراك»[1].

ثمَّ ذَكَر في نَفْس الصَّفحة أوجهَ الشَّبَه بَيْنهم وبَيْن القاديانيين أيضًا، نقلًا عن كِتَابِ سَيْف الرَّحمن أحمد «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة»، فمَنْ شاءَ الازْدِيادَ فَلْيرجِعْ إِلَىٰ ذينك الكتابين أو أحدهما، واللهُ المُوفِّق لمَنْ يشاءُ من عبادِهِ، وهو الهادي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتقيمٍ.

---

(١) انظر كتاب: «نشر الطيب» للمصنف أشرف علي النهارفوري. (ص٥، ٦) من كتاب: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللهُ بشيءٍ من التصرف.



الباب الحادي عشر

في بيان وجوب السير على منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وغيرها

الباب الحادي عشر
في بيان وجوب السير على منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وغيرها

لقَدْ بَعَث اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ عَلَىٰ حين فَتْرةٍ من الرُّسُلِ، وانْطِماسٍ من السُّبُل، فدَعَا إِلَىٰ الله ليلَ نهار، وصَبَر وصَابَر حتَّىٰ نَشَر الله عَزَّوَجَلَّ دعوتَه، ففتَح بها أَعْينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غلفًا، وهَدَىٰ به من الضَّلالةِ، وعَلَّم به من الجَهالَةِ، كَسَّرَ به الأصنامَ، وأبادَ به الأوثانَ، وأزالَ بِهِ عِبادةَ المَخْلُوقينَ، وأَرْسَىٰ به دَعَائِمَ التَّوحيدِ، وثَبَّتَ أساسَ المِلَّة عَلَىٰ عبادة الله وَحْده دون سِوَاهُ، فَدانَتْ له ولأَصْحابِهِ من بعده بذَلِكَ العرب، ومَلكوا به العجم.

ومَكَّن اللهُ لهذا الدِّين وحَمَلته، فكَسَروا المُلُوكَ، وابتزُّوا الممالكَ حتَّىٰ وَصَلوا إِلَىٰ مَشَارفِ الصِّين شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، وإلىٰ أَسْوار القسطنطينيَّة شمالًا، وتَحقَّق بذَلِكَ وَعْدُ الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين المُوحِّدين بالنَّصر والتَّمكين، حيث يقول عزَّ من قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

فظَهَر الدِّينُ، وَانْتشَر الإِسْلَامُ، وكان بذَلِكَ الدِّينُ كلُّه لله، فكانَ مَنْ دَخَل في الإِسْلَام يَعْلم أنَّ دُخُولَه في الإِسْلَام يعني رَفْض العُبُوديَّة لغير الله، والاتِّجاه بها إِلَىٰ خَالِق هَذَا الكون ومُبْدعه، وهو اللهُ ربُّ العَالَمين، وواهبُ الحياة، وخَالِقُ الأحياءِ ورَازِقُهُمْ، والمُتصرِّفُ فيهم، كانَ يَعْلم ذَلِكَ الصَّغيرُ مِنْهم والكبيرُ، والذَّكَرُ والأُنْثَىٰ، والحرُّ والعبدُ، والعَامِّيُّ والمُتعلِّمُ.

وتَحقَّق بذَلِكَ ما قَالَه نبيُّ الهُدَىٰ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبده المُصلُّون في جَزِيرةِ العَرَبِ، ولكن بالتَّحْريشِ بَيْنهم**»[1].

ولقَدْ بَقِيَ النَّاسُ عَلَىٰ ذَلِكَ ردحًا من الزَّمن غير قليلٍ حتَّىٰ ظَهَرَتْ بِدْعةُ التَّصوُّفِ، وبَزَغَتْ نِحْلةُ التَّشيُّعِ والرَّفضِ في القرن الأفريقي عَلَىٰ أيدي العُبَيْدِيِّين الَّذين مَلَكوا المغرب في آخر القرن الثَّالث الهجري، وامتدَّ مُلْكُهم فيما بعد إِلَىٰ مصر، فأَبَاحَتْ هَاتَانِ النِّحْلتانِ الشِّرْكَ الأكبرَ باسم محبَّةِ الصَّالحين والتَّوسُّل بهم إِلَىٰ الله، فشاعَ الشِّرْكُ بَيْن المُسْلمين، وفَشَا شيئًا فشيئًا حتَّىٰ أصبح كثيرٌ من المسلمين، بل غالبهم يَظنُّونَ أنَّ التَّعبُّدَ للأَضْرحةِ والقُبُورِ، والهُتَافَ عند الشَّدائِدِ بأَسْماءِ أَصْحابِها، والتَّطوُّفَ بها، والتَّقبيلَ لأَعْتابِها، والسُّجُودَ عَلَىٰ تُرَابها- يَحْسبُونَ أنَّ ذَلِكَ هو الدِّينُ الَّذي جاءَ به نبيُّ الهُدَىٰ ورَسُولُ الرَّحْمةِ ﷺ.

ذَلِكَ لأنَّ هَذَا أمرٌ نَشَأ عليه الصَّغيرُ، وهَرَم عليه الكبيرُ، وعَاشُوا عَلَيه قُرُونًا طويلةً لا ينكر إِلَّا عَلَىٰ مَنْ أَنْكَره، فَرَسَخ في أَذْهانِ النَّاشئة أنَّ الآباءَ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢/ ٢٦٥) (١٤٣٦٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٤/ ١٩٤) (٢٢٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٨).

والأجدادَ لا يُقرُّون ما يُنَاقضُ الدِّينَ، وهُمْ أَهْلُ الدِّين، يُصلُّون ويَصُومونَ ويُزكُّون ويَحجُّونَ، ويُحرِّمونَ الفواحشَ، ويَسْتنكرُونَ الظُّلْمَ، وزَعَموا أنَّ الآياتِ الكثيرةَ الواردةَ في القرآن الكريم بِذَمِّ الشِّرْك والمُشْركين خاصَّةٌ بمَنْ عَبَد الأصنامَ المَنْحُوتةَ، وسَجَد لها، وزَيَّنَ لهم ذَلِكَ كَهَنةُ الصُّوفيَّةِ، وسَدَنةُ القُبُور، والمُنْتفِعُونَ، والمَأْجُورُونَ مِمَّنْ يُرِيدُونَ أَنْ يخضعَ النَّاسُ لسُلْطانِهم، ويَتَّخذونهم أَرْبابًا من دون الله، تُسَاق إِلَيهم الأموالُ نُذُورًا وقَرَابين، ويَسْجد النَّاسُ عَلَىٰ أَيْدِيهمْ وأَرْجُلِهمْ.

فأَخْرَجوا النَّاسَ من الدِّين باسْمِ الدِّين، وكانوا بذَلِكَ مُدَّعين كذبًا وزُورًا لحقِّ الله ربِّ العالمين، يُدْخِلون في جَنَّته ورحمته -حسب زعمهم- مَنْ شَاؤُوا، ويَمْنعُونَ من ذَلِكَ مَنْ أَرَادُوا حتَّىٰ راجَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ نَصَّبوا أنفسهم للدَّعوة إِلَىٰ الله، وهذا هو السِّرُّ في ضَعْف المُسْلمينَ، وتَسلُّط أَعْدائِهم عَلَيهم، ولن يصلحَ آخر هَذِهِ الأُمَّة إلَّا بما صلح به أوَّلها كما أُثِرَ عن الإِمَامِ مالكٍ رَحِمَهُ اللهُ.

ووالله، لَنْ يعودَ للمسلمين نَصْرُهُم وعِزُّهم، إلَّا إذا عَادُوا إِلَىٰ المَنْبع الصَّافي، والمَوْردِ العذبِ، والسَّلسبيلِ الفيَّاضِ، كتابِ اللهِ المُبِينِ، وحَبْلِهِ المَتِينِ، وصراطِهِ المُسْتقيم، ثمَّ السُّنَّةِ والآثارِ وطريقِ السَّلَفِ الأخيارِ من أَصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، ومَنْ تَبِعَهُمْ عَلَىٰ الهُدَىٰ في غَابِرِ الأَزْمِنةِ وحَاضِرها من جَمِيعِ الأَقْطارِ.

وهَذَا هو ما أَمَر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ به حَيْث يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

ويقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء:٦٤].

ويقول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١].

ويقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

ويقول: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ [التغابن:١٢].

هذِهِ بَعْضُ الآياتِ الآمِرة بطَاعَةِ الرَّسُول ﷺ، وهي شاملةٌ للمَنْهج الدَّعويِّ وغيره مِمَّا يَتعلَّق بالدِّين.

أمَّا الأحاديثُ الواردةُ في ذَلِكَ أيضًا، فإلَيْك بعضها:

فمِنْهَا ما رَوَاه العرباضُ بن سارية رضي الله عنه قالَ: صلَّىٰ بنا رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثمَّ أقبلَ علينا بِوَجْهِهِ، فوَعَظنا مَوْعظةً بليغةً، ذَرفَتْ منها العُيُونُ، ووَجِلَتْ منها القُلُوبُ، فقالَ رجلٌ: يا رَسُولَ الله، كأنَّ هَذِهِ مَوْعظة مُودِّعٍ، فما تَعْهد إلَيْنا؟ قال: «أُوصِيكُمْ بتقْوَىٰ الله، والسَّمْعِ والطَّاعةِ وإن عَبْدًا حَبشيًّا؛ فإنَّه

مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كثيرًا، فعَليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عَلَيها بالنَّواجذِ، وإيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ»[(١)].

ورَوَىٰ مالكٌ في «الموطأ» بلاغًا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «تَركْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضلُّوا ما تَمسَّكتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله، وسُنَّةَ رَسُولِهِ»[(٢)].

وهَذَا الحديثُ من بَلَاغاتِ مَالكٍ، وفيه نظرٌ إلَّا أنَّه يَشْهد له حديثُ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند الحَاكِمِ: حدَّثنا إسماعيل بن مُحمَّد بن الفضل الشَّعْرَاني، حدَّثنا جدِّي، حدَّثنا ابن أبي أويس، حدَّثني أبي عن ثور بن زيد الديلي، عن عِكْرمة، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ في حَجَّة الوَدَاع، فقَالَ: «قَدْ يَئِسَ الشَّيطانُ أَنْ يُعبَد بأَرْضكم، ولكنَّه رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمالِكم، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّها النَّاس، إنِّي تَركْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتصَمتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبدًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّه: إنَّ كلَّ مُسْلمٍ أَخُو المُسْلم، المُسْلمونَ إِخْوةٌ، ولا يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إلَّا مَا أَعْطاه عن طِيبِ نَفْسٍ، ولا تَظْلمُوا، وَلَا تَرْجعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْربُ بَعْضكم رِقَابَ بَعْضٍ»[(٣)].

قَالَ الحَاكِمُ: قَدِ احْتجَّ البُخَاريُّ بأَحَاديث عِكْرمة، وَاحْتجَّ مُسْلمٌ بأَبِي

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) بنحوه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

(٢) أخرجه مالك في «موطئه» بلاغًا (٢/ ٨٩٩) (٣)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٨٦).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٨).

أُوَيس، وسَائرُ رُوَاتِهِ مُتَّفقٌ عَلَيهم، ووافَقَه الذَّهبيُّ في احْتِجَاج البخاريِّ بعِكْرمةَ، ومُسْلم بأبي أُوَيس، وقالَ: ولَهُ أصلٌ في الصَّحيح.

ثمَّ قالَ الحاكمُ: وقَدْ وَجَدتُ لَه شاهدًا من حديث أَبِي هُرَيْرة، ثمَّ سَاقَه بِسَندِهِ إِلَىٰ عَبْد العزيز بن رفيع، عن أبي صَالحٍ، عن أبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنِّي قَدْ تَركْتُ فِيكُمْ شَيْئين لَنْ تَضِلُّوا بَعْدهما: كتابَ الله وسُنَّتي، ولَنْ يَتفرَّقا حتَّىٰ يَرِدَا عليَّ الحَوْضَ**»، وسَكَت عَلَيه الحاكمُ والذَّهبيُّ، ولا يُعْتبر شاهدًا إلَّا وَهُو صحيحٌ أو مُقَاربٌ، لكن قَالَ الذَّهبيُّ: صالح بن مُوسَىٰ الطلحي وَاهٍ.

قلتُ: كتابُ الله وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ هُمَا الأَصْلانِ اللَّذان يُؤخَذ الدِّينُ عَنْهما باتِّفاقِ جَمِيع المُسْلمينَ، ومَنْ خَرَج عن هَذَا الإِجْماعِ فَهُو ضَالٌّ، ومَنِ اسْتَثنَىٰ الآحادَ فَهُو مَفْتونٌ ومُبْتدعٌ ومُخَالفٌ لِمَا عَلَيه سَلَفُ الأُمَّة وعُلَماؤها، وَعَليه أَنْ يستغفرَ اللهَ ويَتُوبَ إِلَيه.

وعَنِ المِقْدامِ بن مَعْدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلغه الحديثُ عنِّي وَهُو مُتَّكئٌ عَلَىٰ أريكتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْننا وبَيْنكُمْ كِتَابُ الله، فمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالًا اسْتَحْللنَاهُ، وَمَا وَجَدْنا فِيهِ حرامًا حَرَّمناهُ، وإنَّما حَرَّم رَسُولُ الله ﷺ كَمَا حَرَّم اللهُ**»، هَذِهِ رِوَايةُ التِّرمذيِّ (١).

وَرِوَايةُ أَبِي داود قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا إنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْله مَعَه، أَلَا يُوشِكُ رَجلٌ شَبْعانُ عَلَىٰ أَريكتِهِ يَقُول: عَلَيكم بِهَذَا القُرْآنِ، مَا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٤٤٢٢).

وَجَدتُمْ فِيهِ مِنْ حلالٍ فَأَحلُّوه، وَمَا وَجدتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحرِّموه، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُم الحِمَارُ الأَهْلِيُّ، ولَا كلُّ ذِي نابٍ مِنَ السِّباع، ولَا لُقَطةُ مُعَاهِدٍ إلَّا أَنْ يَسْتغنِي عَنْها صَاحِبُها، ومَنْ نَزَل بقومٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرُوه، فَإِنْ لَمْ يُقْرُوه فَلَه أَنْ يُعَقِّبهُمْ بمِثْلِ قِرَاه»[1].

وعَنْ أَبِي رَافعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لا أَعْرفنَّ الرَّجلَ مِنْكم يَأْتِيهِ الأَمْرُ من أَمْرِي إِمَّا مِمَّا أَمرتُ بِهِ، أو نَهَيْتُ عنه، وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَريكتِهِ، فَيَقولُ: مَا نَدْري ما هَذَا، عِنْدَنا كِتَابُ الله، ولَيْس هَذَا فِيهِ، ومَا لرَسُولِ الله أن يَقُولَ مَا يُخَالِفُ القُرْآنَ، وَبِالقُرْآنِ هَدَاه اللهُ»**[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: **«إِنَّما مَثَلي ومَثَل ما بَعَثني اللهُ به كمَثَل رجلٍ أَتَىٰ قَوْمَه، فقالَ: إِنِّي رأيتُ الجيشَ بِعَيْني، وإِنِّي أَنَا النَّذيرُ العُرْيانُ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ، فأَطَاعه طائفةٌ من قومِهِ، فأَدْلجوا، فَانْطَلقوا عَلَىٰ مَهلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طائفةٌ مِنهم فَأَصْبَحوا مَكَانَهم، فَصَبَّحهم الجيشُ فَأَهْلَكهُمْ وَاجْتَاحهُمْ، فذَلِكَ مَثَل مَنْ أَطاعَنِي واتَّبَع مَا جِئْتُ بِهِ، ومَثَل مَنْ عَصَانِي وكذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»**[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّما مَثَلي ومَثَل النَّاس كَمَثلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نارًا، فلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْله جَعَل الفَرَاشُ وهَذِهِ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٦٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

الدَّوابُّ الَّتي تَقَعُ في النَّار يَقعْنَ فِيهَا، فجَعَل الرَّجلُ يَزعُهنَّ ويَغْلبنَه، فيَتقحَّمْنَ فِيهَا، فأنَا آخذٌ بحُجُزِكم عن النَّار، وأَنْتم تَقْتَحمُونَ فِيهَا»، هَذِهِ روايةُ البخاريِّ(١).

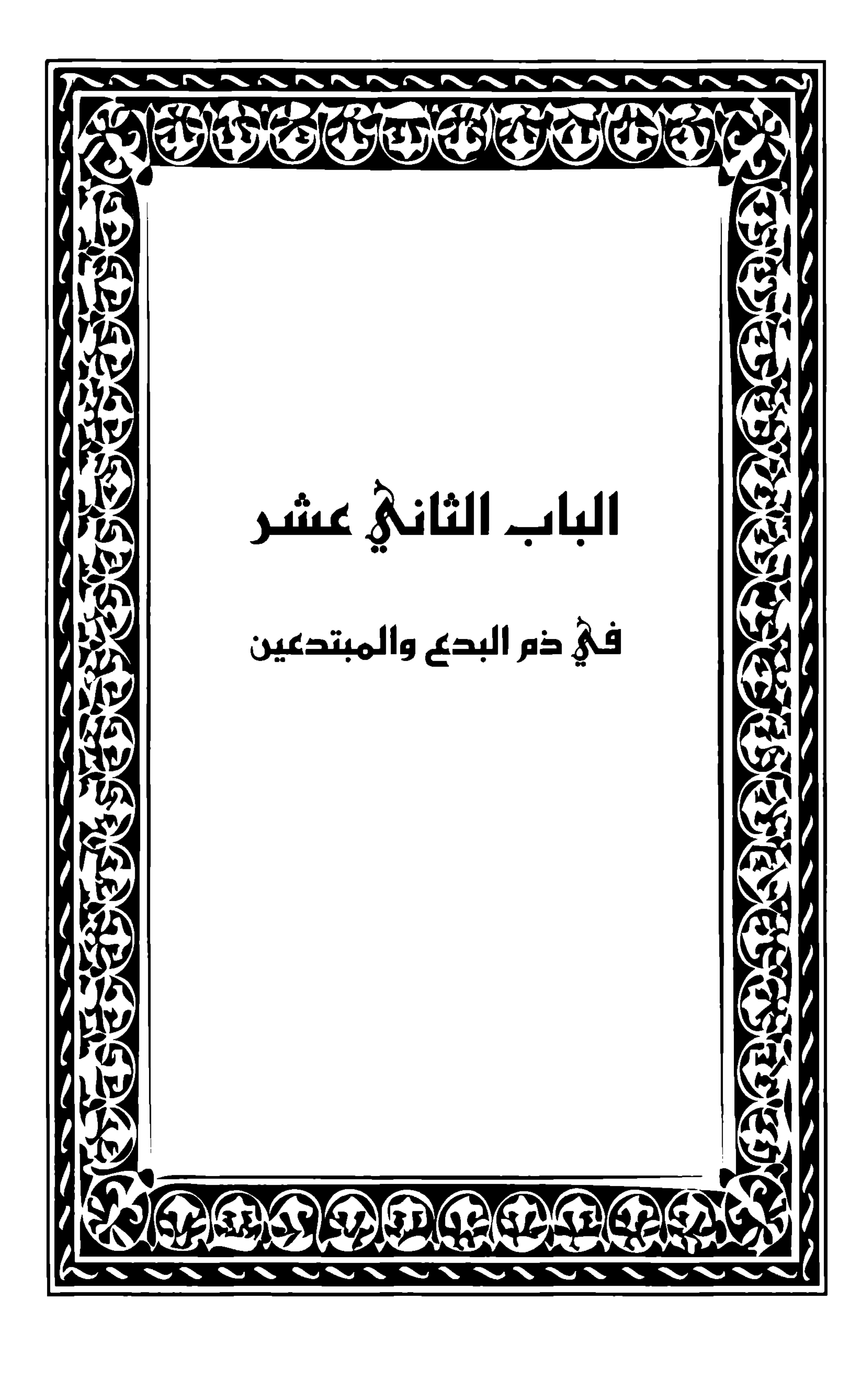
ولمُسْلمٍ نَحْوه، وقالَ في آخِرِها: «فذَلِكَ مَثَلي ومَثَلكم، أنَا آخذٌ بحُجُزِكُمْ عن النَّار، هُلَمَّ عن النَّار، هُلَمَّ عن النَّار، فتَغْلبونَني وتَقحَّمُونَ فِيهَا»، وأَخْرجه التِّرمذيُّ بنَحْوه، وعَنْ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَحْوه، رَوَاه مُسْلمٌ (٢).

وعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «إنَّ أَحْسَنَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ ﷺ، وَشِرارُ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعَدونَ لآتٍ، ومَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ»، أَخْرجه البخاريُّ (٣).

هذِهِ أحاديثُ صحيحةٌ إضافةً إِلَىٰ الآياتِ الَّتي سَبَق ذِكْرها، وكلُّها تُفِيد وُجُوبَ مُتَابعةِ النَّبيِّ ﷺ، وَالاقْتِداءِ بسُنَّتِهِ، واتِّباعِ طَريقتِهِ، فخَيْر الهَدْي هَدْيه، وخَيْر السُّننِ سُنَّته صلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، فمَنْ زَعَم أنَّه يَأتي بأَحْسَنَ مِنْ سُنَّته أو يَأْتي بأَفْضلَ من طريقتِهِ في الدَّعوةِ إِلَىٰ الله، فإنَّه قَدْ كَذَب وَافْتَرىٰ، وَضَلَّ ضَلالًا بعيدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨٤)، والترمذي (٢٨٧٤).
(٣) أخرجه البخاري (٧٢٧٧).



الباب الثاني عشر

في ذم البدع والمبتدعين

الباب الثاني عشر
في ذم البدع والمبتدعين

البِدْعةُ إِحْداثٌ في الدِّين، واستدراكٌ عَلَىٰ سَيِّد المُرْسلين، الَّذي أَكْمَل اللهُ لنا به الدِّينَ، وتكذيبٌ لله ربِّ العَالَمين في إِخْباره بأنَّ الدِّينَ قَدْ كَمُل، ولَمْ يَعُدْ بِحَاجةٍ أن يكمِّلَه أحدٌ، أو يَزِيدَ فيه.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسير هَذِهِ الآية: «وقَالَ عليُّ بن أبي طَلْحة عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

وَهُو الإِسْلَامُ، أَخْبرَ اللهُ نَبيَّه ﷺ والمُؤْمِنِينَ أَنَّه قَدْ أَكْمل لَهُم الإيمانَ، فَلَا يحتاجُ إِلَىٰ زِيَادةٍ أبدًا، وقَدْ أَتمَّه، فلا ينقصه أبدًا، وقَدْ رَضِيَهُ، فَلَا يَسْخطه أبدًا». اهـ[1].

ثمَّ ذَكَر أثرًا من طَرِيق هَارُون بن عَنْترة عن أَبِيهِ، قالَ: لمَّا نَزلَتْ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣]، ذَلِكم يوم الحجِّ الأكبر، بَكَىٰ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦).

فقَالَ له النَّبيُّ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟» قال: أَبْكانِي أَنَّا كُنَّا في زيادةٍ من دِينِنا، فأمَّا إِذَا كَمُلَ، فإنَّه لا يَكْمل شيءٌ إلَّا نقص، فَقَال لَه: «صَدَقْتَ»(١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويَشْهد لهَذَا المَعْنىٰ الحَدِيثُ الثَّابتُ بأنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غريبًا، وسَيَعُود غريبًا كَمَا بَدَأ، فطُوبَىٰ للغُرَباءِ».اهـ(٢).

قلتُ: المُرَاد بالنَّقص هُنَا: النَّقصُ في قُلُوبِ النَّاس، أَمَّا أَحْكام الإِسْلَامِ فَهِيَ كاملةٌ وباقيةٌ عَلَىٰ كَمَالها إِلَىٰ يَوْم القِيَامَة، ولهَذَا كانَ مَنِ ابْتَدعَ بِدْعةً في الدِّين مَذْمومًا ومَلُومًا وآثمًا، اتَّفق عَلَىٰ ذَلِكَ الكتابُ، والسُّنَّةُ، والآثارُ، وَإِجْماعُ أَهْل السُّنَّةِ، قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣١، ٣٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هَذِهِ الآية: هُمْ أَهْلُ البِدَعِ، وأَهْلُ الشُّبُهاتِ، وأَهْلُ الضَّلالةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ في حديث عَائِشَةَ المُتَّفق عَلَيه: «مَنْ أَحْدثَ في أَمْرِنا هَذَا ما لَيْس مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»(٣)، وَفِي رِوَايةٍ: «مَنْ عَمِلَ عملًا لَيْسَ عَلَيه أَمْرُنَا، فَهُو رَدٌّ»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، وقال الألبانيُّ: لا أعرف له أصلًا بهذا التمام. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٥٨٦٠).

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣)، ط. الشعب، و«تفسير الطبري» (٩/ ٥١٩). محمد بن هادي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٧١٨).



وقَالَ فِي حَدِيثِ العِرْباضِ بن سارية: «عَلَيْكُمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عَلَيها بِالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ ومُحْدثاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بِدْعةٌ، وَكُلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ»[1].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا فَرَطٌ لَكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، وَلَيُخْتلجنَّ رِجَالٌ دُونِي، فأَقُولُ: يا ربِّ، أَصْحابِي، فيُقَال: إنَّك لا تَدْرِي مَا أَحْدثُوا بَعْدك»[2].

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أنَّ أَصْحابَ البِدَعِ يُذَادون عن حَوْض النَّبيِّ ﷺ؛ لقولِهِ: «وَليُخْتلَجنَّ رِجَالٌ دُونِي، فأَقُولُ: يَا ربِّ، أَصْحَابِي، فيُقَالُ: إنَّك لا تَدْري مَا أَحْدَثوا بَعْدك».

وقَدْ تَقدَّمَ أنَّ عبدَ الله بن مَسْعودٍ ﷺ لمَّا وَقَف عَلَىٰ حِلَقٍ في مَسْجد الكُوفَة، كلُّ حلقةٍ فيها رجلٌ يَقُول: سَبِّحوا مئةً، فيُسبِّحون مئةً، كَبِّروا مئةً، فيُكبِّرون مئةً، هَلِّلوا مئةً، فيُهلِّلون مئةً، فقَالَ: إنَّكم لعَلَىٰ مِلَّةٍ، هِيَ أَهْدىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحمَّدٍ، أو مُفْتَتِحُو بَابَ ضَلالةٍ، فَقَالُوا: واللهِ يا أبا عبد الرَّحمن، ما أَرَدْنا إلَّا الخيرَ: فقَالَ ﷺ: وكَمْ من مُرِيدٍ للخَيْر لم يُصِبْه.

وقَدْ رَوَىٰ ابْنُ الجَوْزي بسَندِهِ إِلَىٰ سُفْيان الثَّوريِّ، أنَّه قالَ: «البِدْعةُ أحبُّ إِلَىٰ إبْلِيسَ من المَعْصية، المَعْصيةُ يُتَابُ منها، والبِدْعةُ لا يُتَابُ مِنْها».

قالَ رجلٌ للفضيل بن عياض ﷺ: «مَنْ زوَّج كَرِيمتَه مِنْ فَاسقٍ، فَقَدْ قَطَع رَحِمَها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٥).

فقَالَ له الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ زوَّج كَرِيمتَه مِنْ مُبْتدعٍ فقَدْ قَطَع رَحِمَها، ومَنْ جَلَس مع صَاحبِ بِدْعةٍ لَمْ يُعْطَ الحِكْمةَ، وإِذَا عَلِمَ اللهُ من رَجُلٍ أنَّه مُبْغضٌ لِصَاحبِ بِدْعةٍ، رَجَوْتُ أَنْ يَغْفرَ اللهُ لَه سَيِّئاتِهِ».

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ مُبْتدعًا في طَرِيقٍ، فَخُذْ في طَرِيقٍ آخرَ، وَلَا يُرْفعُ لِصَاحبِ البِدْعةِ عَمَلٌ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومَنْ أعانَ صَاحبَ بِدْعةٍ، فقَدْ أَعانَ عَلَىٰ هَدْم الإِسْلامِ».

وعَنْ مُحمَّد بن سهلٍ قال: «كنَّا عند الفريابي، فجَعَل يَذْكر أَهْلَ البِدَعِ، فقَالَ له رجلٌ: لَوْ حَدَّثتنا كانَ أَعْجبَ إِلَيْنا، فغَضِبَ، وَقَالَ: كَلَامي في أَهْلِ البِدَعِ أحبُّ إليَّ من عِبَادةِ سِتِّين سَنَةً».اهـ[1].

وقَالَ الشَّاطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خَفاءَ أنَّ البِدَعَ من حَيْث تَصوُّرها يَعْلمُ العاقلُ ذَمَّها؛ لأنَّ اتِّباعها خُرُوجٌ عن الصِّراطِ المُسْتقِيم، ورَمْيٌ في عِمَايةٍ، وبَيَان ذَلِكَ من جِهَةِ النَّظر والنَّقْل الشَّرعيِّ العامِّ، أَمَّا النَّظَرُ فمِنْ وُجُوهٍ:

❁ **أحدها:** أنَّه قَدْ عُلِمَ بِالتَّجاربِ وَالخِبْرَةِ السَّاريةِ في العَالَم من أَوَّل الدُّنيا إِلَىٰ اليوم أنَّ العُقُولَ غير مُستقلَّةٍ بمَصَالِحِها اسْتِجْلابًا لَهَا، أو مَفَاسِدها اسْتِدْفاعًا لَهَا؛ لأنَّها إمَّا دُنيويَّةٌ أو أُخْرويَّةٌ:

فأمَّا الدُّنيويَّة، فَلَا يَسْتقلُّ بِاسْتِدْراكِها عَلَىٰ التَّفصيل البتَّة، لا في ابْتِدَاءِ وَضْعها، أوَّلًا، وَلَا في اسْتِدْراكِ ما عَسَىٰ أن يَعْرض في طَرِيقِها، إمَّا في السَّوابقِ،

---

(١) من كتاب: «نقد العلم والعلماء» لابن الجوزي، وانظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١٥).

وإمَّا في اللَّواحقِ؛ لأنَّ وَضْعها أوَّلًا لم يكن إلَّا بتَعْليمٍ مِنَ الله تَعالىٰ؛ لأنَّ آدمَ عليه السلام لمَّا أُنْزِل إِلَىٰ الأرض، علمَ كَيْف يَسْتجلبُ مَصَالحَ دُنْياه، إِذْ لم يكن ذَلِكَ من مَعْلومه أوَّلًا.

إلىٰ أَنْ قَالَ: وأمَّا المَصَالحُ الأُخرويَّةُ، فأبعد عن مَصَالح المَعْقولِ مِن جهة وَضْع أَسْبَابها، وَهِيَ العِبَاداتُ مَثلًا، فإنَّ العبدَ لَا يَشْعرُ بِهَا عَلَىٰ الجُمْلةِ، فَضْلًا عن العِلْمِ بِهَا عَلَىٰ التَّفصيل.

❁ **الثَّاني:** أنَّ الشَّريعةَ جَاءَتْ كَاملةً، لا تَحْتملُ الزِّيادةَ، وَلَا النُّقصانَ؛ لأنَّ الله تَعَالىٰ قَالَ فيها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۝٣﴾ [المائدة:٣].

ثمَّ ذَكَر حديث العِرْباض بن سَارِيَة الَّذي سَبَق ذِكْرُهُ، ثمَّ قال: وثَبتَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ حتَّىٰ أَتَىٰ بِبيَانِ جَمِيع ما يحتاج إليه في أَمْر الدِّين والدُّنيا، وهَذَا لَا مُخَالِفَ فِيهِ من أَهْلِ السُّنَّةِ، فإِذَا كانَ كذَلِكَ، فالمُبْتدعُ مُحَصَّلُ قَوْلِهِ بلسانِ حالِهِ أو مقالِهِ أنَّ الشَّريعةَ لَمْ تتمَّ، وأنَّه بَقِيَ منها أَشْياءُ يجب -أو يُسْتَحبُّ- اسْتِدْرَاكُها.

قَالَ ابن المَاجشون: «سمعتُ مَالكًا يَقُول: مَنِ ابْتدَعَ في الإِسْلَام بِدْعةً يراها حَسَنةً، فقَدْ زَعَم أنَّ مُحمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسالةَ؛ لأنَّ الله تَعَالىٰ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ۝٣﴾ [المائدة:٣]، فمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمئذٍ دينًا، لَمْ يكن اليومَ دينًا»[1].

---

(١) انظر «الاعتصام» (١/ ٦٤، ٦٥).

❁ **والثَّالث:** أنَّ المُبْتدعَ مُعَاندٌ للشَّرع، مُشَاقٌّ له؛ لأنَّ الشَّارعَ قَدْ عَيَّن لمَطَالبِ العَبْد طُرُقًا خَاصَّةً عَلَىٰ وُجُوهٍ خاصَّةٍ، وقَصَر الخَلْقَ عليها بالأَمْر والنَّهي، والوَعْد والوَعِيد، وأَخْبر أنَّ الخيرَ فيها، وأنَّ الشَّرَّ في تَعدِّيها إِلَىٰ غَيْرها؛ لأنَّ اللهَ يَعْلم ونَحْن لا نَعْلم، وأنَّه إنَّما أرسل الرَّسُول ﷺ رَحْمةً للعَالَمين.

والمُبْتدعُ رادٌّ لهَذَا كلِّه، فإنَّه يَزْعم أنَّ ثَمَّ طُرقًا أُخْرىٰ، ولَيْس ما حَصَره الشَّارعُ بمَحْصورٍ، ولا ما عَيَّنه بمُتعيِّنٍ، وكأنَّه يقول: الشَّارعُ يَعْلم ونحن نَعْلم؛ بل ربَّما يفهم من اسْتِدْراكِهِ الطُّرُقَ عَلَىٰ الشَّارع أنَّه علم ما لم يَعْلمه الشَّارعُ، وهذا إِنْ كان مقصودًا للمُبْتدع، فهو كفرٌ بالشَّريعةِ والشَّارعِ، وإِنْ كان غَيْر مَقْصودٍ، فهو ضلالٌ مبينٌ.

وإلىٰ هَذَا المَعْنىٰ أَشَار عُمَر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَ كتب له عدي بن أرطاة يَسْتشيرُهُ في بَعْض القَدَريَّة، فكَتَب إليه الْخَلِيفةُ يَقُول: أمَّا بعد، فإنِّي أُوصِيكَ بتَقْوىٰ الله، والاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ، واتِّباع سُنَّة نَبيِّه ﷺ، وتَرْك ما أَحْدَثه المُحْدثُونَ فِيمَا قَدْ جرَتْ به سُنَّتُهُ، وكُفُوا مُؤنَته، فعَلَيك بلُزُوم السُّنَّةِ، فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ عَرَفَ ما في خِلَافِها من الخَطَإِ والزَّلل والحُمْقِ والتَّعمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضِيَ به القومُ لأَنْفُسِهِمْ، فإنَّهم عن عِلْمٍ وَقفوا، وبِبَصرٍ نَافذٍ قَدْ كُفُوا، وهُمْ كانوا عَلَىٰ كَشْفِ الأُمُورِ أَقْوىٰ، وبِفَضْلٍ كَانُوا فيه أَحْرىٰ، فلئن قلتم: أمرٌ حَدَث بعدهم، ما أَحْدثه بعدهم إلَّا مَنِ اتَّبعَ غير سُنَّتهم، ورَغِبَ بنفسِهِ عَنْهم، إنَّهم لَهُمُ السَّابقون، فقَدْ تكلَّموا منه بِمَا يَكْفي، ووَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفي، فما دُونَهم مُقصِّرٌ، وما فَوْقهم مُحسرٌ، لقَدْ قصر عَنْهم آخَرُونَ فَغَلوا، وإنَّهم بَيْن ذَلِكَ لعَلَىٰ هدًىٰ مستقيمٍ.

۞ **الرَّابع:** أنَّ المُبْتَدِعَ قَدْ نَزَّل نَفْسه مَنْزلةَ المُضَاهي للشَّارع؛ لأنَّ الشَّارعَ وَضَع الشَّرائعَ، وأَلْزمَ الخَلْقَ الجَرْيَ عَلَىٰ سُنَنها، وصَارَ هو المُنْفرد بذَلِكَ؛ لأنَّه حَكَمَ بَيْن الخَلْق فِيمَا كانوا فيه يَخْتلفُون.

وإلَّا فلَوْ كانَ التَّشريعُ من مُدْركَاتِ الخَلْقِ، لم تَنْزل الشَّرائعُ، ولَمْ يَبْقَ الخلافُ بَيْنَ النَّاس، ولا احْتِيجَ إِلَىٰ بَعْث الرُّسُل ﷺ، ثمَّ إنَّ هَذَا الَّذي ابْتدَعَ في دين الله قَدْ صَيَّر نَفْسَه نظيرًا ومُضَاهيًا للشَّارع، حَيْث شرَّع مَعَه، وفَتَح لِلاخْتِلَافِ بَابًا، وردَّ قَصْدَ الشَّارع في الانْفِرَادِ بالتَّشريعِ، وكَفَىٰ بِذَلِكَ ضَلالًا.

۞ **الخامس:** أنَّ المُبْتدعَ مُتَّبعٌ للهَوَىٰ؛ لأنَّ العقلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّبعًا للشَّرع، لَمْ يَبْقَ له إلَّا الهَوَىٰ والشَّهوة، وأَنْتَ تَعْلم ما في اتِّباع الهَوَىٰ، وأنَّه ضَلالٌ مُبينٌ، أَلَا تَرَىٰ قَوْلَ الله تَعَالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

فحَصَر الحُكْمَ في أَمْرينِ لَا ثَالِثَ لهما عنده، وَهُو الحقُّ والهَوَىٰ، وعزل العقل مُجرَّدًا، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

فجَعَلَ الأَمْرَ مَحْصورًا في أَمْرينِ: اتِّباعِ الذِّكْر، وَاتِّبَاعِ الهَوَىٰ.

ومثل ذَلِكَ قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

وتَأمَّلوا هَذِهِ الآيَةَ، فهي صَرِيحةٌ في أنَّ مَنْ لم يَتَّبع هُدَىٰ الله، فهو مُتَّبعٌ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فلا أحدَ أضلُّ منه».اهـ[1].

□ **وفي هَذَا كفايةٌ ومَقْنعٌ لمَنْ أرادَ الحقَّ، ومَنْ أرادَ أن يَسْتزيدَ فَعَلَيْهِ بِالْكُتُبِ التَّاليةِ:**

١ ـ كتاب «الاعتصام» للشَّاطبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ كتاب «اقتضاء الصِّراط المستقيم» لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ ـ «تلبيس إبليس»، أو «نقد العلم والعلماء» لابن الجوزي.

٤ ـ «ذم البِدْعة والمُبْتدع».

٥ ـ كتاب الاعتصام من «صحيح البخاريِّ».

٦ ـ كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود».

٧ ـ كتاب «السُّنَّة» لابْنِ أبي عاصم.

٨ ـ كتاب «الشَّريعة» للآجري.

٩ ـ كتاب «السُّنَّة» لعبد الله بن الإمام أحمد.

١٠ ـ «شرح أُصُول اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعة» للإمام اللالكائي.

١١ ـ «السُّنَّة» للإمام الخَلَّال.

---

(١) من كتاب «الاعتصام» للشاطبي، (الباب الثاني في ذم البدع وسوء منقلب أهلها) (١/ ٤٦)، وما بعدها بتصرف.

١٢ ـ «الحُجَّة في بَيَانِ المَحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّةِ» للإمام قَوَّام السُّنَّةِ الأصبهاني.

١٣ ـ «الكتاب اللَّطيف لشَرْح مَذَاهب أَهْل السُّنَّةِ» للإمام الحافظ ابن شاهين.

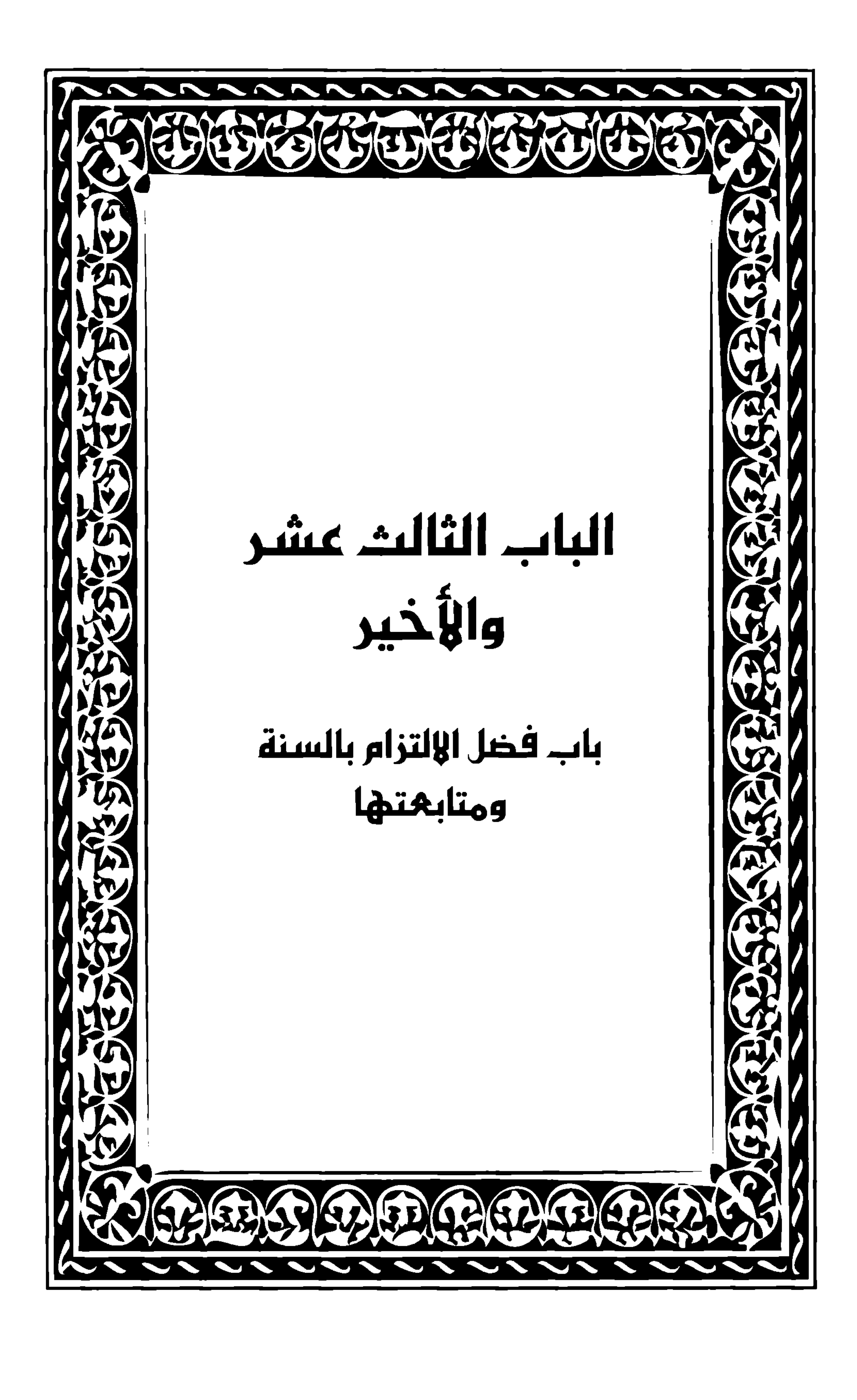
١٤ ـ «أُصُول السُّنَّةِ» للإمام أبي عبد الله مُحمَّد، المعروف بابن أبي زمنين.

١٥ ـ «التَّنبيهُ والرَّدُّ عَلَىٰ أَهْل الأَهْواءِ والبِدَعِ» للإمام أبي الحسين مُحمَّد بن أحمد الملطي.

١٦ ـ «المختار في أُصُول السُّنَّةِ» للإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن البنَّا الحنبلي.

١٧ ـ «الإبانة الصُّغرىٰ».

١٨ ـ «الإبانة الكُبْرىٰ» كِلَاهُمَا للإمام ابن بطة، رَحِمَ اللهُ الجميعَ.



الباب الثالث عشر والأخير

باب فضل الالتزام بالسنة ومتابعتها

الباب الثالث عشر والأخير
باب فضل الالتزام بالسنة ومتابعتها

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

إنَّ الاسْتِقَامةَ هِيَ إخلاصُ الدِّين لله، والمُتَابعةُ لرَسُول الله ﷺ.

قالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: «يقُول تعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠].

أي: أَخْلَصُوا العملَ لله، وعَمِلُوا بطَاعَةِ الله عَلَىٰ ما شَرَع الله لَهُمْ.

وَفِي «صحيح مسلم» عن سفيان بن عبد الله قال: قلتُ: يا رَسُولَ الله، قُلْ لي في الإِسْلَامِ قَوْلًا لا أَسْأَلُ عَنْه أحدًا بَعْدك، قال: «قُلْ آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠] عَلَىٰ أَدَاء فَرَائِضِهِ، وكَذَا قَالَ قتادة.

وقالَ أبو العَالية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: أَخْلَصُوا له الدِّينَ والعَمَلَ.

وكَانَ الحسنُ يَقُول: اللَّهمَّ أنت ربُّنا، فَارْزُقْنا الاسْتِقَامةَ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قالَ مُجَاهدٌ والسُّدي وزيد بن أَسْلم وابنه (يَعْني: عند المَوْتِ) قَائِلِينَ: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾.

قَالَ مُجَاهدٌ وعِكْرمة وزَيْد بن أَسْلم، أي: مِمَّا تَقْدُمونَ عَلَيه من أَمْر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ عَلَىٰ ما خلفتموه من أَمْر الدُّنيا من وَلَدٍ، وأَهْلٍ، ومَالٍ أَوْ دينٍ، فإنَّا نُخْلِفُكُمْ فِيهِ ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيُبَشِّرونهم بذَهَابِ الشَّرِّ، وحُصُولِ الخَيْر، وهَذَا كَمَا جاءَ في حديث البَراءِ ﷺ، أنَّ المَلَائكةَ تَقُولُ لرُوح المُؤْمِنِ: «**اخْرُجِي أيَّتها الرُّوحُ الطَّيِّبةُ كَانَتْ في الجَسَدِ الطَّيِّبِ تَعْمره، اخْرُجِي إِلَىٰ رَوْحٍ ورَيْحَانٍ وربٍّ غَيْر غَضْبانَ**»[(١)].

وَقِيلَ: إنَّ المَلَائِكةَ تَنْزل عَلَيهم يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ. حَكَاه ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، والسُّدي.

وقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتمٍ: «حَدَّثنا أبو زُرْعة، حدَّثنا عبد السَّلام بن مطهر، حدَّثنا جَعْفر بن سُلَيمان، قال: سمعتُ ثابتًا قرأ سُورَة «حم السَّجدة» حتَّىٰ بَلَغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۝٣٠﴾ [فصلت:٣٠].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٣٠٩).

فوَقَفَ، فقَالَ: بَلَغنا أنَّ العبدَ المُؤْمنَ حين يَبْعثُهُ اللهُ من قَبْره، يَتلقَّاه المَلَكانِ اللَّذانِ كَانَا مَعَه في الدُّنيا، فيَقُولَانِ لَه: لا تَخَفْ، ولَا تَحْزَنْ ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت:٣٠] قال: فيُؤمِّن اللهُ تَعَالَىٰ خَوْفَه، ويُقِرُّ عَيْنَه، فَمَا عَظِيمةٌ يَخْشَىٰ النَّاسُ مِنْها يَوْمَ القِيَامَةِ إلَّا هِيَ للمُؤْمِنِ قُرَّةُ عَيْنٍ لِمَا هَدَاه اللهُ تَبارَكَ وتَعَالىٰ، وَلِمَا كانَ يَعْمل في الدُّنيا.

وقالَ زَيْد بن أَسْلم: «يُبشِّرونه عند موتِه، وفي قَبْرِه، ويَوْمَ بَعْثِهِ»[١].

قلتُ: لَا يَكُونُ من أَهْلِ هَذِهِ البِشَارةِ إلَّا مَنْ عاشَ حَياتَه الدُّنيا عَلَىٰ النَّهْجِ السَّلَفيِّ، والعَقِيدةِ السَّلَفيَّةِ (عقيدة التَّوحيد)؛ لقولِهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كلُّها في النَّارِ إلَّا وَاحِدةً»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «هُمُ الَّذين عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيه وَأَصْحَابِي»[٢].

أي: كَانُوا في حَيَاتِهِمْ في الدُّنيا مُسْتقِيمِينَ، وثَابِتِينَ عَلَىٰ النَّهجِ الَّذي تَركْتُ أَصْحابِي عَلَيه، كَمَا قَالَ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ بَيْضاء، لَيْلُهَا كَنَهارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إلَّا هَالِكٌ»[٣].

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ١٧٧): «رواه ابن أبي حاتم، وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدًّا وهو الواقع».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢) من حديث العرباض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٩٣٧).

فمَنْ زَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ الوَاضِحَةِ الَّتي تَركَنا عَلَيها رَسُولُ الله ﷺ، وأَشَار إِلَيْها في هَذَا الحَدِيثِ، وَهِيَ: أَلَّا نَعْبُدَ إلَّا الله، ولَا نَعْبُدُ اللهَ إلَّا بِمَا شَرَعَ رَسُولُ الله ﷺ- فَقَدْ هَلَكَ، وَمَنِ اتَّبَعهَا فَقَدْ نَجَا.

وقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ: إنَّ شَرِيعةَ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّته كسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخلَّفَ عَنْها هَلَكَ.

وعلىٰ ذَلِكَ دَلَّتِ الأدلَّةُ؛ فمِنْهَا قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وَفِي «صحيح البخاريِّ» من طَرِيقِ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: «جَاءَتْ مَلَائكةٌ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فقالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّه نَائمٌ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمةٌ، والقَلْبَ يَقْظانُ، فَقَالُوا: إنَّ لِصَاحِبكُمْ هَذَا مَثلًا، قَالَ: فَاضْرِبُوا لَهُ مَثلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقَالَ بَعْضُهمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فقالوا: مَثَله كَمَثلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دارًا، وجَعَل فِيهَا مَأْدبةً، وبَعَثَ دَاعيًا، فمَنْ أَجَابَ الدَّاعي، دَخَل الدَّارَ، وأَكَل مِنَ المَأْدُبةِ، ومَنْ لم يُجِبِ الدَّاعي، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا له يَفْقَهها. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائمٌ، وقَالَ بَعْضُهمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا:

فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعي مُحمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحمَّدًا فقَدْ أَطَاعَ اللهَ، ومَنْ عَصَىٰ مُحمَّدًا، فقَدْ عَصَىٰ اللهَ»[1].

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: **«إنَّما مَثَلي ومَثَلُ مَا بَعثَني اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمًا، فقَالَ: يَا قَوْمِ، إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْني، وَإنِّي أنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطاعَهُ طَائِفةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مهلهم فَنَجَوْا، وَكَذَّبتْ طَائِفةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحهم الجَيْشُ، فَأَهْلكهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعني فَاتَّبع مَا جِئْتُ بِهِ، ومَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»**[2].

وَهَذِهِ الآياتُ والأحاديثُ نُذُرٌ لمَنْ عَصَىٰ اللهَ ورَسُولَه ﷺ، وبَشَائِرُ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ ورَسُولَه ﷺ.

ومِنَ البَشَائِرِ حَدِيثُ: **«لا تَزَالُ طَائِفةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامةً عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ الله وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»**[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لا تَزالُ طَائِفةٌ مِنْ أُمَّتي عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لا يَضرُّها مَنْ خَالَفهَا»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٠١) (١٦٩٧٤) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٩٦٢).

(٤) أخرجه ابن ماجة (٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٩٦٢).

وعَنْ عَمْرو بن شُعَيبٍ عن أبيهِ قَالَ: قَامَ مُعَاويةُ خَطِيبًا، فقَالَ: أَيْنَ عُلَماؤُكُمْ؟ أَيْنَ عُلَماؤكُمْ؟ سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ إِلَّا وَطَائِفةٌ مِنْ أُمَّتِىٰ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، لا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلهُمْ وَلا مَنْ نَصَرَهُمْ**»[(١)].

وَعَنْ ثَوْبانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَزَالُ طَائِفةٌ مِنْ أُمَّتي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورِينَ، لا يَضرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حتَّىٰ يَأْتِي أَمْرُ الله عز وجل**»[(٢)].

ومِنْها حَدِيثُ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ**»، أَخْرَجهُ مُسْلمٌ من حَدِيث أبي هريرة[(٣)]، وابن عمر، وَلَمْ يقل ابن عمر: «**فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ**»، ولَكِنْ قَالَ: «**وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٩)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجة» (٩)، وفي «الصحيحة» رقم (١١٩٥)، و(١٩٥٨)، و(١٩٧١).

قلت: ظاهره الانقطاع، فإنَّ شعيبًا -والد عمرو- لم يدرك معاوية إلا أن يكون سقط منه عن جده، إلَّا أنَّ الحديث صحيح من غير طريق عمرو بن شعيب، أخرجه البخاري من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن حميد، سمعت معاوية يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة علىٰ أمر الله، لا يَضرُّهم مَنْ خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله**»، ورَوَاه مسلم (١٠٣٧) وغيره مما لا نطيل بذكره، وقَدْ أطال الألبانيُّ في «الصحيحة» في تخريج طرقه، فانظره علىٰ الأرقام المشار إليها سابقًا.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجة» (١٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٥)، وفي رواية له: «إلىٰ جحرها» برقم (١٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٦).

ورَوَاهُ ابْنُ مَاجَة مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمِثْلِ رِوَاية مُسْلمٍ، وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرةَ، ومِنْ حديث ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بزِيَادَةِ: قِيلَ: ومَنِ الغُرَباءُ؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ من القَبَائِل**»[1].اهـ.

والمُرَادُ بِالنُّزَّاعِ مِنَ القَبَائِلِ: مَنْ هَداهُمُ اللهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الحقِّ، والصِّراطِ السَّويِّ، وَهِيَ العَقِيدةُ السَّلَفيَّةُ الصَّحِيحةُ.

وعَنْ سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فطُوبَىٰ للغُربَاءِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنِ الغُربَاءُ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ**»[2].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فطُوبَىٰ يَوْمئِذٍ للغُرباءِ، إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، والَّذي نَفْسُ أَبِي القَاسِم بِيَدِهِ، لَيَأْرِزَنَّ الإيمَانُ إِلَىٰ بَيْنَ هَذَيْنِ المَسْجدينِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**»[3].

وعَنْ جَابر بْنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ**»، قالَ: ومَنِ الغُربَاءُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الَّذينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٩٨٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجة» (٣٢٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٧٣) (١٦٧٣٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨٤) (١٦٠٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٢٩)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ونَحْنُ عِنْدَه: «**طُوبَىٰ للغُرَبَاءِ**»، فَقِيلَ: مَنِ الغُرَبَاءُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهم أَكْثر مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**»(١).

وأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمذيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُمَيَّة الشَّعباني قَالَ: سألتُ أَبَا ثَعْلبة الخُشَني، فقُلْتُ: يا أَبَا ثَعْلبةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة:١٠٥] قَالَ: أَمَا -والله- لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْها خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْها رَسُولَ الله ﷺ، فقَالَ: «**بَلِ ائْتَمِرُوا بالمَعْروفِ، وَتَناهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوىٰ مُتَّبعًا، ودُنْيا مُؤْثَرةً، وإِعْجَابَ كلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ يَعْني بنَفْسِكَ، ودَعِ العَوامَّ، فإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبرِ، الصَّبرُ فِيهَا مِثْلَ قَبْضٍ عَلَىٰ الجَمْرِ، للعَامِلِ فِيهِم مِثْل أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْملونَ مِثْل عَملِهِ**»، وزَادَ فِي غَيْرِهِ قَالَ: يا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، هَذَا لفظ أبي داود(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) (٦٦٥٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٦١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجة (٤٠١٤)، وفيه ضعف خفيف، وخرَّجه الألبانيُّ في «الضعيفة» من سنن ابن ماجة (ص٣٢٢، ٣٢٣)، وقال: لكن فقرة: «أيام الصبر» ثابتة في «الصحيحة» (٤٩٤)، وقال: وفي «الصحيحة» (١/ ٨١٢) بالرقم المشار إليه (٤٩٤): «**إن من ورائكم أيام الصبر، المتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه له أجر خمسين منكم**»، قالوا: يا نبي الله، منَّا أو منهم؟ قال: «**بل منكم**»، أخرجه ابن نصر في «السُّنَّة» (ص ٩٠) من طريق إبراهيم ابن أبي علية، عن عتبة ابن غزوان أخي بني مازن -وكان من الصحابة- أنَّ رسول الله ﷺ.

=

=

قلت: يعني الألباني، وإسنادُهُ صحيح، الحديث رجاله كلهم ثقات، لولا أنَّ إبراهيم بن أبي عُلَيَة عن عتبة بن غزوان مرسل كما في «التهذيب»، لكن له شاهدٌ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا به، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٧٦/ ١) من طريقين عن أحمد ابن عثمان بن حكيم الأودي، حدثنا سهل بن عثمان البجلي، حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن زيد بن وهبٍ عنه، وقال: قلت: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجال سنده كلهم ثقات، رجال مسلم، وله شاهدٌ آخر من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا به، أخرجه أبو داود رقم (٤٣٤١)، والترمذي (٢/ ١٧٧)، وابن ماجة (٤٠١٤)، وابن حبان (١٨٥٠)، وابن أبي الدنيا في الصبر (ق٤٢/ ١)، وقال الترمذيُّ: حديث حسن.اهـ.

قلت: وتحسين الترمذي هنا لا يبعد عن الحقيقة، فإنَّ عتبة بن أبي حكيم وَثَّقه قومٌ، وضعفه آخرون. وقال ابن عدي: أرجو أنَّه لا بأس به. وقال في «التقريب»: صدوق، يخطئ كثيرًا، وعمرو بن جارية وهو عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بفتح أوله، ابن جارية - بالجيم- الثقفي، المدني، حليف بني زهرة، وقد ينسب إلىٰ جده، ويقال: عمر، ثقة من الثالثة (خ م د س).

وأما أبو أمية الشعباني، واسمه يُحْمِد، بضم التحتانية، وإسكان المهملة، وكسر الميم، وقيل بفتح أوله والميم، وقيل: اسمه عبد الله، مقبول من الثانية (عخ د ت ق) تقريب (ت ٧٩٤٧).

ومن هنا نعلم أن تحسين الترمذي لا يبعد عن الحقيقة كما قلت، وقد استشكل جعله للعامل بالسُّنَّة، الثابت عليها في ذلك الزمن أجر خمسين من الصَّحابة، ويلزم منه تفضيل المتأخرين علىٰ الصحابة، ووجِّه بأنَّ المزية الخاصة لا يلزم منها التفضيل المطلق. وقال ابن عبد السلام: ليس هذا علىٰ إطلاقه ؛ بل هو مبني علىٰ قاعدتين:

إحداهما: أن الأعمال تشرف بثمراتها.

والثانية: أنَّ الغريب في آخر الزمان كالغريب في أوله، وبالعكس؛ لقوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء من أمتي**»، يريد المنفردين عن أهل زمانهم، يعني المتمسك بالسُّنَّة.

إذا تقرر ذلك، فنقول: الإنفاق في أول الإسلام أفضل؛ لقوله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه: «**لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**».اهـ. بواسطة، «عون المعبود» (١١/ ٤٩٦).

ولَفْظ التِّرمذيِّ: «فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبرُ فيهنَّ مِثْلَ القَبْضِ عَلَىٰ الجَمْرِ، للعَامِلِ مثل أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْملُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»[1].

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ المُبَاركِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وزَادَ في غير عتبة، قِيلَ: يا رَسُولَ الله، أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا منَّا أو مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لا، بَلْ أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ».

والشَّاهد في الحديثِ قولُهُ: «للعَامِلِ فيهنَّ مِثْل أَجْر خَمْسِينَ رَجُلًا». قِيلَ: يا رَسُولَ الله، أَجْر خَمْسينَ منَّا أو مِنْهم؟ قالَ: «لا، بَلْ مِنْكُمْ»، وهذِهِ فضيلةٌ عظيمةٌ لمَنْ عمل بالسُّنَّةِ، وَاسْتَقامَ عَلَىٰ الشَّرع الحَنِيفِ في آخِر الزَّمانِ.

وبالله التوفيق.

❊❊❊

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨)، وقال الألبانيُّ: ضعيف، لكن بعضه صحيح.اهـ. انظر: «ضعيف سنن الترمذي» (١/ ٣٧٠).



فصل
في صفات الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

وقَدْ تَبيَّنَ من هَذِهِ النُّصُوص: فَضِيلةُ المُتمسِّك بالسُّنَّةِ الَّذي قَالَ: ربِّي اللهُ، ثمَّ اسْتقَامَ، أي: وَقَف وثَبتَ، ولكِنْ مَنْ هُمُ الغُرَباءُ الَّذين يُصْلحون إِذَا فَسَد النَّاسُ؟ فَاسْتحقُّوا هَذَا الثَّناءَ العاطرَ من نَبيِّ الهُدَىٰ ﷺ، الَّذي جَاءَ يَتخطَّىٰ الزَّمَنَ، فَرفَعهُمْ فَوْقَ هَامَةِ الثُّريَّا، وإِنْ كَانُوا أَصْحابَ فَقْرٍ وعِوَزٍ وحَاجةٍ وضعفٍ.

ومَنْ هِيَ الفِرْقةُ النَّاجيةُ وَالطَّائفةُ المَنْصُورةُ؟

ومَا هُوَ ظُهُورُهُمْ عَلَىٰ النَّاس وغَلَبتُهُم لَهُمْ؟

مَا هُوَ نَوْعُ هَذِهِ الغَلَبةِ وهَذَا الظُّهُور؟ وأنَّه لا يَضرُّهم مَنْ خَذَلهم، وَلَا مَنْ خَالَفهُمْ.

إنَّ أَصْحابَ هَذِهِ البِشَارَاتِ وَالمَعنيِّينَ بِهَا هُمْ أَصْحابُ العقيدةِ السَّلَفيَّةِ الصَّحيحةِ الَّذين اعْتقَدوا مَا اعْتقَدَ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ من التَّوحيدِ الَّذي لا يَشُوبُهُ شِرْكٌ، والإيمانِ الَّذي لا يَشُوبه شَكٌّ، والسَّير عَلَىٰ السُّنَّةِ الَّتي لا تَشُوبها بِدْعةٌ، الَّذين اعْتقَدوا وَحْدانيَّة الله وانْفِرَادَه بالكَمَالاتِ الَّتي لا يُشَارِكُهُ

فِيهَا أَحَدٌ، لَا فِي أَسْمائِهِ الحُسْنىٰ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ العُلْيا، فَأَثْبَتُوهَا لَهُ إِثْبَاتًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ﷻ كما وَصَفَ نَفْسَه بِهَا، وكَمَا وَصَفه رَسُولُهُ ﷺ بها، مُعْتقِدِينَ بأَنَّ الاشْتِراكَ في الاسْمِ لَا يَلْزمُ مِنْه الاشْتِراكُ في الحَقِيقةِ.

وَاعْتقَدُوا وَحْدانيَّةَ الله وَانْفِرادَه بالأُلُوهيَّةِ، فَأَفْردُوهُ بِالْعِبَادةِ مِنْ دُعَاءٍ وخَوْفٍ ورَجَاءٍ ورَغْبةٍ وخُشُوعٍ وخَشْيةٍ، وغير ذَلِكَ، وَعَمِلُوا بالقَاعِدةِ الشَّرعيَّةِ في الوَلَاءِ والبَراءِ.

وَاعْتقَدُوا وُجُوبَ البُغْض للكُفَّارِ الملِّيِّين، والمُشْركين الخُرَافيِّين مِمَّن يَنْتمون إِلَىٰ الإِسْلَام، ويَدْعون أَصْحابَ الأَضْرحةِ، ويَفْزعُونَ إِلَيْهم في الشَّدائدِ مُعْتقدِينَ فيهم القُدْرةَ عَلَىٰ إِزَالةِ الشِّدَّة، وفَكِّ الكُرْبةِ، وإِعْطَاء المَطْلُوبِ.

وَاعْتقَدُوا أَيْضًا أنَّ مَنِ اعْتقَدَ أَنَّهم بَاقُونَ عَلَىٰ شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ مَعَ هَذِهِ العَقِيدَةِ فَهُوَ كَافرٌ مِثْلهم، وإِنْ صلَّىٰ وَصَامَ وزَعَمَ أَنَّه مُسْلمٌ.

وَاعْتقَدُوا وُجُوبَ المُتَابعة للنَّبيِّ ﷺ، وأَنَّ الواجبَ عَلَىٰ كلِّ مُسْلمٍ طاعتُهُ فيما أَمَر، وَاجْتِنابُ مَا نَهَىٰ عنه وزَجَر، وتَصْديقُهُ فيما أَخْبر، وأَلَّا يعبدَ الله إِلَّا بمَا شَرَعَ.

وأَنَّه لا عِصْمةَ لأَحدٍ سِوَاهُ، ولَا يُعَارض قولُهُ بقَوْلِ أَحدٍ، ولا حُكْمُهُ بحُكْمِ أَحَدٍ.

وأَنَّه لا سَبِيلَ إِلَىٰ الجَنَّةِ إِلَّا من طريقِهِ.

وأنَّه لا يَقْبل اللهُ من أَحَدٍ عملًا إلَّا أن يكونَ عَلَىٰ شَرْعِهِ.

وأنَّه -صَلَواتُ الله وسلامُهُ عليه- هو خَاتمُ الرُّسُل، فلا نبيَّ بعده.

وأنَّه صاحبُ الشَّفاعةِ العُظْمىٰ، والمَقَامِ المَحْمودِ، والحَوْض المَوْرُودِ في الآخِرَةِ، وأنَّ له مُعْجزاتٍ، وأَعْظمُها مُعْجزةُ القُرْآنِ.

وَاعْتقَدُوا أنَّ القُرْآنَ كَلَامُ الله، مُنَزَّلٌ غَيْر مَخْلُوقٍ.

وأنَّ اللهَ يُرَىٰ في الآخرةِ، يَرَاه المُؤْمِنُونَ في الجَنَّةِ كَمَا يَرَوْن القمرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، ويُكلِّمونَه ويُكلِّمهم.

وأنَّه لا تَخْلِيدَ في النَّار عَلَىٰ صَاحِبِ الكَبِيرَةِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَهُو التَّوحيدُ.

وأنَّ أَصْحابَ الكَبَائِر تَحْتَ المَشِيئةِ الإِلَهيَّةِ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْفو الله عَنْه بِدُونِ عَذَابٍ، ومِنْهم مَنْ يُعذَّبُ في النَّار وقتًا من الزَّمن، ثمَّ يُخْرجهُ اللهُ منها بشَفَاعةِ الشَّافِعينَ، أو بِرَحْمةِ أَرْحم الرَّاحمينَ، ثمَّ يُدْخلهُ الجنَّةَ.

وَاعْتقَدوا أنَّ أَصْحابَ رَسُول الله ﷺ كلَّهم عُدُولٌ، وأَفْضلُهُمْ أَبُو بكرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليٌّ، ثمَّ سَائِر العَشْرةِ المَشْهود لَهُمْ بالجنَّةِ، ثمَّ أَهْل بدرٍ، ثمَّ أَهْل بَيْعةِ الرضوان، ثمَّ مَنْ أَسْلَم قبل الفَتْح وهَاجَر، ثمَّ مَنْ أَسْلَم بَعْد الفَتْحِ.

ويَتولَّون أَهْلَ بَيْت رَسُولِ الله ﷺ، ولا يَعْتقدُونَ فيهم وَلَا في أَحَدٍ مِنْهم

العِصْمَةَ؛ بَلْ يَعْتقدُونَ أنَّ فيهم المُطِيعَ والعَاصِي والبرَّ والفَاجِرَ، شَأْنُهُمْ شأنُ غَيْرهم إلَّا أنَّ المُطِيعِينَ مِنْهم لهم حقُّ القَرابةِ من رَسُول الله ﷺ، وحقُّ الإِسْلامِ.

وَأنَّ الفِرْقةَ النَّاجيةَ هِيَ الطَّائفةُ المَنْصورةُ، وهُمُ الغُربَاءُ، وهُمُ النُّزَّعُ مِنَ القَبَائِلِ، وإنَّما سُمُّوا غُربَاءَ لِقِلَّتِهم ومُخَالفتِهم لِمَا عَلَيه أَهْلُ زَمَانِهِمْ، ومَكَانِهِمْ مِنَ الفَسَادِ والشَّرِّ، واتِّباعهم للشَّرْعِ في وَسَطِ الجُمُوعِ الفَاسِدَةِ[1].

---

(١) الحق أنَّ الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية، وهم الغرباء، وهم النزع من القبائل، وأنَّ هذه أوصافٌ لفئةٍ واحدةٍ، هم أهل الحديث ومن اعتقد عقيدتهم، وهي العقيدة التي ذكرت شيئًا منها علىٰ سبيل الإجمال، وهي مبسوطة في الكتب المخصصة لها، وهم متبعو الآثار كما نص علىٰ ذلك أهل العلم، وأئمة الهدىٰ، فروىٰ الحاكم في معرفة الحديث عن أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه سئل عن معنىٰ هذا الحديث: «**لا يزال ناس من أمتي منصورين، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم حتىٰ تقوم الساعة**»، فقال: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري مَنْ هم؟! قال أبو عبد الله: وفي مثل هذا قيل: من أمَّر السُّنَّة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحق.

فلقد أحسن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذا الخبر، أنَّ الطائفة المنصورة التي يدفع الخذلان عنهم إلىٰ قيام الساعة هُمْ أصحاب الحديث، ومَنْ أحق بهذا التأويل من قومٍ سَلَكوا مَحجَّة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع من المخالفين بسنن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؟! من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار علىٰ التنعُّم في الدِّمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم بالأخبار. وساق إسناده إلىٰ حفص بن غياث أنَّه قيل له: ألا تنظر إلىٰ أهلِ =

=

الحديث وما هم فيه؟ قال: هم خير أهل الدنيا. وإلىٰ أبي بكر بن عياش أنَّه قال: إنِّي لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس. ثم قال الحاكم: ولقد صدقا جميعًا أنَّ أصحاب الحديث خير الناس، وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا وراءهم بأَسْرها، وجَعَلوا غذاءهم الكتابة، وسموهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، فعقولهم بلذاذة السُّنَّة غامرة، وقلوبهم بالرضا في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حُبُورهم، وأهل السُّنَّة قاطبة إخوانهم، وأهل البدع بأسرها أعداؤهم.

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن حسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه، فقال: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل البيت، ثم ساق سنده إلىٰ أحمد بن سنان القطان أنَّه قال: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل، نزع حلاوة الحديث من قلبه.

قال أبو عبد الله: وعلىٰ هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينتسب إلىٰ نوعٍ من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلىٰ الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة، ويسمِّيها الحشوية».اهـ. بواسطة كتاب: «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة» للشيخ ربيع المدخلي (ص٩٩-١٠١).

وقَدْ تبين من هذا أن الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، والنزاع من القبائل هم أهل الحديث، وهم حملة السنن المقتفون للآثار، العاملون بها، الذَّابُّون عنها، المجاهدون في سبيل تعلمها ونشرها ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وقولًا وفعلًا، ومن تبعهم علىٰ عقيدتهم، وسَلَك سبيلهم في العقيدة والعمل، فهو منهم، وسبيله سبيلهم، وإن كان دونهم في الرتبة، فكُنْ منهم يا عبد الله تنجُ وتسعد، وتنال في الجنة أحسن مقعد ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

فصل
بيان معنى ظهورهم على من خالفهم

وأمَّا مَعْنىٰ ظُهُورِهِمْ عَلَىٰ عدوِّهم، فهُوَ ظُهُورُهُمْ بالحُجَّةِ في كلِّ زَمانٍ ومَكَانٍ، وقَدْ يَظْهرونَ أَحْيانًا بالقوَّة الماديَّة، وقَدْ يَكُونُونَ غَيْر ظَاهِرينَ مَادِّيًّا، ولَكِنَّهُمْ يَكُونُونَ ظَاهِرينَ بِالحُجَّةِ الفَالِجَةِ، والسُّلطانِ الغَالبِ، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣].

وَلَمْ يَكُنْ إِبْراهيمُ عليه السلام ظاهرًا عَلَىٰ قَوْمِهِ مادِّيًّا، وإنَّما ظَهَر عَلَيهم بالحُجَّةِ الفَالِجةِ، والسُّلطانِ الغَالِبِ، ومَنِ اسْتَقرأَ التَّاريخَ، يَعْلم صِحَّةَ مَا قُلْتُهُ، فأَصْحابُ الحَدِيثِ والعَقِيدةِ السَّلَفيَّةِ المُنوَّه عَنْهم في الأَحَاديثِ الصَّحِيحةِ بالفِرْقةِ النَّاجيةِ تارةً، والطَّائفةِ المَنْصُورةِ تَارةً، والغُربَاءِ الَّذين يُصْلحونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ تارةً، والنُّزَّعِ من القَبَائِلِ تَارةً، لَمْ يَكُونوا ظَاهِرينَ حِسِّيًّا؛ أَوْ بالأَحْرىٰ سِيَاسيًّا وعَسْكريًّا في زَمانٍ ومَكانٍ، وإِنْ كانوا قَدْ يَظْهرونَ أَحْيانًا حِسِّيًّا ومادِّيًّا، كَمَا أَنَّهم ظَاهِرُونَ بِالحُجَّةِ والسُّلطانِ في كلِّ زَمانٍ.

وقَدْ يَكُونُ ظُهُورهُم في بلدٍ دُونَ آخر، وزَمَنٍ دُونَ آخَر، كَمَا تَحقَّق ذَلِكَ

فِي الجَزِيرةِ العَربيَّةِ فِي عَهْدِ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، والأمير مُحمَّد بن سعود وأَنْجالهما، رحمهم الله، ثمَّ اخْتفَىٰ قليلًا بسَبَب حَمْلة إِبْراهِيم باشا المُعَادِية لدَعْوةِ التَّوحِيد، ثمَّ عاد إِلَىٰ الظُّهُور فِي عَهْد الأمير فيصل بن تركي رَحِمَهُ اللهُ، ثمَّ اخْتفَىٰ بَعْد ذَلِكَ، ثمَّ عاد إِلَىٰ الظُّهُور بصُورةٍ أَقْوَىٰ وأَعمَّ وأَوْضَح فِي عَهْد المَلِكِ عبد العزيز بن عبد الرَّحمن الفيصل، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمةَ الأَبْرارِ الأَخْيارِ، فقَدْ نَشَر التَّوحيدَ والعقيدةَ السَّلَفيَّةَ فِي عَهْده، وقَضَىٰ عَلَىٰ المَعَابدِ الوثنيَّةِ، ومَحَا آثَارَها، ومَنَع البِدَعَ المُخالِفةَ للشَّرع الحَنِيفِ، وأَبْدلَ بِهَا السُّنَّةَ، ونَشَر العِلْمَ الشَّرعيَّ، وأعانَ عليه، ونَصَر حَمَلتَه.

ثمَّ سارَ أَنْجالُهُ الغُرُّ المَيَامِين عَلَىٰ نَفْس الطَّرِيقةِ الَّتي رَسَمها لهم، رَحِمه الله ورَحِمَ مَنْ قَدْ وَافَىٰ أَجلَه من أَوْلَادِهِ، وحَفِظَ مَنْ بَقِيَ مِنْهم من كلِّ سُوءٍ ومَكْروهٍ، وَوَفَّقهم لِكُلِّ خَيْرٍ، فالمَدَارسُ فِي هَذِهِ البلادِ يُدرَّس فيها التَّوحيدُ من السَّنةِ الأُولَىٰ الابتدائيَّة إِلَىٰ آخر سَنةٍ فِي الجَامِعة بطَرِيقَةِ التَّدرُّج الصُّعوديِّ.

والمَذْهبُ السَّلَفيُّ سائدٌ، والبِدَعُ مُحَاربةٌ، والحمد لله، وإِنْ كان هناك مَظَاهرُ سَيِّئةٌ أَوْجَدها التَّرفُ إِلَّا أَنَّها مُحَاربةٌ، والحَمْد لله، والدَّولةُ تُعِينُ عَلَىٰ إِزَالةِ كلِّ مَظْهرٍ سَيِّئٍ يُخَالف الشَّرعَ، وفَّقها اللهُ، ونَصَر بِهَا الإِسْلَامَ، وَنَصَرها به.

ولستُ أُرِيدُ بهَذَا إِلَّا التَّمثيلَ أَنَّ العقيدةَ السَّلَفيَّةَ قَدْ تكونُ أَحْيانًا مَنْصورةً حِسِّيًّا إِلَىٰ جَانِبِ أَنَّها مَنْصورةٌ دَائمًا وأبدًا بالحُجَّةِ والسُّلطانِ، ولكن ذَلِكَ

يكونُ فِي مَكَانٍ دون مَكَانٍ، وزَمَانٍ دون زَمَانٍ، والأكثرُ دائمًا أَنْ تكونَ السُّلْطةُ والقوَّةُ المادِّيَّةُ فِي الجَانِبِ المُعَادي لهم، ولَوْ حَمَلْنا الحديثَ عَلَىٰ الظُّهُورِ الحسِّيِّ المادِّيِّ لكَانَ خَبَرُ الشَّارعِ المَعْصومِ -والَّذي لا يَنْطق عن الهَوَىٰ- قَدْ تخلَّفَ، وما كان لخَبَرِ الرَّسُول ﷺ أَنْ يَتخلَّف أبدًا؛ لأَنَّه وحيٌ من الله الَّذي علم كلَّ شيءٍ.

لذَلِكَ، فإنَّ حَمْله عَلَىٰ الظُّهُور بالحُجَّةِ والسُّلطانِ هو المُتعيِّن، كما ظَهَر إبراهيمُ ﵇ عَلَىٰ قومِهِ بالحُجَّةِ الَّتي أَضَافَها الله ﷿ إِلَىٰ نفسِهِ تَعَالىٰ؛ لأَنَّه هو الَّذي عَلَّمها نبيَّه وخَلِيلَه ﵇، ولذا فإنَّا نجد أنَّ أتباعَ الرُّسُل، وحَمَلةَ العَقِيدَةِ السَّلَفيَّةِ من العُلَماءِ تكُونُ الغَلَبةُ لهم عَلَىٰ أَعْداءِ الحقِّ في كلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ.

وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ أَعْداءَ الحَقِّ يَلْجؤونَ إِذَا غُلِبُوا إِلَىٰ القوَّةِ المادِّيَّةِ لِيَسْتعملُوهَا ضدَّ أَهْلِ الحقِّ، كما قَالَ فرعون -لَعنَه الله- لمُوسَىٰ ﵇ حين غَلَبه بالحُجَّةِ قوله ﷿: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء:٢٩].

وكَمَا حَصَل لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية ﵀ حين كَانَتْ تُعقَدُ مَجَالسُ المُنَاظرةِ بَيْنه وبَيْنَ عُلَماءِ عَصْره، الَّذين كَانُوا عَلَىٰ العَقِيدةِ الأَشْعريَّةِ، فيخرج مُنْتصرًا في كلِّ مَجْلسٍ، فلَمْ يَجِدُوا شيئًا يَتشفُّون به إلَّا كَوْنهم يَحْملونَ الدَّولةَ عَلَىٰ سَجْنِهِ خوفًا من أن يُضِلَّ النَّاسَ -فِيمَا زَعَموا- ولَمْ يفعلوا ذَلِكَ إلَّا حين غُلِبُوا بالحُجَّةِ مع أنَّه واحدٌ، وهم كثيرٌ، ولَهُمْ مَنَاصبُ

فِي دولةِ ذَلِكَ الزَّمن تُمكِّنهم من أَنْ يَقُولُوا فيُسمَع لِقَوْلِهِمْ، فمَنْ يَنْظر إِلَىٰ الحَالَةِ الحِسِّيَّة يَقُولُ: إنَّهم هُمُ الَّذين انْتَصرُوا عَلَيه، وظَهَروا عَلَيه؛ لكونِهِ كَانَ مَسْجونًا وهُمْ مُتَبوِّؤون للمَنَاصبِ العَالِيَةِ، ومَنْ نَظَر إِلَىٰ الحقيقة يجد أَنَّه هو الَّذي انْتصَرَ عَلَيهم، وظَهَر عَلَيهم بالحُجَّةِ، وَهُو الطَّائفةُ وإِنْ كانْ واحدًا، كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ ﵇ أُمَّةً وَحْده.

وبالله التوفيق.

الخاتمة

❁ **أولاً:** قَدْ تبيَّن مِمَّا سبق أنَّ هَذِهِ المناهجَ الَّتي كَتَبتُ عنها، وهُمَا: منهجُ الإخوان المُسْلمين، وما تَفرَّع عنه من قُطبيَّةٍ أو سروريَّةٍ، ومَنْهجُ التَّبليغ، قَدْ ترك أَصْحابُها أَعْظمَ أَصْلٍ في الإِسْلَامِ، وأَعْظم أَسَاسٍ فيه، أَلَا وهو التَّوحيدُ الَّذي دَعَتْ إليه جَمِيعُ الرُّسُل، من أَوَّلهم -نوحٍ- إِلَىٰ آخِرِهِمْ -مُحمَّدٍ ﷺ- بشَهَادة القرآن، الَّذي لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بَيْن يَدَيه ولا من خَلْفِهِ، تَنْزيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ، حَيْثُ يَقُولُ الله جلَّ وعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وقَدْ أَخبر الله ﷻ عن كلِّ رَسُولٍ أنَّه يَقُولُ لقومِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون:٢٣].

وقَدْ تَركَ هَؤُلَاءِ هَذَا الأصلَ الأَصِيلَ الَّذي بَدَأَتْ به الرُّسُلُ عليهم السلام، وَاسْتَهانُوا بِضِدِّه، وهو الشِّرْكُ الأَكْبرُ، ففَعَلوه، أَوْ فُعِلَ أَمَامَهم فَأَقرُّوه وشَجَّعوا عَلَىٰ فِعْلِهِ بالسُّكُوتِ عَمَّنْ فَعَله، والتَّغاضي عنه، حتَّىٰ ظنَّ الجُهَّالُ أنَّ عبادةَ القُبُور ودَعْوة أَصْحابها عِنْدَ الشَّدائدِ هُوَ الدِّينُ، فدَعَا الأمواتَ، وطَلَب مِنْهم قَضَاءَ الحَوَائِجِ، وكَشْفَ الشَّدائدِ، وتَفْريجَ الكُرُوبِ من غَيْر نكِيرٍ، بَلْ وَقَع الشِّرْكُ الأَكْبرُ من قَادَتِهِمْ كَمَا قَدْ تقدَّم.

❁ **ثانيًا**: أنَّ القَادَةَ والمُؤسِّسينَ في هَذِهِ المَنَاهِجِ شَرَعوا لأَتْباعِهِمْ قَوَانِينَ في الدَّعوة لَمْ يَشْرعها اللهُ ولا رَسُولُهُ ﷺ، فأَوْجَبوا ما ليس بِوَاجبٍ بمَحْض الشَّرعِ، وتَرَكوا بَعْضَ الفَرَائِضِ المُهمَّةِ، والوَاجِبَاتِ المُؤكَّدةِ، فَاعْتَنىٰ أَتْباعُهُمْ بِمَا حَضُّوهم عَلَيه من السُّننِ، وكَانَ لَهُ عِنْدَهُم الأَوْلويَّةُ، وتَركُوا ما لَمْ يَحضُّوهم عَلَيه من الأُصُولِ والأُسُسِ في الدِّين.

❁ **ثالثًا**: وتَرتَّب عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ قَدَّم أَتْباعُهُم المُؤخَّرَ، وأَخَّروا المُقدَّمَ، فإِنْ سَمِعُوا داعيًا يحضُّ عَلَىٰ التَّوحيدِ، ويُبيِّن مَنْزلتَه من الدِّينِ، وأنَّه هو الأَسَاسُ الأَعْظمُ فِيهِ، ويُبيِّن خَطَر الشِّرْكِ وفَظَاعته وفُحْشه، سَخِروا منه، وحَقَّروه، وزَعَموا أَنَّه صاحبُ عَقْلٍ بدائيٍّ؛ لأَنَّه يُوجِّه نَقْده إِلَىٰ الشِّرْكِ البِدَائيِّ السَّاذجِ، ويَتْرك الشِّرْكَ السِّياسيَّ، والخمرَ، والعُهْرَ، والإباحيَّةَ السَّائدةَ.

قلنا: أمَّا النَّهي عن الخَمْر، والعُهْر، والإباحيَّة، وتَحْريمها، وبَيَان مَضارِّها، فما أَحْسَنه إِنْ بُنِي عَلَىٰ التَّوحيدِ، وكَانَ بَعْد بَيَانِ مَضارِّ الشِّرْكِ بالله المُخلِّد في النَّار، وأمَّا الشِّرْكُ السِّياسيُّ، فنقول:

أ ـ إنَّ الدَّعوةَ إِلَىٰ عِبَادةِ الله وَحْده لا شَرِيكَ لَهُ شَامِلةٌ للدَّعوة إِلَىٰ تَرْك الشِّرْكِ السِّياسيِّ، وشِرْكِ العِبَادةِ.

ب ـ وأنَّ اللهَ قَدْ أَرْسلَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، ولَمْ يَأْمر أحدًا مِنْهُمْ أن يَنْهىٰ عن الشِّرْكِ السِّياسيِّ ويَتْرك شِرْكَ العبادةِ، بَلْ أَمَرهم أَنْ يَدْعُوا أُمَمهم إِلَىٰ عِبَادةِ الله وَحْده، وتَرْك ما كَانُوا يَعْبدُونَ من الآلِهَةِ.

ج ـ أنَّه مَا مِنْ قَوْمٍ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ إِلَّا ولَهُمْ كُهَّانٌ يَتحَاكمُونَ إِلَيْهم،

ولَهُمْ رُؤَسَاءُ يَحْكمونَ بغير ما أَنْزلَ اللهُ، فلَمْ يَأْمُرْهُمْ أن يُخصِّصوا دَعْوتَهم لِهَؤُلَاءِ دُونَ أُولَئِكَ.

د ـ أمَّا تَسْمية شِرْكِ القُبُور شِرْكًا بِدَائيًّا أو بسيطًا ساذجًا، فهي مَكِيدةٌ شَيْطانيَّةٌ يريد الشَّيطانُ أَنْ يُلْهي بها مَنْ يَتسمَّون بالدُّعاة عن الشِّرْك الأكبر الَّذي اكْتَسحَ العَالَمَ الإسلاميَّ أَجْمع، وعمَّ جَمِيعَ البُلْدانِ إلَّا ما شاءَ الله.

❁ **رابعًا:** بَلْ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَىٰ بُغْضِ مَنْ دَعَا إِلَىٰ التَّوحيدِ، وحَذَّر من الشِّرْكِ، وبَيَّن خَطَره، وَالاشْمِئْزازِ مِنْهُ، وإِسْكاتِهِ أو التَّنفيرِ عنه، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ ليس من الحِكْمةِ، وكأنَّ شُيُوخَهُم الَّذين سَنُّوا لهم ذَلِكَ أَعْرفُ بالحِكْمةِ من الله ورَسُولِهِ ﷺ.

❁ **خامسًا:** تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْي الإِسْلَامِ عَنِ المُوحِّدينَ، والحُكْمِ بالإسلام للمُشْرِكِينَ الوَثَنيِّين، ولا أدلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ من قَوْل جابر رزق في مُقَابلةٍ له نُشِرَتْ في مجلة «الاعتصام»[1]: «... وقَدْ نَسِيَ صدام حسين أنَّه سَيُقَاتِلُ شَعْبًا تعداده أَرْبعةُ أَضْعافِ الشَّعب العِرَاقيِّ، وهَذَا الشَّعبُ هُوَ الشَّعبُ المُسْلمُ الوحيدُ الَّذي اسْتطَاعَ أن يَتمرَّدَ عَلَىٰ الإمبرياليَّة الصَّليبيَّة واليَهوديَّة».

وقول التَّنظيم الدُّولي للإخوان: «ولَوْ كانَ الأمرُ يخصُّ إيران وَحْدها لقبلت حلًّا وسطًا بَعْد أن تَبيَّنت ما حَوْلها، ولكنَّه الإِسْلَامُ وشُعُوبُهُ في كلِّ مكانٍ، وقَدْ أَصْبحَتْ أمانةً في عُنُقِ الحُكْمِ الإِسْلاميِّ الوحيد في العَالَمِ الَّذي فَرَضَ نَفْسَه بِدِمَاءِ شَعْبِهِ في القَرْن العشرين لتَثْبيتِ حُكْم الله فَوْق حُكْمِ

(١) عام ١٤٠١ هـ (ص ٢٧) عدد محرم.

الحُكَّامِ، وفَوْقَ حُكْمِ الاسْتِعْمارِ والصُّهيونيَّة العالميَّة ٤٦م».

فَالقَارِئُ يَرَىٰ أنَّ الإخوانَ قَدْ قرَّروا بكُتَّابهم الَّذين هم أَلْسِنتُهُمْ النَّاطقة وتَنْظيمهم أنَّ الشَّعبَ الإيرانيَّ هو الشَّعبُ المسلمُ الوحيدُ، مُتَجاهِلِينَ جَمِيعَ المُسْلمينَ في الأَرْضِ، وعَلَىٰ رَأْسِهم الدَّولة السَّعوديَّة الَّتي قَامَتْ من أوَّلِ يَوْمها عَلَىٰ التَّوحيدِ، ومَا زَالَتْ عليه، والحَمْدُ لله، فَهِيَ الَّتي يُدرَّس فِيهَا التَّوحيدُ في مَدَارِسها ومَعَاهِدِهَا وجَامِعَاتِها، ولَيْسَ فيها أَضْرحةٌ ولا قُبُورٌ يَرْتادها الجُهَّالُ، وشَعْبُها كلُّه شَعْبٌ مُسْلمٌ، والحَمْد لله، علمًا بأنَّ سَائِرَ الشُّعُوبِ الإسلاميَّة ما من شَعْبٍ وإنْ كانَ قَادتُهُ يحكمون بالقَانُونِ وعَامَّته يَعْبُدُونَ القُبُورَ إلَّا وَفِيهِ مُسْلمونَ حقًّا يُوحِّدون الله، ويُحكِّمونَ شَرْعَه في أَنْفُسِهِمْ ومن تَحْت أَيْدِيهِمْ عَلَىٰ حَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ، فنَفْيُ الإسْلَام عَنْ جَمِيعِ المُسْلِمينَ والحُكْمُ بِهِ لإيرَانِ وَحْدها -مَعَ مَا في مَذْهبِها من البُعْد عَنِ الإسْلامِ- جَهْلٌ من أَقْبَحِ الجَهْلِ، وظُلْمٌ من أَعْظَمِ الظُّلْمِ.

❁ **سادسًا:** ضَعْفُ الوَلَاءِ والبَراءِ في المَنْهجينِ، وقَدْ سَبَق الاسْتِدْلالُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

❁ **سابعًا:** أنَّ المُؤسِّسين في المَنْهجَينِ قَدْ تربَّوْا في أَحْضَانِ الصُّوفيَّةِ، وإنْ كانَ مُؤسِّسُ التَّبليغِ أَعْظمَ إيغَالًا في الصُّوفيَّةِ، وتأثُّرًا بها.

❁ **ثامنًا:** اتِّخاذهم لِهَؤُلَاءِ المُؤسِّسينَ مُشرِّعينَ يَتحَاكَمون إِلَىٰ أَقْوالِهم، ويَترسَّمونها ويَؤمُّونها ويتَّخذونها نِبْراسًا يَعُودُونَ إِلَيْها عِنْدَ التَّشاجر، فيَقُولُونَ: قالَ الإمامُ كَذَا في كتابِ كَذَا.

❁ **تاسعًا:** سَنُّوا لَهُمْ بِدَعًا فَأَخذُوهَا، وَرَسَموا لَهُمْ خُطَّةً فَاتَّبعوها، وزَعَموا أنَّها هي الضَّمانُ للمَصْلحةِ دُونَ غَيْرها.

❁ **عاشرًا:** سَنُّوا لَهُمُ البَيْعةَ، فأَخذوا بِهَا، وإِنْ كانَ في ذَلِكَ مُخَالفةٌ لِهَدْي النَّبيِّ ﷺ وأَصْحابِهِ وعُلَماءِ السَّلَفِ من ذَلِكَ الزَّمَن إِلَىٰ زَمَننا هَذَا، لا نَعْلم أنَّ دَاعيةً قَدْ قامَ بدَعْوةٍ إِلَىٰ الله، فأَخَذ البيعةَ من النَّاس عَلَيها إلَّا إذَا كَانَ يُريدُ بِدَعْوتِهِ مُلْكًا.

❁ **حادي عشر:** أنَّهم سَنُّوا لهم الإمارةَ في الحَضَر، فأَخَذوا بها وإِنْ كانت مُخَالفةً لهَدْي المُصْطفىٰ ﷺ وأَصْحابِهِ ومَنْ سار عَلَىٰ هَدْيه من سَلَف الأُمَّة وإلىٰ يَوْمنا هَذَا، وغَرَّروا بهذا عَلَىٰ الأَحْداثِ، وأَعْطَوهم مَناصبَ وَهْميَّةً، فَظنُّوا أنَّهم قَدْ حَازُوا من العِلْمِ مَا يَكْفي، فكَانُوا مثل عتاب بن أسيد، ومُحمَّد بن القاسم رحمهم الله.

❁ **ثاني عشر:** سَنُّوا لهم الخُرُوجَ للدَّعوة -فيما زَعَموا- وإن اخْتلَفَتْ صفتُهُ من مَنْهجٍ إِلَىٰ مَنْهجٍ، وما عَرَفنا عن السَّلَفِ أنَّهم كَانُوا يَخْرجون إلَّا للغزو، وما كانوا يَجْلسونَ لإِلْقاءِ الدُّروسِ، وتَعْليم القرآن، والسُّنن وتَعلُّمها إلَّا في المَسَاجدِ.

❁ **ثالث عشر:** سَنُّوا لهم التَّقيَّةَ زَاعِمِينَ في ذَلِكَ أنَّهم يَتأسَّوْنَ بالنَّبيِّ ﷺ في دعوتِهِ السِّريَّةِ.

والجوابُ: أنَّ الدَّعوةَ السِّريَّةَ قَدْ نُسِخَتْ بقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر:٩٤].

۞ **رابع عشر:** أنَّ كُلًّا من المَنْهجينِ قَدْ حَصَر الإِسْلَامَ في الأُصُولِ الَّتي أَلْزمَ بها أَتْباعَه، فالمَنْهجُ الإِخْوانيُّ -مثلًا- حَصَر الإِسْلَامَ في الأُصُولِ العِشْرِينَ، أو جَعَل لها مَزيَّةً عَلَىٰ غَيْرِها.

والمَنْهجُ التَّبليغيُّ قَدْ أَلْزمَ أَتْباعَه بالأُصُولِ السِّتَّةِ، أو جَعَل لها العنايةَ دون غيرها، وهَذَا ما أنزلَ اللهُ به من سُلْطانٍ.

۞ **خامس عشر:** أنَّ كُلًّا من المَنْهجينِ يُعْنَون بالفَضَائِلِ، ويُزَهِّدونَ ويَزْهَدون في العَقَائدِ وتَعلُّمها، وتَعلُّم السُّنَّةِ، ويُفضِّلون العبادةَ والدَّعوةَ -وإن كَانَتْ عَلَىٰ جَهْلٍ وبِدَعٍ- عَلَىٰ الفِقْهِ في الدِّينِ؛ سواء كانَ هو الفِقْهَ العقائديَّ المبنيَّ عَلَىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ، أو الفِقْهَ الفُرُوعيَّ المأخوذ مِنْهما، فكَمْ غرُّوا من جُهَّالٍ وأطفالٍ عن أَنْفُسِهِمْ وعَنْ طَلَبِ العِلْمِ الَّذي يَنْفع بِمَا أَعْطوهُمْ مِنْ إِمَارةٍ، ورُتَبٍ وَهْميَّةٍ لكي يَقُودوا جُهَّالًا مِثْلهم إِلَىٰ الدَّينونةِ بذَلِكَ المَنْهجِ الخَاطِئِ، ويَغرُّوهم كَمَا غُرُّوا، ويظنُّ الجميعُ بأَنْفُسِهِمْ أَنَّهم علماءُ، ويَكُونُونَ كلُّهم ضَحيَّةً لتِلْكَ المَنَاهجِ الخَاطِئَةِ، وفِيمَا ذُكِر كِفَايةٌ يستدلُّ بِهِ عَلَىٰ ما وَرَاءه.

❑ **وأخيرًا:**

فَإِنِّي أَدْعو القُرَّاءَ الكرامَ مِمَّنِ انْخَدعوا بتِلْكَ المَنَاهِج المُبْتدعَةِ؛ سواء كَانُوا مِنْ إِخْوَانِنا طُلَّابِ العِلْمِ في المَمْلكةِ الَّذين دَرَسوا التَّوحيدَ مُنْذ نُعُومةِ أَظْفارِهِمْ إِلَىٰ آخِرِ سَنَةٍ في الجَامِعَةِ، أو من غَيْرِهم، أَدْعُوهم إِلَىٰ قِرَاءةِ المُلَاحظَاتِ الَّتي حَوَاها هَذَا الكتابُ، ولَاحَظَها عَلَيهم أَهْلُ العِلْم، وما كان

لي فيها إلَّا مَزيَّةُ الجَمْع والتَّرتيب فقط.

أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ قراءتها مُتجرِّدينَ عن الحِزْبيَّة والعصبيَّةِ، وأَنْ يَنْظروا إِلَيْها بعَيْنِ الحقِّ والعَدْلِ، لا بِعَيْنِ البُغْضِ لِكَاتِبِهَا لكونِهِ نَقَدَ الحِزْبَ الَّذي يَنْتمي إليه هَذَا القارئُ، فلعلَّ النَّاقدَ كان مُشْفقًا عَلَيكم وعلىٰ أَمْثالِكم أَنْ تَعِيشُوا وتَمُوتُوا عَلَىٰ باطلٍ.

وليعلموا أنَّه لَا يَنْفع عند الله، ولا يُنْجِي من عذابِهِ إلَّا مُتَابعة نبيِّ الهُدَىٰ ﷺ الَّذي أَرْسَله اللهُ رَحْمةً للعَالَمين، وحُجَّةً عَلَىٰ الكَافِرينَ والمُعَانِدِينَ مُحمَّد بن عبد الله الأمين، صَلَواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه وعلىٰ سَائِر الأَنْبياءِ والمُرْسلِينَ.

وأنَّ كلَّ خُلَّةٍ وقرابةٍ وصداقةٍ وصلةٍ منقطعةٌ يوم القيامة، وذاهبةٌ، وغير مفيدةٍ، إلَّا ما قدَّمه العبدُ من عملٍ مطيعًا فيه لله، مُتَّبعًا لرَسُول الله ﷺ، وأنَّ كلَّ قريبٍ وصديقٍ وخليلٍ سيَتخلَّىٰ عنك في ذَلِكَ المَوْقفِ العَصِيبِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان:٣٣].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ۝١١١﴾ [النحل:١١١].

اقْرَؤوا هَذِهِ المُلَاحَظاتِ لِتكُونُوا عَلَىٰ بَيِّنَةٍ من أَمْركُمْ، وَلَا يَغُرَّنَّكمْ مَنْ يَقُول: إنَّ هَذَا تَجِنٍّ عَلَىٰ هَذِهِ المَنَاهِج، ومُبَالغةٌ في النَّقد بدون حقٍّ، رَاجِعوا



الفَقَراتِ المَنْقودةَ فِي الكُتُبِ الَّتي أخذت منها إن شَكَكتُمْ، وَاسْأَلوا اللهَ أن يَهْديكم إِلَىٰ الحقِّ، ويُثبِّتكم عليه، فهو لا يردُّ مَنْ طَرَقَ بابَه صادقًا.

اللَّهمَّ إِنَّ هَذَا جهدُ مُقلٍّ فتقبَّله منِّي، فأنتَ تَعْلمُ أنِّي دافعتُ بِهِ عن التَّوحيدِ والسُّنَّةِ الَّتي هي عَقِيدةُ السَّلَفِ من الصَّحابةِ والتَّابعين، ومَنْ بعدهم من الأئمَّةِ المُهْتدينَ، وانْفعنِي به في يوم الفَاقَةِ والحاجةِ، يوم لا يَنْفع مالٌ ولا بَنُون إلَّا مَنْ أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ.

اللَّهمَّ ما كان فيه من حقٍّ وصوابٍ فهو منك؛ لأنَّه تمَّ بعَوْنك وتَوْفيقك وتَسْديدك، وما كان فيه من خطإٍ وباطلٍ فهو منِّي، واللهُ ورَسُولهُ بَرِيئانِ من ذَلِكَ.

سبحان رَبِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ عَلَىٰ المُرْسلين، والحمدُ لله ربِّ العَالَمينَ، وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمعينَ.

وَكَانَ الانتهاءُ من هَذَا السِّفر المبارك في يوم الخميس ١٤/ ٩/ ١٤١٤هـ

حرَّر ما فيه

أحمد بن يحيى النجمي



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

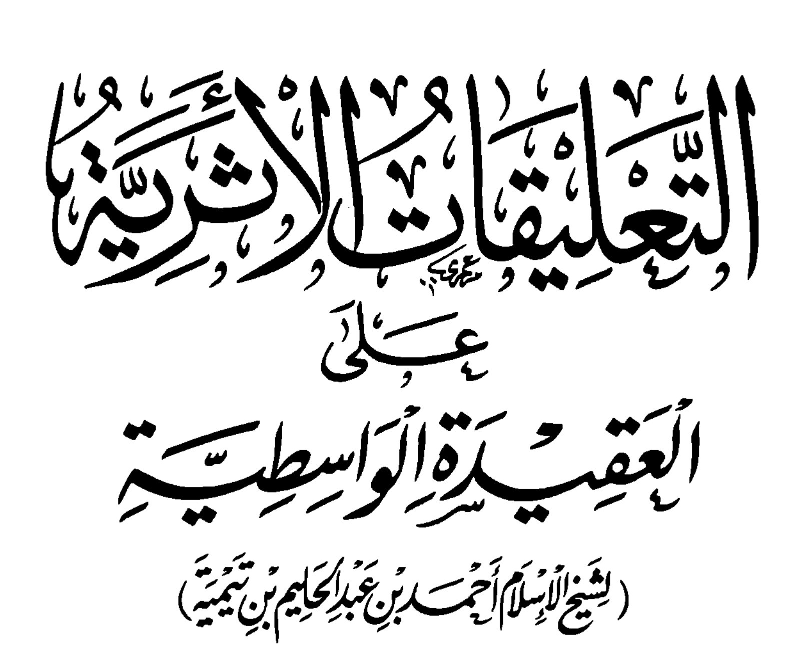


الباب العاشر

الباب الحادي عشر

الباب الثاني عشر

الباب الثالث عشر والأخير



تأليف

فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

